
Bibliotheca Alexandrina
0137267

ذخائر العرب

٦٥

شرح ديوان أبى الطيب المتنبى

لأبى العلاء المعرى

(٣٦٣ - ٤٤٩)

« معجز أحمد »

الجزء الأول

تحقيق ودراسة

الدكتور عبد المجيد دياب

عضو مركز تحقيق التراث

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الدراسات الأدبية فى أى مجال من مجالاتها وشعبة من شعاب تخصصها تعتمد أساسًا على النصوص، التى هى مادة الدرس الأدبىّ، تأريخًا ونقدًا ومقارنةً، وليس من المتصوَّر أن نؤرخَ لعصْر من العصور، أو أديب من الأدباء، دون أن نجمع نصوصه ونحقّقَها ونتحقّق من نسبتها إليه، أو أن نشتغل بدراسة نقديّة للأدب من غيْر استيعاب لنصوص موضوعاتها وتتبع الظواهر الأسلوبية والخصائص الفنية بالفحْص والاستِقراء، كذلك لا يمكن أن تصحّ دراسة مقارنة بمعزلٍ عن النصوص، ولمح ظواهر التأثّر أو التشابه والاختلاف بينها، ثم تأييدها بالتّتبع الاستقرائى فى نصُوصها المحقّقة.

ولمّا كنت بحكم عملى فى هذا الحقل (تحقيق التراث) منذ سنة ١٩٦١ أعيش بين مخطوطاته، فقد أشار إلىّ الأستاذ إبراهيم الإبيارى - وكان مديرًا لإدارة إحياء التّراث ونشره - بوجوب تحقيق كتاب (شرح ديوان المتنبى المعروف بمعجز أحمد) فهوَ أحَدُ الكُتب التى استرعت انتباهَه خلال مشاركته فى لجنة إحياء تراث أبى العلاء المعرى. ولم يزل يسهّل لِىَ الأمْرَ ويهوّنه، حتى اندفعتُ فى المأزق الصّعب، الذى لم أستطع الخروج منه. وأخذت أبْحث عن مخطوطاته فَلمْ أجِدْ له فى دار الْكُتب المصرية إلا نسخَتين مخْتلفتين للجزء الأول فقط، مصورتين عن الْمُتحف البريطانى. وهما ما رمزت لهما بالحرفين (أ) و(ب) وقيل لى - فى ذاك الوقت - إنّ أحد الإخوة السوريين يعمل فيه رسالة دكتوراه، فأحجمت عن العمل فيه سنوات.

ثم جُدِّد الأمل مرَّة ثانية، فزادت همتى فى حصْر مخطوطاته واستكمالها، فأخذت أبْحث فى فهارس المكتبات الخاصة الملحقة بدار الكتب المصرية، وجامعة القاهرة، فإذا : هناك نسختَان كاملتَان منْه، إحْداهما تحمل رقم ٢٥ أدب قوله. وهى ما رمزت لها بالحرف (ق). والثانية مصورة عن إحْدى مكتبات تركيا، وتُوجَد فى مكتبة جامعة

القاهرة وهى ما رمزت لها بالحرف (ع) ثم وجدت فى مكتبة طلعت نسخة تحت رقم (٤٦١٩ أدب)، كَتَبَ عليها أحد مفهْرسى دار الكتب المحْدَثين (اللّامع العزيزى) ولكن بدراستها وفحصها، لم تكن (اللامع العزيزى) ولا (معْجِز أحمد) فعدلت عَنْها وأخذت أبحث عن غيرها فجاء من أخبرنى أن هذا الكتاب (معجز أحمد) ليس للمعرّى! واستَدلّ القائلُ بأن هذا الكتاب ينقل عن المعرِّى، فأخذت أبحث فى المخطوطات والمطبوعات عَلّى أجد نقولا عنه. فإذا فى مخطوط (النظام فى شرح ديوان المتنبى وأبى تمام) لابن المستوفى، وفى أمالى ابن الشجرى المطبوع منها والمخطوط، وأمالى ابن الحاجب نقول كثيرة، وأخذت أعارض هذه النقول بما لدى من نصوص فى النسخ المذكورة، وإذا النقول لا تتَّفق ومصادر التاريخ الأدبى التى بين يدىَّ آنذاك، وكانت: تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان، وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان، وأبو العلاء وما إليه للأستاذ عبد العزيز الميمنى، وديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين لبلاشير، تذكر أن شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى يسمى: اللامع العزيزى، أومعجز أحمد، وأشاروا إلى النسخ التى بين يدىّ، وفهمتُ من هذا - كما فهم غيرى - أنهما اسمان مختلفان لكتاب واحد، ولكنّ النصوص التى بين يدى لاتتفق وماجاء فى النسخ.. إذًا فقد صدق من قال: إن هذا الكتاب ليس للمعرى، وترددتُ مرةً ثانية، بل وأمسكْتُ عن العمل فيه. ولكن أخذت أردِّدُ الفكرَ وأعمل الذهن فيما يحمله آخر الجزء الأول من الشرح المذكور إذ يقول: «شرْح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرىّ المسمى بمعجز أحمد» وفهمت من هذا أنّه يُمكن أن يكون للمعرى كتابٌ آخر غير مسمى بهذا الاسم فعاودت البحث والتنقيب والجهد، فإذَا أنا أقَعُ على كتاب (تفسير أبيات المعانى) وقد نسب - خطأً - إلى أبى العلاء المعرى، وهو لابن ابن أخى أبى العلاء، ويسمى سليمان المعرّى، وقد حققت ذلك. فوجدته يشير فى مقدمته إلى أنه رجع إلى كتاب شيخه أبى العلاء المسمى بـ(اللامع العزيزى) وإذا النصوص التى بيْن يدى تتّفق وما نُقِل عن اللامع العزيزى، ووقفْتُ على مخطوط آخر وهو (المآخِذ على شُرَّاح ديوان المتنبى) للأزدى، وإذا هو يشير فى مقدمته إلى أنّه رجَع فى نقده هذا إلى شرْح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى المعروف بـ(اللامع العزيزى) وإذا نصوصه تتَّفق هى وما فى شرح أبيات المعانى، وأمالى ابن الشَّجرى، وأمالى ابن الحاجب، وما جاء فى النظام لابن المستوفى.

وفهمْتُ من هذا أنهما كتابان مختلفان باسمين مختلفين لمؤلف واحد والمشروح واحد.

واستكملت من النسخ ما يمكن استكماله واستوصفت ما لم يمكن استحضاره من نسخ الكتاب (معجز أحمد).

وأخذتُ أرجع إلى كُتُب الأقْدَمين ومخطوطاتهم، وأسْتَقصى من كَتَب عن المعرّى أو المتنبى، فإذا المصادر تنادى بأعلى صوتها: إن أبا العلاء المعرى شَرَح ديوان المتنبى مرتين.

لكن عاوَدَنى الشكّ للمرة الثالثة، إذْ وجدت أنّ الورقة الأولى: وهى التى تحمل المقدمة ثم خمسة أبيات أو ستة مع شرحها، منقولة عن شرح الواحدى.

وبالرغم من أننا نعرف جيدا أنه يمكن أن تضيع ورقة أو أوراق من المخطوطة، سواء كان فى أول المخطوطة أو آخرها، وذلك نتيجة لنظام خزنها منبطحة - وهو ما كان عليه نظام تخزين المخطوطات العربية قديما[1] -، فربما تكون النسخة الأمّ وقَع فيها هذا، فاسْتكملها ناسخٌ من الواحِدى. وأخذت أضْرب أخماسًا فى أسداس، وأقلِّب الأمر على وجوهه، وأطرق أبْوابَ العلماء مستهديًا ومستنيرًا فكان جوابهم: لابدّ من استقصاء نسخ هذا الشَّرح، إنْ لَم يمكن بالتصوير من أمَاكِنها فبوصفها من الفهارس الخاصة أو عن ثقَةٍ يراها ويصفُها وصفًا أمينًا.

فرجعتُ إلى كتاب بروكلمان أستقصى ما ذكره من النسخ، وأطلبها بالتصوير أو بالوصف، وأخذت أنقِّب عن أماكن هذه المخطوطات، فعثرتُ على ما لا يقل عن عشْر مخطوطات ذكرها بروكلمان، وبعضها لم يذكره بروكلمان، ولكن وجدتها قد ضاعت منها الورقة الأولى.

فانصرفت أدرس أبا العلاء والمتنبى وأدْرس عصْرَهما وعلاقتهما مع أهل عصرهما مِنْ وزرَاء وأمراء وكتّاب وأدباء وشعراء وقادة وسوقة. فإذا بى أرى القفْطى[2] (٥٦٨-٦٤٦) يشير إلى أن الكفار (الصليبيين) لم تترك من كتب أبى العلاء التى لم تخْرج عن المعرة إلا ما نزع منه بعضُه.

---

(١) للمستزيد أن يراجعَ كتاب (مع المخطوطات العربية) ص ١٦٥ لكراتشكوفسكى.

(٢) تعريف القدماء ص ٤٩ عن إنباه الرواة.

فرجّحَ ذلك عنْدى فقْد الورقة الأولى من النسخة الأم لأحد الاحتمالين السابقين : **(التخزين المنبطح)** أو **(نزعها عمدًا)** لتنجو من إحراق الكفار لها، على ما يقوله القفطى، ويذكر ابن العديم[1] أن الفرنج (الصليبيين) هجموا على معرة النعمان سنة **٤٩٢ هـ** أى بعد موت أبى العلاء بأربعين سنة.

وأخذتُ أقطع بياض نهارى وسوادَ ليْلى بالمقابلة والضّبط والتَّخْريج، إلى غير ذلك من الأمور التى يستوجبها التحقيق، ووجدتُ ما حَسِبْتُهُ ميسَّرًا سهلاً هو فى الحقيقة أمْره مضنٍ، وأنّ الطريق إليه ليس معبَّدًا بعد ذلك كما كنت أظن، وكم من مرةٍ حدَّثتنى نفسى بالتوقُّف عن هذا الأمر، والعدول إلى غير هذا الموضوع الوعر كما فعل غيرى من الباحثين.

ولكن هاجسًا خفيًّا كان يهجس بى ألا أترك بحثًا قضيتُ فيه بياض نهارى وسواد ليلى لعدة سنوات، وأزعجت به أحبائى من العلماء والأدباء، مستَفْسرًا ومسْتَذكرًا ومستنيرًا برأيهم، وأغدو وأروح مقلّبًا الرّأىَ فيه على كلّ وجْه؛ لأقيم عوجَه وأردّه إلى استوائه، إلى أنْ انتهْيتُ منْه، أو قُلْ أَنْهاني.

ولست أزعم أنّى قد وفيته حقَّه، وما أظنّ إلا أنَّني سأعودُ إليه فى المستقْبل إن شاء الله مرّات ومرّاتٍ أضيف جديدًا أو أزيل حشوًا أو أصوِّب رأيًا أو أعدّل فكرة.

وحسب هذا العمل أنّه سيفتح الطريق أمام الباحثين حوْل هذا الكتاب والدارسين له إلى مزيدٍ من البحث فى موضوعه. والله أسأل أن أكون قد وفقْت إلى بعض ما أبتغى.

فإن أخطأت فالخير أردتُ، وإن أصبتُ فالحمد لله.

القاهرة : منيل الروضة
(١) شارع المدرسة القومية
فى ٢٨ ربيع أول سنة ١٤٠٤ هـ
أول يناير سنة ١٩٨٤ م

الدكتور عبد المجيد دياب

---

(١) تعريف القدماء ص٥٠٢ عن الأنصاف.

مقدمة الطبعة الثانية

منذ أن خرج هذا الكتاب : «شرح ديوان المتنبى . لأبى العلاء المعرى» المعروف بـ «معجز أحمد» فى طبعته الأولى . . أقبل عليه الباحثون والدارسون فى أنحاء البلاد العربية . . فنفدت طبعته الأولى فى أقل من سنوات ثلاث .

وهأنذا أعيده فى طبعته الثانية بعد أن نظرت فيه نظرات تستدرك شيئًا مما فات ، وتصوِّب هنات وقعت ، وإن كنت قد أدركت شيئًا فقد فاتتنى أشياء ، قد لا تخفى على فطنة قارئ .

وكنت - فى الطبعة الأولى - قد حاولت البرهنة ، والتدليل على أن أبا العلاء المعرى قد شرح ديوان المتنبى مرتين . . الأولى منهما سماها «اللامع العزيزى أو الثابتى العزيزى» وقلت : إننى لم أقف على هذه المخطوطة ، برغم البحث الطويل عنها . . إلى أن جاءنى الصديق «بيترسمور Pieter zmoor» المستشرق الهولندى وأهدى إلىَّ بحثه الذى أشار فيه إلى أنه قد عثر على «اللامع العزيزى» فأعدت ذكر هذا فى أثناء الدراسة التى قدمتُ بها لهذا الكتاب . . فى طبعته الثانية ، وأشرت إلى أن أحد الزملاء العراقيين المقيمين فى لندن يقوم بتحقيقه . . كل ذلك أشرت إليه بوضوح فى مقدمة دراستى للطبعة الثانية .

وقد سمعت - وهذا الكتاب ماثل للطبع - أن «اللامع العزيزى» قد تم طبعه فى المغرب العربى .

ولعلى بهذا أكون قد وفَّيْتُ بعضَ ما وعدت به فى مقدمة الطبعة الأولى . . عندما قلت : «ولست أزعم أنى قد وفّيتُ الموضوع حقه ، وما أظنّ إلا أننى سأعود إليه فى المستقبل ، مرّات ومرّات ، أضيف جديدًا ، أو أزيل حَشْوًا ، أو أصوب رأيًا ، أو أعدِّل فكرة . . . »

فإن أخطأت فالخير أردت . . وإن أصبت فالحمد لله ،

القاهرة - منيل الروضة
أول مارس سنة ١٩٩٢

الدكتور عبد المجيد دياب

شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى
المعروف بـ (معجِز أحمد)

سبق أن ذكرت أن المؤرخين الذين تناولوا شرح ديوان المتنبى بالحديث، ذكروا أنّ أبا العلاء المعرى شَرَحه مرتين فى كتابَيْن مُخْتَلفين :

الأول سمّاه (اللامع العزيزى) عمله للأمير عزيز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس الذى كانت ولايته (٤٣٣ - ٤٤٩ هـ) وهى السنة التى تُوفِّىَ فيها أبو العلاء.

والثانى سماه (معجز أحمد).

وإذا رَجعْنا إلى كُتب التاريخ تبّين لنا أن (عزيز الدولة) لُقِّب به اثْنان :

أحدهما - فاتك بن عبد الله مولى منجوتكتين وهذا صنَّف له أبو العلاء كتابى (الصّاهل والشاحج) و(لسان الصاهل والشاحج) ثم كتاب (القائف) ولم يتمه، لأن أبا شجاع هذا قُتِل، وكان هو الذى أمر بإنْشَائه.

والثانى - أبو الدّوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مِرْداس لقب (عزيز الدولة) أيضا، وهذا ألفَ له أبو العلاء كتاب (اللامع العزيزى) و(رسالة الضًبعين) وتولى أبو الدوام هذا إمارة حلب سنة **٤٣٣ هـ**،[١] وبقى فيها إلى ذى القعدة سنة **٤٤٩ هـ** أى بعد وفاة أبى العلاء بنحو ثمانية شهور[٢] وكانت وفاته سنة **٤٥٤ هـ** وهو ممدوح ابن أبى حُصَيْنَةَ.

وذكر صاحب (معاهد التنصيص) أنّ أبا العلاء كان يتعصب للمتنبى وشرح ديوانه وسمَّاه (معجز أحمد) وبمثله قال الصفدى[٣]، وابن العماد[٤]، وصاحب نزهة الجليس[٥]، وذكر ابن أبى أصيبعة (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) أنّه وقف على شَرْح المتنبى

(١) راجع تاريخ حلب، لابن العديم ٢٦١/١.
(٢) المرجع السابق حوادث سنة ٤٢٩ إلى ٤٥٤.
(٣) تعريف القدماء ص ٢٧٥ عن الوافى بالوفيات.
(٤) تعريف القدماء ص ٣٤١ عن شذرات الذهب.
(٥) تعريف القدماء ص ٣٥٢ عن نزهة الجليس.

لأبى العلاء المعرى واستفَاد منه فى كتابه (تحرير التحبير)[1] فيا ترى : هل هما اسمان مختلفان لكتاب واحد ؟ كما ظن بروكلمان، وجورجى زيدان، والميمنى ؟ أم أنهما كتابان مختلفان ؟

يجيبنا عن هذا كثيرٌ من المؤرخين للمعرى والمتنبى، فيذكر ابنُ عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) أن المعرى شرح ديوان المتنبى شرحين : الأول سماه (اللامع العزيزى) والثانى سماه (معجز أحمد) ومثله ذكر البديعى فى (الصبح المنبى)[2] وغيرهما من المؤرخين للمعرى أو المتنبى.

وأيَّةُ غرابةٍ فى أن يشرح أبو العلاء ديوان أبى الطيب المتنبى مرتين مخْتلفتين، بمنهجين مختلفين، وقد سبقه بمثل هذا العمل ابنُ جنى راوية المتنبى ؟ لكنْ أى شرحى أبى العلاء أسبق من الثانى ؟

يجيبنا عن ذلك أيضا المؤرخون الذين ذكروا الكتابين، فإنهم يضعون الكتاب الأول (اللامع العزيزى)[3] قبْل الكتَاب الثّانى (معجز أحمد) لكن قد يقال : إنّ وضع اسم الكتابين أحدهما خلف الآخر ليس دليلا على السبق الزَّمنى لأحدهمَا، ولا يعنى ترتيبُهما فى الوضع الترتيب التاريخى. قلنا : إن ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) قال : «ولما فرغ (أبو العلاء) من تصنيف (اللامع العزيزى) فى شرح شعر المتنبى وقرئ عليْه أخذ الجماعة فى وصْفه، فقال أبو العلاء : كأنّما نظرَ إلىّ بلحظ الغيْب حيث يقول :

أنَا الـذِى نَـظَرَ الأعْمَى إلى أدَبِي ... وأسْمَعَتْ كلمَـاتِي مَنْ بِـهِ صَمَمُ

واختَصر ديوانَ أبِى تمام وشرَحه وسمّاه (ذكرى حبيب) وديوانَ البُحْترى وسماه (عبث الوليد) وديوان المتنبى وسمّاه (معجز أحمد) وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم، وما أخذ عليهم، وتولى الانتصار لهم والنقد فى بعض المواضع عليهم. والتوجيه فى أماكن لخطئهم»[4] وهذا النصّ يفيد سبق الكتاب الأول على الكتاب الثانى.

---

(١) تحرير التحبير ص ٨٧.

(٢) الصبح المنبى ص ٢٦٨ ط ٣.

(٣) لعل ذلك يشير إلى أن النقاد القدماء صرفوا همهم إلى اللامع العزيزى دون معجز أحمد، ومن أجل ذلك كثر نُقُول النقاد الأقدمين عن اللامع، وانصرفوا عن النقل من معجز أحمد.

ولعله يريد بكلمة «اللامع» : أى المشهور من أبيات المتنبى.

(٤) تعريف القدماء ص ١٨٣ عن وفيات الأعيان.

وأكثر مَنْ كتب عن المعرى بعد ابن خلكان احْتذى على مثاله[1]. وكلامه يدل على أن للمعرى كتابين فى شرح شعرِ المتنبى أحدهما (اللامع العزيزى) والثانى اختصره منه وسماه (معجز أحمد) - على كلٍ - فإذا كان هذا النص يفيد الترتيب الزمنى بينَ الكتابين فإنّه جانَبَ الصواب فى وصْفِهِمَا كما جانب الصواب فى وصْفِه (عبث الوليد) والناظر فى توْلية أبِى الدّوام ثابت بن ثمال، الذى ألف له أبو العلاء (اللامع العزيزى) يجد أنه تولى إمارة حلب سنة **٤٣٣** أو **٤٣٤ هـ** على ما قيل. وبقى فيها إلى سنة **٤٤٩ هـ** ويفهم من هَذا أنّ أبا العلاء ألف له هذا الكتاب فى هذه الفترة، وهذا هو المعقول وما تميل إليه نفس الباحث، وقد وجدنا أن النسخ التى بين أيدينا تقول فى نهاية الجزء الأول «شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى المعروف (أو المسمى) «بمعجز أحمد». وبعضها -كالنسخة (ب)- كتب فى صدرها: (شرح ديوان أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى، لأبى العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعرى، وقد سمى شرحه هذا معجز أحمد) ولك أن تنظر أواخر المخطوطات المصورة فى هذه المقدمة ص٣٥ - ٥١. أو، أنظر توصيف النسخ ص٢٣-٣١.

ولما كان (معجز أحمد) لْم يذكره المعرى فى ثبت كُتُبه وقد ذكر (اللامع العزيزى) فإننا نفهم أنّه يمكن أن يكون قد ألف (معجز أحمد) بعد أن ذكر ثَبت كُتُبه.

ويفهم من هذا أيضا، أنّ هَناك كتابًا ثانيًا فى شرح المتنبى غيْر مُسمّى بهذا الاسم وهو مئة ورقة تقريبًا، حيث تناول شرحَ ابن جنى أولا، ثم ثنّى بشرح المعرى فيقول: «وهذا ما أخذ على الشيخ أبى العلاء المعرى فى كتابه المعروف بـ (اللامع العزيزى)»[2].

وفى مقدمة كتاب (تفسير أبيات المعانى) لأبى المرشد سليمان بن على المعرى وهو ابْن ابن أخى أبى العلاء قال: «وإنْ كانَ شيْخنا أبو العلاء أحمد بن عبْد الله بن سليمان - رحمه الله ورضى عنه - قد أورد فى كتابه المعروف بـ(اللامع العزيزى) ما لا فائدة فيها عداه، ولاحاجة معه إلى سواه»[3].

ونجد أبا العلاء عندما تناول شرح القصيدة التى أولها:

---

(١) منهم ابن الوردى فى تعريف القدماء ٢٠٧ والصفدى ص ٢٧٥ من تعريف القدماء.

(٢) رقم ٧٠٣ أدب ميكروفيلم معهد المخطوطات العربية.

(٣)مخطوط فى مكتبة الحرم المكى ضمن مجموعة رقم ٢٥٥ أدب، ومنه ميكروفيلم فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ١٣٦ أدب، وقد نسب خطأ إلى أبى العلاء المعرى فى فهرس الجامعة العربية.

وقد نشر المخطوط المذكور محققا فى مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى، بتحقيق الدكتورين: محمد مجاهد الصواف ومحسن غياض عجيل ضمن (نواد مخطوطات الحرم المكى) الكتاب الزابع.

أطاعنٌ خيلاً من فوارسَها الدَّهر وحيدًا. وما قوْلى كَذَا ومَعى الصَّبْر؟

يقولُ عند شرحه للبيْت:

يَحْذَنَ بنَا فى جوزه وكَأَنَّنا عَلَى كرةٍ أوْ أرْضه معَنَا سفْر

والبيت رقم ١٣ من القصيدة التى مطلعها:

لا تَحْسبوا ربْعَكم ولا طَلَله أوّل حَىٍّ فِراقكُم قَتَلَه

يقول فى شرحها «قلت» ففى أى كتاب قال؟ لعله قال فى كتابه الذى يسبق هذا القول وهو (اللامع العزيزى) الذى لم نقف عليه جملة برغم طول بحثنا عنه، اللهم إلا شذرات ونقول فى كتب النقّاد الأقدمين.

ذَكَر ابنُ الشجرى[١] أن أبا العلاء قال فى قول المتنبى[٢]:

إلْفُ هذَا الهَواء أوْقَع فى الأنفُـ ـس أن الحِمَام مُرّ المذاق

والأسَى قَبْلَ فرقةِ الرّوحِ عجْزٌ والأسَى لا يكونُ بعدَ الفِرَاقِ

هذان البْيتان يفضلان كتابًا من كُتُب الفلاسفة!! لأنهما متناهيان فى الصّدق وحسْن النظام، ولْو لَمْ يقلْ شاعرٌ سواهمَا لكان فِيهمَا جمال وشرف[٣].

وقال أبو العلاء فى مرثية أبى الطيب التى رثَى بها أختَ سَيْف الدولة التى أولها:

إن يكن صبْر ذِى الرزيّة فضْلاً تكُن الأفْضَل الأعزَّ الأجلاّ

لو لم يكن للمتنبى غير هذه القصيدة فى سيف الدولة لكان ذلك كثيرا!! وأين منها قصيدة البحترى التى أولها:

إنّ سيْرَ الخليط لَمّا استَقَلاً ....

وهذا الذى ذكره ابن الشجرى لا يجده الباحث ولا يقف عليه فى معجز أحمد، ولعله فى اللامع العزيزى. ولقد تتبعنا كل ما قاله ابن الشجرى فلمْ نجدْ إلا بعضَه فى الشّذرات التى وقفْنَا عليْها من اللامع العزيزى. ويفهم أيضا من مثل هذه النقول التى يجدها الباحث فى (تفسير أبيات المعانى) و(المآخذ على شراح ديوان المتنبى) و(كتاب

(١) أمالى ابن الشجرى ٥١١/٢.

(٢) من قصيدته فى مدح أبى العشائر التى مطلعها:

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقه فى المآقى

(٣) نقل التبيان هذا القول عن ابن الشجرى.

النظام فى شرح ديوانَىْ المتنبى وأبى تمام) لابن المستوفى. أن هؤلاء قد رجعوا إلى كتابه (اللامع العزيزى) أو عمن نقل عن هذا الكتاب. وقد التزم فيه أبـو العلاء بتـرتيب الأبيات على حسب القوافى، وذَلك مثل صنيع ابْن جنّى فى (الفسْر).

ولّما كانَ هذا هو أوّل تفسير للمعرى عن المتنبى، فقد اتجه نظر القُدَامى إليه، وكان مرْجعهم إليه إذا تحدثوا عن المعرى فى شرح المتنبى كما بينا، أمّا (معجز أحمد) فقد رتبه المعرى لِوِفْق ترتيب المتنبى نفسه لديوانه، بحسب من قِيلَتْ فيهم. وقد نهج هذا المنهج الواحدى فقال فى آخر شرحه: «هَذا آخرُ مـا اشْتَمل عليْـه ديوان المتنبى الـذى رتّبه بنفسه» ويذكر الطاهر بن عاشور فى مقدمة تحقيقه لكتاب (الواضح فى مشكلات شعر المتنبى) أن «هذه الطريقة الطّريقة اقتفاها جمعٌ من الشارحين مثل المعرى فى شرحه الذى سماه (معجز أحمد) والواحدى، وابن سيده، ومنْ نسخ الديوان ما رتّب عـلى ترتيب حروف المعجم بحسب قوافى القصائد، وعلى ذلك بنى المعرى فى شرحه المسمى (اللامع العزيزى) وأبو البقاء العكبرى والخطيب التبريزى».

إذًا فهما كتابان مخْتلفان فى الترتيب وفى المنهج وفى السبق الزمنى، وأولهما يخْتلف عن ثانيهما تَمامًا، وليس ثانيهما اختصارًا لأولهما كما ذكر ابن خلكان ومن أخذ عنه.

هذا. وقد التقيت بالمستشرق الهولاندى المعاصر: بيتر سمور Pieter Smoor المعْنِىّ بالبحث فى أبى العلاء المعرى وآثاره. وهو الآن أستاذ بجامعة أمستردام - هولاندا - قسم اللغة العربية.

التقيت به فى صيف سنة ١٩٩٠م وتجالسنا مرات، ودارت بيننا مباحثات فأفاد كل منا صاحبه، وأهدى إلىّ كتابه فى هذا الموضوع الموسوم: «الملوكُ والبدْوُ، فى إمارة حلب، كما جاءت فى آثار أبى العلاء المعرى» وكان موضوع أطروحته للدكتوراه - كما أخبرنى - وحصل عليها فى سبتمبر سنة ١٩٨٤م.

KINGS AND BEDOUINS
INTHE
PALACE OF ALEPPO
AS REFLEC TEDIN
MA'ARRĪ'S WORKS
PIETER SMOOR

الذى يقول فى صفحة ٢٢٣ منه :

« هذا نصّ مقدمة أبى العلاء المعرى لشرحه (**منتخبات من ديوان المتنبى**)، المعروف بـ (اللامع العزيزى) أو (الثابتى العزيزى) عن مخطوطة : الحميديـة رقم ١١٤٨ وهى الآن ضمن مكتبة السليمانية باستامبول. . ورقة : أ، ب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وعترته المُنْتَخَبين.

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخىّ - من أهل معرّة النعمان - :

سألنى بعضُ الناس أن أنشىء مختصرًا فى تفسير شعر أبى الطيّب، فكرهتُ ذلك، وسألتُه الإعفاءَ، فأجابَ. ثم تكرّرَ السُّؤال، فأصبحتُ، فكأنّى فى القياد، وأنا كما قيل : « مكْرَهٌ أخوكَ لا بطل » وكم حلّى فضْلُه العطَلَ، وأمليتُ شيئا منه، ثم علمتُ أنّنى فى ذلك من الأخسرين أعمَالا، لا أكتسب به فى العاجلة ولا الآجلة إجمالاً، لأن القريضَ له زمان، ومن بلغ سنّى فما له من الحتف مآل، وذكر لى المجتهدُ فى خدمة الأمير عزيز الدولة وغرسها، أبى الدوام ثابت، ابن تاج الأمراء، فخر الملك، عُمْدة الإمامة، وعدّة الدولة ومعزّها، ومجدها، ذى الفخرين، أطال الله بقاءه، وأدام أيّامَه، أبو القاسم علىّ بن أحمد المقرى :

إن الأمير أبا الدوام أمره أن يلتمِسَ لدىَّ شيئا من هذا الفنّ، فنهضْتُ نهضة كسِير، لا يقدر على المسير، وأنشأت معه شيئا عنِىَ مقْدارى من مقدار الآمر، ولستُ فى المناصحة بالمخامر، وتقاضانى بالمراد؛ مخلصٌ فيها كلّف مُبِرّ، على أنى بالمعجزة مُقِرّ، فكان كما قال القائل :

إذَا ما تقاضَى المرء يومٌ وليلةٌ   تَقَاضَاهُ شىءُ لا يُمَلّ التقاضِيَا

وأتمَمْتُ ما كنتُ بدأتُ فيه. والله المستعان، وبه التّوفيق ».

إلى هنا وتنتهى مقدمة (اللامع العزيزى)

وقد بلغنا سنة ١٩٩٢ أن هذا لكتاب قد تم طبعه محققا فى المغرب العربى.

* * *

و (معجز أحمد) هو مرجع النقاد المحدَثين ومصْدر درَاسَاتهم[1].

هذا، ويلاحظ أنّ النّسخَ التى اعتمدْنَا عليها فى تحقيقنا لهذا الكتاب. . تخلو من المقدمة، على خلاف عادة أبى العلاء فى كتبه. ويلاحظ الباحث أيضا أن القطعة الأولى : ثلاثة أبيات مع شرحها وبعض القطعة الثانية ثلاث أبيات أيضًا إلى قوله :

يَاحَادِيَى عيَسها وأحسبنى أوجَد ميْتًا قبْل أنقدها

قد نُقِل عن شرح الواحدى - وهو ما قدرناه بورقةٍ ذات صفحتين من المخطوط. زادت نسخة ميونخ على ذلك مقدمة الواحدى بخط مخالف تماما للأصل. والسرّ فى ذلك يذكره القفطى فى كتابه إنباه الرواة بعد أن ذكر سرد كتب أبى العلاء فيقول : «وأكثر كُتبِ أبى العلاء هذه عُدِمت. وإنَّما يوجد منها ما خَرَج عن المعرة قبل هجم الكفار عليْها[2] وقتل من قتل من أهلها ونهب ما وجد لهم. فأما الكُتُب الكبار التى لم تخرج عن المعرة فعُدِمت، وإن وُجدَ شىءٌ منها فإنما يُوجد البعض من كل كتاب»[3] فلعل صفحة العنوان والمقدمة والأبيات التى ذكرناها نزعت لهذا الغرض، حتى يموّه صاحب (النسخة الأمّ) أنها لغير أبى العلاء وينقذها من الإعدام، ثم جاء ناسخ فكملها من الواحدى، وهو أقرب الشروح إلى شرح المعرى تاريخًا ومنهجا.

* * *

ومعجز أحمد من حيث تأريخ القصائد يَنْقَسم إلى قسمين :

القسم الأول : غفلٌ من التاريخ إلا حيث يذكر أنّه قاله فى صباه، أوْ قاله وهو فى المكتب، وأشباه ذلك. مما نَظَمَه الشاعر قبل اتصاله بسيف الدولة الحمدانى سنة **٣٣٧ هـ**.

---

(١) نقل عنه واستفاد منه بلاشير فى كتابه : (ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين) والشيخ الطاهر بن عاشور فى تحقيقه (ديوان بشار) واليازجى (فى العرف الطيب) والدكتور محمد رغلول سلام فى (تاريخ النقد العربى) والميمنى فى (أبى العلاء وما إليه) والدكتور إحسان عباس فى (تاريخ النقد الأدبى) وأشار إليه دريني خشبه (فى محلة الرسالة) ع ٥٨٥ وأمين الريحانى فى (محاضرات المجمع العلمى بدمشق) وغيرهم الكثير.

(٢) وضح ذلك ابن العديم فقال: هجم الفرنج (الصليبيون) على معرة النعمان سنة ٤٩٢هـ. تعريف القدماء ص ٥٠٢.

(٣) تعريف القدماء ص٤٩ عن إنباه الرواة.

وفى هذا القسم من القصائد والقطع : العراقيات الأولى، والشاميات. وقد قال المعرى بعد شرح شعر أبى العشائر «تمت الشاميات» والشاميات تبدأ من أول القصيدة رقم (٧) وهى قوله :

«وقال فى صباه يمدح سعيدَ بن عبْد الله بن الحُسَيْن الكلابى :

أحْيَـا وأيْسر ما قَـاسْيتُ ما قَتَـلا   والْبينُ جارَ على ضَعفى وَمَا عَدَلا

إلى مدائح سيف الدولة، وهو ما نظمه الشاعر من سنة ٣٢١ إلى سنة ٣٣٧ هـ أى بين الثامنة عشرة من عمره والرابعة والثلاثين.

ويستثنى من هذا القسم غير المؤرخ قصائد عَرَف الباحثون والعلماء تاريخها، ودَلَّتْ عليها حوادثُ التّاريخ، وقد أشرنا إليها فى مكانها من التحقيق.

القسم الثانى : المؤرخ ويبتدىء من مدح سيف الدولة بأنطاكية فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٧ هـ إلى وفاة الشاعر، وهو آخر الكتاب.

وقد وازنت بين شرح المعرى وديوان المتنبى بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وشرح الواحدى. فوجدت ثلاثتها متّفقة على الترتيب المذكور فى شرح المعرّى الذى نقدمه، اللهم إلا قطعا محدودة لا تتجاوزُ عددَ أصابع اليد الواحدة مما نظمه فى سنيه الأولى، ففى ترتيبها خلاف يسيرٌ جدًّا، نبهت عليه فى مكانه من التحقيق. ويتم الاتفاق على ترتيب القصائد والقطع بعد القصيدة التى مدح بها محمد بن زُريق الطرسوسى رقم (٤٠).

هَذِى بَرزتِ لناَ فهجتِ رَسِيسَا   ثمّ انْثَنيتِ وَمَا شفيتِ نَسِيسَا

والمتنبى كان ملتزما بالترتيب التاريخى فى هذا القسم، إلا فى قليل من الشعر.

* * *

أما القسم المؤرَّخ فقد عنى الشاعر نفسه بتأريخه وتبيين حوادثه بالسنة والشهر واليوم بل بالوقت أحيانا، ونجد فيه مقدمات مسهبة فى الطول تصف الحوادث التى قيلت فيها القصائد وتفصّلها تفصيلا، وهذه المقدمات تُلْفى فى شرح ابن جنى وبعض نسخ الديوان، وأوفَى الشروح تفصيلا : المقدمات المذكورة فى شرْح المعرّى هذا، ويكاد يوافقه فى مقدماته نسخة الأصل الذى اعتمد محقق الديون عليها.

وقد تُوجد قَصائدُغيْر مؤرخة فى هذا القسم، تَركَ الشّاعر تأريخها اعْتمادًا على أنه يمكن معرفة تاريخها بما سَبقَها أو يليها من القصائد المتصلة بموضوعها.

وقصائد هذا القسم تبدأ بمدائح سيف الدولة، ولكن يمكن أن نلحق بها فى معرفة التاريخ - وإن لمْ تؤرخ - قصائد ابن طغج، وطاهر بن الحسين، ومدائح أبى العشائر الحمدانى.

وفى هذا القسم :

١ - السيفيات : وهى القصائد التى أنشأها لسيف الدولة فى تسْع سنوات من سنة ٣٣٧ إلى سنة ٣٤٦ هـ وهى ٣٨ قصيدة و١٣ قطعة فيها ١٥٢٣ بيتًا منها أربع عشرة قصيدة فى حروب سيف الدولة مع الروم، وأربع فى وقائعه مع القبائل العربية، وخمس عشرة فى المدح دون وصف الوقائع، وخمس فى الرثاء، ومن القطع : اثنان فى حوادث الروم والأخريات فى أغراض مختلفة.

وأضاف الشاعر نفسه إلى السيفيات القصيدة رقم (٢٣٤) :

ذِكْـر الصبا ومـرابعُ الآرامِ   جلَبتْ حِمَامِى قبل وقْتِ حِمَامِى

وهى قصيدة كان قد مدح بها سيفَ الدولة سنة ٣٢١ هـ حين أوقع ببنى أسد وبنى ضبة ورياح من بنى تميم قبل اتصاله بالأمير الحمدانى. فلما صحبه ومدحه أدخلها فى مدائحه.

وقد ألحق الشَّاعر أيضا بالسيْفيّات التى أنشأها فى الشّام القصائد التى أرسلها إلى سيف الدولة من العراق، بعد مُغاضبة كافور وعودته إلى العراق، وهى مديحتان ومرثية.

٢ - وبعد السّيفيات (المصريات) التى أنشأها فى مصر فى السنوات الأربع التى أمضاها فيها وهى (الكافوريات) : مدائح كافور وبعض أهاجيه، ومدح فاتكٍ ومرثيته العينية التى أنشأها حين خروجه من مصر.

٣ - ثم العراقيات الأخيرة، وهى التى أنشأها فى سنوات ثلاث بعد رجوعه من مصر، القصيدة التى وصفَ بها سيرَه إلى العَراق وهجاءُ كافور :

ألا كل ماشية الخيزَلى   فدى كل ماشية الهيدبى

وقصيدَةٌ وقطْعة فى رثاء فاتكٍ وهجَاء كافور، وقصيدةٌ فى مدْح دلّير بن لشْكروز، وأخْرى فى هجاء ضبّة العينى.

٤ - وتلى هذه، القصائدُ التى أنشأها فى فارس : مدائح ابن العميد ومدائح عضد الدولة ورثاء عمته.

* * *

جمع الشاعرُ مدائحَ كلّ ممدوح معًا. وإن اخْتَلَف زمانُها، فوضَعَ فى مدائح ابن طغْج التى أنشأها الشاعر سنة ٣٣٦ هـ أبياتًا مدَحه بها وهو فى طريقه إلى مصر، بعد مغاضَبة سيف الدولة سنة ٣٤٦ هـ. وضمن السيْفيّات، القصائد الثلاث التى أرسلها إلى سيف الدولة من العراق بعد سنوات من فِراقه، ورابعةً قيلت سنة ٣٢١هـ وكذلك ضم أهاجى كافور إلى مدائحه، ورثاء فاتكٍ فى العراق إلى رثائه فى مصر.

ومن المسلَّم به أن المقدمات التى ذكرها الشاعر لا تعبر إلا عن رأيه فقط، فمقدمة الكافوريات لا تعبر إلا عن رأْى الشاعر فى كافور، ونشأته، والظروف التى أحاطت به، وكذلك رأْيه فى ابن خنْزَابة.

والحوادث والأماكن التى ذكرها فى مسيره من مصر إلى العراق لا يعرفها إلا هو، فلم يكن يصحبه راويةٌ فى سفره هذا، الذى شق طريقه فى الطرق الملتوية، هربًا من عيون كافور، فجازَ الحلل والأحياء والمفاوِز والمَجاهل والمَناهل والأواجن كما يقول. ويمثل ذلك مقدمته للقصيدة رقم (١٩٤) :

واحــر قَلْبــاه ممّن قلْبــه شبِمُ ومنْ بجسْمى وحَالى عنْده سقَمُ

ففيها حوادث وأمور وقعت للشاعر لا يعيها ويسجلها إلا الشّاعر نفْسه.

وعلى العموم فإن هذه المقدمات لا تعبر إلا عن رأى الشاعر نفسه ولا تفصح إلا عما فى داخله. لكنها تهدينا الطريق فى ظلام التاريخ.

زيادات الديوان :

ونعْنِي بها الأبيات أو القطعَ، التى لم توجد فى الديوان أو الشروح الموثوق بها، كشرح ابن جنى، والواحدى، والعكبرى، واليازجى.

والحقيقة أن شرح المعرى (معجز أحمد) هو أوفى الشروح استقصاء وإثباتا لشعر المتنبى، فقد أثبت فيه من شعر الشاعر ما لا يكاد الباحث يجده فى سواه فمثلا قد ذكر الشارح القطعة رقم (٢٤١) فى آخر السيفيات :

سيفُ الصّدودِ على أعْلَى مقلّده　　وموضِع العزّ منْه فَوْقَ مقْعَدِه

ومقدمتها : «وقال يمدحه» ويفهم من وضعها فى مكانها هذا : أنه يريد بذلك عود الضمير على سيف الدولة الذى سبق ذِكْره، ويعدّها من السّيفيات وإن كان ابن جنى وسائر الشرّاح يذكرون أنها من شعر الصبا متغزلا . . وعدّها محقق الديوان فى زياداته وكذا الواحدى. وبالمثل فى القطعة التى تليها (٢٤٢) :

ياسَيْفَ دوْلة ذى الْجلال ومَنْ لَهُ　　خــيْرُ الخَـلائِقِ والأَنــامِ سمى

فقد عُدَّت عنْد الواحدى وعند محقق الديوان من الزيادات الملحقة به، وغير ذلك من القطع والأبيات التى انْفَرد بها شرْحُنا وأشرنا إليها أثناء التحقيق. وبالمثل أيضا انفرد المعرى عن سائر الشراح بذكر قول المتنبى عندما أنشده صديقٌ له بمصر، من كتاب (الخيل) لأبى عبيدة وهو نشوان :

تَلوم عـلىّ أن أمْنَح الـوردَ لقْحَةً　　ومـا تَسْتَوى والـوَرْد سـاعَـة تفْـزع

فأجابه أبو الطيب (٢٧١) :

بَلَى تَسْتوى والْوِرْد، والوَرد دُونَها　　إذا مَاجَرى فِيهِ الرّحيقُ المشعْشَع

هُمَا مركبَا أمْنٍ وخوفٍ فصلهُمَا　　لكلٍّ جوادٍ منْ مرادِك موضـع

هذا، ولقد ألحقنا بشرح المعجز الأبيات والقطع التى لم ترد فيه، واطمأنت نفسى إلى أنها من شعر المتنبى بعد التحقق من ذلك.

وقد رأيت أن جمْع كل ما قيل فى الزِّيادات يطول، ويدخلنا فى نقد طويل نزيِّف به بعض القطع أو القصائد التى نسبت إلى الشاعر. وقد كفانا شيخ المحققين الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى جمع هذه الزيادات كلها، فجمعها ونشرها على حدة فى كتاب طبع فى المطبعة السلفية بالقاهرة، فاكتفيت بما ألحقته بهذا الشرح.

نسخ الشرح :

اعتمدت فى تحقيق هذا الشرح على المخطوطات الآتية :

١ - فى دار الكتب المصرية نسخة برقم ٤٢٤٠ أدب، مصورة عن المتحف البريطانى عبارة عن ٣١٦ لوحة، ومسطرتها ٢٩ سطرًا بخط التعلق فى مجلد واحد، عليها

مقابلات، وفى أوّلها تعليقات وتهميشات للأستاذ محمد السمان[1] أول هذه النسخة : قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى - رحمه الله - وهو أوّل شعر قاله فى صباه :

أبْلى الهوى أسفًا يومَ النَّوى بَدَنى وفَرقَ الهجْرُ بين الجفْنِ والوَسَنِ

وعليها مقابلات بغيرها وتهميشات بخط الناسخ وبغير خط الناسخ.

وقد قارن الشيخ محمد السمان بينها وبين ما جاء فى شرح الواحدى فى الصفحات الأولى. وفى ورقاتها رقم : ١٣٩، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٨٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠١، ترجمات تركية لبعض الكلمات العربية، فمثلا الورقة ٢٦٠ عليها ترجمة لكلمة (الغرّة) وتعريف بها باللغة التركية.

ولم يكتب فى صدر هذه النسخة غير هذا البيت :

وَلوْ صَبرت عن لذة العيش أنْفُس لَمَا صبرت عن لذَّة الأمر والنُّهَى

٣٦٦ ٩٦٢ ١٢٠ ٧٣٠ ٤١١ ١٩١ ١٩٠ ٦٩٢ ١٢٠ ٧٣٥ ٢٧٢ ١٠٢

وهذه الأرقام أسفله بحساب الجمَّل.

وعناوينها وأبيات المتنبى فى الأصْل المصور عنه مكتوبة بالحمرة، ولم يذكر فيها تاريخ نسخها، ولعله يعود إلى القرن التاسع تقريبا، رجح ذلك ذَوُو الخبرة بالخطوط، وتنتهى بشرح البيت الأول من الجزء الثانى وهو قول المتنبى يرثى عبد الله بن سيف الدولة :

بنَا منك فوق الرَّمل ما بِكَ فى الرَّمل وهَذا الذى يضْنى كذاك الَّذى يبلى

ثم شرح هذا البيت إلى قوله : « فنحن أموات فى صورة الأحياء » ثم كتب بعد ذلك : « تم المجلّد الأول ».

---

(١) هو محمد بن الحسن السمان الحموى. أديب شاعر، مشارك فى بعض العلوم، ولد فى حماة ونشأ بها (١٢٩٤ - ١٣٥٤ هـ) وأوفد إلى تركيا فتعلم اللغة التركية وعاد إلى حماة، ثم رحل إلى القسطنطينية لطلب العلم، وجاء إلى مصر فدخل الأزهر وتخرج به، ثم رحل إلى الأناضول، وزار أكثر البلاد اليونانية، ثم عاد إلى حماة وعين مديرًا لمدرسة الهداية، وأمينًا لمكتبة محمد نورى الكيلانى وتوفى بحماة.

من آثاره : ديوان الحمويات، أنوار الأثير فى تفسير : (اقتربت الساعة وانشق القمر)، الأربعون الحموية فى الأحاديث الصحيحة النبوية، معجم الأديبات الشاعرات.. انظر (معجم المؤلفين ٩/١٨٢).

وهى تضم المجلّد الأول فقط من كتابنا، وقد رمزنا إليها بالرمز (أ).

٢ - فى دار الكتب المصرية أيضا وتحمل رقم ٤٢٤٦ أدب مصورة عن نسخة خطية محفوظة فى المُتحف البريطانى أيضا.

وفى صدرها: «الجزء الأول من شرح ديوان أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى، لأبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى، وقد سمى شرحه هذا (معجز أحمد) عفا الله عنهما» وعليها توقيف لم نتبينه، وفى صفحة العنوان كشط بموسى لعله من أحد المتأخرين، ثم كتب بعد ذلك فى الصفحة نفسها: «ومن نعْمة الله جل جلاله على العبد المذنب السيد عبد الرحيم. . . زاده. لطف الله به وأمنه من كلّ خْوف بنبيه محمد صلى الله عليْه وعلى آله. تحريرا فى سنة ١١٦٣ هـ».

ثم كتب قارئ على صدرها بعد ذلك: «طالع فيه وارتشَف من معانيه العبد الفقير إليه سبحانه، خليل بن محمد عفيف الدين الخالدى المقْدِسىّ، القاضى بمدينة حنين غفر [الله] لهما داعيا لمالكِه بحسن الختام» وأولها:

أبْلى الهَوى أسفًا يوم النَّوى بدنى وفرقَ الهجر بين الجفْنِ والوَسَنِ

وهى عبارة عن مجلد واحد، مقسم إلى كراسات عددها ٣٣ كراسة، بكل كرّاسة عشْر ورقات، وأبيات المتنبى والعناوين فى الأصل مكتوبة بالحمرة، وعليها تعليقات، خاصة فى الصفحات الأولى منها، وعدد ورقاتها ٢٢٨ كل ورقة ذات صحيفتين متقابلتين، ومسطرتها ٢٥ سطرًا وتنتهى بقول المتنبى:

أُذِنَ الأمير بأنْ أعودَ إليْهمُ صلة تسِير بشكرِها الأشْعَارُ

ثم شرْح البْيت الذى ينتهى بقول الشارح: «وعلى التحقيق أن سيف الدولة قد رضى بالإذن من غيْر اقتران صلة» وهى خاتمة المجلّد الأول فى جميع النسخ، ثم كتب بعد ذلك: «تمّ الجزء الأول من شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى المعروف (بمعجز أحمد).

والحمد لله وحدْه، وصلى الله على من لا نبى بعدَه، وعلى آله وأصحابه. وأشياعه وأزْواجه وأهل بيته، الطيبين الطاهرين، وسلَّم تسليمًا كثيرا

وكان الْفراغ من تعلق هذا الجزء نهارَ الأربعاء، ثالث عشْر شعبان المبارك، من شهور سنة ستٍّ وأربعين وألف. على يد العبد الفقير يوسف بن سليمان، الحنفى مذهبًا الشامِىّ مَسكنًا».

وقد رمزنا إليها بالرمز (ب).

٣ - مخطوط تحت رقم ٢٥ أدب قوله: وهى إحدى المكتبات الخاصة بدار الكتب المصرية. كتب فى صفحة الغلاف (معجز أحمد) من كتب الفقيه محمد أسعد الحسينى ابن الوزير حفظى إبراهيم باشا عفا [الله] عنهما. وفى صدرها، وفى كثير من صفحاتها طبع خاتم، كتب فيه: «الله ربّى. من الكتب التى وقَفَها الفقير إلى الله وآلائه الباهرة، عبْده المدعو بين الوزراء: محمد على. الوالى بمصر. وهو حسبى ١٢٣٤ هـ».

أولها محلى باللاَّزَورْد ومذهّب. كتبت بواسطة خطاط محترف، فخطها نسخى جميل جدًّا، وهى من حيث الشكل واللون والخط تعتبر الآن تحفة فنية، مجلدة بالجلد الطبيعى الذى يرجع تاريخ صنعه إلى العصر العثمانى تقريبا - فيما يقرره الفنيون - وقد جود الناسخُ فى كتابتها، وكان إذا لم يستطع قراءة كلمة أو أكثر من النسخة المنقول منها ترك بياضا بمقدار ما لم يتبينه، وكتبت برسم إملاء المصحف العثمانى، فمثلا يكتب (الحَيوة) و(السّمٰوات) بهذا الرسم وقد التزم ناسخها بكتابة «والله أعلم» عقب شرح أكثر الأبيات، وعناوينها وأبيات المتنبى مكتوبة بالحمرة بخط نسخى، والجزأين فى مجلّدٍ واحد يبدأ الجزء الأول ببيت المتنبى:

أبْلَى الهَوى أَسَفا يومَ النّوى بَدنى وفـرّق الهَجْر بَـيْنَ الجفْن والْوَسَنِ

وينتهى بشرح قوله:

أذن الأمـيرُ بـأنْ أعـودَ إلـيْهـم صلَة تَسِـير بِشكْـرِهَـا الأشْعَـارُ

إلى قول الشارح: «وعلى التحقيق أنّ سيف الدولة قد رضى بالإذن من غير اقتران صلة والله أعلم» ثم تقول: «تم الجزء الأول من شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى المعروف بمعجز أحمد سنة ١٠٥٩ هـ».

ويبدأ الجزء الثانى منها بقوله: «وقال يرثى عبد الله بن سيف الدولة بحلب سنة ٣٣٨ فقال:

بنَا منْك فَوْقَ الرَّمل مابك فى الرّمل   وهذا الذى يضْنى كَذاكَ الذى يبلى »

وتنتهى بقوله : « وخرج عليه فرسان ورجال من أسد وشيبان، فقتل بين الطابقة (الصافية) ودير العاقول. وذلك يوم الاثنين لستّ ليالٍ بقين من شهر رمضان، سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، وقتل معه عبده، وقتل ابنه بعده. والله أعلم ».

وهذه النسخة بجزأيها عبارة عن ٣٧٨ ورقة مكتوبة من الصفحتين ومسطرتها ٢٧ سطرا ومتوسط السطر ١٤ كلمة، وعليها تصويبات ومقابلات قليلة بخط يخالف الأصل. لكن يشيع فيها الخطأ النحوى والإملائى، والتحريف والتصحيف، ويبدو أن كاتبها غير عربى أصيلة فكثيرًا ما يكتب الضاد : ظاء، والحاء : هاء. . ويقلب ضمير المذكر إلى المؤنث. وبالعكس فمثلا عند شرحه للبيت :

مِنَ الجـآذر فى زِىّ الأعـارِيب   حمـر الحلَى والمَـطَايَـا والجَـلابيب

يقول : « الهُلَى » ويريد به (الحلى) ومثله كثير.

وقد رمزنا إليها بالرمز (ق).

٤ - نسخة فى مكتبة جامعة القاهرة تحمل رقم ٢٢٩٧٧ مصورة عن نسخة فى خزائن استامبول، من أوقاف السلطان عثمان بن مصطفى رقم ٣٩٨٠ تبينتُ ذلك من الخاتم الذى على الصفحة الأولى منها. وتبدأ بقوله : « قال أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفى المتنبى رحمه الله :

أبْلَى الهَوَى أسفًا يْومَ النَّوى بَدنى   وفرّقَ الهجْرُ بْينَ الجفْنِ والوَسَنِ

وهى جزءان فى مجلدين. الأول من ١ - ٢٤٢ والثانى من ٢٤٣ - ٤٦٤ والورقة فيها صحيفتين متقابلتين، وينتهى الجزء الأول منها بشرح قول المتنبى :

أذِنَ الأمِـير بـأنْ أعــودَ إليْهمُ   صِلَةَ تَسِـير بشكـرهـا الأشْعَـارُ

إلى قوله : « وعلى التحقيق أنّ سيف الدولة قد رضى بالإْذْن من غير اقتران صلة » ثم كتب بعد ذلك : « تم الجزء الأول بحمد الله وحسْن توْفيقه » ويليه فى أول الجزء الثانى : « وقال يرثى أبا الهيْجاء عبْد الله بن سيف الدولة » وبعد ذلك خاتمة الناسخ : « تمّ الجزء الأول من شرح المتنبى لأبى العلاء المعرى بحمد الله وحسن توفيقه، سنة سبْع وخمسين وألف من الهجرة النبوية، أحسن الله تعالى ختامها ويليه الجزء الثانى إن شاء الله تعالى » وفى أول الجزء الثانى فى المجلدة الثانية « الجزء الثانى من شرح ديوان المتنبى وهو تمام

النسخة» وفى آخره: «خرج عليه فرسان ورجال من أسد وشيبان، فقتل بين الطابقة (الصافية) ودير العاقول، سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، وقتل معه عبده وقتل ابنه بعده والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب» ويتصل بهذا بدون فاصل.

خاتمة الناسخ: «تمّ كتاب شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى المسمى (بمعجز أحمد) فى يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة رابع عشر شهر ربيع الأول الأنور من شهور سنة سبع وخمسين وألف.

وإنْ تجِدْ عيْبًا فسدّ الخَلَلَا   جلّ منْ لاَ فِيهِ عيْب وعَلاَ

وفى الصفحة التالية لهذا: «كتب برسم مولانا وسيدنا فخر قضاة الإسلام وشرف ولاة الأنام قدوة الأئمة العظام، زبدة الموالى الكرام بدار السلطنة العليا، القاضى سابقًا بمدينة قسطنطينية المحمية، حضرة شعبان أفندى، دامت فضائله ومعاليه، وطابت بالمسرة أيامه ولياليه، وتشرف بخدمة استكتابه واستنساخه، العبد الحقير محمد أفندى ابن الناشف التذكرجى بدمشق، فى سنة سبع وخمسين وألف» والنسخة مليئة بالتحريف وإن كانت خيرا من غيرها وقد رمزنا إليها بالرمز (ع).

٥ - وفى ميونخ بألمانيا مخطوطة رقم ٥١٤ مقاس ٢٠ × ١٤ وعدد أوراقها ٢٧٠ ورقة ومسطرتها ٢١ سطرًا كل ورقة ذات صفحتين متقابلتين، خطها نسخى واضح، مع الضبط بالشكل، والعناوين والأبيات مكتوبة بالحمرة، يرجع تاريخ نسخها إلى القرن العاشر تقريبا وليس عليها ما يفيد تاريخ نسخها، وهى تضم المجلّد الأول فقط من الشرح، وتبدأ بقوله: «قال أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفى الجعفى المتنبى رحمه الله تعالى، وهو أول شعر قاله فى صباه:

أبْلَى الهَوى أسفًا يوم النّوى بَدنِى   وفرقَ الهجر بينَ الجفْنِ والوَسَن

وقد ألحق بها بخط مخالف تماما لخط الأصل. مقدمة شرح الواحد بتمامها، وعليها مقابلات من نسخة أخرى، خاصة فى الصفحات الأولى منها وبخط كاتب المقدمة ثم نقل عن الواحدى القطعة التى ذكرناها بالهامش وهى التى أولها:

بأَبِى من وَدِدْته فافْتَرقْنا   وقَضى وقَضى اللّهُ بعدَ ذَاكَ اجْتِمَاعَا

مع شرحها للواحدى. وفى صفحاتها: ٤، ٣١، ٣٢، ٣٤ نُقول عن الواحدى وتنتهى بشرح البيت.

أذنَ الأميرُ بأنْ أعودَ إليهم صِلَة تَسير بشكْرِها الأشعَارُ

إلى قوله : «وعلى التحقيق أن سيف الدولة قد رضي بالإذن من غير اقتران الصلة» ثم كتب بعد ذلك : «تم الجزء الأول من شرح الديوان يتلوه الجزء الثانى الذى أوله : وقال يرثى أبا الهيجاء رحمه الله تعالى» وفى صفحة ٢٦٩ منها بعد شرح البيت :

أنْتَ الذى نَجح الزَّمانُ بذكرِه وتـزينت بحديثِه الأسمَارُ

بياض كتبت فيه كلمة تركية.

وقد رمزنا إليها بالرمز (خ).

٦ - وفى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ميكروفيلم تحت رقم ٧٧٧ أدب وهو الجزء الثانى من هذا الشرح أوله : «وقال يرثى عبد الله بن سيف الدولة :

بِنَا منكَ فْوقَ الرَّمْل مابِكَ فى الرَّمْلِ وهَذا الَّذى يَضْنى كَذاكَ الَّذى يبْلى

والأبيات والعناوين فى الأصل مكتوبة بالحمرة، وبخط النسخ الجيد، مع الضبط بالشكل، والشرح مكتوب بالخط الفارسى الجيد، وعلى هوامشها بعض التعليقات والمقابلات، وعدد ورقاتها ٣٠٠ورقة وتاريخ نسخها سنة ٨٣٢هـ وهى مصورة عن نسخة تركية فى مكتبة (خراجى أوغلى ٢٧ أدب) ولكن يصعب قراءتها. . ففيها أثر مياه أزالت بعض الحبر وطمست معالم الكتابة فلم نتبين منها إلا القليل. وفى الصفحة الأخيرة : «خرج عليه فرسان ورجال من أسد وشيبان فقتل بين الطابقة (الصافية) ودير العاقول وذلك يوم الاثنين لست ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة وقتل معه عبده وقتل ابنه بعده» وقد رمزنا إليها «أوغلى».

ثم نقل عن كشاف الزمخشرى بخط مخالف تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المودَّةَ فِى الْقُرْبَى﴾.

٧ - وفى معهد المخطوطات بالجامعة العربية ميكروفيلم تحت الفهرسة عن نسخة موقوفة على الشيخ الطاهر بن عاشور، وهى فى مكتبته برقم ٩٣٩ فى مجلدين : المجلّد الأول منها فى ١٣٥ ورقة ذات صحيفتين ومسطرتها ٢٢ سطرا ١٤×٢٠ وفى صفحة العنوان : «شرح ديوان أبى الطيب. (معجز أحمد) لأبى العلاء أحمد بن عبد الله المعرى المتوفى سنة ٤٤٩» ويبدأ بقوله : قال أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفى الجعفى المتنبى وهو أول شعر قاله فى صباه :

أَبْلَى الهَوى أسفًا يوم النَّوى بَدنِي　　وفرق الهَجْر بينَ الجفْنِ والْوَسَن

وآخره : «وفيه تنبيه على أن الوقت وقت الصلة، وعلى التحقيق أن سيف الدولة قد رضى بالإذن من غير اقتران صلة».

وهى نسخة كتبت بخط نسخ جميل سنة ١٠٥٩ هـ وقد ترك الناسخ بياضا لما لم يتبينه أيضًا، والشعر والعناوين مكتوبة بالحمرة فى الأصل لكن.. يشيع فيها الأخطاء والتحريفات.

والمجلد الثانى : أوله : «وقال يرثى أبا الهيجاء عبْد الله بن سيف الدولة وتوفى بميًا فارقين...».

بِنَا منْك فوقَ الرَّمْل ما بِكَ فى الرَّمْل　　وهَذا الذى يضْنى كذَاك الَّذى يبْلى

والصفحة الأخيرة ختمت بقول الشارح «خرجَ عليه فرسانٌ ورجالٌ من أسد وشيبان فقتل بين الطابقة (الصافية) ودير العاقول، وذلك يوم الاثنين لستّ ليال يقين من شهر رمضان، سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، وقتل معه عبده وقتل ابنه بعده».

ويلاحظ أن تاريخ نسخ هذه النسخة سنة ١٠٥٩ هـ وهو تاريخ نَسْخ نُسْخة (ق) ويبدو أنهما يرجعان إلى أمٍّ واحدةٍ، وقد رمزنا إليها (شو).

٨ - كتب فى الفهرس المجمَع لمخطوطات دار الكتب المصرية هذه العبارة : «شرح ديوان المتنبى. لا يعلم شارحه» شعر تيمو ١٢٠٠ فاستحضرتها، وأخذت أتفحصها فإذا هى ٤٩٤ صفحة، متوسطة القطع، ومسطرتها ١٣ سطرا ومتوسط عدد كلمات السطر ٨ كلمات وهى قطعة كبيرة من أول الجزء الثانى من (معجز أحمد) لأبى العلاء المعرى كتبت بخط النسخ، والأبيات والعناوين بالحمرة، يرجع تاريخ نسخها إلى القرن العاشر تقريبا وقد سقطت منه - أو قل : أسقطت منه - الورقة الأولى التى فيها صفحة العنوان وتحمل اسم المعرى. لسببٍ مّا، أشار إليه القفطى ونبهنا عليه قبل ذلك، ويجوز أن يكون عوامل الزمن هى سبب ذلك.

وفى الصفحة الثانية من الورقة مقدمة القصيدة رقم ١٦٧ :

بنَا منْكَ فوق الرَّمْل ما بِك فى الرَّمْل　　وهذا الذى يضْنى كذَاك الذى يبْلى

وشرْح هذا البيت، ونصّ البيت الثانى فقط من القصيدة وهو:

وكأنكَ أبصرتَ الذى بِى وخفْته إذَا عشْتَ فاخترتَ الحِمام عَلَى الثّكْل

والصفحة رقم ٣ وهى أول المخطوط تبدأ بشرح البيت السابق فتقول كغيرها : « الثكل : فقد المحبوب . . » إلخ .

أخذت أتفحص هذه المخطوطة تفحُّصًا دقيقًا، وأدرسها وأقابل عليها، خوفًا من أن تكون مختصرًا للكتاب المذكور، وممّا زادنى خوفًا ما أعرفه عن حبِّ تيمور (باشا) لفهْرسة كتُبه بنفسه والاجتهاد فى التعريف بمخطوطاته، وبعد درْسها تبيَّنْت أنها هى الجزء الثانى من شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى، المعروف بـ (معجز أحمد) تبدأ من أول شرح البيت المذكور وتنتهى بنهاية فى مقدمة القصيدة رقم (٢٢٥) عند قوله : « وحسن ذلك عندهم قواد كانوا فى عسكر سيف الدولة فسار إليهم وظفر بهم » ثم كتب بعد ذلك بخط مغاير للأصل « عفا الله عنه وسامحه، تمت بحمد الله وعونه » وعليها تعليقات ومقابلات بنسخة أخرى وقد رمزنا إليها (مو).

صُـوَرٌ مِنَ الْمخطُوطَـاتِ

قال ابو الطيب احمد بن الحسين الكوفي الجعفي المتنبي رحمه الله وهو اول شعر قاله في صباه

ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدني • وفرق الهجر بين الجفن والوسن

يقال بلي الثوب يبلى بلى وابلاه غيره ابلاء والاسف شدة الحزن يقال اسف يأسف اسفا فهو آسف واسيف ومعنى ابلاء الهوى البدن اذهاب لحمه وقوته لما يورد عليه من شدائده وخص يوم النوى لان برح الهوى انما يشتد عند الفراق والهوى عذب مع الوصال سم مع الفراق كما قال السري

وارى الصبابة اريا مالم يشب • يوما حلاوتها الفراق بصابه

وانتصب اسفا على المصدر ودل على فعله ما تقدم من قوله ابلى الهوى لان ابلاء الهوى بدنه يدل على اسفه فكانه قال اسفت اسفا ومثله كثير في التنزيل كقوله تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء ويوم النوى ظرف للابلاء ومعموله ويجوز ان يكون معمول المصدر الذي هو اسفا والمعنى يقول اذى الهوى بدني الى الاسف والهزال يوم الفراق وبعد الهجر من الحبيب بين جفني والنوم اي لم اجد بعده نوما ولا راحة

روح تردد في مثل الخلال اذا • اطارت الريح عنه الثوب لم يبن

يقال روح تردد اي تجيء وتذهب في بدن مثل الخلال في النحول والدقة والهزال بحيث اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن اي لم يظهر ذلك البدن لدقته اي انما يرى لما عليه من الثوب فاذا ذهب الثوب فهو لا يرى ومثل الخلال صفة للموصوف المحذوف تقديره في بدن مثل الخلال واقرأني ابو الفضل العروضي في مثل الخيال وقال اقرأني ابو بكر الشعراني خادم المتنبي في مثل الخيال وقال لم اسمع الخلال وما دونه من البيت يدل على صحة هذا وان الواو الدمشقي سمع هذا البيت فاخذه فقال شعر وما ابقى الهوى والشوق مني • سوى روح تردد في خيال • خفيت على النوائب ان تراني • كان الروح مني في خلال

كفى بجسمي نحولا انني رجل • لولا مخاطبتي اياك لم ترني

يقال كفاني نحولا كوني رجلا لو انكم لم يقع على البصر اي انما يستدل على صوتي كما قال ابو بكر الصنوبري ذبت حتى ما يستدل على اني حي الا ببعض الكلام واصل هذا المعنى قول الآخر ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت • فدل عليها صوتها حية البحر والباء في بجسمي زائدة تزاد مع الكفاية عنها في اسم الفاعل كثيرا كقوله تعالى

الصفحة الأولى من نسخة المتحف البريطاني (أ)

وكفى بالله شهيدا وكفى بك على هؤلاء شهيدا وكفى بربك هاديا ونصيرا وتزاد
مع المفعول ايضا كقول بعض الانصار شعر وكفى بنا فضلا على من غيرنا
حب النبي محمد ايانا معناه كفانا فضلا فزاد الباء وقد قال ابو الطيب شعر
كفى بك داء ان ترى الموت شافيا فزاد في المفعول في قوله حسبي لما ذكرنا
وانتصب محلا على انه مفعول ثان وقال يمدح محمد بن عبد الله العلوي
اهلا بدار سباك اغيدها ابعد ما بان عنك خردها
الاغيد الناعم البدن وجمعه غيد واراد هاهنا الجارية وذكر اللفظ
على الشخص والخرد جمع الخريدة وهي البكر التي لم تمس ويقال ايضا خرد
بالتخفيف وفي قوله ابعد اوجه وروايات والذي عليه اكثر الناس الاستفهام
وفيه ضربان من الفساد هو ان تمام الكلام يتعلق بالبيت الذي بعده وذلك
عيب عند الرواة يسمونه المبتور ومثله لا اصلح بيني فاعلموه ولا
بينكم ما حملت عاتقي سيفي وما كنا بنجد وما قرقر قمر الواد بالشاهق
والضرب الثاني من الفساد في المعنى هو انه اذا قال ابعد فراقهم نعيم
وحزن كان محالا من الكلام والرواية الصحيحة ابعد بضم الدال ما بان يقول
ابعد شيء فارقك جواري هذه الدار ويروى قوم ابعد ما بان بفتح الدال
على انه حال من الاغيد والعامل في الحال سباك اي سباك اغيدها ابعد
ما بان عنك وخردها بدل من الاغيد وهذا من العجب اي ان الثاني يسبى
وهو بعيد وهو معناه انه اسرك بحبه وهو على البعد منك وانتصب اهلا
بفعل مضمر تقديره جعل الله تعالى اهلا بتلك الدار لتكون ماهولة اي ذات اهل
وانما تكون ماهولة اذا سقيت الغيث فانبتت الكلا فيعود اليها اهلها وهو في
دعاء لها بالسقيا ظلت بها تنطوي على كبد نضيجة فوق خلبها يدها
يريد ظللت فحذف احد اللامين تخفيفا كقوله تعالى فظلتم تفكهون
يقول ظللت بتلك الدار تنثني على كبد واضعا يدك فوق خلبها والخرد
يفعل ذلك كثيرا لما يجد في قلبه من حرارة الوجد يخاف على كبده ان تنشق كما قال
غيره شعر عشية اثني البرد ثم الوثه على كبدي من خشية ان تصدعا
وقال اخر لما رأوهم لم يحسوا مدركا وضعوا انا ملهم على الاكباد
والانطواء كالانثناء والنضيجة اليد ولكن جرت نعتا للكبد في الاعراب
لاضافة اليد اليها بقوله يدها كقوله تعالى وهذه القرية الظالم اهلها الظالم
للاهل وجرى صفة للقرية والمعنى التي ظلم اهلها وهذا كما تقول مررت بامرأة

الصفحة الثانية من نسخة المتحف البريطاني (أ) وبها مقابلات وتهميشات

بلغ مقابلة

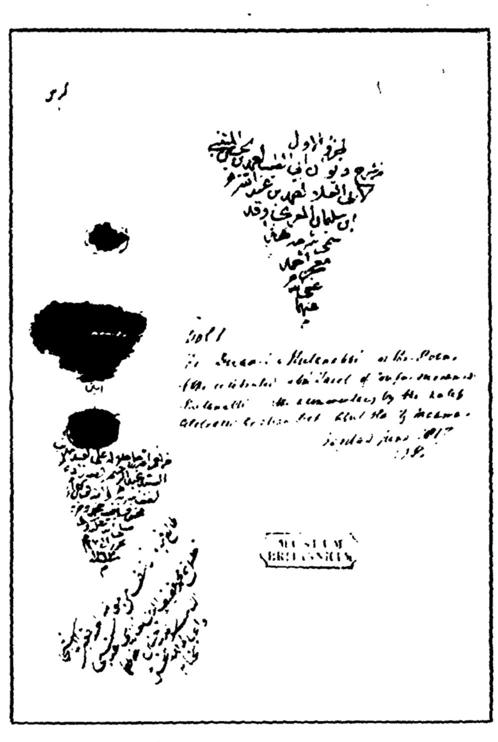
اهلي الذين خلفتهم ورائي لصحبتك ولكنهم ان غبت عنهم ضاعوا فعلقي اليهم شغل قلبي بهم يمنعني من اختياري واثار صحبتك عليهم ونيل يريد بالقلق الاضطراري اي مضطر الي الرجوع الي اهلي ومالي مع هذا الاضطرار اختيار واذا صحبت فكل ماء مشرب لولا العيال وكل ارض دار يقول لولا العيال لما كان شيء عندي اطيب من مصاحبتك لاني اذا صحبتك فكل ماء مشرب اي طيب زلال وكل بلد تكون دار اي اتخذ كل راحة معك وكل عيش يتهنا بك وبصحبتك ومثله قول الاخر وما هي الا بلدة مثل بلدة وخيرها ما كان عونا على الزمن اذن الامير بان اعود اليهم صلة تسير بشكرها الاشعار يقول ان اذن الامير بالعودة الي اهلي عددت ذلك صلة من صلاته اشكره عليها واسير الاشعار بذكرها وفيه تنبيه على ان الوقت وقت الصلة وعلى التحقيق على سيف الدولة انه قد رضي بالاذن من غير اقتران الصلة به **وقال** يرثي عبد الله ابن سيف الدولة وتوفي بميافارقين في صفر من سنة ثمان وثلثين وثلثماية وعمره ربع سنين

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي

الرمل هنا الارض والتراب والضنى طول المرض والاضنى الامراض وقوله منك اراد من الغم عليك فحذف المضاف يقول انت تحت التراب تبلى ونحن فوقه نضنى بنا من الغم عليك فوق الارض من طول الضنى مثل ما بك تحتها من طول البلى فهذا الحزن الذي بنا يضنينا ويهزلنا مثل الموت الذي يبلي جسدك ويفرق اوصالك فنحن اموات في صورة الاحياء

تم الجزء الاول

الصفحة الأخيرة من نسخة المتحف البريطاني (أ)



صفحة الغلاف من نسخة المتحف البريطاني (ب)

يقول المطي في الحرج بك وتقرب عليها المسير والمسافة البعيد

إن الذي خلفت خلفي ضايع ما لي على قلقي إليه [illegible]

يقول لولا الأهل الذين خلفتهم [illegible] وتركي [illegible] ان [illegible]

يقول لولا الأهل الذين خلفتهم [illegible]

[illegible]

[illegible] اختيار وإذا [illegible] لولا العيال [illegible]

يقول لولا العيال [illegible]

[illegible]

[illegible] ومثله قول الآخر

وما هي الأيام مثل بلادة ... وخيرهما ما كان عونا على الزمن

إذن الأمير بأن أعود إليهم صلة تسير بشكرها الأشعار

يقول إن إذن الأمير بالعودة إلى أهلي [illegible]

الأشعار [illegible] وفيه تنبيه على أن الوقت وقت [illegible]

[illegible] والله سبحانه وتعالى أعلم

[illegible] ديوان أبي الطيب

المتنبي لأبي العلاء المعروف

[illegible]

وصلى الله على من لا نبي بعده

وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأشياعه وأزواجه وأهل بيته الطيبين الطاهرين

وكان الفراغ من تعليق هذا الجزء نهار الأربعاء ثالث عشر شعبان المبارك من شهور

سنة [illegible]

على يد العبد الضعيف [illegible] الحنفي [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة المتحف البريطانى (ب)





الصفحة الأولى من المجلد الأول من نسخة مكتبة قوله

العسكر الجرار الذي يجر بعضه بعضا وقيل الذي يجر الرماح يقول الملك يعني
احلاف الناس او دون الاحلاف مع ان العسكر العظيم اذا ... ما لا ملك

الاهزع قيل هو اخر ما ... وسائر ... حام الا ...
اصل من حباره من اهزعه وقيل اراد بالاهزع المكور اي ... يصل على سائر الملوك
والاهزع فلا يمكن لاحد من الملوك ضيمه ومثل المثل للشاعر ... وعده ... فهو يصل
قوته

السهم المارق السيف الاطراف ويجوز اي يمنع ولا ينشط ... والمراد يجوز ان يكون
كالزمان ويجوز ان يكون اسما المكان الرياح يقول ... اي موضع ...
تسكن ... من يقصدك ... ولا يسعد على من يقصدك ...
ومثله من حاجة الشوق لم يستبعد الدار ولم ير كيف نبت ... اليك ركابا

المسار بمعنى المسير هو مصدر ويجوز ان يكون اسما للمكان السير يقول ما اضمر لك
من الهوى والحرص على اللحاق بك ... بهذا المطيه ...
لك ويقرب عليه المسير والمسافه البعيده
يقول لولا اهلي الذين خلفتهم وراءي لصحبتك
ولكنهم ان ... عنهم ضاعوا فعلق ... شغل قلبي بهم ... من اختياري وان ...
عليهم وقيل اراد بالعلق الاضطرار اي ان ... الرجوع الى اهلي ... هذا اختيار

يقول لولا العيال لما كان شيء عندي اطيب من صحبتك لاني ... مكرما ...
اي ... لان كل واحد معك ...
قول الاخر ... ما كان ...

يقول ان ... الامير ... الى ... من صلاته ... عليها واخبر
الاشعار ... على ان الوقت وقت الصلاة ...
قد ... من ... ان ... والله تعالى اعلم
٥٩
تم الجزء الاول من شرح ديوان ابي الطيب المتنبي لابي العلا المعروف معجز احمد ...

الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من نسخة مكتبة قوله

[illegible]

الرمل ههنا الارض والتراب والصاطول المرض والاضنا الامراض وقوله سكت اى ارد موت
انه عليك فحذف المضاف يقول انت تحت التراب تبلى ونحن فوقه يبلينا من نعم
عليك فوق الارض من طول الضنا مثل ما بك تحتها من طول البلى بهذا الحزن الذى
يصيبنا ويهزلنا مثل الموت الذى يبلى جسدك ويمزق وصالك فنحن اموات فى صورة

الاحيا [illegible]

النحل بفقد المحبوب يخاطب الولد على لسان سيف الدولة فيقول كانك تعرف قبل
موتك ما انا من بعدك من الحزن عليك فرايته اشد من الموت وخفت انك ان عشت تبتلى
بمثل ما ابتليت به بعدك ويصيبك من الحزن مثل ما اصابنى فاخترت الموت على

[illegible]

يقول ان النسا الغانيات يبكين عليك حتى ذهبت اجفانهن وذهب حسن
عيونهن وانما اختار لفظ الاذابة لان حسن العيون لما كان كانه يذهب بالبكا
على تدرج الايام ولم يذهب دفعة واحدة كان لفظ الاذابة ابلغ من قوله تزيل الحسن
او تذهب الحسن وقيل انما قال تذيب لان الذوب فى معنى السيلان والدمع سائل فكان
ان الحسن سال مع الكحل فنزل بالدمع حسن الكحل وكان الحسن قد

ذاب [illegible]

بدل من الدموع والشعر الجثل الكثير المجتمع والهاء فى وحده يرجع الى المسك معناه
ان دموعهن كانت تقطر من اجفانهن حمرا لامتزاجها بالدم فاذا سقطت على شعورهن
الكثيرة المنتشرة لاجل المصيبة المسترسلة على خدودهن خالطها ما فى شعورهن من
المسك فاسودت فوصلت الى الترب سودا من المسك وقوله من المسك وحده فيه
وجهان قيل معناه ان سواد دموعهن ليس لاجل الكحل لانهن مستغنيات عن الكحل
بالكحل فليس ذلك السواد الا لاجل المسك فقط والثانى انهن يستعملن الكحل لاجل
المصيبة فاسودت دموعهن بالمسك الذى استعملنه قبل المصيبة وكان قد بقيت

الصفحة الأولى من الجزء الثانى من نسخة مكتبة قوله

[illegible] نفس من رماه في طريقي سلاحا [illegible]
[illegible] السلاح [illegible]
[illegible]
[illegible] تضعيف الاطلال ومعنا مثل قوله

ومن يصحب اسم ابن العميد محمد يسر بين انياب الاساود والاسد

ومن اعتاض منك اذا افترقنا وكل الناس زور ما خلاكا

[illegible]
[illegible]

[illegible] ما الناس بعدك [illegible] بالناس

وما انا غير سهم في هواء يعود ولم يجد فيه امتساكا

[illegible] حتى يعود راجعا اليك كالسهم [illegible]
[illegible]

لامر ربما [illegible] [illegible]

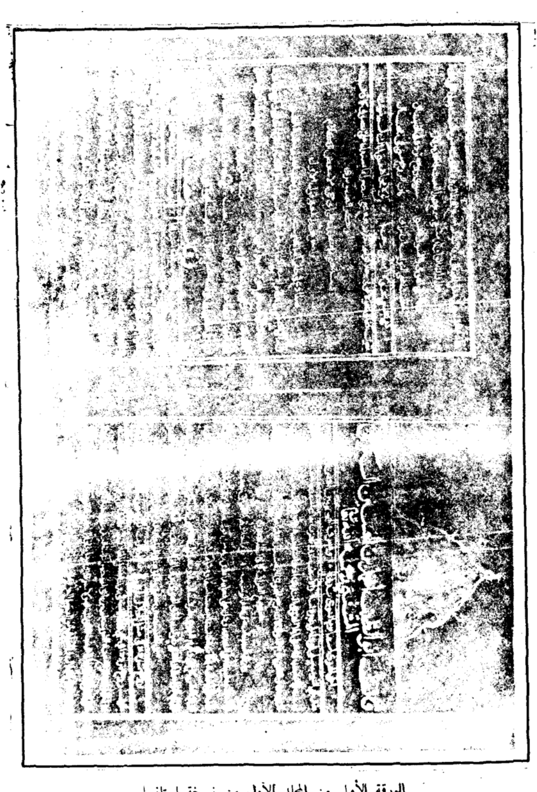
[illegible] وقد فارقت [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من شعر ابي الطيب
المتنبي [illegible]
[illegible]
يوم الاثنين لست ليال بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين
[illegible]
والله تعالى اعلم

الصفحة الأخيرة من الجزء الثانى من نسخة مكتبة قوله



صفحة العنوان ـ المجلّد الأول من نسخة استانبول



الورقة الأولى من المجلد الأول من نسخة استانبول

[illegible] ... يقضي المطي ويقرب [illegible]

[illegible] يحتمل منه ويجوز أن يكون أمّا المكان السير [illegible]

[illegible] على الفأن بك ومن ود إنسان بعض ما أورد فإنه [illegible]

في العدول بك ويقرب عليه السير والمسافة البعيدة

[illegible] الذي [illegible] ... مالي على قلقي إليه خيار

[illegible] الذين [illegible] لصحبتك ولكنهم إن غبت عنهم ضاعوا [illegible]

[illegible] من اختياري وإيثار صحبتك عليهم وقيل إراد بالقلق [illegible]

أي [illegible] إلى الرجوع إلى أهل ومالي مع هذا الاضطرار اختيار

[illegible] فكل ما أشرب ... لولا العيال وكل أرض دار

[illegible] أطيب من مصاحبتك لأني إذا صحبتك [illegible]

[illegible] إذ يكون مالي لأن كل راحة معك وكل [illegible]

بك وصحبتك ومثله لآخر

[illegible] ... وخيرها ما كان عونا على الزمن

[illegible] ... صلاة يشير بشكرها الأشعار

[illegible] عددت ذلك صلاة من صلاته أشكر له عليها

[illegible] على أن توقف وقت الصلاة وعلى التعقيب على [illegible]

[illegible] بالأذن من غير اقتران الصلاة به

[illegible] الله بمنه وحسن توفيقه ويليه في أول الجزء الثاني وقال [illegible]

[illegible] بحلب وقد توفي بميافارقين سنة ثمان وثلاثين وثلاث[illegible]

[illegible] ... فهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي

[illegible] والحمد لله على كل حال

[illegible] الأول من شرح المتنبي لأبي العلاء المعري [illegible]

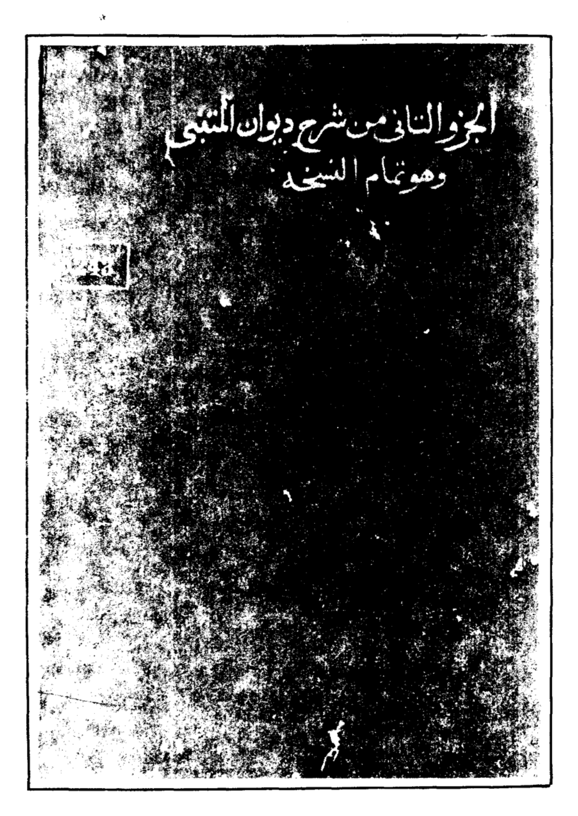
وحسن توفيقه في سنة سبع وخمسين وألف

[illegible] الشريف أحسن الله [illegible]

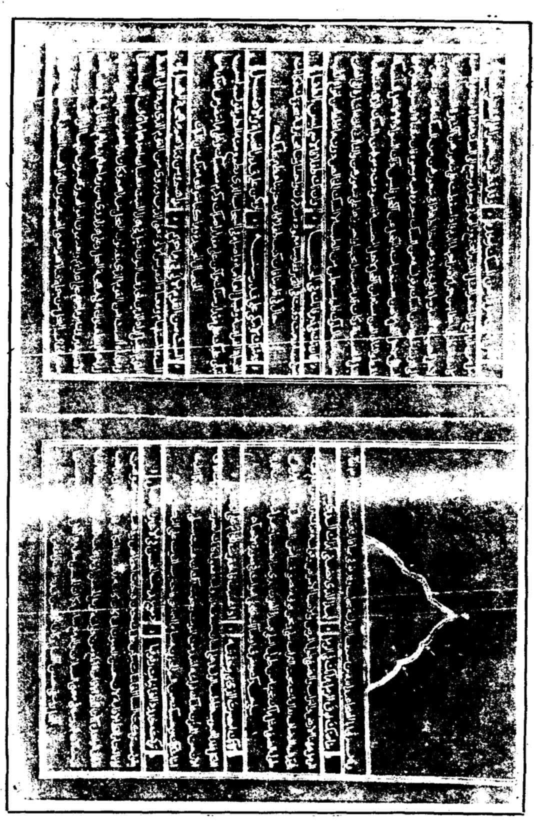
[illegible] ويليه الجزء الثاني

[illegible]

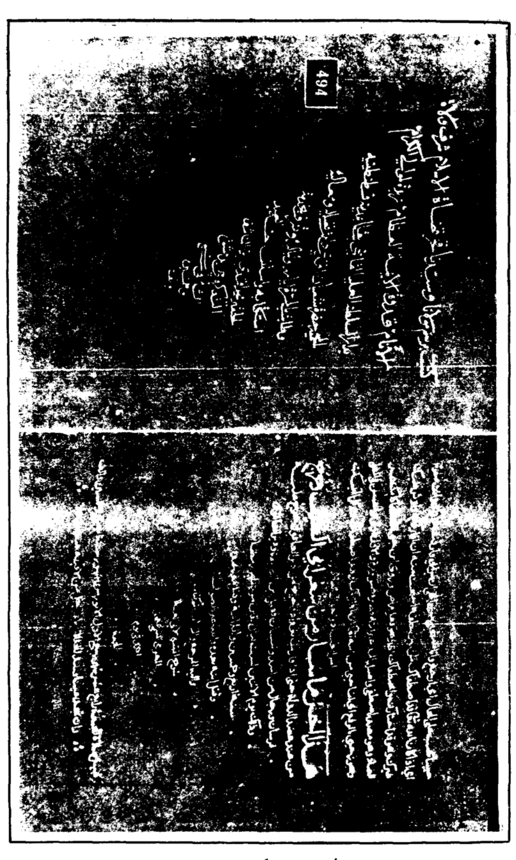
الصفحة الأخيرة من المجلّد الأول – نسخة استانبول


الجزو الثانى من شرح ديوان المتنبى
وهو تمام النسخه

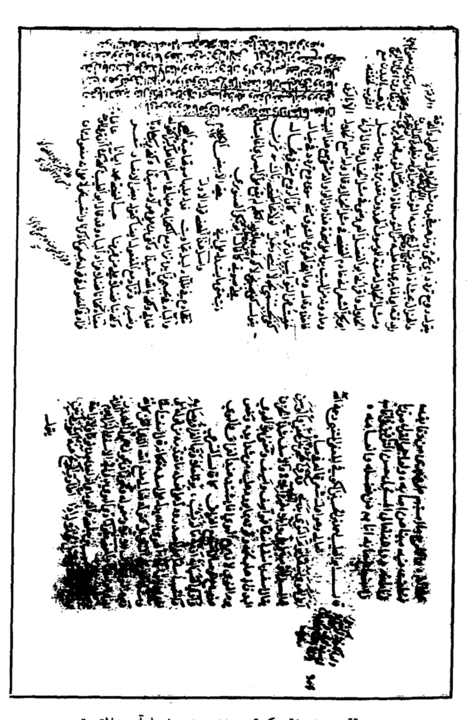
صفحة العنوان – المجلّد الثانى من نسخة استانبول



الورقة الأولى من المجلّد الثانى من نسخة استانبول



الورقة الأخيرة من المجلّد الثانى من نسخة استانبول



ورقة من نسخة مكتبة ميونخ يتضح فيها آخر المقدمة
وأول المجلد الأول وما عليها من زيادات ومقابلات

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة ميونخ بألمانيا

منهج التحقيق

لما كان الضبط فى هذه النُّسَخِ يخالف الصواب النحوى والإملائى كثيرًا، ورأينا أن مثل هذه الأخطاء الفاحشة يَبْعُدُ بل يستحيل، أن تكون من المؤلف : أبو العلاء المعرى. شيخ اللغة والنحو.

والمعروف أن الورَّاقين، كانت مهمتهم نسخ الكتب والاتّجار فيها، ربما جنحوا إلى الإضافات يزيدونها على الكُتُب سعيًا وراء تضخيمها، وقد أوتِيَ بعضهم علمًا من وراء عملهم هذا، أو كانوا من المتعلّمين، فكانت هذه الزيادات تتسق أحيانا مع المادة بحيث يصعب تخليصها، لذلك رأيت الاستعانة (بديوان أبى الطيب المتنبى) تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام الذى اعتمد على أقدم النُّسَخ وأصحِّها. وقد امتازت هذه الطبعة بزيادات فى الشعر، ومقدِّمات طويلة للقصائد، توافق المقدمات سابقة الوصف لهذا الكتاب، وغير ذلك، فالديوان يتفق فى كثير من الأمور مع شرح المعرى. هذا فضلا عن الاستعانة بالشروح التى سنذكرها فيما بعد.

ولما لم تكن النسخ التى وقفت عليها هى نسخ المؤلف ولم تُقْرأ على المؤلّف ولم تقرأ على عالم معروف. فقد التزمت نصًّا مختارًا، يقوم على أساس المخطوطات المذكورة والمفاضلة بينها، وهذا المنهج وإن كان أدق وأعقد، لكنه أصح وأنفع، وفى ضوء ما توفر لدى من مخطوطات حاولت أن أقدم النص الذى خيل إلىَّ أنه يفصح عن رأى المؤلف ويؤدى عباراته أداء كاملا، فاجتهدت ما وسعنى الاجتهاد، ورجحت ما أمكن الترجيح، وكل ذلك عند الاختلاف والمغايرة. أما ما أجْمع عليه النساخ السابقون فقد احترمت إجماعهم، ولاسيما إذا كان المعنى واضحًا والتعبير مستقيًا، وعنيت أن أثبت فى الهامش الروايات المعدول عنها منسوبة إلى مصادرها.

ولما كان من الضرورى أن نحقق بروح العصر وعلى طريقته، وأى تحقيق لا ييسِّر على القارئ مهمته فإنه لا يؤدى الغرض المطلوب منه تمام الأداء، فقد عمدت إلى ما استحدث من علامات الترقيم.

وربّ شولة تزيل غموضًا، ونقطة تغيّر المعنى وتسلك به مسلكًا خاصًا، ففى استعمال علامات الترقيم اجتهادٌ وترجيح، لا يقل عن ذاك الذى يحتاج إليه فى تفضيل رواية على أخرى.

ولم أعمد إلى استخدام نسخة بعينها واتخاذها أصلًا معتمدًا، وأضع فروق النُّسَخ الأخرى فى الهامش، حتى ولو كان ما فى الهامش أصوب مما فى الأصل، وذلك لأنى لم أقم بتحقيق نسخة بعينها. بل قابلت النسخ بعضها ببعض، وأثبت فى الأصل ما أعتقده الصواب من هذه النسخ، ولم أضع بين معقوفتين [. . .] إلا ما كان خارجا عن النسخ واستقيته من الشروح التى تعرضت للدِّيوان، أو تطلّبه سياق المعنى، وعنيت بإثبات الرواية المعدول عنها فى الهامش.

ورجعت إلى كتب الأدب واللغة والنقد، والبلدان والتاريخ والأخبار والنحو، لضبط أبيات الشواهد ونسبتها، والتثبت من صحة الروايات، والأعلام، والمواضع التى جاءت فى الشرح، وقد عنيت عناية تامة بضبط الكلمات، وبخاصة الألفاظ التى تختلف الروايات فى ضبطها، وكذلك الأعلام وأسماء المواضع، وشرحت بعض الألفاظ وعلّقت على بعض الأمور، مما سيجده القارئ لهذا الشرح.

ولقد رقّمت القصائد والمقطوعات. ثم وضعت أرقامًا للأبيات داخل القصيدة أو المقطوعة، ثم عمدت إلى الرجز فوضعت الأبيات تحت بعضها مستهديًا بمنهج المعرى نفسه إذ يرى أن ما يعتبره بعض الناس شطرًا من مشطور الرجز يمثّل بيْتًا كاملا منه.

ثم جمعت زيادات من شعر المتنبى من مختلف المصادر التى أشير إليها وجعلت ذلك لحقًا للشرح.

ولقد راودنى الشك فى نسبة هذا الشرح إلى المعرى لما رأيته يقول عند شرحه للبيت:

ويفْهم صَوْت المشرفيّة فيهم ... علَى أنّ أصْوات السُّيُوف أعاجِم[1]

يقول: «كان الدمستق إذا سمع صليل السيوف فى أصحابه عرف ما تفعله، وإن لم يكن لها ألسنة. وأخذ هذا المعنى المعرى وشرحه فقال:

---

(1) رقم ٢٢٦ مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

وقدْ تنطق الأسيافُ وهِيَ صَوَامِتٌ   ومَا كُلّ نطق المخْبرين كَلاَمُ(١)

ثم قال من عنده:

كَفَى بِخطاب المشرفيَّةِ مخْبرًا   بأن رءوسًا قد شُقِقنَ وهامُ(٢)

وعندما قال المتنبى:

وتلْقَى وما تدرى البَنانُ سلاحَهَا   لكْثرة إيماءٍ إليه إذَا يبدُو(٣)

يقول شارحا: إذ بدا للناس بهرهم حسنه، فيشير بعضهم إلى بعض بأصابعهم وقد سقط سلاحه من يده وهو لا يعلم لحيرته. ومثله للمعرى فى النعاس:

حيْثُ اليَسار عن العنَان ضعِيفَةٌ   فالسَّوْطُ تسقُط من يَمِين الفَارِس(٤)

وعند شرح قول المتنبى:

والنَّقْع يأخذُ حرانًا وبقْعَتها   والشمس تسفر أحيانًا وتلتَثِم(٥)

يقول شارحًا: «النقع: الغبار. وحران: مدينة بالشام. والبُقعة: بضم الباء أرضٌ يخالف لونها لون ما حولها، وذكر أبو العلاء المعرى أنه بفتح الباء وهكذا يروى. قال: وهو موضع يقال له: بَقْعة حرَّان. وهذا أحسن؛ لأنه لو لم يرد مكانًا مخصوصًا لم يكن لذكرها فائدة، لأن النقع إذ أخذ حرّان فقد أخذ بقعتها، وإن لم يذكر».

ولم أجد غير هذه المواضع الثلاث فى الشرح نقلا عن المعرى أو استشهادًا بشعره.

ولا أعدُّ هذا قاطعًا فى نفى نسبة هذا الشرح إلى أبى العلاء المعرى، لأن الباحث كثيرًا ما يرى فى كتب القدماء اسم المؤلف بغير صيغة المتكلم ويفعل هذا المؤلف نفسه. فإذا رجعت إلى كتاب (الواضح فى مشكلات شعر المتنبى) تأليف أبى القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الأصفهانى تجده يقول: «قال الشيخ أبوالقاسم» أو«قال أبوالقاسم» أو

---

(١) شروح سقط الزند ص ٦٠٧.

(٢) شروح سقط الزند ص ٦٠٨.

(٣) رقم ١١٢ ومطلعها:

لقد حازنى وجد بمن جازه بعد   فياليتنى بعد وياليته وجد

(٤) شروح سقط الزند ٤٠٥.

(٥) القصيد رقم ٢٣٦ ومطلعها:

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم   ماذا يزيدك فى إقدامك القسم

«قال الشيخ» يشير بذلك إلى نفسه وهذه اللازمة تستطرد فى الكتاب المذكور كله. ومثله فى شرح ابن جنى كما تجد فى لسان العرب مثلا: «قال محمد بن منظور» إلخ.

وقد يفعل هذا التلاميذ الذين يتلقون الكتاب عن المؤلف، ففى كتاب (الأيام والليالى والشهور) للفراء (ت ٢٠٧) قال: «وحكى الفراء»[1] ومثل هذا كثير فى تراثنا العربى.

لكننا لم نر أن الشارح نقل عن أحدٍ جاء بعده، وكذلك لم نجد فى الشرح ذكْرَ علم أو شاعرٍ بعد أبى العلاء، ولعل بسببٍ من هذا، ومن ضياع ورقة العنوان، استقصيت نُسَخ الكتاب ما وسعنى الجهد. فإذا علمت بنسخة ولم أتمكن من الحصول عليها لسبب ما استوصفتها ممن يعلم بها، أو كتب عنها، أو أمين المكتبة التى فيها هذه النسخة.

وهاكم توصيفًا لنسخ أخرى لم أتمكّن من الحصول عليها:

١ - نسخة الأمير شكيب أرسلان. اطلعتُ على كلمةٍ للأمير شكيب أرسلان فى مقدمة كتاب أبى العلاء (عبث الوليد) فوجدتُه يقول:

«وعنْدى شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى بخط بديع من الدرجة الأولى مموهةٍ فواتحه بالذهب، يبدأ بالقصيدة التى يْرثى بها المتنبى أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة وهى التى مطلعها:

بِنَا منْك فوقَ الرَّمِل مابِكَ فى الرَّمِلِ   وهَذا الَّذِى يضْنِى كَذَاكَ الَّذِى يبْلى

فكأنَّ هذا الجزء يشتمل على نصف ديوان المتنبى، والمتن مكتوب بالحمرة والشرح بالخط الأسود، وهو جزء رائقٌ جدًّا، ويجب أن يكون هذا هو (اللامع العزيزى) ولكنه لم يذكر فى أوله هذا الاسم، بل ذكر هكذا: «شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى رحمهما الله آمين».

وطريقة الشرح هذه: ثم ذكر الأمير أبياتًا ثلاثة مع شرحها، جعلها مثالاً لشرح المعرى فيما استوجب أن يكون (اللامع العزيزى) وما قال ذلك إلا لأنه قرأ - فيما قرأ - عند ابن خلكان أن (معجز أحمد) اختصره المعرى من (اللامع العزيزى) فاعتقد الأمير أنه وقع على الأصل. وقد قارنت الأبيات الثلاثة التى ذكرها مع شرحها بما يقابلها من النسخ التى بين أيدينا لمعجز أحمد وهى أول المجلد الثانى، فإذا هى هى، إذن فالجزء

---

(١) كأن الكتاب مروى عن الفراء، وإن لم يسبق للراوى ذكر. انظر ص ٢ منه.

الذى عند الأمير هو المجلد الثانى من (معجز أحمد) لا (اللامع العزيزى) كما استوجب الأمير أن يكون.

٢ - وقد ذكر بروكلمان ٨٩/٢ من الترجمة العربية - عندما سرد نسخ المعرى لشرح ديوان المتنبى أن هناك نسخة فى بطرس بورج ثالث ٢٧٦ فكتبتُ إلى معهد الشعوب الآسيوية بلننجراد وهو الذى به مكتبة بطرس بورج الآن، بمساعدة مدير مكتبة الشرق بالقاهرة، وكان أحد أفراد أسرة أباظة الكرام.

ولما لم يُجب رجائى، فقد وصفها لى الدكتور عبد الفتاح الحلو، فذكر أنها نسخة كتبت بقلم معتاد، وكتب الشعر بالحمرة، ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١٠٦٢ هـ فى ٢٩٨ ورقة، وكان هذا كل ما ذكره عن هذه النسخة.

٣ - وقد أشار العلامة أحمد تيمور فى كتابه (أبو العلاء المعرى) إلى أن هناك نسخة من (اللامع العزيزى) فى مكتبة «لا له لى» باستنبول تحت رقم (٤٤٩) ١-٧ و٨٩٢ فاستوصفتها بواسطة زميل الدراسة وصديقى التركى الدكتور مقداد يلجن، فأفاد بأن الكتاب المذكور هو (معجز أحمد) مخطوط فى ٢٤٨ ورقة، ومثله فى مكتبة (قولة) الملحقة بدار الكتب المصرية، ومثله فى (الحميدية) برقم ١١٤٨ و(على عزيز).

وعلمت أخيرا بعد أن طبع هذا الكتاب الطبعة الأولى أن نسخة الحميدية هذه هى وغيرها هى (اللامع العزيزى) وعلمت أنه يحقق بمعرفة الدكتور هادى حسن حمودى، عراقىّ فى (لندن) ويعتمد على ثلاث نسخ. ثم علمت بأخرة -كما سبق القول- أن (اللامع العزيزى) حقق ونشر فى المغرب العربى.

٤ - ولقد ذهبت إلى الإسكندرية باحثًا عن النسخة التى ذكر بروكلمان أنها فى مكتبة إبراهيم باشا برقم٩٥٣ فاهتديت إلى مكتبة إبراهيم باشا هـذا بعد جهـد-وليس بإبراهيم باشا القائد ابن محمد على كما أفاد الكثير- فى مسجده بميدان المنشية، ووجدت هذه المكتبة القيمة تضم ما يزيد على الثلاثة آلاف كتاب مخطوط ومطبوع فى مختلف الفنون، ولكن للأسف لا يستفيد بها باحث، وقد أُرْتِج بابُها تمامًا، وأودع مفتاحها مع إمام المسجد.. وتركت لترْعَاها الفئران والصراصير والأرَضَة والأتربة والعُثة التى رأيتها بعينى رأسى ولم أهتد فيها إلى بُغْيتى!!

٥ - ثم ذهبت للبحث فى مخطوطات بلدية الإسكندرية وسجلاتها علّنى أهتدى إلى نسخة

فوجدت نسخة مصورة تحمل رقم ٤٣٩٥ ب وتحمل اسم (معجز أحمد) وتم نسخها سنة ١٠٧٦ وبعد فحصها تبين لى أنها مصورة عن النسخة التى رمزنا إليها (ب) فى دار الكتب المصرية رقم ٤٢٤٦ أدب وتم تصويرها عن نسخة الدار فى سنة ١٣٦٧ هـ - الموافقة لسنة ١٩٤٧ م.

٦ - وقد قرأت ما أشار الدكتور محمد حسين هيكل فى مقدمة (عبث الوليد) قائلا: «وقد أتيح لى وأنا بالمدينة المنورة أن أطلع بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت على نسْخةٍ خطية من كتاب المعرّى، معجز أحمد».

فلما قيض الله لى الذّهاب إلى المدينة المنورة ترددت على هذه المكتبة - بجوار المسجد النبوى الشريف - باحثًا عن هذا المخطوط وسائلا القائمين عليها، فلم أهتد.. ولم يهتد منهم أحد إلى الحصول عليها وأراحنى أحدهم، أو أراد أنْ يستريح هوَ فقال: لَعلَّها كانت هنَا وفُقِدت.

٧ - وفى مكتبة طلعت الملحقة بدار الكتب المصرية نسخة تحمل رقم ٤٦١٩ أدب طلعت. كتب على صفحتها الأولى بخط محْدَثٍ جدًّا (اللامع العزيزى) ولعل كاتبه أحد مفهرسى المخطوطات بدار الكتب فى القرن العشرين، وجد الكتاب غفلا من العنوان فوضع عليه هذه العنوان. والكتاب بخط نسخى جميل، وأبياته وعناوينه بالحمرة، ويقع فى ٤٩٥ ورقة متوسطة القطع، ومسطرته ٢١ سطرًا وفيه تصويبات ومراجعات وزيادات على هامشه بخط الأصل، وفى أوله فهرس لقصائد المتنبى وفى مقدمته: «هذا كتاب شرح ديوان المتنبى» ثم ذكر جزءًا كبيرًا من مقدمة شرح الواحدى، وفى آخره: «هذا آخر ما اشتمل عليه ديوان شعره الذى رتبه بنفسه وهو خمسة آلاف وأربع مئة وأربعة وتسعون قافية بحمد الله وحسن توفيقه سنة ٧٧٩» وبعد أن راجَعه كتب بمداد مخالف لمداد الأصل: «وقد وقع الفراغ من كتابة هذا الديوان بعون الله الملك المنان، على أضعف العباد إلى الله الملك القدير. عمر بن يوسف بن خليل بن الحاج بشير فى شهر محرم سنة ٧٧٩ هـ».

ولا يغرنَّ قارئ هذا التاريخ أو هذا العنوان فقد فحصنا الكتاب فحصًا دقيقًا مع أهل الخبرة من الزملاء فى دار الكتب المصرية، فوجدنا ورَقَه وحِبْره وخطَّه يعود إلى القرن الثالث عشر الهجرى أو الثانى عشر على الأكثر. أما من حيث المادة العلمية فهو

اختصار لشرح الواحدى مع تصرف بزيادة أو نقص، وقد يأتى بمقدِّمات مثل مقدِّمات معجز أحمد، ولا يسعنى إلا أن أذكر لك بعض شرحه لتقارن - إذا رغبت - بينه وبين شرح الواحدى ومعجز أحمد، فتراه يقول عندما تناول شرح بيت المتنبى :

أحيَيْتُهَــا والــدمــوعُ تنْجِــدنِى شُئــونُها والــظَّلام يُـنْجِــدُهَــا

يقول المختصر : «إحياء الليل : ترك النَّوم فيه. يقال : فلان يحيى اللَّيْل : أى يسهر فيه وفلان يميت الليل : أى ينام فيه؛ وذلك لأنَّ النوم أخ الموت، واليقظة أخت الحياة. والإنجاد : الإعانة. والشئون : قبائل الرأس، وهى مجارى الدمع إلى العين.

ثم يقول : كأن للدموع من الشئون إمداد، ولِلَّيالى من الظلام إمداد، والمعنى أن تلك الليالى طالت وطال البكاء فيها، وعلى هذا الضمير فى «ينجدها» : لِلَّيالى ويجوز أن تعود الكناية فى «ينجدها» إلى الشئون، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الهموم على العاشق، وفى اجتماعها عون للشئون على تكثير الدمع. ويبين هذا قول الشاعر :

يَضُمّ عَــلَىّ اللَّيــلُ أَطْبَــاقَ حُبِّهَــا كَــمَا ضَمّ أَزْرار القميص الـبنَــائِـق

جمع بينقة، وهى لينة القميص، وبالتركية (ببك)» اهـ.

منهج شرح الشعر قديمًا

تلقَّى عربُ الجاهلية وصدر الإسلام شعر شعرائهم بالرِّواية، صافيًا سائغًا، يفهمون مراميه وإيحاءاته وظلاله، دون حاجة إلى شروح تفسّر غريبه، فلم يكن فى لغته غريبًا عليهم، إذًا كانت المفردات دقيقة الدلالة، والملابسات الاجتماعية والفنية للشعر أولتجارب الشاعر معروفة لدى الجمهور، لا تحدّها بيئة محلية أو خبرة ذاتية، وكان هؤلاء الرواة - أو حملة الشعر وحفظته - من بين أقرباء الشاعر عادة، أو من تلاميذه المقربين إليه، فقد كان راوية زهير: الحطيئة وابنه كعب، وكان زهير نفسه: راوية أوس بن حجر التميمى، والذى روى النقائض: مسحل بن كسيب بن عمار بن عُكابة الخطفى، وكان كثيرٌ من هؤلاء الرواة شاعرًا، فالحطيئة راوية زهير، وهُدبة بن خشرم راوية الحطيئة، وجميل راوية هدبة هذا، وكثيّر راوية جميل، والسائب بن الحكم السَّدوسى راوية كثير، وذو الرمّة راوية الراعى.. وهكذا.

وقد اشتهر بجمع الدواوين جماعة كالأصمعىّ، وأبى سعيد السكرى، وابن السكيت، وأبى عمرو الشيبانى، والطوسى، وابن حبيب، وابن الأعرابى، وأبى عبيدة، وأبى الأسود الدؤلى، وخلف الأحمر، وحماد الراوية، ولم يكن يهمهم شرح الشعر بقدر ما كان يهمهم الإكثار من روايته، فقد روى حماد (المعلقات) دون تفسير، وروى خلف (لامية العرب) من غير تفسير أيضًا، والأصمعى جمع (الأراجيز) و(الأصمعيات) من غير تفسير كثير، فإن كان فى تلك المفردات أو الملابسات ما هو وليد حَدَث محلىّ أو تجرْبة خاصة، وافتقدت بعض أجزاء الشِّعر إلى معالم توضّح وتوجّه معانيها وتفتّح مغْلقها، وتوضح ما رمى إليه الشاعر. بَيَّنَ ذلك. ولقد عبر ابن إسحاق (ت ١١٧) عن مهمته حين جلس يفسر الشعر بقوله: «وإنما نفْتِى فيها استَتَر من معانى الشِّعر، وأشكل من غَرِيبه، وإعرابه بفتوى سمعنَاهَا من غيْرنا، أو اجتهدنا فيها آراءنَا[1]».

---

(١) إنباه الرواة ٢/١٠٦.

فعبيد راوية االأعشى - مثلا - يستوقفه قول الأعشى :

ومـــدامــةٍ مِمَّـــا تعتق بـــابـــلٌ كَدَم الذَّبِيح سلَبتها جِربالَهَا

ويستغلق عليه معنى «سلبتها جربالها» فيعود إلى الشاعر نفسه يسأله التفسير فيقول له : «شربتها حمراء وبلتها بيضاء[1]» فَبَيْتُ الأعشى لم يكن فيه كلمة غريبة على عبيد، إنما الغريب عليه حقًا التركيب الفنى الذى صور فيه الأعشى تجربته الذاتية أكثر مما يستمدها من معانى المفردات، وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل نذكر منها :

كان عدى بن أبى الزغباء يقاتل المشركين يوم بدر وهو ينشد رجزًا :

أنَـــا عَـــدِيٌّ والـــسَّـحَـلْ
أمْشى بَهـا مَشْىَ الفَحَـلْ

فبلغ الرَسول قوله هذا، فجمع المسلمين بعد النصر ونادى : مَنْ عدىّ ؟ فقال عدىّ ابن أبى الزغباء : أنا يا رسول الله عدىّ، فقال : وما السّحل؟ قال : الدرع. فقال النبى ﷺ : نعم العدىّ عدىّ بن أبى الزغباء[2].

ولعل من خلال هذين النموذجين تتضح لنا الخيوط الأولى لتفسير الشعر منذ القديم، ويتضح لنا أن الرواة قد نقلته منذ نشأته الأولى بتفسير لبعض مفرداته وعباراته، حتى إذا امتدّ الإسلام بهدْيِهِ المبارك، واتّسعت رقعة البيئة العربية بالفتوح ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، فكان فيها الأعاجم والمولدون، اقتضى الأمر جهدا آخر لتقريب الشعر الجاهلى والإسلامى إلى الجمهور، وإذا عناصر جديدة تتخلل إنشاد الشعر من نقْدٍ خاطفٍ أو تفسير سريع لما يشتمل عليه من إشارات تاريخية أو كلمات غريبة أو معنى بعيد أو مسألة نحوية[3]. ونرى المجالس الأدبية والعلمية وكتب التفسير والتاريخ والسير والأنساب تعرض الكثير من الشعر القديم مستخدمة إياه فى بسط موضوع، أو تأييد حدث، أو تفسير معنى، وكانت فى عرضها ذلك تضطر إلى شرح بعض المفردات أو العبارات التى ترد فى الشعر فيقول ابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦) شارحًا قول امرئ القيس :

(١) الشعر والشعراء ص ٢١٥ - ٢١٦ وانظر المعرب ص ١٥١ واللسان ١١٤/١٣.

(٢) مغازى رسول الله ﷺ ص ٦٠ وشرح نهج البلاغة ٣٣٥/٣.

(٣) للباحث أن يرجع إلى شعر الحادرة إملاء اليزيدى عن الأصمعى تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد وديوان جرير بشرح بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) تحقيق الدكتور محمد أمين طه والمفضليات والأصمعيات.

لَـهُ أيْطَلا ظبى وسـاقا نَعـامَـةٍ وإرْخاء سَرْحَانٍ وتقرِيبُ تَتْفُـلِ

أيطلا ظبى : كشحاه، ويروى : «إطلا ظبى» وهما سواء، وشبَّههما بكشحى ظبى لأنه طاوٍ، وساقا نعامة؛ لقصر ساقيها، ويستحب قصر الساقين فى الفرس. والإرْخاء : جرى سهل ليس بالشديد، يقال فرَسٌ مِرْخاء وأفراسٌ مراخٍ ، وليس شيء أحسَن إرْخاءً من الذئب، ولا أحْسَن تقريبًا من الثعلب، ويقال للفرس : هو يعدو الثّعلبية : إذا كان حسن التقريب، ويقال : إنه لم يُقل فى وصف فرسٍ أحسن من هذا البيْت[1].

وفى القرن الثالث تؤلَّف الكتب الأدبيـة التى تجمع أطرافًا من الأدب شعرًا ونثرًا، ويطيل المؤلفون - فى كثير من الأحيان - الوقوف عند الشروح النحوية واللغوية والتاريخية، وعند النقد الفنى لما يرون، كما فعل ابن سلام وابن قتيبة فى طبقاتهما.

وفى أواخر القرن الثالث وأثناء القرن الرابع تبدو ظاهرة التيسير على الناس، وذلك بترتيب الدواوين وجمعها على حروف المعجم، كما فعل الصولى (ت ٣٣٥) فى جَمْع ما جَمَع من دواوين الشعراء، ولا نعرف أحدا قبل الصولى جمع الدواوين ورتبها على حروف المعجم.

فأما عمل الشعر شروحا فلا نعرف هذه الظاهرة إلا فى القرن الرابع على يدى ابن جنى فى شرحه لديوان المتنبى المسمى بـ(الفسر) شيخ الشراح المحْدَثين (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) إمام اللغة والنحو وفيلسوف العربية، والكاشف المجلى لكثير من دقائقها وأسْرارها. ويعتبر شرحه لديوان المتنبى من أوائل شروح المحْدَثين، أما من سبقوه من شرّاح الدواوين مثل السكرى وابن حبيب فيسمون بالشراح القدماء[2]. وقد قيل : إن الأخفش هو أول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله[3].

وابن جنى صاحب المتنبى وراوية شعْره، وحافظه وناقله ومحاوره فى كثير من دقائقه ومشْتَبهاته، روى أبو الفتح ابن جنى قال : «حدثنى علىُّ بنْ حمزة البصرى قال : كنت

---

(١) المعانى الكبير لابن قتيبة ص٣٣.

(٢) انظر تاريخ النقد الأدبى إلى القرن الرابع الهجرى للدكتور محمد زغلول سلام ٢٣٦/١.

(٣) انظر ترجمة الأخفش فى إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين والمزهر ص٢٤٨.

حاضرًا بشيراز وقت عرْضِه (أى المتنبى) لهذه القصيدة[1] وقد سئل عن معنى هذا البيت:

٤٥ - وَكَان ابنا عَدِىٍّ كاثَراه   لَهُ يَاءَىْ حروف أُنَيْسِيَان

قال: فالتفَت إلَىَّ وقَال: لوْ كان صديقنَا أبُو فلانٍ حاضرًا لفسَّره لكم، يعْنِينِي بالكُنْيَة. قال ابن جنِّى: وقالَ لِي يومًا: أتظنّ أنّ عنايتِى بهذا الشِّعر مصْروفةٌ إلى من أمْدَحه؟ لْيسَ الأمر كَذَلك، لَوْ كان لهم لكفَاهُم منه البَيْت. قلتُ: فَلِمَنْ هِىَ؟ قال: هِىَ لكَ ولأشباهِك[2].

وما كان المتنبى ليتأنق فى لفْظِه ويُغْرب فى معْناه، ويتعسَّف فى صناعة الإعْراب من ارْتكاب شاذ وحمْلٍ على نادِرة، إلا من أجل أنّه يَصْنع شِعره من أجْل العُلَماء لا المَمْدوحين فقط، وهاكُم أنموذجًا لشرح ابن جنى[3]. قال المتنّبى:

١ - أَلاَ كُلّ مَاشِيةِ الخَيْزَلَى   فِدَا كُلّ مَاشِيه الهَيْذَبى

الخَيْزَلى: مشية فيها تفكّك وتحرّك، مِن مَشْى النساء، ومن مشْى الخيْل أيضًا. يقال: هى تمشى (الخيْزَلى) و(الخَوْزَلى) و(الخَوْزَرى) بمعنى واحد، قال الفرزدق:

قطوف الخُطَى تمْشى الضُّحَى مرْجَحَنَّةً   وتمْشى العشىّ (الخيْزَلَى) رخْوَة الْيَدِ

والهيْذبا: مشيةٌ فيها سرْعة، من قوْلهم: أهْذَب البعيرُ فى عدْوه. أى أسرْع، ويقال: «الهيْدَبَا» بالدّال غير معجمةٍ أيضًا، والذال أثبت، قال امرؤ القيْس:

إذَا زُعْتُه مِنْ جانبيه كِليْهما   مَشَى (الهَيْذَبَى) فى دفة ثم فَرفِرَا

يقول: كل امْرأة تفكّكُ فى مشْيِها فدا كلّ ناقة تسْرع فى سيرها. وهذَا من قوْل أبى تمامّ:

يُرَى بالكعَابِ الرود طلعة ثَائِرٍ   وبالْعَومسِ الْوجْنَاءِ غرّة آيِبِ

و «الفِدَا»: يمدّ ويقصر، أوله مكسور. قال النابغة:

مهلاً فِداءً لكَ الأقْوام كلّهم   ومَا أثْمَر من مَالٍ ومنْ وَلَد

(١) رقم ٢٨٤:

مغانى الشعب طيبا فى المغانى   بمنزلة الربيع من الزمان

(٢) راجع شرح البيت ٤٥ من القصيدة ٢٨٤ من شرح المعرى.

(٣) انظر الفسر ١٢١/١ وما بعدها.

وقال الراجز:

مَهْلاً فِداءً لَكِ يافَضالَه
أجرَّه الرُّمْحِ ولا تَهالَه

ومن أبيات الكتاب، وهو قول مقاس العائذى:

فِدىً لِبَنِى ذُهْل بن شيبانَ ناقَتِي إِذَا كانَ يومٌ ذُو كَواكِبَ أشْهَب

فأمّا إذا فتح أوله فهو مقصور لا غير. تقول: قم فَدى لك أبى. ويقولون: أنا الفِدَاء، والحِماء لك ممدودًا، لأنه مصدر حاميت محاماة وحماءً.

٢ - وكلُّ نَجاةٍ بَجاوِيةٍ خَنوفٌ ومَابِىَ حسْن المِشَى

«نَجَاة»: سريعة، لأنّها تنجو، قال جرير:

نجاةٌ يضلُّ المْرءُ تحت أظلها بلاحقةِ الأظْلال حامٍ هَجِيرُها

«وبجاويّة»: منْسوبة إلى البُجَاة، وهى قبيلة من البربَر، قال لى: يطارِدُون علَيها فى الحُروب، وَوَصفَ تعطّفها وتثنيها. قال: يرمى الرّجلُ منْهم بالحربة فإنْ وقعتْ فى الرّمية طار الجملُ إليها حتى تناوَلها صاحبُهَا، وإن وقعتْ فى الأرض أسرع الجملُ إلَيْها حتّى يضْرب بجِرانه الأرض ليأخذَها صاحبُها. هَذا لفظُ المتنبى أوْ قريبٌ منه (ح) صدق كذا هو.

و«خَنوفٌ»: يقال: خَنفَ البعيرُ بَيدِه فى سيره خنافًا: إِذَا أمالها إلى وحْشيّه وقال:

أجدَّتْ برجْليْها النَّجاءَ وراجَعَتْ يَدَاها خِنافًا ليِّنًا غير أجْرَدَا

يقول: إنما أحب كل ناقة هذه صفة مشيها، ولا أحبّ المرأة الحسنة المشْى.

و«المشى» جمع مشية مثل: سيرة وسير. يصف نفسه بالجفاء والبدوية. ا. هـ.

منهج أبى العلاء فى شرحه

كان شيخنا (أبو العلاء) هو ثانى الشرّاح الذين استقصوا شعرَ المتنبى وتناولوا شرحه كله. كما ذكر المؤرخون، فلم يقتصر على بعضه أو على جزئياتٍ منه، أو مشكلاته كما فعل سابقوه من الشراح الذى ورد ذكرهم فى شرحه (معجز أحمد) من مثل: أبو بكر الخوارزمى الذى صنف شرحًا مفقودًا اليوم، وأبو القاسم الأصفهانى الذى ألف (الواضح فى مشكلات شعر المتنبى) وكثرت المؤلفات التى تردّ على ابن جنى قبل شرح المعرى له، مثل (التنبيه على خطأ ابن جنى) للرَّبَعى، و(الردّ على ابن جنى) لأبى حيان التوحيدى، والعروضى الذى درس ديوانَ الشّاعر تحت إرشاد الشّعرانى خادم المتنبى. وكتابىْ ابن فورجه (التجنّى على ابن جنى) و(الفتح على أبى الفتْح).

ثم شرحه شيخنا أولا شرحا عُرف بـ(اللامع العزيزى) ثم الكتاب نقدمه وهو (معْجز أحْمد) وفيه ألْزم نفسه أن يلمّ بكلّ شعر المتنبى ويشرحه، ليسهّل على الناس مأخذ ديوان عظيم الأهمية لأسلوبه الفنى، فنَراه فى كثير من الأحيان يزيد فى شرحه عمّا يقتضيه نص بيت المتنبىّ، فإذا قرأت شَرْحه لقول المتنبى مثلا:

نَـزلُوا فى مصَـارِعٍ عرفُـوهـا   ينْـدبُون الأعْمـامَ والأخْوَالا[1]

نراه يقول بعد أن شرح البيت وأوفى: «ثمّ انْهزموا، خوفًا من أن يحلَّ بِهم ما حَلَ بمَنْ تقدّمهم من أقْربائِهم».

وقد يعيبُ الشارح على المتنبىّ ويأخذ عليه بعضَ شعْره. فمثلا عندما رغبَ سيفُ الدولة فى أنْ يجيز المتنبى.

خَرجْتُ غداةَ النَّحْر اعترِضُ الدُّمَى   فَلمْ أرَ أحْلَى مِنْك فى العينْ والقلبِ[2]

(١) القصيدة رقم ٢٣٢ التى مطلعها:

ذى المعـالى فليعلون من تعـالى   هـكـذا هـكـذا وإلا فـلا لا

(٢) انظر القطعة رقم ١٨٤:

فديناك أهدى الناس سهمًا إلى قلبى   وأقتـلهـم لـلدارعـين بـلاحـب

ترى الشّارح يعرف الإجازة فيقول : «الإجازة : إضافة بيت أوْ أبيات إلى بيْتٍ آخر فيتمم به معْنَاه، أوْ إضافة مِصْراع إلى مصْراع يوافقه ويتم معناه، كقوْل بعضهم وقد شَرب مَاءً :

(عَذْب الماءُ وطَابَا) فقال أبو العتاهية : (حَبْذا الْمَاء شَرابًا).

فما ذكره أبو العتاهية هو الإجازة».

ثم يذكر أبيات المتنبى التى أجاز بها وهى :

١ - فدْيناك أهْدى النّاس سهمًا إلى قَلْبِى ... وأقْتلُهم للدّارعِين بلا حبّ
٢ - تفرّد بالأحكَام فى أهْلِ الهَوَى ... فأنْتَ جميل الخلْف مسْتحْسن الكَذب
٣ - وَإِنى لمْنوعِ المقَاتِل فى الْوغَى ... وإنْ كُنتُ مبْذول المقَاتِل فى الحُبّ
٤ - ومَنْ خلقتْ عيْنَاك بين جفُونِه ... أصابَ الحُدورَ السّهْل فى المُرتقى الصّعْبِ

ويقول معلقًا بعد شرحه لهذه الأبيات : «وهذه الأبْيات ليست بجيّدة فى الإجازة، لأنها لا تتضمّن معنى البيت الذى أجازه، غير أنها على وزْنه، وهذا القدْر لا يكفى فى الإجازة، بل لابدّ أن يكون له تعلّق بالمعنى الذى فى البيت الأول».

ثم يبين لنا معنى السّرقة الشعرية، فعندما تناول قولَ المتنبى :

فَلا تبلِغاه مَا أقُولُ فإنّه ... شجَاعٌ مَتى يذكَر له الطّعْن يشْتَق[1]

يقول : «وهَذا بيت كثيِّر نَقَله من النّسيب إلى الشجاعة وهو:

... ... فلا تذكِراه الحاجبيّة يشتق

وهذه السّرقة قبيحة، لأنه أخذ المعنى واللفظ والوزن والقافية»

ولما ذكر قول المتنبى[2] :

طلعنَ عليْهم طلعةً يعرفُونَها ... لَها غررٌ معْلُومةٌ وحجُولُ

يقول المعرى : وذلك كما قال الآخر :

---

(١) القطعة رقم ٢٠٤ مطلعها :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى ... وللحب ما لم يبق منى وما بقى

(٢) القصيدة رقم ٢١٢.

كـذبتُم وبيْتُ الله لا تقْتـلُونَــه ولمَّـا يكُنْ يـومٌ أغـرّ محجَّـلُ

وقوله «لَهَا غُرَرٌ» مأخوذ من قول السموءل:

وأيّـامُنَا مشْهـورةٌ فى عـدوِّنَـا لَهَـا غـررٌ معلومَـةٌ وحجُـولُ

فهو وإن وافقه فى المعْنَى والوزن والقافية وبعض الألفاظ، إلا أنّ هذا لّما كانَ من العامّ المنتشر لا يُقَال فيه: إنّه مَسْرُوق. ا. هـ.

وقد يفضّل قولَ شاعر آخر على قول المتنبى، برغم ما عُرِف وشاع من أن المعرّى يتعصّب للمتنبى، فيقول عند شرحه لقول المتنبى:

نَصْـرعُهم بـأعْيُننـا حيَـاءً وتَنْبُو عنْ وجُوهِهِم السِّهَامُ[1]

المعنى: إذا سألناهم استحيوا من نظرنا إليهم، فكأننا صرعناهم، فنأخذ منهم ما نسأله، وهم فى الحروب لا يؤثر سلاح فى وجوههم. ويصفُهم بالحياء عند المسْألة، والوقَاحة عنْد الحرب و«حياءً»: نصب على التمييز.

ثم يعلق قائلا: وقول ليلى الأخيليّة أبْلغ من هَذا وهُوَ:

فتىً كان أحْيَا من فَتاة حَيِيَّةٍ وأشْجَع من لَيْثٍ بخفَّان خَادِرِ

ومثل ذلك عندما شرح قول المتنبى:

صَدَقَ المخبِّر عنـك دونك وصفـه مَنْ بـالْعراق يَـرَاكَ فِى طرْسـوسَـا

يعلّق قائلا: وقول الحكمى أبلغ وأحسن من هذا، وهو:

مَلك تصـوّر فى الْقلُوبِ مثَـالــه فكَـأنّــه لَمْ يخـل مِنْــه مَكَــانُ

لأنه عمّ جميعَ الأمَاكن، والمتنبى اقتصر على العراق وطرسوس. ا. هـ.

وقد ينقد تركيبه النحوى للبيت من الشِّعر، فلما قال:

لَمْ نَـرَ مَـنْ نَـاديْـت إلّاكَـا لا لـسِـوى ودٌّ لى ذَاكَـا[2]

---

(١) القصيدة رقم ٦٠ ومطلعها:

فـؤاد مـا تـسـليـه المـدام وعمـر مثل مـا يهب اللئام

(٢) مطلع القصيدة رقم ٧٨.

قال المعرى : قوله : «إلاكَ» قبيح لا يجوز إلا فى ضرورة الشِّعر؛ لأنّه وصَلَ الضّمير فى موضع الفصْل.

وقد يأتى الشارح بروايات متعددة للّفْظة الواحدة، ربما لم يأتِ بها من لحقوا به من مثل الواحدى والعكْبرى، فعندما شرح قوله :

ضربْن إلْينا بالسّياطِ جَهالَةً • فلمّا تعارفَنا ضربن بهَا عنّا[1]

يقول : وروى «فَلَمّا تلاقَيْنا» و «تَقَارَعْنَا» ولم نجد هذه الروايات عند الشراح الذين ذكرناهم. ومثله عندما شرح قوله :

تخالُه مِنْ ذَكاء القلب محتمِيًا وَمنْ تكرمه والبِشْر نشْوانا[2]

فقد انفرد بذكر هذه الروايات فقال : وقيل «ملْتَهِبًا» بدل : «محْتَميًا» وقيل «ملْتَهبًا من الحُمى» وفسر البيت على الرواية الأخيرة بعد تفسيره على «محْتَميا» وفى قوله :

إذ الْجود أعْط الناسَ ما أنْتَ مالكُ فَلا تعطِينّ النّاسَ مَا أنَا قائِلُ

يذكر أربع روايات أو خمس يحتملها المعنى ثم يقول : وقيل أراد لا تمكن الناس من شعرى، فيسرقوا معانيه ويفسدوه.

ثم يعلّق على هذا الرّأى الأخير قائلا : وهذَا لا مَعْنَى لَه إذ لا معنى لسؤاله إيّاه ستْر شعره ومنْعهم من سَرِقة معَانيه، لأن ذلِك يكونُ سؤالاً لكْتمَان فضْلِه، وطَلَبًا لإخْفاء ذِكْره.

ولعلك لاحظتَ من خلال ما قدّمناه لك : أنّ الصفة البارزة التى يمكن أن يتّصف بها هذا الشرح كثرة رواياته، فأبو العلاء أكثر الشراح ذكرًا لروايات أخرى، وأكثرهم كذلك احْتيالاً على وجْهٍ آخر فى تخريج المعنى، حتّى لكأنما كان قصده من هذا الشّرح تجويز ما لم يسَتطع غيرُه تجويزه فيذكر فى قول المتنبى :

---

(١) رقم ١٨٩ مطلعها :

نـزور ديـارًا مـا نـحب لهـا مغنى ونسـأل فيها غـير سكـانها الإذنـا

(٢) القصيدة التى مطلعها :

قـد علم البين من البـين أجفانـا تـدمى وألف فى ذى القلب أحزانـا

ومَا نَجا مِنْ شَفار الْبيض منْفلتٌ نَجَا ومنْهنّ فى أحْشائِه فَزَعُ

يقول: «مُنْفَلِتٌ» ليس بالفصيح. والجيّد «المُفْلَت» والأول أيضًا لغة.

وكثيرًا ما يرى القارئ لشرحه هذا أنه يأتى بمثل هذه الروايات أيضًا فى النحو والصرف والعروض، فإذا نظرت إلى شرحه لقول الشاعر:

فَمَتَى يكذِّب مدَّعٍ لكَ فوقَ ذَا والله يشْهَدُ أنّ حقًّا مَا ادَّعَى[1]

تراه يقول: «روى (يُكَذِّبُ) بالرفع على الاستفهام. (والله) بالواو وهو الأولى، لأن ما بعده من البيت يدل عليه، وروى بالجزم على الجزاء (فالله) بالفاء على الجواب ومعناه على الاستفهام.

يقول: «متى يمكن أن يكون من ادّعى لك فوقَ الذى قلت مكذبا، لأن الله يشهد أن ما ادَّعاه لك حقّ. وعلى الجزْم معناه: متَى ادّعى لك مدَّعٍ فوق هذا وكذب هذا المدعى، فالله يشهد أن ما يدَّعيه حق وأنه صادق».

نظر فى هذا الشرح.هى:اللّغة.نعم فقد صبغت أقوال أبى العلاء فى شرحه هذا بصبْغة لغوية، فهو يشرح المفردات اللغوية للبيت أولا، ثم يتناول النواحى النّحوية التى يتطلبها إيضاح المعنى، ثم يثلث بالمعنى العام للبيت، وفى بعض الأحيان كان ينسيه التفسير اللغوى والنّحوى تفسير المعنى العام للبيت، وذلك لِمَا هو مأخوذٌ به من اللغة، وقد يأتى فى شرحه بمعانٍ لم تأْتِ بها كُتبُ اللغة، وانفرد بتفسيرها أبو العلاء ولم نقف عليها فيما بين أيدينا من معجمات مشهورة، فمثلا عندما تناول شرح:

وأُسْقطتِ الأجنَّةُ فى الحَوَايَا وَ(أُجْهِضَت) الحَوائِلُ والسِّقابُ[2]

قال: «أجهِضَت: أرْهقت وأُتْعِبت حتى قامَت، يقال: أجهضه السَّيْرُ: إذا أتعبه» وهذا المعنى لم يرد فى المعجمات ولا فى شروح الواحدى وابن جنى والتبيان، ومثله عندما شرح قوله:

---

(١) رقم ٦٤ ومطلعها:

أركائب الأحباب إن الأدمعا تطس الخدود كما تطسن اليرمعا

(٢) رقم ٢٢٥ ومطلعها:

بغيرك راعيًا عبث الذئاب وغيرك صارمًا ثلم الضراب

عَلَى قدر أهْل العزمِ تأتِى العزَائِمُ   وتأتِى على قدرِ الكرامِ المَكـارِمِ[1]

إذ يقول : «العزائم : جمع عزيمة، وهى إمضاء الأمور، وكذلك عزمت على كذا أى أمضيته».

والذى عليه كتب اللغة التى بين أيدينا أن العزم على الأمر : إرادة فعله لا إمضاؤه كما ذكر الشارح.

وقوله فى معنى :

يــا حبّــذا المتحَمِّلُون وحبـذَا   وادٍ لثمْتُ بِهِ الغَزالَة كاعِبا[2]

(حبذا) : كلمة تدل على حصول المحبة فى قلب المتكلم، وهو اسم موضوع لذلك، وهو فى موضع الرفع بالابتداء، و(المتحملون) خبره، والمنادى هو (حبذا) أدخل فيه النداء تأكيدًا، وكأنه يقول : يا حبّذا المتحملون».

وقد انفرد الشارح بذكر هذا التفصيل دون سائر الشراح ثم قال : «وقيل : المنادَى محْذوف أى ياقوْم حبّذا المتحملون» وعندما تناول قوله :

شَـرابُـهُ النّشْـح لا لِلرِّى يـطلبُــه   وطعمُـه لِقَوامِ الجِسْم لاَ السّمَن[3]

فسر (النشح) فقال : بالحاء والجيم : القليل من الشراب دون الرىّ. وهو كذلك بالحاء المهملة، وإن لم نعثر على هذا المعنى بالجيم (نشج).

ومن الظواهر الواضحة أيضًا، والتى تتجلّى فى شرحه هذا، سعة علمه بالعروض والقوافى. ولا ينكر باحث ما للمعرى فى هذا المضمار، فمقدمة اللزوميات تشهد له برسوخ القدم وعلو الكعب فى هذا، فضلاً عن كتابه الذى لم يصل إلينا (كتاب القوافى) وقد أشار إليه فى شرحه وإن لم يذكره فى ثبت كتبه فيقول بعد شرحه :

أنَـا بالـوُشَـاةِ إذا ذكـرْتُـك أشْبَـه   تأْتِى النّدَى ويذَاعُ عنْكَ (فتَكْرَهُ[4])

---

(١) مطلع القصيدة ٢٢٦.

(٢) رقم ٦٢ ومطلعها :

بأبى الشموس الجانحات غواربا   اللابسات من الحرير جلابيا

(٣) رقم ١٠٠ ومطلعها :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن   يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(٤) رقم ١٧٨.

وَإذَا رأيْتُـك دونَ عرْضٍ عـارضًا أيقَنْـت أنّ اللّهَ يـبْغـى (نصْـرَهُ)

يقول بعد شرحه للبيتين : «وفى قافية البيْتَيْن اضطراب، لأنّا إن جعلناها رائيّة فالهاء تكون وصلاً، وهذا لا يجوز، لأنّ الهاء أصلٌ فى البيت الأول وهو قوله : (فتكره) وفى الثانى ضمير، وهو (نصره) فالبيت الأول هائىّ والثانى رائىّ، وإن جعلناهَا هائيّة فالثانية تكون رائية، لما بيّنا أن الهاء أصْلٌ فى الأول ووصل فى الثّانى والكلام فى هذا المعنى يطول، وموضعه (كتاب القوافى)[1] وقيل : القافية رائية وقد جاء مثل هذا فى الشّعر القديم، وقد تركنا ذِكْره لئلا يطول» وفى قول الشاعر :

لَعَمَمْتُ حتّى المـدن منْـك مُـلاَء ولـفت حـتّى ذَا الثّـنَـاءِ لَفَـاءُ[2]

يقول : «وقد صرّع البيتَ فى أثناء القصيدة من غير انتقالٍ إلى قصة أخرى، وهذا جائز وإن قلّ» وعندما تناول الشراح القطعة التى قالها المتنبى فى مدح بدر بن عمار ارتجالاً وهى :

إنّمـا بـدر بن عمّـار سـحَـاب هَـطل فِـيـهِ ثَـوابٌ وعِقَـاب[3]

ذكر ابن جنى[4] أن «هذه القطعة مضطربة الوزْن وهى من الرّمَل، لأنّه جعل العروض (فاعلاتن) ولعمْرِى : إن هذا هو أصلها فى الدائرة، ولكن العروض لم تستعمل هنا إلا محذوفة السبب ووزنها (فاعلن)». وقد ردد قول قول ابن جنى هذا كل من الواحدى والعكبرى. ويقول شارحنا[5] : «وهذه الأبيات من بحْر الرّمل وأصله (فاعلاتن) ست مرات، وهو قد جاء بها على الأصْل، ولم يسمع من العرب [إلا] محذوف العروض، وهو أن يحذف من الجزء الثالث سبب وهو (تن) فيبقى (فاعِلَا) ويحول إلى مثل وزنه فيصير (فاعلن).

ثم يقول مدافعًا عن الشاعر : وعذره أنه صرع الأبيات من غير إعادة القافية، وأيضًا فإنه اعتبر الأصل، لأنه أصل دائرة الرًمل، فأتى بها على الأصل؛ ليعلم أن أصلها ذلك،

---

(١) لم يذكر أحد ممن ترجموا له هذا الكتاب إلا ابن العديم فقد قال : «وله كتاب فى القوافى فى مجلد».

(٢) رقم ٦٧ ومطلعها :

أمن ازديـارك فى الـدجى الـرقبـاء إذ حيث أنت من الـظلام ضـيـاء

(٣) رقم ٧٢.

(٤) الفسر ٢٩٦/١.

(٥) عند شرحه للبيت رقم ٩ من القطعة.

وأما البيت الأول فلا إشكال فيه لأنه مصرع مقفى.

وعندما ذكر قول الشاعر:

أَرَي مرْهفًا مذهش الصَّيْقَلْين ... وبــابَـة كــلّ غُــلامٍ عتــا
أتــأْذَن لِي، ولَـك السَّــابِقَـا ... تُ أجرِّبُه لكَ فِي ذَا الفَتَى[1]؟

يقول: «هذان البيتان يجوز أن يكون رويَّهما التاء، فتكون الألف وصلا، وأن يكون رويهما الألف، لأن الألف فيهما من نفس الكلمة».

وفي شرحه لقول المتنبي:

تَفَكُّره علْمٌ، ومنـطِقـه حكْمُ ... وباطِنُه دَيْن، وظَاهِره ظَرْف[2]

يقول: «اعلم أن العروض الطويل إذا لم يكن مصرّعًا لا يجيء إلا من (مفاعلن) مقبوضة فأمّا (مفاعيلن) على ما جاء في هذا فإنما يؤتى به في المصرع فقط. والتصريع: هو إعادة القافية. ثم يقول مدافعًا عن الشاعر: «عذره من وجهين: أحدهما أن هذا وإن كان هو الأكثر، فقد جاء في مثل هذا عن العرب. ألا ترى أن الكامل لا يكون عروضه (مفعولن) إلا في المصرع، وقد جاء عن العرب (مفعولن) في الكامل. من ذلك قول ربيع بن زياد:

ومجنَّبــاتٍ مايـذقْنَ عـذوفَـا ... يقـذفْن بالمَهَـرات والأمهَار

والثاني أن (مفاعيلن) أصل العروض الطويل، فيكون قد رجع هاهنا إلى الأصل لضرورة الشعر، لأنه إذا جاز الخروج عن أصل الكلمة للضرورة، فالرجوع إلى الأصل أولى». وفي التي تليها عندما شرح قول الشاعر:

شَادُوا مَناقِبَهم وشـدْتَ مَناقِبًـا ... وُجدتْ مناقبُهم بِهنّ مثَـالبا[3]
لبيـك غَيْظ الحَاسِـدين الرَّاتِبـا ... إنا لنخْبر مِنْ يديْك عجـائِبا

قال: «وجعل البيت مصرعًا، لأنه انتقل من المديح إلى الهجاء»، وذلك لأن علماء

---

(1) الديوان ص ٢٠٠. والقطعة رقم ١١٧.

(2) رقم ٦١ ومطلعها:

لجـنيـة أم غـادة رفـع السجـف ... لـوحشيـة لا لمـا لـوحشيـة شنف

(3) رقم ٦٢ ومطلعها:

بـأبي الشمـوس الجـانحات غـواربـا ... الـلابسـات من الحـريـر جـلابـبـا

العروض لا يجيزون التصريع إلا عند الانتقال من غَرضٍ إلى غرض آخر.

وكثيرًا ما كان يرى فى بيت المتنبى غير ما يراه ابن جنى فينوِّه إليه، مدافعًا عما يقوله هو مبيِّنا عورَ غيره، فمثلا عند تناول قول المتنبى :

قَمَر نَدى وسَحَابتَيْن بمَوضِعٍ   منْ وجْهِه ويمينِهِ وشِمَالِه[1]

فيقول : المعنى. إن يديك كالسحابتين، تهطلان بالعطاء، وفى الحرب بالدماء، ووجهك كالقمر. ومن شأن السحاب أن يستر القمر، وسحابتاه لا يستران ضياء نوره.

«وقال ابن جنى : معناه أن يمينه تسح بالعطاء، وشماله تسح الدماء، وهذا غير جيد، لأن أكثر الأعمال إنما تكون باليمين، وكذلك المحاربة، إلا إذا كان الرّجل أعْسَرَ أيْسَر، أو يكون دونَ أعْسر».

* * *

هذا أبو العَلاء كما رأيتُه فى شرحه للمتنّبى، وافر البضاعةَ من العلْم، غزير المادة فى الأدب، إمامًا حاذقًا بالنّحو والصّرف والعروض، نسيجٌ وحْده فى الذّكاء والفهْم وقوة الحافظة، أمّا اللغة وحفْظ شواهِدها، وتقْييد أوابدها فقد كان فيها أعجوبَة من العَجائِب.

* * *

(١) رقم ٨١ ومطلعها :

بدر فتى لو كان من سؤاله   يوما توفر حظه من ماله

تصدير البحث

أبو الطّيب المتنبى علمٌ من أعلام الشِّعر العربىّ والفكْر الإنسانى، طبع كثيرًا من شُعراء العربية بطابعه، فساروا على دَرْبه، واقتدوا نهْجَه.

وأبو العلاء المعرّى شارح المتنّبى، وهو قبل هذا شِيخ العربيّة وابن بَجْدتها، طبع طائفةً من الدِّراسات الأدبيّة والعربيّة بطابَعه.

وقد أثار كلاهما ما أثار من جدل ومناقَشة. ولم يقف أثرهما عند الشّرق بل امتد إلى الغرب، فكان حظّهما من الدِّراسة عظيمًا. وما أظنّ أنّ بحثى هذا سيكون جديدًا لم أسبق إليه، فما أكثر ما كتب القدماء والمحْدَثون عنهما، وما أكثر ما كتب المستشرقون عنْهما، وأولئك وهؤلاء جَدُّوا فى البحث والاستقصاء، ما أتيحت لهم وسائلِ البحث والاستقصاء، وأولئك وهؤلاء قد قالوا عنهما كلَّ ما يمكن أن يقال، ولو أنى أطعت ما أعرف من ذلك ما أخذت فى كتابة هذا البحث الذى يوشك أن يكونَ معادًا. ولكنى أجد فى نفْسى من الحب لهما والعناية بهما ما يمْلى علىَّ وجوبَ المشاركة فى الحديث عنْهما.

أبو الطيِّب المتنبِّى
(٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)

من شعراء القرن الرابع الهجرى. نشأته آدابه وعركته حوادثُه؛ لأننا من الذين يؤمنون بأن الشعر - أو قل الفن على وجه العموم - صدى للبيئة التى يعيش فيها الشاعر، ومرآة تنعكس عليها ظروف البيئة وأحداثها، مادام الشعر جانبا حيويا من هذه الحياة، يتصل بها ويؤثر فيها ويتأثر بها، ولا يعيش بمعزل عنها، ولا نكد نتصور بأنه يعيش فى برج عاجى، أو منطقة معزوله بعيدة عن قانون التأثّر والتأثير، أو أنه تعبير عن شخصيات أصحابه فحسب، دون أن يكون تعبيرا عن البيئة أيضا، فهو عندنا تعبير عن تأثّر الشخصية بالبيئة، أوتأثير البيئة فى الشخصية، وليس من اليسير أن ندرس الشعر أو الشاعر دراسة منهجية سليمة وندرس ما حوله من جوانب الحياة التى يؤثر فيها ويتأثر بها، فى ضوء هذا الهدف فإن التاريخ يحكى لنا أنه، لم يكد يبدأ هذا القرن (القرن الرابع الهجرى) حتى كانت الدولة العباسية تتنازعها عوامل الانحلال والتفكك. فكانت دار الخلافة فى بغداد بين مولد المتنبى ووفاته : أى أيام المقتدر والقاهر والراضى والمتقى والمستكفى والمطيع. تحت نفوذ بنى بويه أصحاب السيادة.

وكانت حلب والموصل وما إليها فى يد بنى حمدان، ومصر وأكثر الشام والحجاز فى يد محمد بن طغج[1]، وعلى ما قيل فإن الخليفة الراضى لقَّبهُ بـ «الإخشيد»[2] سنة ٣٢٦ هـ وكان الأمر بعد وفاة الإخشيد سنة ٣٣٤ هـ فى يد مولاه كافور وصيًّا إلى أن استقلَّ بالملك سنة ٣٥٥ هـ وفى كافور يقول أبو الطيب :

---

(١) كان طغج بن جف الفرغانى واليًا من ولاة الدولة العباسية، وقد سخط عليه الخليفة وهو والى الشام فسجنه حتى مات فى السجن. ثم تقرب ابنه محمد إلى الخلفاء فولاه الخليفة المقتدر بالله دمشق سنة ٣١٨ هـ ثم ضم إليه الخليفة الراضى بالله مصر سنة ٣٢٣ هـ ثم لقبه «الإخشيد» واستتب الأمر فى مصر له ولذريته إلى أن دخلها الفاطميون سنة ٣٥٨ هـ.

(٢) قيل إن لفظ «الإخشيد» معناه بلغة إقليم فرغانة «ملك الملوك» وأنه كان لقب ملوكهم، كما كان قيصر لقب ملوك الروم، وكسرى لقب ملوك العجم وفرعون لقب ملوك مصر (انظر النجوم الزاهرة ٢٣٧/٣).

يصرّف الملك من مصرْ إلى عَدنٍ إلى العِراقِ فأرض الشّام فالنّوب

وبعد قليل من وفاة كافور استولى الفاطميون على مصر، وقد قامت دولتهم فى إفريقيا وما يليها إلى الغرب سنة ٢٩٧ هـ واتسع ملكها حتى استولت على مصر سنة ٣٥٨هـ ومدت سلطانها على الحجاز ومعظم الشام.

ولم يبْق للخلافة من روْنق. وكثر الأدْعياء والثائرون وعمّت الفوضى السياسية، ففى النصف الأول من القرن الرَّابع - وهو عصر المتنبى - لم يكن فى أيدى العباسيين إلا العراق والجزيرة، ولم يكن الأمر فى هذه البقاع بأيدى الخلفاء، بل كان السلطان للمتغلبين من القواد. وتغلَّبَ أصحابُ الأطراف وزالت عنهم الطاعة، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكْم فى جميعها لابن رائق، وليس للخليفة حكم، وأمّا باقى الأطراف : فكانت البصرة فى يدى ابن رائق، وخوزستان فى يد البريدى، وفارس فى يد عماد الدولة بن بويه وفى يد وشمكير أخى مرداويج يتنازعان عليها، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة فى يد بنى حمدان، ومصر والشام فى يد محمد بن طغج، والمغرب وأفريقية فى يد أبى القاسم القائم بأمر الله بن المهدى العلوى، وهو الثانى منهم، ويلقب بأمير المؤمنين، والأندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الملقّب بالناصر الأموى. وخوزستان وما وراء النهر فى يد نصر بن أحمد السامانى، وطبرستان وجرجان فى يد الديلم، والبحرين واليمامة فى يد أبى طاهر القرمطى[1].

ولا شك أن هذه الحالة السياسية كان لها أثر غير قليل فى شعر المتنبى، فهو العربى النزعة، المتعصب للعرب والعروبة.

وفى هذا العصر - وهو عصر المتنبى والمعرّى أيضًا - بلغت الثقافة العربيّة الإسلامية أعلى ذراها بعد أن اتّصلت بعلوم اليونان وفلسفاتهم. ونقلت عن الهند وفارس وغيرهما. ورجعت إلى مصادرها الذاتية، فأخذت تشيع العلوم مكتوبة ومتداولة على الألْسنة بين النّاس. فظهرت علوم الدّين والفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب والشعر والكلام والفلسفة والفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك وغيرها مِمَّا فاضت به

(١) انظر الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٣٢٤.

خزائن الكتب فى عواصم البلدان المتنافسة فيما بينها على العلم والفضل والآداب.

وفى الجيل الذى بدأ العربى فيه يشعر بحاجته إلى تدْحيض تهمة العُجْمَى عن نسبه ولسانه، فظهر التشدّد فى اللّغة العربيّة لذاتها، على زعْم أنها عصمة العربى بين الأعاجم، إذا كان الإسلام دينًا مشتركا بين الجميع، فى هذا العصر وُلد الشاعر الذى ملأ الدنيا وشغل الناس.

مولده ونشأته:

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، أبو الطيب الجعفى الكوفى. الشاعر المعروف بالمتنبى.

كان والده يعرف بـ «عِيدَان السِّقاء»[1]. وكان مولده فى محلّة بالكوفة سنة ٣٠٣هـ.

ـ وقدم الشّام فى صباه، وجال فى أقطارها، وصعدَ بعد ذلك إلى الدّيار المصرية، فكان بها سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة[2]. ثم قدم حلب سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة، وافدًا على الأمير سيف الدولة أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان، مادحًا له فأكْرمه وصار خصّيصًا به ملازما له حضرًا وسفرًا، محاربةً وسلْمًا، إلى أن خرج من حلب غضبان.. إلى مصر (المرة الثانية) فى سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مئة.

وترك مصر فى أواخر سنة خمسين وثلاث مئة، قاصدًا الكوفة، فوصلها فى جمادى سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة، وأقام فيها، ثم رحل من سنته تلك إلى بغداد، وبقى فى

---

(١) ذكر فى كثير من المراجع محرفًا «عبدان السِّقاء» بالباء الموحدة فى «عبدان» وهذا خطأ نبه عليه صاحب تاج العروس فى (عود) إذ يقول: «عِيدَان السقاء بالكسر لقب والد الإمام أبى الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد المتنبى الكوفى، الشاعر المشهور، هكذا ضبطه الصاغانى، وقال: كان أبوه يعرف بـ «عِيدَان السِّقاء» بالكسر، قال الحافظ ابن حجرٍ: هكذا ضبطه ابن ماكولا أيضًا، وقال أبوالقاسم بن برمان: هو أحمد بن عَيْدَان بالفتح وأخطأ من قال بالكسر، فتأملْ وانظر تبصير المنتبه ٩٠٥/٣.

(٢) دخوله مصر سنة ٣٣٥هـ خبر جديد لم أر من ذكره ممن ترجموا له غير ابن العديم فى بغية الطلب ويؤكد هذا الخبر رثاء أبو الطيب لابن طغج فى السنة المذكورة. انظر «زيادات من شعر المتنبى» ملحق بتحقيقنا القطعة رقم (١٨) ولقد ذكر المقريزى فى ترجمته للمتنبى هذا الخبر أيضًا. وترجمة المتنبى فى بغية الطلب وعند المقريزى ملحقتين بالجزء الثانى من كتاب (المتنبى) للأستاذ محمود شاكر.

العراق نحو ثلاث سنوات، والأرجح أنه قضىَ منها سنتين فى الكوفة.

وكانت بغداد يومئذ بيد معزّ الدولة البويهى، وأبو الطيب لم يكن يرضى على هؤلاء الأعاجم الذين مزقوا الدولة العربية وتقاسموها بينهم، وكان وزير معز الدولة (المهلبى) مشايعًا لبنى بُويه. ويأمل أن يقْصده المتنبى ويمدحه أسوةً بالكبراء الذين مدحهم المتنبى. ولكن الشاعر ترفع عنه «ذهابًا بنفسه - كما قال الثّعالبى فى يتيمة الدهر - عن مدح غير الملوك» أو لنفوره من سخافة المهلبى واستهتاره بالهزل[1]، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه، وكان المتنبى مرَّ النفس صعب الشكيمة حادًا مجدًا. فنقم الوزير ذلك منه وآسد عليه شعراءَ بغداد وأدباءها حتى نالوا منه، وتباروا فى هجائه، وتماجنوا وتناظروا وتنادروا فلم يجبهم ولم يفكر فيهم. وحدّث الصابى بروايته: أن المتنبى لما نزل بغداد أعدَّ له أبو محمد (الوزير المهلبى) عشرة آلاف درهم وثيابًا كثيرة مقطوعة وصحاحا وفرسا بمركب، ليعطيه ذلك عند مديحه له. فأخر المتنبى من ذلك ما كان متوقّعًا منه فأكّد غيظه... وفرق ما كان أعدَّه على الشعراء، وزادَهم مدة إقامة أبى الطيب من الإحسان والعطاء[2].

* * *

وفى إقامة أبى الطّيب ببغداد قرئ عليه ديوانُه وسمعه جماعة، منهم: على بن حمزة البصرى، وابن جنى، والقاضى أبوالحسن المحاملى[3].

ولما لم يطق مقامه فى بغداد فارقها ليلاً متوجّها إلى أبى الفضل بن العميد[4] مراغمًا للوزير المهلبى، فوردَ أرّجان ومدح ابن العميد بقصيدته المشهورة: «بادٍ هواكَ صبرت أم لَم تصبرا» وفيها يقول:

---

(١) انظر الواضح فى مشكلات شعر المتنبى لأبى القاسم الأصفهانى ص١٥ وقد كان موجودًا سنة ٣٣٦هـ.

(٢) راجع بغية الطلب ص٢٨٨.

(٣) راجع الخطيب البغدادى وياقوت ٢٠٢/٥.

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد الكاتب وزير ركن الدولة: الحسن بن بويه الديلمى. كان عالمًا أديبًا فصيحًا ذا بيان، وكان من أئمة الترسل وقد سمى بالجاحظ الثانى، وكان من دهاة السياسة وتدبير الممالك.

مَنْ مُبلغ الأعراب أنِّى بعْدها جالسْتُ رسْطاليس والإسكندَرا
وسمعْتُ بطلَيْمُوسَ دارسَ كتبه متملِّكًا متبدِّيًا متحضِّرًا
ولقيتُ كلَّ الفَاضلينَ كأنَّما ردّ الإلَه نفوسَهم والأعْصُرَا

وكان الصّاحب بن عباد فى أصبهان، يطمع فى زيارة المتنبى وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان، وهو إذْ ذاك شاب والحال حويْلة، ولم يكن قد استوزر بعد، فكتب يلاطفه، ولكن المتنبى لم يقم له وزن ولم يجبْه عن مراده. فكان ذلك سبب عداوة الصاحب له، والطعن فيه.

وورد على أبى الطيب - وهو عند ابن العميد - كتاب من عضد الدولة بشيراز يسْتَزِيره ويطلب منه المسير إليه، وعلى ما قيل: لم يكن للمتنبى رغبَة، ولم يخفّ إلى استدعائه، فكلّمه ابن العميد فى ذلك. فسار شاعرنا إلى شيراز قاصدًا عضد الدولة، فتلقّاه بالترحيب وأجزلَ له العطاء ثم رجع من شيراز بعد ثلاثة شهور بثروة كبيرة، يَرى بعضُ المؤرّخين له أنّها كانت السبب فى قتله عند عودته إلى الكوفة سنة ٣٥٤هـ.

هذا مجمل سيرة المتنبّى الذى يكاد يتفق عليها المؤرخون.

رُواتُهُ:

ذكر ابن العديم (٥٥٨ - ٦٦٠هـ) أن الذين روَوْا عن أبى الطيب هم:
القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المَحَامِلى، وأبو الفتح عثمان بن جنّى النحوى، وأبو الحسن محمد علىّ بن الصقر الكاتب، وأبو الحسن على بن أيّوب بن الحسين بن الساربان الكاتب، والأستاذ أبو على أحمد بن محمد بن مسْكَويه، وأبو عبد الله بن باكويه الشّيرازى، وأبو الحسن على بن عيسى الرَّبَعى، وأبو القاسم بن حسن الحمصى وعبد الصمد بن زهير بن هارون أبى جراده. ومحمد بن عبدالله بن سعْد النحوى[1] الحلبيّان، وعبْد الله بن عبيْد الصّفدى، الشاعر الحلبى، وعبيْد الله بن

(١) وعنه أخذ أبو العلاء رواية ديوان المتنبى وسيأتى ذكره مع أبى العلاء.

محمد بن أحمد بن محمد بن أبى الجوع، الوراق المصرى، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله المغربى، وأبو بكر الطائى، وأبو القاسم التَّنُّلُبُخْتِيّ. وأبو محمد الحسن بن عمر بن إبراهيم وأبو العباس بن الحوت، وجماعة سواهم[1].

شُرَّاحُ ديوانه :

أخذ العلماء يصنفون شروحًا لديوان أبى الطيب، وشرحوه شروحا كثيرة، وهما ضربان : منهم من تكلم على ديوانه أجمع، ومنهم من تكلم على بعْضه، أو ما أشكل فيه.

ـ> فمن تكلم على شعره أجمع

١ - ابن جنى[1] وهو أول شارحيه وقد سمى شرحه «الفسر»[3] وقال فيه : «بمشيئة الله وعونه أورد ما أفسّره من شعره (المتنبى) منظومًا على الحروف المعجمة. . . وأذكر ما كان شجَر بيْنى وبينه من المباحث وقتَ قراءة ديوانه عليه إلى سوى ذلك»[4] وفيه يدافع عن الشاعر ويثنى عليه ويرد على ما عابه الناس من شعر المتنبى ويقول : «وما لهذا الفاضل عيب هؤلاء السّفلة الجهال وذوى النذالة السفال، إلا أنه متأخّر محْدَث».

٢ - ومن الكتب التى شرحت ديوان المتنبى كتاب «اللامع العزيزى»[5] لأبى العلاء المعرى. وحقق بمعرفة الدكتور هادى حسن حمودى عراقِيٌّ يقيم فى (لندن) كما جاء فى

---

(١) وقد ذكر ابن عساكر هؤلاء الرواة أيضًا.

(٢) صحب ابن جنى المتنبى، يقرأ عليه شعره ويسأله عن شرح الأبيات ويكتب عنه، وبذلك استطاع أن يؤلف شرحين لديوانه : أحدهما سماه : «الفسر» وهو الذى شرح فيه شعر الشاعر وقد طبع منه الجزء الأول والثانى فى بغداد والكتاب الثانى سماه «كتاب معانى أبيات المتنبى»، وهو عبارة عن ديوان المتنبى برواية ابن جنى، علّق ابن جنى على بعض أبياته، وهو مخطوط فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣ أدب.

وإن يكن فى شرح ابن جنى عيب فهو فى الغالب تلمسه للمعانى البعيدة بدلاً من المعانى المباشرة، وأما اتهامه بالخطأ أو السخف وتبلد الحمار واللجاج فى العثار فَتَجنٍّ على ابن جِنّى كما قالوا، والمتصفح لكتاب ابن جنى يرى صحة ما قلنا، ويرى أن لاحقيه من الشراح كانوا عالة عليه. فما منهم إلا قاطف من رياضه.

(٣) طبع الجزء الأول منه فى بغداد سنة ١٩٧٠م وطبع الجزء الثانى منه سنة١٩٨٨ بتحقيق الدكتور صفاء خلوصى.

(٤) الفسر ٣٢/١.

(٥) العزيزى : نسبة إلى الأمير عزيز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس. ولعله يريد بـ«اللامع» أى المشهور.

نشرة أخبار التراث العربى م٤ العدد٣٨ أغسطس سنة١٩٨٨، وقد سمعت أن هذا الكتاب قد نشر فى المغرب العربى سنة١٩٩١ كما سبق القول.

٣ - وكتاب «مُعْجز أحمد»(١) له أيضًا.

٤ - وكتاب أبى الحسن على بن أحمد الواحدى(٢). وهذا الكتاب يتفق فى الترتيب مع (معجز أحمد) وكذلك «ديوان المتنبى» الذى قام بتحقيقه الدكتور عبد الوهاب عزام وهو ما خصصناه فى تحقيقنا باسم «ديوان المتنبى».

ولكن الواحدى لم يعتنِ كثيرًا بالظّروف التى دعت إلى قرض القصائد. ونراه فى النقط الغامضة المعنى ينقل ما قاله ابنُ جنى وغيره ممن سبقوه، كالعروضى والخوارزمى، فيصحح بعضها ببعض وينقدها نقدا شخصيا ويرى أن الأولى بشعر طفولة المتنبى أن يحذف(٣).

وشرح الواحدى أكثر الشروح القديمة انتشارًا، ولذلك استعان به الشرّاح الذين أتوا بعده، بالأخذ منه، والاعتماد عليه(٤). ويذكر الشارح فى مقدمته أن «الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميعَ الأشْعار صفحة الإعراض، مقتصرين منها على شعر أبى الطيب المتنبى، نائِين عما يُروى لسواه، وإن فاته وجاوز فى الإحسان مداه. وليس ذلك إلا لبخْتٍ اتّفق له، فعلا فبلغَ المدى... على أنه (أى المتنبى) كان صاحب معانٍ مخْترعة بديعة، ولطائف أبكارٍ منها، لم يسبق إليها، دقيقة... ولهذا خفيت معانيه على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء، والأئمة العلماء، حتى الفحول منهم والنُّجَباء: كالقاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى، صاحب كتاب «الوساطة» وأبى الفتح عثمان بن جنى، وأبى العلاء المعرى. وأبى على بن فورجة البرجردى، رحمهم الله تعالى

(١) وهو موضع بحثنا. ويذكر بلا شير أن معجز أحمد مفقود وأن فى القاهرة نسختين من اللامع العزيزى مصورتان عن مخطوطة محفوظة فى المتحف البريطانى. وهذا وهمٌ جانب الصواب، فهما حقًّا للمعرى ولكنهما ليستا للامع العزيزى، بل كل منهما تمثل الجزء الأول من معجز أحمد، مصورتين عن المتحف البريطانى، وهما نسختَىْ أ، ب من تحقيقنا. راجع بلاشير ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين.

(٢) تم شرح هذا الكتاب سنة ٤٦٢هـ وقد طبع عدة طبعات.

(٣) انظر الواحدى ص١٧.

(٤) من الذين اعتمدوا فى شروحهم عليه اعتمادًا كليًا: صاحب التبيان وخليل اليازجى فى العرف الطيب.

وهؤلاء كانوا من فحول العلماء، وتكلموا فى معانى شعره مما اخترعه، وانفرد بالإغراب فيه وأبدعه، وأصابوا فى كثير من ذلك وخفى عليهم بعضه، فلم يبن لهم غرضه المقصود، لبعد مرماه وامتداد مداه.

أما القاضى أبو الحسن: فإنه ادّعى التوسّط بين صاغية المتنبى ومحبيه، وبين المخاصمين له ممن يعاديه. فذكر أن قومًا مالوا إليه حتى فضّلوه فى الشعر على جميع أهل زمانه، وقَضوا له بالتبرز على أقرانه.. وقومًا لم يعدّوه من الشعراء وأزْروا بشعْره غاية الإزراء... حتى قالوا: إنه لا ينطلق إلا بالكلمة العوراء... ومعانيه كلّها مسروقة أو عُور، وألفاظه ظلمات وديجور، فتوسط بين الخصمين، وذكَر الحقّ بينْ القولَين.

وأمّا ابن جنى: فإنه من الكبار فى صنعة الإعراب والتّصريف، والمحْسنين فى كلّ واحد منها بالتصنيف، غير أنه إذا تكلّم فى المعانى تبلَّدَ حماره ولجّ به عثاره، ولقد اسْتَهدف فى كتابه «الفسر» غرضًا للمطاعن، ونهزة للغامز والطاعن، إذْ حشاه بالشّواهد الكثيرة التى لا حاجة له إليها فى ذلك الكتاب، والمسائل الدّقيقة المستغْنَى عنها فى صنعة الإعراب، ومن حقّ المصنف أن يكون كلامه مقصورًا على المقصود بكتابه، وما يتعلق به من أسبابه، غير عادل إلى مالا يحتاج إليه، ولا يعرّج عليه. حتى إذا انْتهى به الكلام إلى بيان المعانى. عاد طويل كلامه قصيرًا، وأتى بالمحال هراءً وتقصيرًا.

وأما ابن فورّجة: فإنه كتب مجلّدين لطيفين على شرح معانى هذا الديوان، سمّى أحَدهما «التَّجَنى على ابن جنى»[1] والآخر «الفتْح على أبى الفتح»[2] أفاد بالكثير منهما، غائصًا على الدّرر. وفائزًا بالغُرر، ثم لم يخل من ضعف البنية البشريّة، والسّهو الذى قلّما يخلو عنه أحدٌ من البريّة ولقد تصفّحتُ كتابَه وأعْلمتُ على مواضع الزّلَل[3].

ثم يقول: «ومع شغَف النّاس، وإجماع أكْثر أهل البلدان على تعلّم هذا الديوان، لم

---

(١) مخطوطات الأسكوريال رقم ٣٠٧.

(٢) نشر محققًا فى مجلة المورد. المجلد الثانى ١٠٧ - ١٨٤.

(٣) يلاحظ القارئ أن الواحدى لم يتناول كتابىْ أبى العلاء «اللامع العزيزى» و«معجز أحمد» بأية إشارة أو وجهة نظر.. كما فعل مع غيره من الشرّاح!!.

يقَع له شرْحٌ شافٍ يقطع الغلق ويسيغُ الشَّرق، ولا بيانٌ عن معانيه، كاشِف الأستار، حتى يوضِّحها للأسماع والأبصار، فتصدّيت (أى الواحدى) بما رزقنى الله تعالى من العلْم، ويسّره لى من الفهم، لإفادة من قَصَد تعلّم هذا الديوان، وأراد الوقوفَ على مودعه من المعانى، بتصنيف كتاب يسلم من التطويل، وذكر ما يسْتغنى عنه من الكثير بالقليل[1].

٥ - ومن شراحه كتاب «الموضِّح» لأبى زكريّا التبريزى[2].

٦ - وكتاب عبد القاهر الجرجانى.

٧ - وكتاب أبى منصور محمد بن عبد الجبّار السّمعانى.

٨ - وكتاب أبى القاسم إبراهيم بن محمّد الإفليلى[3].

٩ - وكتاب أبى الحجّاج يوسف بن الأعلم الشّنْتمرى.

١٠ - وكتاب عبد الرّحمن بن محمد الأنبارى[4].

١١ - وكتاب فى سرقات المتنبى، للحسن بن وكيع[5].

---

(١) من هذا الكتاب أكثر من نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية، واختصره أكثر من واحد، وأحد مختصراته تحت رقم ٤٦١٩ أدب طلعت. كتب على غلافه بخط محْدث (اللامع العزيزى) وهْمًا.

(٢) أبو زكريا التبريزى: تلميذ أبى العلاء المعري، وقد وهم بلا شير فذكر أن لهذا الكتاب نسخة فى القاهرة تحمل اسم «المشكل من ديوان أبى تمام وأبى الطيب» وقد رجعتُ إليها، وهى مخطوطة برقم ٥٧١ أدب و ١٠٦٤٠ ز، فوجدتها كتاب النظام فى شرح ديوان المتنبى وأبى تمام لابن المستوفى، المتوفى سنة ٦٣٧ هـ، ويمتاز كتاب النظام هذا بأنه جامعٌ لأقوال كثيرين من شرّاح المتنبى وأبى تمام فيقول: «عنى الأئمة من العلماء بشرح شعر (المتنبى) فأتيت من ذلك بما وقع لى من كتبهم مختصرًا بعضه وحاكيًا أكثره، فمنها كتاب أبى الفتح عثمان بن جنى الكبير وكتابه فى أبياته الصغير، ومارده عليه فيه الشريف المرتضى أبو القاسم على بن الحسين الموسوى. والكتاب فى أربعة أجزاء ملئتا به إعجابًا لدقته وأمانته العلمية فى نسبة كل قول إلى صاحبه وقد طبع الجزء الأول والثانى منه محققا فى العراق.

وفى معهد المخطوطات بالجامعة العربية ميكروفيلم مصوّرن مكتبة الدكتور حسين محفوظ رقم ٧٧ ببغداد، وما زال تحت الفهرسة بالمعهد، يقع فى ٢٨٠ ورقة ونسخ فى القرن الثانى عشر، يقول ناسخه: «والظاهر من الشرح أنه للتبريزى» ويقول الدكتور محسن غياض فى مجلة «المورد ١٩٧٥»: «ومنه نسخة فى مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ببغداد بشرح التبريزى، له نسخة مخطوطة فى باريس.

(٣) اديب، نحوى، أندلسى، عاش فى قرطبة، ومات بها، سنة ٤٤١ هـ ويوجد من كتابه هذا: القسم الأول فى دار الكتب المصرية ١١٢٨ وبرلين ٧٥٦٩ والقسم الثانى فى الرباط ٣٢٤.

(٤) صاحب كتاب: «نزهة الألباء» واسم كتابه: «مغانى المعانى» وينقل منه فى كتاب النزهة، وهو من الكتب المفقودة.

(٥) شاعر مصرى ولد سنة ٣٩٣ هـ وهو عالم جامع، له كتاب: «المنْصف فى سرقات المتنبى».

١٢ - وكتاب أبي البقاء عبد الله العكبرى[١].
١٣ - كتاب أبي اليمْن يزيد بن الحسن الكنْدى.
١٤ - وكتاب عبد الواحد بن محمد بن على بن زكريا.
١٥ - وكتاب محمد بن علىّ بن إبراهيم الهراسى الكافى.
١٦ - وكتاب أبي الحسن محمد بن عبد الله الدانى، عشر مجلدات.
١٧ - وكتاب كمال الدّين القاسم بن القاسم الواسطى.
فهذه سبعة عشر شرحًا مستوفية لجميع الديوان.

* * *

وأما من تكلّم على بعض أبياته، أوْ مُشكلها، أو صنّف فيها أخذ عليه:
١ - كتاب «الوساطة»[٢] للقاضى الجرجانى.
٢ - وكتاب أبي بكر محمد بن العبّاس الخوارزمى.
٣ - وكتاب عبد الرّحمن بن دوست النيسابورى.
٤ - وكتاب أبي الفضْل أحمد بن محمد العَرُوضى. وقد نشر الدكتور محسن غياض خمسين نصا من كتاب مفقود لأبي الفضل العروضى فى مجلة المورد ١٩٧٥.
٥ - وكتاب «التجنّى على ابن جنى» لابن فورجة. (وقد نشر فى المورد ١٩٧٧).
٦ - وكتاب «الفَتْح على أبي الفَتْح» لابن فورجَة أيضا.
٧ - وكتاب معانى أبياته لابن جنى[٣].
٨ - وكتاب «التنبيه» لأبي الحسن على بن عيسى الرَّبَعى[٤] وقد ردّ فيه على ابن جنى.

---

(١) أحد النحاة البغداديين، وهو فيما يقال صاحب كتاب «التبيان فى شرح الديوان» طبع أكثر من مرة فى مصر فى ٤ أجزاء. وقد ثبت بالتحقيق أنه لعفيف الدين على بن عدلان المتوفى سنة ٦٦٦ هـ. وهو أحد تلاميذ أبي البقاء العكبرى. المنسوب إليه الكتاب المذكور انظر (النظام لابن المستوفى الأربلى ١/١٢٥ - ١٣٥).
(٢) طبع فى مصر عدة مرات بتحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى.
(٣) وهو غير الكتاب الأول المسمى بـ (الفسر).
(٤) أحد رواة المتنبى.

٩ - وكتاب أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهانى[١].

وطريقته فيه : أنْ يذكُر البيتَ من شعر المتنبى. ويعقبه بكلام ابن جنى فى «فسره» ويتعقّبه بنقده، وربّما توسع فى بعض الأبيات، بجلبٍ لظاهر معناه أو ألفاظه من كلام الشعراء.

١٠ - وكتاب الحسين بن محمد بن طاهر الشاعر[٢].

١١ - وكتاب أبى عبدالله محمد بن جعفر بن القزاز.

١٢ - وكتاب على بن جعفر بن القطاع[٣].

١٣ - وكتاب الصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عبّاد[٤].

١٤ - وكتاب أبى الحسن عبد الرحمٰن الصقلى.

١٥ - وكتاب قصائد المتنبى للأعلم الشنتمرى[٥].

١٦ - وكتاب «نزهة الأديب فى سرقات المتنبى من حبيب» لابن حسنون المصرى.

١٧ - وكتاب «الانتصار» لأبى الحسن أحمد المغربى.

١٨ - وكتاب «التنبيه على رذائل المتنبى» لأحمد المغربى أيضا.

١٩ - وكتاب ابن سِيدَه[٦].

٢٠ - وكتاب «الرسالة الحاتميّة» لأبى الحسن محمد بن مظفر الحاتمى[٧].

---

(١) اقتبس البغدادى مقدمة هذا الكتاب،وذكرها فى خزانة الأدب الجزء الأول باسم : (إيضاح المشكل لشعر المتنبى). ونُشِر على حدة فى تونس سنة ١٩٦٦ بتحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقد ذكر ابن العديم فى كتابه : (بغية الطلب) الكثير من الحوادث المنسوبة إلى أبى القاسم الأصفهانى فى كتابه : «الواضح فى مشكلات شعر المتنبى». ويؤخذ من ديباجة الكتاب أن مؤلفه كان موجودًا سنة ٣٣٦هـ وكان معاصرًا لابن جنى ومنافسًا له.

(٢) هو المسمى بـ«فتق الكمائم» ذكره ابن المستوفى فى كتابه النظام فى شرح ديوان المتنبى وأبى تمام، وقال : إنه لأبى محمد طاهر بن الحسين بن يحيى البصرى.

(٣) منه نسخة فى دار الكتب المصرية، ضمن مجموعة تحت رقم ٢٧ ش نحو. وقد نشر محققا.

(٤) لعلها «أمثال المتنبى» التى جمعها الوزير إسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب. وطبعت فى بيروت مع شرح الأستاذ زهدى يكن والأستاذ محمد حسن آل ياسين سنة ١٩٦٥م.

(٥) ذكر فى الصبح المنبى باسم : «قصائد الصبا» للأعلم الشنتمرى، وقد ذكرت المصادر كتابًا ذكرناه قبل للأعلم، ولم تذكر له اسمًا، وعدوه فى الكتب التى شرحت ديوان المتنبى كاملاً. ولعله كتاب ثان للأعلم أيضًا غير هذا الكتاب، والأعلم الشنتمرى تلميذ ابن الإفليل شارح المتنبى أيضًا.

(٦) أحد نحاة الأندلس، صاحب كتاب «المخصص» توفى سنة ٤٥٨هـ وقد نشر كتابه هذا (المشكل من شعر المتنبى) فى مصر بتحقيق الدكتور حامد عبدالمجيد. والأستاذ المرحوم مصطفى السقا.

(٧) نشرت فى مصر ٣٦ ذخائر العرب، بتحقيق إبراهيم الدسوقى البساطى، وكانت قد نشرت قبل ذلك فى=

٢١ – وكتاب جبهة الأدب للحاتمى أيضا[١].

٢٢ – وكتاب المآخذ الكِنْدية من المعَانى الطائيّة.

٢٣ – وكتاب «الاستدراك على ابن الدهان» للوزير ضياء الدين بن الأثير الجَزرى.

٢٤ – وكتاب «الإبانة» للصاحب العميدى[٢].

٢٥ – «والمآخذ على شراح المتنبى» للأزدى[٣].

٢٦ – وكتاب تفسير أبيات المعانى للمعرى[٤].

وفى العصْر الحديث أخذ بعض العلماء أنفسهم بتجْديد شرح المتنبّى رغبةً فى شروح أوضح وأوْجز وأكثر تدقيقًا.

ففى سنة ١٨٦٠م كتب بطرس البستانى شرحا نال نجاحًا فى وقته، وأعيد طبعه مرات، وفى هذا العصر أيضا أخذ نصيف اليازجى اللبنانى يدرس قصائد المتنبى، وظل طوال حياته يؤلف شرحا له، ولكن عاجله الموتُ، فأتمّه ابنه إبراهيم اليازجى، وطبع فى بيروت سنة ١٨٨٢م باسم: «العَرْف الطيب فى شرح ديوان أبى الطّيب» ويبدو بوضوح أن شرحى: الواحدى والمعرى، هما أساس هذا الشرح. وشرحه أكثر بسطًا ودقّة من شرح البستانى. وأعيد طبع هذا الشرح بتنقيح سليم صادق المارونى.

وفى عام ١٩٣٠م شرح البرقوقى فى مصر ديوان المتنبى مرتبًا على القوافى الأبجدية.

= مجلة المشرق سنة ١٩٣١م ثم نشرت على حدة فى المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣١م.

والحاتمى كان معاصرًا للمتنبى، وذا صلة بالوزير المهلبى، وكلاهما يضمر للمتنبى العداوة، فتربص الحاتمى منتظرا قدوم المتنبى بغداد ليناظره ويؤلب عليه العامة ويزهّدهم فى شعره، وقد نبذ فى هذه الرسالة مئة معنى من معانى المتنبى وردّها إلى ماظن أنه أخذها من كلام أرسطو وقد نقلها العكبرى مفرقة فى كتابه (التبيان) عندما يقول: «قال الحكيم» وقد توفى الحاتمى سنة ٣٨٨هـ.

(١) نشرت فى بيروت سنة ١٩٦٥م بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، وهذه الرسالة أعظم فائدة من سابقتها لأنها رسالة وافية فى نقد شعر المتنبى، ويمكن أن تعتبر أصلاً للدراسات النقدية التى تلتها، والتى ألفها أصحابها فى نقد شعر المتنبى، وقد أشارت المصادر التى ترجمت للحاتمى إلى هذه الرسالة فدعاها البعض بـ(الحاتمية) ودعاها البعض الآخر بـ(الموضحة) وقلة منهم ذكرها باسم (جبهة الأدب). ويخلط بينها وبين الرسالة السابقة بلا شير فى كتابه ديوان المتنبى ٦.

(٢) نشر فى مصر ٣٦ ذخائر العرب بتحقيق إبراهيم البساطى.

(٣) مخطوط رقم ١٧٤٨ مكتبة فيض الله، ومنه ميكروفيلم فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

(٤) منه نسخة فى مكتبة الحرم المكى، ومنه ميكروفيلم فى معهد المخطوطات وقد نسب خطأ إلى أبى العلاء المعرى، وإنما هو لابن ابن أخيه كما ذكرنا. وقد نشر محققا فى نوادمخطوطات الحرم المكى – الكتاب الرابع.

وفى سنة١٩٩٢ شرح الدكتور عبدالمجيد دياب (المحقق) مختارات من الديوان ونشرتها دار سعاد الصباح بالقاهرة سنة١٩٩٢ تحت اسم : «خلاصة المتنبى».

وليس بين شعراء العربية كلّها من لقِى من عناية الأدباء ما لقى أبو الطيب، ولقد بلغت شروح ديوانه أكْثر من أربعين شرحًا فى القديم، ومع هذا فإنّ للشّاعر نفْسه شرحًا لأبيات من شعْره، أملاه حين قراءة الدِّيوان عليه، أو أجاب به سائلاً عن لفظٍ غريب، أو معنى غامض، وله آراء فى اللُّغة والنّحو جادل بها ابنَ جنى حين قرأ ديوانه. يجد القارىء هذا فى شرحى ابن جنى وأبى العلاء متفرقًا فى ثنايا الشرح[1] والقارئ لفهرس هذا الكتاب الذى نقدم له سيجد فهرسا خاصا للأبيات التى شرحها الشاعر نفسه.

ويقول ياقوت «لم نسمع بديوانِ شعْرٍ فى الجاهلية ولا فى الإسلام شرح بهذه الشّروح الكثيرة، سوى هذا الدِّيوان، ولا بتداول شعْر فى أمثالٍ أو طُرَفٍ أو غرائِب على ألْسنة الأدباء فى نظم أو نثْرٍ أكثر من شعر المتنبى»[2].

ديـوان المتنبى :

الدراسات الأدبية فى أى ميدانٍ من ميادينها. وشعبةٍ من شعب تخصّصها تعتمد أساسا على النّصوص التى هى مادة الدرس الأدبى : تأريخًا ونقدًا ومقارنة، فليس من المتصور أن نؤرخ لعصر أو أديب دون أن نجمع نصوص تراثه ونحققها ونسْتقرئها أو أن نشْتغل بدراسة نقديّةٍ من غير استيعاب لنصوص موضوعها. وتتبع الظواهر الأسلوبية والخصائص الفنية.

والمرجع الأول لتاريخ كل شاعر هو ديوانه الذى سجل فيه آراءه وعواطفه، ووصف وقائع وأحداثًا مختلفة وقعت له أو لأهْل عصره، وعلى ذلك فإنّ ديوان أبى الطيب هو أول عمدة فى دراسة تاريخه، وأجْدر مراجعه بالبحث والتمحيص، ومنْ هنا وَجب علينا أن نطمئنّ أوّلا إلى أنّ الشعر المذكور فى ديوانه كلّه هو شعر أبى الطيب، حتى نطمئن إلى سلامة الحكم عليه.

روى الديوان عن أبى الطيب رواة ثقات منهم : أبو الفتوح عثمان بن جنى وغيره ممن ذكرناهم.

---

(١) راجع فى شراح ديوان المتنبى ترجمة المتنبى لابن عساكر والصبح المنبى ص٢٦٨ - ٢٧٠ وديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين، لبلاشير.

(٢) راجع ياقوت.

والمتنبّي قرأ شعره على النّاس مراتٍ فى بلادٍ مختلفة. ورتبَ ديوانَه بنفسه وأملى على من قرأه مقدمات قصائده بتواريخها. ومن المؤكد أن نسخًا كثيرة من الديوان قد صححت أو قُرئت على أصول مقروءة على أبي الطيب نفسه، وأملى شرحًا لبعض أبياته، أو لبعض كلمات له، وناقشه فيها من أخذوا عنه خاصة ابن جني.

وما قرئَ على المتنبي يكاد يتفق على الترتيب المذكور فى «معجز أحمد» و«ديوان أبي الطيب المتنبي» بتحقيق الدكتر عبد الوهاب عزام، وكذلك يتفق الترتيب مع شرح الواحدى أيضًا. ولقد قارنت هذه الشروح الثلاثة، وأشرت إلى ما بينها من فروق قليلة فى الترتيب -إن وجدت- وماكان ذلك إلافى شعر الصبا ففى شرح الواحدى المطبوع فى بمباى. وفى نسخة الديوان المخطوطة رقم ٥٤٢ أدب دار الكتب المصرية: «هذا آخر ما اشتمل عليه ديوان أبي الطيب الذى رتبه بنفسه» وفى مقدمة النسخة المخطوطة رقم ٥٣٠ أدب دار الكتب المصرية يقول: «وجميع ما فيه من تفسير معنى وشرح غريب واختلاف لغة فهو من إملائه عند القراءة عليه».

ويذكر على بن عيسى الربَعى أنه رأى عند المتنبى بشيراز جزءًا من شعره بخط ابن أبي الجوع الورّاق المصرى ثم يقول: «وما أظن أن أحدًا صدق فى رواية هذا الديوان صدقى.. فإنى كنت أكاثره ونحن بشيراز، وربما أخذ عنى من كلام أبي علىّ النحوىّ وسمعت شعره يُقرأ عليه دفعات»[1].

وروى عن الخطيب أنه قال: «دخل (أى أبو الطيب) بغداد وجالس بها أهل الأدب، وقرىء عليه ديوانه. فحدثنى أحمد بن أبي جعفر القطيعى عن أبي أحمد عبيد الله بن محمد بن أبي مسلم الفرضى قال: لما ورد المتنبى بغداد سكن فى ربض حميد، وقد كان القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد المحاملى يسمع منه ديوانه»[2].

ويذكر المؤرخون أن المتنبى لما نزل فى دار راويته على بن حمزة البصرى بربض حميد، أصْبح بيت البصرى ندوةً أدبيّة مزدهرة، يؤمها المثقفون من أبناء الطبقة الوسطى. وكانت شخصية المتنبّي قد جذبت الشّبابَ قبل كلّ شيء، فرآى خصومه فى ذلك فرصةً ليذيعوا أنّ المستمعين إليه كانوا من غير المميّزين، لكنك ترى فى تلك النّدْوة ربّ الدار: علىّ بن حمْزة البصرى، الذى لم يكن حدٌّ لإعجابه بالشاعر وحماسته له، وكان يخف إلى

(١) ابن عساكر ص٢٥٣.

(٢) انظر تاريخ بغداد ومعجم الأدباء ٢٠٢/٥.

هناك نفر من الشّبان كأبي القاسم الحمْصى ومحمد المحاملى أحد أبناء أسرة المحدّثين والفقهاء الشهيرين ببغداد. ومن العلماء: محمد المغربى وعلى الكومى. وأخيرًا خادمه أبو بكر الشعرانى.

هؤلاء هم المستمعون المنتظمون، ولكن كثيرًا ما كان ينضم إليهم أدباء. عارضون ممن تجذبهم شهْرة المتنبى، ولقد كان لهذه الاجتماعات من الأهميّة الحاسمة فى مصير شعر المتنبى أكثر مما كان لاجتماعات حلب ومصر، وعندما تنعقد إحدى هذه الندوات التى كانت كثيرة الانعقاد يأخذ أحدُ الحضور فى قراءة شيء من الديوان وذلك بلا ريب فى مخطوطة الشاعر، أونسْخةٍ مأخوذة من ذلك المخطوطة، فإذا عرضت صعوبة أو ارتكب القارئ خطأ غير إرادىّ قدّم لهم الشاعر التفسيرَ اللازم، مضيفًا أحيانًا بعض التفاصيل عن الملابسات التى قِيل فيها الشِّعر. أو عن الأثر الذى أحدثه البيت، ومن هذه النّدوة بنوع خاص انتشرت الدِّراسة حول المتنبى فى العالم الإسلامى كله[1].

والمقدّمات الطويلة للقصائد التى فى شرح المعرى (معجز أحمد) نجدها أو نجد مثلها فى نسخ الديوان وقد يحذفها بعض النساخ اختصارًا فى بعض الأحيان، لكن أوفاها وأدقها ما ذكر فى مقدمات القصائد التى فى (معجز أحمد) وهى من وضع الشاعر نفسه كما قلنا.

هذا ولقد رأيت البديعى صاحب «الصبح المنبى» ينقل هذه المقدِّمات التاريخية الطويلة للقصائد بالحرف دون أن يشير إلى مصدره، وما أظنّ إلا أنّه وقع على إحدى نسخ الدِّيوان فكانت عمْدته فى تأريخه للمتنبى.

* * *

وهذه المقدّمات فى مجموعها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وهو شِعْر الصِّبا إلى أن مدح الأمير الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة سنة ٣٣٦هـ فقد نظمه المتنبى وهو خاملُ الذكر حين كان يمدح «البعيد والقريب ويصطاد ما بين الكركىّ والعنْدليب» والممدوحون فى القسم خاملو الذكر

(١) انظر النقد المنهجى عند العرب للدكتور محمد مندور ص٢١٣ - ٢١٥ وديوان المتنبى لبلاشير.

أيضًا فلم نعثر لأكثرهم على ذكر فى كتب التّراجم والتواريخ.

ويحكى أنّ علىّ بن منصور الحاجب لم يجْزه على قصيدته التى أولها:

بأبِى الشّموس الجَانِحَات غوارِبَا   اللابسات مِنَ الْحريرِ جَلاَبِبَا

إلاّ دينارًا واحدًا[1].

وروى أبو القاسم الأصفهانى قال: «أخبرنى أبو الحسن الطوائفى ببغداد، وكان قد لقى المتنبى دفعات فى حال عسره ويسره، أن المتنبى قد مدح بدون العشرة والخمسة ... ... وسمعته يقول: أول شعر قلته وابيضت أيامى بعده قولى:

أنَا لائِمى إنْ كنْت وقتَ اللوائِمِ   عَلمت بِمَا بِى بينْ تِلّك المَعالِمِ

فإنِّى أعْطيت بها بدمشق دينار»[2].

هل الدّيوان يتضمَّن شعر أبى الطيب كلّه؟

مما لاشك فيه أنّ أبا الطيب أسقط من ديوانه بعضَ القطع أو الأبيات التى قالها فى صباه، أو ارْتجلها ولم يُجدْها، أو استحى مِمّا فيها، إلى غير ذلك من الأسباب التى يراها.

كما أسقط أبياتًا من بعض قصائده حين إعادته النّظر فى ديوانه، وقد يكون سها بعضُ النساخ عن قطعةٍ أو بيت، وربما أُخِذَ عليه شيئًا من القصيدة فيغير منها ما اقتنع بوجوب تغييره.

فمن أجْل هذا وقع الخلافُ بين النسخ فى أبيات قليلة، وذكْر قطع لم توجد فى سائر النّسخ الأخرى، ولم تذكر عند سائر الشرّاح. ومن أجل هذا وقع الاختلاف فى ذكر بعض القطع، وحذْفها وتقديمها أو تأخيرها. ولعل أوفى الشروح استكمالا لشعر المتنبى هى النسخة التى شرح عليها أبو العلاء. ففيها من القطع مالا يوجد فى نسخة شارح آخر، أو فى النُّسَخ التى اعتمد عليها محقق الديوان. اللهم إلاّ إذا كانت فى الزيادات

(١) الصبح المنبى ص٤٢٢.
(٢) الواضح فى مشكلات شعر المتنبى ص٩.

الملحقة بالديوان أو الملحقة عند بعض الشراح.

وكما قلت: قد يُسْقط من شعره بيتًا أو بعض أبيات لسببٍ من الأسباب.

فيروى لنا أبو القاسم الأصفهانى قائلا: «أخبرنى أبو الفتح عثمان بن جنى أن المتنبى أسقط من شعره الكثير وبقى ما تداوله الناس»[1].

ويرى الواحدى أنه «لو طرح أبو الطيّب شعر صباه من ديوانه كان أولى به»[2] ويقول الواحدى ذلك بعد ذكره للقطعتين رقم ٩ و ١٠. وهما:

وقال وقد مرّ فى صباه برجلين قد قَتلا جرذًا وأبرزاه يعجبان الناس من كِبَره:

(٩)

لقَــد أصْبحَ الجــرذُ المستغــير أســير المَنَايَا سريــع العـطَب[3]

(١٠)

وقال فى صباه يهجو القاضى الذهبى:

لَما نسبْتَ فكنتَ ابنًا لغير أب ثمّ اختُبرتَ فلم تَرْجع إلَى أدَبِ

فيقول بعد أن شرحهما «ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى الشرح».

ويقـول صاحب التبيـان عن المتنبى: إنـه يحسن الأوصـافَ فى كـلّ فنّ: «وإنمـا هـذا الـذى يأتى لَه فى البديهة والارتجال، أوْ فى وقْت يكون على شراب أو غيْره فلا يعتدّ به». ثم يقول: «ولَو كان أبو الفتح عمل صوابًا لكان أسقطه من شعْره، ولوْلاَ أنّ من تقدمنى شَرَح هذه المَقطعات وأثْبتها لَمَا ذكرتها فى كتابى هذا»[4].

---

(١) الواضح فى مشكلات شعر المتنى.

(٢) الواحدى ص١٧.

(٣) أربع أبيات.

(٤) التبيان ٤/١٦٥.

ويذكر ابن نباتة فى شرحه لرسالة ابن زيدون حين الكلام على المتنبى يقول: «وله أشعار لم تدخل فى ديوانه»[1].

ولعلّ بعض الأبيات التى تختلف فى إثباتها النّسخ مما حذفه المتنبى عند إعادة نظره فى شعره وتنقيحه له، ما نذكره.

ففى القصيدة رقم (٢٧):

حَاشَا الـرّقيب فخانَتْـه ضَمائِـره ... ...

نجد فى شرح المعجز وفى نسخة ابن جنى:

ارحم شبابَ فتى أوْدَى بجدّتِه يَد البِلَى وذَوى فى السِّجن نَاضِرُه

وقد سقط هذا البيت من أكثر نسخ الديوان، ولا يبعد أن يكون المتنبى نفسه قد حذف هذا البيت أنفةً من هذا التضرع.

وليس ببعيدٍ أن يدسّ عليه أحد خصومه بيتًا أو أبياتًا للتشنيع عليه، ففى شرح المعجز بعد شرحه للبيت:

بعيْشك هلْ سلوْت فـإنّ قلْبِى وإنْ جانبت أرْضك غيْر سَالِى[2]

قال الشارح: «وقد أنكر النّقاد عليه هذا البيت، وقالوا فيه وعادوا، والمتنبى ينْكر هذا البيت ويقول: إنّه زيد فى القصيدة، ليفسد به حَالى عنْد سيف الدولة».

وليْس ببعيد أن يكون بعض المتأدّبين قد ظفر بشىء من شعر المتنبى الذى لم يثبته فى الديوان فألحقه بنسخته.

ترتيب الديوان:

نسخ ديوان المتنبّى مختلفة الترتيب، فمنها ما هو مرتّب على أزْمانِ القصائد وبحسب من قِيلت فيهم، وهو أصْل الترتيب الذى رتب عليه أبو الطيب ديوانه[3] والمتصفح

(١) مقدمة تحقيق الديوان. (٢) فى القصيدة رقم ١٦٣ فى رثاء أم سيف الدولة.

(٣) ذكر بعض الباحثين أن تريب أبى الطيب لديوانه ترتيب تاريخى، وهذا وهم لا يؤيده واقع ترتيب الديوان المطبوع بتحقيق الدكتور عزام ولا هذا الشرح.

لديوانه. بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وشرح المعرى (معجز أحمد) والواحدى يرى أنّ المتنبى قد جمع قصائد الصِّبا ومقطوعاته فيما يُسمَّى بـ(العراقيَّات الأولى) ثم (الشاميات) وفى داخل الشاميات جمع قصائد بدر بن عمّار وقصائد ابن طغج كلاًّ على حدة، وإن اختلفت الأزمان والتواريخ. فقد جمع - مثلا - ما قاله فى ابن طغج سنة ٣٣٦هـ، ثم ألحق مقطوعتين قالهما فيه سنة ٣٤٦هـ وقصيدة هجاء ابن كروَّس، فقد قالها بعد اتصاله بأبى العشائر، ثم أراد أن يجْمع ما قاله فى أبى العشائر على حدة، فقدم هذه القصيدة وألحق بها غيرها مما قاله فى ابن كروَّس، ثم السّيفيات، فالكافوريّات (وهى المصريات) فالعراقيّات الأخيرة. فالعميديّات فالعضديّات.

ويطرح الدكتور طه حسين سؤالا ويجيب عليه. فيقول: هل من سبيل إلى توقيت القصائد التى قيلت فى الشام، قبل أن تنتهى به الحوادث إلى السجن؟.

ثم يجيب عن هذا السؤال فيقول: الأمر فيها مختلف بعض الشيء فقصائد المتنبى التى قالها بعد خروجه من بغداد ودخوله السجن منثورة فى القسم الأول من ديوانه على نحو يظهر أنه قصد به إلى كثير من التعمية»[1].

والرأى عندى: أن الشاعر.. ما أراد إلا أن يجمع القصائد التى قيلت فى كل إقليم على حدة، وكذلك فى كلّ فرد من ممدوحيه، وهو الذى رتّب ديوانه على هذه الكيفية، ولا يستدل من ترتيبه للديوان على تأريخ للقصائد.

وقد اقُتفى جمْعٌ من الشارحين طَريقة المتنبى فى ترتيبه لديوانه، منْهم: المعرى فى شرحه هذا، والواحِدى، وابن سيده.

ومن نسخ الديوان ما رتّب على ترتيب حروف المعْجم، أى بحسب قوافى القصائد، وعلى ذلك بنى ابن جنى فى كتابيه: الفسْر، ومعانى أبيات المتنبى. وكذلك أبو العلاء فى شرحه المسمى باللامع العزيزى. وصاحب التبيان، والخطيب التبريزى.

---

(١) مع المتنبى ص٥٧.

شَخصيَّة المتنَبّى الشعْريَّة

بقى علينا أن ننْظر فى شعر المتنبّى من حيث أنه مظْهر لشخصيةٍ تاريخية تتأثّر بالمؤثرات الخارجية .

فسنجد أن المتنبّى شاعر من شعراء المعانى، جعل أكثر عنايته بالمعْنَى، ولعلّ قول ابن جنى : «فأمّا اختراعه للمعانى وتغلغله فيها، واستيفاؤه لها فممّا لا يدفعه إلا ضد، ولا يستحسن معاندتَه إلا ند»[1] خير شاهد على قولنا هذا. فهو قد خلا - إلا فى القليل - من القيود التى قيد أبوتمام وشيعته الشعر بها، وخرجَ بالشّعر عن أساليب العرب التّقليدية، فهو إمامُ الطّريقة الابتداعية فى الشّعر العربى[2]. ولقد حظى شعْره بالحِكَم والأمثال واختص بالإبْداع فى وصف القتال، والتّشبيب بالأعرابيات، وإجادة التّشبيه، وإرسال المثلين فى بيتٍ واحد، وحسن التخلص، وصحّة التقسيم، وإبداع المديح، وإيجاع الهجاء.

وأهم ما يميز المتنبى : بروز شخصيته فى شعره، وصدق إيمانه برأيه، وقوّة اعتدادهْ بنفْسه وصحّة تعبيره عن طبائع النفس، ومشاغل الناس، وأهواء القلوب، وحقائق الوجود، وأغراض الحياة، لذلك كان شعْره فى كل عصر مردًا لكلّ كاتب، ومثلا لكل خاطب، وهو مِنْ هؤلاء النوادر الّذين يعرفون بالبيت الواحد من أشعارهم، بلْ بالشّطر المنفرد من البيت، لأنه قد عرف بأبياته التى سارت مسير الأمثال، ويقع النظر على حِكَمه وأمْثاله حيثما تقلّبت أمامَه صفحات الديوان بغير إطالة ولا إنعام بحث، وهى خلاصة تجارب حياة، بما وسعت من أمل ويأس، وفرح وحزن، وفلاح وخيبة وحب وبغض وخلاف ووفاق.

وشعره عند التحقيق أربعة أطوار :

(١) الفسر ٢١/١.

(٢) انظر النقد المنهجى ص٦٢.

الطور الأول : يمثّل عواطفَ الشّباب ونفثَات الألَم من الزّمان، وقد نظمه فى أنحاء مختلفة من العراق والشام وفلسطين، ويمتد زمن الحداثة إلى الرابعة والثلاثين من عمره.

الطور الثانى : شعره فى حلب، نظمه وهو بين الرّابعة والثلاثين والثالثة والأربعين، وهو يمثل عواطف العظمة والقوة والجهاد، والقلق من الحسّاد، كما يظهر ذلك فى بدر بن عمار، وأبى العشائر، وسيف الدولة.

الطور الثالث : شعره فى مصر، نظمه بين الثّالثة والأربعين والسّابعة والأربعين، وهو يمثّل غيْظه من الماضى، وآماله الكبيرة بالمستقبل، ثم مرارته لفشله.

الطور الرابع : شعره فى العراق وفارس، نظمه بين السّابعة والأربعين والحادية والخمسين، أمّا فى العراق فذكريات سيف الدّولة، وابن العميد، وعضد الدولة.

فنرى شعره فى الطّور الأول يكْثر فيه التعقيد اللفظى والمعنوى، وفى حلب يتكلّف أحيانًا استعمال الغريب، للدلالة على غزارة علمه، بينما تراه فى مصر مختارًا كلّه، بريئًا من السخف واللغو أو كاد. والمدقق فى كافورياته يرى من جلال المعنى. وجمال اللفظ والصّياغة، ما يشهد أنه بلغ به كمال النّضج، ونحن نشاطر بهذا القول: اليازجى وطه حسين وأنيس المقدسى وغيرهم. ويكفى للدلالة على سهولة شعره فى مصر أن تراجع القصائد التالية:

١- كفَى بك داءً أنْ تَرى الموتَ شافيَا ... وحسب المنَايَا أن يكُنّ أمَانِيَا
٢- فِراقٌ ومن فارَقْت غـيْر مذمم ... وأمٌّ ومن أمّمت غـيْرَ ميـممِ
٣- مِنَ الجـآزر فى زىّ الأعاريب ... حمْر الحلَا والمـطَايَا والجَـلَابِيبِ
٤- أودّ مـن الأيّـام مـالا تـودّه ... وأشْكو إليهَا بيْنَنا وَهِى جنْده
٥- أغَـالب فيك الشّـوق والشوق أغْلب ... وأعْجب منْ ذَا الهَجْر والوَصْـل أعْجبُ
٦- منًى كنّ لِى إنّ الـبيـاض خـضـابُ ... فيحـظى بِتَبْيِيضِ القُـرون شَبَـابُ

فإن هذه القصائد الكافورية من أسلس قصائده. وأملأها معنى، وأجْملها إيقاعا، ومن بدائِعه فى هذا الطور: ميميته المشهورة فى وصف حالة مصر، ووصف حمّى

أصابته، نظمها وهو فى الخامسة والأربعين، فجاءت غاية الغايات من حسن الانسجام ودقة التعبير.

أما الطّور الأخير الذى يمثله شعره فى العراقيات الأخيرة، وفارس، فهو فى عمُومه أقلّ جودةً من شعْرِه فى حلَب ومصْر، ويشعر فيه المتأمّل بتراخِى نَفَسه الشِّعرى، فكأنّه بلغ أوج الشّعر فى الخامسة والأربعين من عمره، ولكن مِمّا لا شك فيه أنه كان لفشَله فى مصْر، ثمّ ما لاقاه فى بغْداد؛ أثر فى تخفيف الثّائرة الشِّعرية فيه.

على أن المتنبّى الحقِيقِى إنما هو تلْك الصّورة التى نرْسمها من قرَاءة حكمه، إذا كانت الحكمة هى الكلام الموجز البليغ، الذى يحوى عظةً نافعةً، وعلمًا مفيدًا، وقد تشتهر فتكون مثلاً سيَّارا، وقولا ذائعا، فالمتنبى فى مقدمة شعراء الحكم والأمثال؛ إذ لا تكاد تخلو قصيدة من حكْمةٍ ومَثَل، بل من حِكَمٍ وأمثال، ولعل هذا يفسر ما وصفه به القدماء من أنه (حكيم) وهى على وفرتها فى شعره أقوى صياغة وأقرب فى دلالتها إلى قلوب الأمم العربية وهواها، لأن حكمه توافق مشاعرهم، فهى تدعو إلى محاربة الطغاة، والفتك بالأعداء ومحاربة الدخلاء، ووقف الأجانب عند حدّهم، وإنزال الناس منازلهم، ثم يسب الزمن الذى يرْفع الجَهَلة، الأوْغاد، ويحطّ العقلاء الأبطال!! وذلك كلّه لأنّ الأمّة العربية كانت منكوبة فى عصره - كما قلنا سابقا - بالضعف والتفكك والانقسام يتملّكها الأجانب ويتحكم فى أمرها العبيد والإماء والجنود المرتزقة، ويحطم كيانها الخلاف السياسى والنّزَاع المذهبىّ، حتى هوت إلى درجة لم تشهدها من قبل!! اللهمّ إلا ولاية حلب وما يليها فقد كانت على الرغم من تبعيّتها الاسميّة للخلافة العباسية ببغداد، محكومة بأمير عربى يجرى فى عروقه الدم العربى الأصيل، ويصدر فى أقواله وأفعاله على مثل ما كان عليه آباؤه الأمجاد. هو سيف الدولة الحمدانى.

ولقد أدرك العربُ والناسُ جميعا صحةَ حكم المتنبى. فتداولتها ألسنُ الزّمان فى كلّ مكان. وأصبحتْ على مرور الأيّام أمْثالا يردِّدها الخاصّ والعام.

ذَلكم أبو الطّيب المتنبى الذى ملأ الدّنيا وشغَل الناس قد ورَّثَ الأدب العربى ثروةً بشعره ومازَالَ حتّى اليوم مدارَ قيل وقال. ونقاش وجدال. ولم يزدْه الزّمان إلا نباهةً، ولا قِدم الأيام إلا حداثَةً.

أبُو العَـلاء المعَرّى
(٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)

علم من أعلام العربية والفكر الإنسانى، ولد فى اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل. فى مدينة ليست بالصغيرة - آنذاك - ولا الغنيّة ذات الوفرة، ولا الفقيرة ذات المَتْربَة، مدينة تقع فى وادٍ بين مرْتفعات، يقال لها: (معرّة النُّعْمان) من أعمال حلب، نسْبةً إلى النُّعْمان بن بشير الأنصاريّ - فيما يقال - وكان واليًا على حلب وقنسرين فى ولاية معاوية - فيما يقول ابن العديم - فى الإنصاف والتحرّى، أو اجتاز بها فيما يقول الفيْروز بادى فى المحيط، فدفَن بها ولدًا فأضيفت إليه، أو تديَّرها: أى اتخذها دارًا له فيما يقول ابن خلكان فى وفيات الأعيان، وكانت تسمى قديمًا (ذات القصور).

والمعرّة الآن فيما يقول أحد أبنائها[1]: مدينةٌ بين حلب وحماة، بينها وبيْن حلب ثمانون كيلومترا، وبينها وبين حماة ثمانية وخمسون كيلومترًا، وهى مركز قضاءٍ تابع لحلب، وفيها مساجد كثيرة، منها المسجد القديم الذى فيه ضريح أبى العلاء، ويشتمل على ساحة صغيرة، وغرفة أمام الباب فيها قبْر أبى العلاء، وإلى جنوبيّها غرفة كانت كتّابًا يعلم فيه الصبيان. ومن شرقيّها ساحة خربة، فيها بئر ماء، وشجرات من الرّمان والتّين.

ويكفى أن نعرف أن هذا المدْفن كان من دور بنى سليمان التنوخى، أهل أبى العلاء، وفى ساحة من دورهم. وإذا صحّ هذا فهو أقدم بناء أبقتْه الأيامُ فى المعرّة.

اسمه وكنيته ولقبه:

سمّاه أبوه أحمد، وكنّاه بأبى العلاء منذ وُلد، وقد جرى فى ذلك على عادة أهل بلده، إذْ قلّما وُجد نابةٌ فى ذلك العهد إلاّ وله كنْية، والظّاهر أنّهم كانوا يكنّون أولادهم منذ

---

(١) هو الدكتور محمد سليم الجندى وذلك سنة ١٩٤٤م/١٣٦٣هـ.

الحداثة كما قال فى اللزوم :

مِنْ عَثْرة الْقَوم أن كنُّوا وليدَهم أبَا فلانٍ، ولم ينْسل ولاَ بَلَغَا

فهو: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمّد التنوخيّ المكنى بأبى العلاء، اللغوىّ الشاعر الضّرير، المولود بالمعرة يوم الجمعة عند مغيب الشّمس، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاث مئة، المتوفّى بها يوم الجمعة ثالث - وقيل ثانى - أيّام شهر ربيع الأوّل، وقيل ثالث عشرة، سنة تسع وأربعين وأربع مئة.

يذكر ابن خلكان[1] أن التنوخى : نسبة إلى تنوخ، وهو اسم لعدّة قبائل اجتمعوا قديمًا فى البحرين، وتحالفوا على التناصر، وأقاموا هناك فسموا تنوخًا، والتنوخ : الإقامة. ويقول ابن العديم[2] : وتنوخ من أكثر العرب مناقب وحسبًا ومن أعْظمها مفاخرَ وأدبًا، وفيهم الخُطَباء والفُصحاء والبُلغاء والشّعراء، وأكثر قضاة المعرّة وفضلائها وعلمائها وشعرائها وأدبائها من بنى سليْمان، قوْم أبى العلاَء.

فهوَ من بيْت علمٍ ورياسة، فأبوه من العلَماء، وجدّه وأبو جدّهِ وجدّ جدّه كلُّهم تولّوا قضاءَ المعرة، وقد بقى القضاءُ فى بنى أخيه إلى أن دخلها الإفرنجُ سنة ٤٩٢ هـ أى إلى ما بعد موت أبى العلاء بأرْبعين سنة، وكانت الفَتاوى - على ما يستفاد من ابن العديم وياقوت - فى بيْتهم على المذْهب الشافعى أكثر من مئتى سنةٍ.

إذنْ فبيئة أبى العلاء القريبة، والتى يمكن أن يكون لها أكبر الأثر فيه : من الأئمّة المعروفين، المقصودين من كافّة أنحاء الشام، لِمَا لهم من العلْم والعرفَان والّتى خَرّجت من الفقهاء، والأذكياء ما لم تخرجه أسرةٌ من الأسر[3]. وأخْواله من بنى كوْثر الأدباء النحويين، من أصحَاب ابن خالويْه الإمام النحوىّ ومن فى طبقته[4]، وبنو المهذّب : وهم من فحول الشّعراء بالشامِ وأدبائه فى عصر أبى العلاء، وبنو الحصين : القضاة العلماء الشعراء الأدباء[5].

(١) تعريف القدماء ص١٨٥ عن وفيات الأعيان.

(٢) تعريف القدماء ص٤٨٩ عن الإنصاف والتحرى.

(٣) انظر تعريف القدماء ص٤٩٠ عن الإنصاف والتحرى.

(٤) انظر تعريف القدماء ص٣٠ عن إنباه الرواة.

(٥) شرح أبو العلاء ديوان ابن أبى حصينة وكانا صديقين متعاصرين. وطبع فى دمشق ١٩٦٥م.

يتبينّ لنا من هَذا - ومثْله كثيرٌ فيما ضمّه كتاب تعريف القدَماء بأبي العلاء - أن المعرّة كانت فى العصْر الذى ولد فيه شيخُنا فى أوْج رفْعتها الثقافيّة، ولا أدلّ على ذلك من قول ياقُوت: «ولما مات (أبو العلاء) أنْشد على قَبره بعدَ موْته أربعةٌ وثمانون شاعرًا» إذنْ فالمعرّة كانت فى أواخر القرْن الرّابع وأوائل القرْن الخامس: تعجّ بأهْل العِلم والأدَب، وكان الفضْل فى ذلِك لوجود أسْرة شيْخها أبى العلاء.

عمــاه:

حياةُ أبى العلاء كلّها مصائب وفواجعُ، وأوّل فاجعة منها ذهاب بصره، وقد اخْتَلفتِ الكلمةُ فى زمن عماه، فقيلَ: إنهُ ولد أعْمى. وقيل: عمى وهُو ابن ثلاث سنين. وقيل: أربع. وقال الخطيبُ البغدادىّ[1]: إنه عمى فى صباه. ولعلّ أصحّ الأقْوال: أنه أصيب بالجدرى وهو ابن أربع سنين، على أنّ عماه لم يكنْ فى أوّل أمره كليًّا، فإن النصوص تشير إلى أن الجدرى ذهب بيُسرى عينيْه، وغشى يُمناهما بياضٌ. على أنّ ما فقده من باصِرته استعاض عنه بحدّة بَصِيرته، فقد أجمَع المؤرّخون على شدّة ذكائه، وقوّة حافظته، ولهم فى ذَلك أقاصِيص وروَايات معْروفَة.

قال أبو العلاء فى رسالته إلى داعى الدّعاة[2]: «وقد علم الله أنّ سمعى ثقيل، وبصَرى فى الإبصار كليل، قضى عَلىَّ وأنا ابن أرْبع، لا أفرِّق بين البازلِ والرّبع»[3] وأبو العلاء أصْدق الناس فيما يحدّث به عن نفسه. وإذا كان لكلّ عاهةٍ من عاهات الحسّ تعويضٌ من قوى الرّوح كما يقولون، فإن لها أثرًا فى حياة المعرى، ترسم له الطريَق وتعينّ له الغاية، فعاهَة أبى العلاء فرضَتْ عليْه أن يجْعلِ العلم شغْل حياتِه، وحتارتَ له من العلْم أنْواعه النّقلية والنظرية، مِمّا تعنى به الحافظةُ وتعين عليه المخيلة: كاللغة والدِّين والشِّعر، ووسائِلها من النحو والصّرف والعروض، ولكن إصراره وعناده دَفعه إلى أن يتحدّى محنة العمى، وأن يشقّ سبيله مع لِداته المبْصرين، فرئِىَ فى صباه يلْعب النّرد والشّطرنج ويأخذ فى فنون اللهو والجدّ. كما يفعل لِداته المبصرون، فقد روى الثّعالبى - وهو معاصرٌ له - قال: «حدثنى أبو الحسن الدلفى المصيصى الشاعر - وهو

(١) تعريف القدماء ص٧ عن تاريخ بغداد.

(٢) تعريف القدماء ص١٢١ عن إرشاد الأريب لياقوت.

(٣) البازل من الإبل: ما كان فى سنته التاسعة. والربع: ما بلغ السابعة من الإبل.

ممن لقيه قديما وحديثًا فى مدّة ثلاثين سنة - قال: لقيتُ بمعرة النّعمان عجبًا من العجَب... أعمى شاعرًا ظريفًا يلْعب الشّطرنج والنّرد ويدخل فى كلّ فن من الجدِّ والهزْل، يكنى أبا العلاءِ وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمَى، كما يحمده غيرى على البصَر. فقد صَنع لى وأحسن بى، إذْ كفانى رؤيَةَ الثّقلاء البغضَاء»[1].

شـــيوخه:

قرأ القرآنَ بالرّوايات على جماعة من الشيوخ «فيمن يُسَار إليهم فى القراءات»[2] وسمع الحديثَ عن أبيه عبد الله، وجدّه سليمان، وأخيه أبى المجْد، وجدَّته أمّ سلمة بنت الحسن بن إسْحاق المعرى، وعن أبى زكريّا يحيى بن مسْعد المعرى، وأبى الفرج عبدالصمد الضّرير الحمْصى، والقاضى أبوعمر عثمان الطّرسوسى، وغيرهم من محدثى المعرة وحلب فى زمَانِه، وتلقى علومَ اللغة والنحْو على والده، ووالده لم يكن نحويًا مذكورًا ولا عرف له رأى فى النحو، وإنّما تعلم منه ما كان يَنْبَغى أن يتعلّم فقيهٌ يتهيألِلقضاء، وكان الشّيخ عبدُ الله فقيهًا قاضيًا، وكان أشياخ العرب - آنذاك - يُقبلون على نحو الكوفة ويعرْضون عن نحْو البصْرة نحو الموالى[3]، وكان الفقَهاء يحبّون نحو الكوفة أيضًا؛ لأن الكوفيِّين أكثر روايةً وجمعًا للآثار، وحفظًا للحديث، ولأنّ البَصريين أقلّوا الرّواية، وتورّطوا فى الفلسفة والجدَل، واطّرحوا الحديثَ أن يحتجّوا به، ولحَنوا المحَدِّثين، لهذا أخذَ الشيخُ يعلّم ولدَه كتابَ النحو الذى تعلّمه هُو من قبل، وهو (مخْتصر محمّدِ بن سعدان الضّرير الكوفى النحوى) المتوفّى سنة ٢٣١ هـ، وكان هذا الكتاب مما يَتَدارسه الناشئون بالشّام ويؤثِره الفقهاء، وكان بالشّام موجز آخر يسمّى (الجمَل) للزجّاجى، وكان الزجاجّى من أئمَة النحاة، وقصد الشّام وأقام بطبريّة وتوفّى بها سنة ٣٣٩هـ وترك مدرسةً وتلاميذَ يدرِّسون كتاب (الجمَل) فدرسه أبو العَلاء. وكذلك كان بالشّام كتابٌ فى النحْو مختصر يسمّى (الكافِى) وردَ من مصْر. ألّفه الشيخ أحمد بن محمّد المرادىّ المصرىّ المتوفّى سنة ٣٣٨هـ ونقل تلاميذُه كتابَه إلى الشّام، فكان

(١) تعريف القدماء ص٤ عن تتمة اليتيمة.

(٢) تعريف القدماء ص٥١٤ عن الإنصاف والتحرى.

(٣) انظر أبو العلاء المعرى وعلم النحو. للأستاذ إبراهيم مصطفى - المهرجان الألفى ص٣٦٣.

مما يدرّس بها، ولقيَه أبو العلاء وقرأه أيضًا.

وقد بقيت هذه المختصرات تدرّس فى الشّام إلى أن جَلَس أبو العلاء بالمعرة أستاذًا يعلم النّاس، فعلمها لتلاميذه وجعل يؤلّف الكتب شرحًا لها، أو بيانًا لشواهدها: فألّف لكتاب (الجُمَل).

(أ) (عون الجمَل).

(ب) (إسعاف الصّديق).

وألف على (الكافى) كتابًا سماه: (قاضى الحق).

وعلى (مختصر ابن سَعدان) كتابًا سماه (المخْتَصر الفتْحى) ألّفه لأبى الفتح ابن كاتبه.

وقد كان آخر ما أملاه - فيما يقال - (عون الجمل).

ثم انتقل هذا الفتى المستكثر من العلم إلى حلب. فيما يقول ابنُ العديم: «دخل وهو صبى إلى حلب، فقرأ بها على محمّد بن عبدالله بن سعْد النحوى راوية أبى الطّيب المتنبى»[1] ولم يقولوا ما قَرأ عليه، ولكن ابن سعْد هذا - فيما يرى الأستاذ إبراهيم مصطفى - لم يكن نحويًا ولا ذكر فى النّحاة، وإن سمى نحويًا، وإنما كان راويةً لديوان المتنبى[2].

يروى المؤرخون للمعرى: أن ابن سعد كان يروِى فى ديوان المتنبى قصيدته التى مطلعها[3]:

أزائرًا يا خَيال أمْ عَائـد أمْ عند مولاكَ أنّنى راقد؟

وذلك أنّها لم تكن مما قرأه ابن سعد على المتنبّى، وإنما هى مما أنفذه إليْه المتنبّى فيما يقول المؤرّخون له:

أو موضعًا فِى فَناء ناحِيَةٍ تحمل فى التّاج هامة العاقد

---

(١) تعريف القدماء ص٥١٥ عن الإنصاف والتحرى.

(٢) انظر أبو العلاء المعرى وعلم النحو. المهرجان الألفى ص٣٦٤.

(٣) رقم (٢٨٨).

فرّد عليه أبو العلاء وقد اجْتمع معه بحلب وهو صبىّ فقال :

أو موضعًا فى فنَان ناجِيَةٍ ... ...

فلم يقبل ذلك ابن سعد، ومضى إلى نسخةٍ عراقية صعدَت مع أبى علّى بن إريس من العراق، فوجد القول ما قال أبو العلاء.

ولعلَّ فى هذا الخبر حجّة لمن يقول : إن أبَا العلاء لم يقْرأ على ابن سعْد شيئًا من العلم، ولم يأخذ عنْه لغةً ولا نحوًا، وإنما أراد أن يأخذ عنه شعرَ المتنبّى رواية عنه فقط، فكان حفظه لكلام المتنبّى أوثق من حفْظ ابن سعد، ولذَلك كان القول قوله فيما اخْتلفا فيه.

وقد كان شعر المتنبّى متغنّى أهل الشّام، وهتَاف عاطفتهم وذاكر أيّامهم، فأحبّه الشباب وأحبّه أبو العلاء، ثم زاد فيه حبا أن معانِيه لاءَمت نفسه، فأكبّ عليه جمْعًا وحفظًا، ثم قصَد ابن سعد هذا، الذى لقى المتنبّى وسمع منه وحفظ عنْه وعدّ روايةً له، ولكن الفتى كان أجْمع لشعْر المتنبّى وأرْوى من راويته.

وكان فى حلَب آثار مدرسةٍ نحوية عظيمة أسَّسهَا ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ، وابن جنّى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ. وقد تأثّر أبو العلاء بهذه المدرسة فى البحث وإن لم يلْق أحدًامن أئمتها[١]، وألّف كتابًا سماه (تظلّم السور) يتكلّم فيه على لسانِ السّور، وتتظلّم كلُّ سورةٍ ممن قرأها بالشواذ، ويتعرّض لوجه الشّاذ، ولم يفْلح المعرى فى أن يلق أستاذًا بحلب، ولقاء الشيوخ كان من تمام العلم فيما يقال - آنذاك - ولربّما كان الرّجل عالمًا ثبْتًا، ثم عيب بأنّه لا لقاء له.

واستأنف الصبى سيره يطلب العلم على الشّيوخ، ففى خبر أنه رحل إلى طرابلس الشّام، وكان بها خزائن كتب موقوفة، وأنه فى رحلته مرّ باللاذقية، ونزل ديرًا كان به راهب، له علْمٌ بأقاويل الفلاسفة، سمع أبُو العلاء بعض كلامه فحصل له به شُكوك[٢]. يردُّ إليها بعض مؤرخيه ما رابهم من أمر عقيدته.

ولكنْ تتناقض الأخبار المرويّة عن تلْك الرِّحلة، فيقطع هذا التناقض ابن العديم

---

(١) راجع أبو العلاء المعرى وعلم النحو. المهرجان الألفى ص٣٦٥.

(٢) تعريف القدماء ص٣٠ عن القفطى فى إنباه الرواة.

بنفى الرّحلة إلى طرابس[١].

وفى خبر آخر أنّه رحَل إلى أنطاكية، وتردّد إلى خزانة كتبها، يحفظ ما فيها، وفى هذا الخبر وَهْمٌ يشير إليه ابن العديم، ويقول: ويحْتَمل عنْدِى أن يَكون هذا (بكفرطاب[٢])، فقد كانت (كفر طاب) مشحونةً بـأهل العلْم.. فلَعله صحف كفر طابٍ بأنطاكية، وتصحيفُها بها غير مستبعد[٣]. ولعلّ ما ذكره ابنُ العديم - وهو المؤرخ الثّبت لهذه المنْطقة - ينفى ما استنْبَطه الدّكتور طه حسين فى (ذكرى ابن العلاء) والأستاذ الميمنى فى (أبو العلاء وما إليه) فى هذا الباب. وأنّ رحلة أبى العلاء إلى أنطاكية واللاذقية وطرابلس، وتعلمه من الرّاهب وأخذه من مكتبة طرابلس أمورٌ لا تطمئن النفس إلى شيءٍ منْها، وليس هنَاك ما يوجب القطع بصحتها، وقول ابن العديم فى أنطاكية وطرابلس أقرب إلى الصواب والواقع.

وفـاةُ والدِه:

شاع عند بعض المتأخرين من الدّارِسين أنّ والدَ أبى العلاء المعرّى توفى سنة ٣٧٧ هـ وعمْر أبى العلاء نحو أربع عشرة سنة.. فمن الدارسين من ذكر ذلك ومرّ به، ومنهم من استَغْرَب أن يقول أبو العلاء فى رثاء والده:

طلبت يقينًا يا جهيْنَة عنْهُمُ ... ولمْ تخْبرينى يا جُهينْ سوىَ الظَّنِّ
فإنْ تَعْهدِينى لاَ أزَالُ مُسَائِلاً ... فإنِّى لم أعط الصحيح فأستغن

وعمره أرْبع عشرة سنة فقط. على أنّ منهم من ذهب يبنى النظريّات على هذا اليتم المبكّر ويفسح لمناقشتها الصّفحات، كما فعل الدكتور طه حسين فى (تجديد ذكرى أبى العلاء)[٤] والحقيقة أن والدَ أبى العلاء توفّى سنة ٣٩٥ هـ وعمر أبى العلاء يومئذ اثْنتان وثلاثون سنة، ولقدْ كان أوّل من نبه على هذا الوهْم، ودلّ على التاريخ الصّحيح الذى ورد فى كتاب الإنصاف والتحرى[٥] لابن العديم الأستاذ جبرائيل جبّور، فى كلمة

(١) للمستزيد أن يرجع إلى تعريف القدماء ص٥٥٧ عن ابن العديم فى الإنصاف والتحرى.
(٢) بين المعرة وحلب.
(٣) تعريف القدماء ص٥٥٦ عن الإنصاف والتحرى، والجامع فى أخبار أبى العلاء ١/١٨٨ وما بعدها.
(٤) الطبعة الثانية ص١٢٧ - ١٣٢.
(٥) انظر تعريف القدماء ص٤٩٣ عن الإنصاف والتحرى.

ألقاها عام ١٩٤٤م فى مهْرجان المعرى. ولعلّ مردّ انسياق الدّارسين فى هذا الخطأ، اعتمادهم على معْجم الأدباء لياقوت[١] فى قول النسختين الموجودتين فى أيدى الناس (طبعة مرجليوث. ودار المأمون) «توفى عبد الله بحمص سنة ٣٧٧هـ»[٢].

والملاَحظة الّتى يمْكن أن يلاحظَها المحققُ أن يكونَ قد سقطَ من هذهِ العبارَة كلمةُ [والد] قبْل اسم عبْد الله فتصير «توفى [والد] عبْدالله بحمص سنة ٣٧٧هـ» ويذكر ابن العديم أنّ الذى توفّى فى هذا التاريخ سنة ٣٧٧هـ: والدُ عبدالله. والدُ أبى العلاء، واسمه: أبو الحَسن سليْمان بن محمدّ بن سليْمان بن أحمد، جَد أبى العلاء، تولّى قضاء المعرّة سنة ٣٣١هـ ثم بعد ذلك قضاء حمْص أيضًا، وكانِ فاضلاً فصيحًا شاعرًا محدّثا، روى عنْه أبو العلاء، وقد وُلِدَ بالمعرّة سنة ٣٠٥هـ وتوفى بحمص وهو على قضَائها فى جمادى الأولى سنة ٣٧٧هـ[٣].

وفى الإنْصاف والتحرّى: «وتوفّى أبو محمّد عبدُ الله بن سليْمان والدُ أبى العلاء بمعرة النّعمان سنة خمْسٍ وتسعين وثلاث مئة[٤] وقالَ أبو العلاء ابنُه يرْثيه».

إذنْ فقد ماتَ أبوه وهو فى الثّانية والثلاثين من عمره، وقد استنفد طاقَته فى تحدّى محْنته والاستعلاء عليْها.

رحلتُه إلى بغْداد:

فى أخريات القرْن الرّابع، بدأ يفكّر فى الرّحلة إلى بغْداد، وأطال التفكير فيها قبل أن يجمع أمرَه، ويشدّ الرحالَ إلى دار السلام، فى أخريات عام ٣٩٨هـ ويدْخل بغداد فى أوائل عام ٣٩٩هـ وبقى بها عامًا ونصْفًا.

ومهْما يكن من غموض التاريخ فى شأن أبى العلاء ببغْداد، فإنه قد دخل مكاتبها وقرأ ما فيها من الأدب واللّغة والفلْسفة والحكْمة، وعرف العلماءَ وحضر مجالسهم

---

(٣) ومنهم المحققون لكتاب تعريف القدماء، إذ قالوا معلقين على تاريخ وفاة أبى العلاء عند ابن العديم «كذا. وإنما توفى سنة ٣٧٧هـ بحمص كما فى ياقوت ص٦٩» راجع هامش١ ص٤٩٣ من تعريف القدماء.

(٢) تعريف القدماء ص٩٦ عن إرشاد الأريب.

(٣) راجع تعريف القدماء ص٤٩١ - ٤٩٢ عن الإنصاف والتحرى.

(٤) تعريف القدماء ص٤٩٣.

ومُناظراتِهم، واشترك في المجامع العلميّة والأدبيّة، الخاصّة والعامّة، فكان يحْضر المجمع الفلسفي الخاص، الّذى كان يُعقد يومَ الجمعة بدار عبد السلام البصْرى.

وكأن هذا هو المجمع السرى - فيما يقول الدكتور طه حسين - الذى سمّاه المعرى (إخوان الصفا) فى قوله :

وإذَا أضاعتنى الخطوبُ فلَن أرَى لِـودَادِ (إخوان الصّفـاء) مضيعَا

وذلك لشيوع هذا اللّفظ (إخوان الصفا) بين المسلمين فى ذلك العصر، ودلالته الخاصة على جماعةٍ فلسفية تشترك فى الأغراض والآراء[1].

وكانَ شعراءُ بغداد ينْشدون قصائدَهم فى مسجد المنْصور، وكان أبو العلاء يحْضر هذه المجالِس الشعريّة، ولعلّه كان ينْشد أشعارَه فيها، وكانَ يحضر مجلسَ الشّريف المرْتضى، وكانت الصّلة بينه وبين هذه الأسرة متينةً قويّةً، حتى رثَى أبا أحْمد : والدُ الشريفين الرّضى والمرتضى، حين ماتَ فى جمادى الأولى سنة أربع مئة، ولكنّه حضر مجلسَ المرتضى بعد ذلك فجرى ذكرُ المتنبى. وكان المرتَضى يكرهُه ويتعصّب عليْه، وكان أبو العلاء يحبّه ويَرى أنه أشعر المحدثين. ويفضّله على بشّار ومَنْ بَعْدَه كأبى نواس وأبى تمّام، فانتقصه المرْتضى، وأخذ يتتبّع عيوبَه، فقال أبو العلاء : لَوْ لمْ يكنْ لِلْمتنّبى من الشّعر إلا قوله : «لك يا منازِلُ فى الْقُلوب مَنازِل» لكفاه فضلاً! فغضِب المرتضى وأمر بإخراجه، وقد قال المؤرخون : فَسُحِبَ برجله حتى أخرج.

ثم قال المرتضى لمن حضره : أتدْرون لِمَ اختار الأعْمى هذه القصيدة دون غيرها من غُرَر المتنبى؟ قالوا : لا. قال : إنما عَرّض بقوله :

وإذا أتَتْـك مذمَّتى من نَـاقص فَهى الشَّهادَةُ لِى بأنِّىَ كـامل[2]

ولولا تعصُّب المعرى للمتنبى قد كلّفه الإساءة إلى رجل يحبه ويجلّه، لما أصابَه من ذَلك شيء.

---

(١) انظر تجديد ذكرى أبى العلاء ص١٥١.

(٢) راجع فيما ذكرناه : تعريف القدماء ص٧٦ عن إرشاد الأريب وص٢٦٧ عن الوافى بالوفيات.

وخلاصة القول: إنّ أبا العَلاء لم يترك بيتًا من بيوت العلْم ببغْداد إلا ولجه، ولا مجْلسًا من مجالس الأدَب إلا حضَره وكان مِمّن لقيهم ببَغداد: ابن فورَّجة[1].

وأقرَّ البغداديّون لأبي العلا بأنّه أعجوبة الزّمان في حفْظه وعلمه باللّغة، لما عرفوا منه واختَبَروا. كما شهدوا له شاعرًا أصيلاً مبدعًا، وكانَ يظنّ أنّ الزمانَ سيسعفه على المُقام بها - كما قال - لكن خابَ ظنّه.

ذكر الإخباريون أنّه لما قدم بغدَاد «دخل على عليّ بن عيسى الرَّبَعي[2] ليقرَأ عليْه شيئا من النّحو، قال الرّبعي: ليصْعَد الاصْطَبل[3]، فخرج مغْضبًا ولم يعدْ إليه»[4].

ويُروى أنّه دخل يومًا إلى مجْلس المرْتضى فعثر بإنسانٍ فقال له: مَنْ هذَا الكلْب؟ فقال: الكلبُ من لا يعرفُ للكلب سبْعينَ اسمًا. وتنقّص المرتضى للمتنبي وتعقّبه له، وردّ أبي العلاء عليه، كل ذلك جعل الحياة لا تستقيم له في بغداد، ولأنّ أخلاقه لم تكن أخلاق الرّجل الاجْتماعي، الذي يستطيع أن يأخذَ من النّاس وأنْ يعْطيهم، وأن

---

(١) في فوات الوفيات ٢٤٧/٢: «فُوَرِّجة» ويضبطها بالعبارة فيقول بالفاء المضمومة وبعد الواو المضمومة والزاي جيم مشددة» وقال السيوطي في البغية بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم.

وقد خصصته بالذّكر لما له من رواية في شرْح المعري (معجز أحمد) فقد روى عنه المعري، وأيضا فقد روى هو عن المعري. فيا ترى من هو:

هو: محمّد بن حمد بن عبْد الله بن محمود بن فورَّجه البروجردي. ولد سنة ٣٣٠ هـ إذن فهو أكبر من أبي العلاء المولود سنة٣٦٣هـ ويعتبرمن شيوخ أبي العلاء .. لا من تلاميذه! وفي وفاته خلاف، لكنه كان حيا سنة ٤٢٧ هـ وفيه يقول المعري موضّحًا كنيته، وأنهما كانا بالعراق معًا:

كلفْنا بالعراق ونحْن شرْخٌ ... فلم نلْمم به إلا كُهُولا
وشارفْنا فِراق (أبي علىٍّ) ... فكان أعزَّ داهية نزولا

وذكر ياقوتُ أن الشّيخ مجْد الدين الشّيرازي ذَكَرَه في كتابه (البلْغة في أئمّة اللّغة) لكن سماه: حمد بن محمّد. وقال الثعالبي: هو من أهْل اصْبهان المقيمين بالرّي والمتقدّمين في الفَضْل المبرِّزين في النظم والنثر وهو صاحب كتابي: (الفتح على أبي الفتح) و(التجني على ابن جني).

(٢) علي بن عيسى الربعي: أحد رواة المتنبي ومن أصحاب أبي علي الفارسي وصاحب كتاب (التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي) وأحد أئمة النحويين وحذاقهم الجيدي النظر الدقيق، والفهم والقياس وكان يحفظ الكثير من أشعار العرب إلا أن جنونه كان يحول دون الأخذ عنه، ولد سنة ٣٢٨ وتوفي سنة ٤٢٠ هـ - ياقوت ٢٨٣/٥ وإنباه الرواه ٢٩٧/٣.

(٣) الاصطبل: الأعمى بلغة أهل الشام.

(٤) اللفظ لابن الأنباري في نزهة الألباء ١٦ تعريف القدماء، والقصة في ياقوت ويتيمة الدهر ١٨٧/٣ ونكت الهيمان.

يقارِضهم المنافِع بما فيها من خيْر وشرّ، وأن يصبر على أذاهم حينًا ويلْقاهم بالأذى حين تمكّنه الفرصةُ، لم يكن أبو العلاء من هذا كلّه فى شىء، وإنما كان دقيقَ الحسِّ، رقيقَ الشّعور، سريع التأثّر، سريع ردّ الفعْل كما يقال، وقصته مع الشّريف المرْتضى ومع أبى الحسن الرّبعى تدلان على ذلك دلالة واضحة، فإذا أضفْت إلى هذا أنّ شيخنا قد ظفر بالشهرة فى بغْداد، ولكنّه ظفر معها بالحسَدِ، ولم يظفر معها بالمال، تبيّنت أنّه لم يكن له فى بغْداد مقامٌ ولا أمَل فى المقَام.

هذا مع إفْراطه فى التعفّف، ومع قلّة ماله وحنينه إلى أمّه، ورجاؤه لقاءَها، وكان ذلك من أكبر البَواعِثِ على عَزْمِه العوْدَة، وأخذ يصغى بِملْءِ وجْدانه الجريح إلى قصيدةٍ أرسلها إليْه من المعرّة أخوهُ: أبو الهيْثم عبْد الوَاحد. واستعطفه على مَنْ خلّف بالشّام ويسأله العودة، ناقمًا على بغْداد أن اجتذبَتْ ببريقها الخادِع ذلك الماجِد الأبىّ الكريم وفيها يقول[1]:

بغـداد لاسقيَتْ ربـوعَـكِ ديمـةٌ وغدَت رياضُـك حَنْظَلا ومَـرَارا
أنْتِ العروسُ يروقُ ظاهرُ أمْرها وتكـون شيْئًا فى اليَقـين وعارَا

ومنها:

شغفًا بدارِ العِلْم فيـكِ وقلْبُه مـازال ربْعًـا لـلْعـلُوم ودارَا
ما زدْتِ عمّا عنده، فسقاكِ منْ رفَـعَ السّـماءَ نقيصـةً وعشَـارَا

ومنها:

واسْلَم لقومك إذْ غدوْتَ لمجْدهم تـاجًـا تشـرف فضْله وسِـوَارا

* * *

فهل كانت أنباءُ أبى العلاء فى غرْبته، وما يلْقى من خَبَث النّاس وشرّهم تصل إلى أهْله بالمعرّة فتحزنهم وتكربُهم؟! أوَ كَان أبو الهيثم - وهو مِنْ أقرب الأهل إلى أخيه وأعرفهم بخُلقه وطبْعه - يتمثّل حال الغريب النّازح، فيشفق عليْه من المُقام فى بلَدٍ تسرح فيه ثعالبُ الإنس وذئابُ البشَر!

(١) انظر فى هذا الخبر ونص القصيدة تعريف القدماء ص٥٤٤ عن الإنصاف والتحرى.

وأجْمع أبُو العلاء أمره على العزْلة وهو ما يزالُ فى خضَم المعْتَرك، وقد عرف أنّ أسلحتَه مفْلولة. . تغلبُها أسلحةٌ أخرى لا يمْلكها من : مكْر الحيلة، ونعومة المَداهنة، ولؤْم النِّفاق، ومُرونةٍ فى الخُلق والطّبع، يتلوّن بها فى موْكبِ المنافقين والمهرّجين فيقول : «وقد كنتُ ظنَنتُ أن الأيّام تسْمح بالإقامة هناكَ فإذَا الضّارية أحْجأ بعرَاقها. والأمَة أبْخَل بصرْبَتها[1]، والعبْد أشحّ بكرَاعه والغراب أضنّ بتَمْرته».

وبدأت رحلة الإياب نفسيًا وهو فى بغداد مقيم، واضطر أن يفكّر فى العوْدَة إلى المعرّة ليقيم فيها وادعًا مطمئنًا. فودّع بغداد وداع محْزون لفراقها إذ يقول : «وجدْتُ العلْمَ ببَغْداد أكْثر من الحَصىَ عند جمْرة العقبَة، وأرْخص مِنَ الصَّيْحانى بالجَابرة، وأمْكن من المَاء بخُضَاره، وأقرب من الجَريد باليمامة، ولكنْ على كل خيْرٍ مانع، ودونَ كلّ درَّةٍ خرساءَ مُوحية أو خَضْراء طَامِية»!

إذَا لَمْ تَسْتَطِع أمْرًا فَذَرْهُ وجَاوزْه إلى مَا تَسْتَطِيعُ[2]

من هنَا نفْهم السَّبب الّذى أنْطق أبا العلاء شعرًا ونثْرًا غيرَ قليل حزْنا على بغداد. واستغرقَ حزنُه من رسائِله غيرَ قليل.

وحدّد أبو العَلاء تاريخَ عودته من بغْداد باليوْم والشّهر والسّنة فقال فى رسَالتِهِ إلى خالِه : «وسرْتُ عن بغْداد لسِتٍّ بقِينَ من شهْر رمضان»[3] وذلك عام ٣٤٠ هـ فعلى قول من قال : إنّه أقام فيها سنة وتسعة أشهر يكون وصوله إليها فى ٢٤ صفر سنة ٣٩٩ هـ.

وأمضى أيّامه ولياليه فى طريق العودة يجتر ذكريات مقامه ببغداد، وفى طريق العودة بلغَه نَعْىُ أمّه. . فكان لوقْعه فى نفْسه شديد الألم ولاذِع الحزن، وأخذَ يطيلُ التفكير فيما هو مستقْبِلٌ من عزْلةٍ وقيود. وآب الضّرير إلى بيته!.

---

(١) الصربة : واحدة الصرب، وهو اللبن الحامض وهى فى الأصل «بضربتها» رسائل أبى العلاء ٣٠ط مرجليوث.

(٢) رسائل أبى العلاء ص٣٠ وتعريف القدماء ص٨٧ عن إرشاد الأريب.

(٣) المرجع السابق.

عزلتـه :

انكمش أبو العلاء فى منْزله الّذى قرر أن يكون له سجْنًا ما عاش، وسمَّى نفسَه: «رهين المحْبسين» للزومه منزله وكفّ بصره، فأقام مدة طويلة فى منزله مختفيًا لا يدخل عليه أحدٌ، ولا يعدو هذا البيْتَ. فإنّ ما لقى من أذى الدّهر وبعضُ النّاس بغَّض إليه الاجتماع، وحبَّبَ إليه الانْفراد، ويبدو أن فى طبيعة أبى العلاء شيئًا من حبِّ العزلة، عرفه أبو العلاء نفسُه، فقال فى رسالته إلى خاله أبى القاسم[1]: إنّه «وحْشىّ الغرِيزة إنسىّ الوِلَادة» ونطقت لزوميّاته بكثير من الشِّعر الّذى يؤيّد مذهب الوحْدة ويحثّ عليه.

وكان دقيقَ الحسّ، شديد الفطنة كثير الشكّ، لا تكادُ تمر به حادثةٌ إلا أشْبعها بحثًا ودراسةً وتفكيرًا، «وربّما فهم من همْس الشّفاه وحركات الأعضاء، أكثر مما يفْهمه البصراء، وكانَ منذ حداثة سنه سيىء الظن بالناس، لا ينظر إليهم نظر الرّضى والطمأنينة، فزيّن ذلك كلّه الانقباض عن النّاس وحبّب إليه العزلة»[2].

هكذا وصفَه الدكتور طه حسين، وهو أقرب الناس إلى ما عليه أبو العلاء، وأصدقهم فى هذا الوصف، وكان أبوالعلاء فوْق ذلك كله قليل المال، كثير الأنَفَة، مفْرطًا فى التعفّف والإبَاء، شديد الحسْرة لفقْد ناظريْه، كثير الحسّاد، كثير الحَياء، شديد الاحتياط والحَذر، يكره أن يرى الناس منه ما لا يحمدونه. أو ما يجعله عرضة للازدراء والاستهزاء.

ويذكر العقاد «أن الخصْلة التى لو تغيرت فى أبى العَلاء، غيّرت معيشته كلَّها، أو غيرت مذهَبه فى الحَياة هى خصْلة (الوقَار وكراهة السّخر والمَهانة) أو هى خصلة (اللياقَة) كما نسميها فى العصر الحديث»[3].

ويذكر ابن العديم «أن النّاس تسبَّبُوا إليه حتّى دخلوا عليه، فكتب الشيخ أبو صالح محمّد بن المهذّب إلى أخيه أبى الهيثم عبْد الواحد بن عبْد الله بن سليمان - رحمهما الله - فى ذلك» ثم ذكر قصيدة ٣٧ بيتا منها:

نـأى مـا نـأى والمـوت دون فِـراقِـهِ ... فـما عــذْره فى النَّــأى إذْ هُــوَ دانِ

(١) رسائل أبى العلاء المعرى ص٣٠.

(٢) انظر تجديد ذكرى أبى العلاء ص١٦٣ وما بعدها.

(٣) رجعة أبى العلاء ص٤٠.

فكُنْ حـاملاً منىً إليْـه رسَالـةً   تبـينُ إإليْـه فى هضــاب أبَـانِ
فَإنْ قال: أخْشَى مِنْ فُلَان تشبُّهًا   فقل: مَا فـلان عندنـا كفُلانِ

وأبو صالح هذا، كان كبير القدْر فى أهل المعرة، جليلَ الأمْر فاضلاً عالمًا زاهدًا محدثا، شاعرًا حدّث بالكثير عن أبى العلاء المعرى كما يقول صاحب الإنصاف والتحرى[1]. وابن عمته ورفيق صباه وزميله فى الدرس.

ولم تلبث دارُ أبى العلاء أن استحالتْ إلى مدرسة يؤمها الطلاّب الكثيرون من أبْعد الأقطار الإسلامية وأنآها، منهم من يأتى من خراسان، ومنهم من يأتى من اليَمن، ومنهم من يأتى من غير هذين القطرين من أقطار المسلمين، وكلهم يطلب عنده العلْمَ والأدَب، ويلتمس منه المعرفَة والفقه بأصول اللغة، وأبو العلاء يعطيهم ما يجد من العلْم، ويتكلّف لهم مالا يجد من المالِ والنّفقة، لأنه لم يكن بخيلاً ولا شحيحًا، وإنما كان أبعد الناس من البخْل والشح، على أنّ أبا العلاء لم يعدْ من بغداد بهذا العزم المصمم على العزلة وحده. وإنما عاد أيضًا بشىء آخر، هو هذه الحياة الخاصّة التى فرضَها على نفْسه أثناءَ العزلة، والتى حالت بيْنَه وبين الزّواج والنّسل، وحرّمت عليه أكثر اللّذات أو قل كلّ اللذات، وحظرت عليه أكل الحَيوان وما يخْرج منهُ، واضطرّته إلى أن يعيشَ على العدس والزّيت والتين والدّبس، لا يتجاوز ذلك إلى غيره. وأن يتخذ من اللباس أخشنَه وأقساه، ومن الفِراش أغْلظه وأجْفاه: اللّبد فى الشتاء، والحصير فى الصيف، وأن يأخذ نفسه بألْوانٍ عنيفة من الرِّياضة المادّية، فلا يتخذ فى الشتاء دفئًا. ولا يصْطنع الماءَ الساخن، فيقول فى جوابٍ له إلى داعى الدّعاة[2]: «فلمّا بلَغ العبد الضّعيف العاجز اختلافَ الأقْوال، وبلغَ ثلاثين عامًا سألَ ربّه إنعامًا، ورزَقَه صوْمِ الدّهر، فلمْ يفْطر فى السنة ولا الشهر، إلاّ العيدين، وصبَر على توالِى الجَديدين، وظنّ اقتناعه بالنّبات يثْبت له جميلَ العَافية... فاقتصرت على فولٍ وبلْسَن ومالا يعْذب على الألْسن» وكانَ له وقفٌ يدرّ عليه نيفًا وعشرين دينارًا فى السنة[3]، يُعْطى بعضَها خادمه ويعيش بالصّبابة الباقية منْها، ويجرى منها على جماعةٍ من الكتّاب الذين يكتبون عنه ما يمْليه وما ينْظمه،

(١) انظر تعريف القدماء ص٥٤٨ - ٥٥٠ عن الإنصاف والتحرى.
(٢) تعريف القدماء ص١٢٣ عن إرشاد الأريب.
(٣) المرجع السابق ص١٢٥.

ولبثَ تسعًا وأربعين سنةً فى محْبسه بمعرة النّعمان، لم يغادره إلا مرةً واحدةً لم تتكرر. وذلك حين حَمَلَه قومُه على الخروج ليشفَع لهم لدى صالح - أسد الدولة- بن مِرْداس صاحب حلب سنة ٣١٨هـ ولم يبرح منْزلَه منْذ هذه الحادثة إلى أن خرج من الدّنيا بعد بضع وثلاثين سنة، وفى هذه المدة فرغ للتدريس والإملاء، فإذَا خلا بنفسه فى غيْر أوقات الدرس فللعبادة والتأمل. قال: «لزمْتُ مسكَني منْذ سنة أرْبع مئة. واجْتَهدت أن أتوفّر على تسبيح الله وتحميده، إلا أنْ أضْطَرّ إلى غيْر ذَلِك، فأمليت أشياءَ تولَّى نسْخَها لِيَ الشيخُ أبُو الحسَن علىّ بن عبْد الله بن أبى هاشم أحْسن الله معُونَتَه، ألزمنِي بذلك حقُوقًا جمّة، وأيادِي بيْضاء، لأنه أفْنَى فىَّ زَمَنه، ولم يأخذ عمّا صنع ثَمَنه، والله يحسن له الجزاء، ويكفيه حَوَادثَ الزّمان والأرزاء»[1]، ومن كُتَّابِهِ أيْضًا ولد المتقدّم ذكره: أبوالفتح محمّدبن علىبن عبدالله بن أبى هاشم، ووضَعَ له أبو العلاء كتابًا لقّبه (المختصر الفتحى) وكتابًا يعرف بـ(عون الجمل) فى شرح شيء من كتاب (الجُمَل) للزجّاجى. وكان هو ووالده خادمينْ لأبى العلاء، يكتبان ما يلقيه إليهما، ويعوِّل فى نسخ ما يؤلّف من العلْم عليهما، فغبرَا معه مدةً تحسب من أهنأ الأعمار، يجنيان منْه أعذب الثمار. قال ابن العديم: «ومن كتّابه جماعة من بنى هاشم (غير من ذكرناهما) لا أتحقّق أسماءهم».

تلاميذه وكتّابه:

قال ابن فضل الله العُمَرى: «أخذَ عليه خلقٌ لا يعلمهم إلا الله عزّ وجلّ، وكلهم قضاةٌ وأئمة وخطباء، وأهل تبحّر وديانات، واستفادوا منه، ولم يذكره أحدٌ منهم بطعْن، ولم ينْسب حديثه إلى ضعف ولا وهن، وكان له أربعون من الكتّاب المجوّدين فى جرايته وجاريه، يكتبون عنه ما يكْتبه إلى النّاس وما يمْليه، من النظم والنّثر والتّصانيف والإجازات والسّماع لمن يسمع منه ويستجيزه، وغير هؤلاء من الكتّاب الذين يغيبُون ويحْضرون، منْهم جماعةٌ من بنى أبى هاشِم[2]».

وقد ذكر ابنُ العديم فى كتابه (الإنصاف والتحرى) فصلًا كبيرًا نيّف على عشْر الورقات فى ذكر تلاميذه ومن أخذَ عنه، وقرأ عليه وروى عنه[3]، فمن الذين ذكرهم

(١) تعريف القدماء ص٣٨ عن إنباه الرواة.
(٢) تعريف القدماء ص٢٢ - ٢٢٣ عن مسالك الأبصار.
(٣) ليرجع إليه من أراد فى تعريفالقدماء ص٥١٧ - ٥٢٧.

ابن العديم جماعة من أهل المعرّة أخص منهم بالذكر : ابن أخيه أبو محمد عبْد الله بن محمّد بن عبْد الله بن سلْيمان، فإنه كان ملازمًا لخدْمته ويكتبُ له تصانيفه، ويكْتب عنه الإجازة والسّماع لمنْ يسمعُ منْه ويستجيزه، وكتب تصانيفه بخطّه، ويقع بخطّه من المصنَّف الواحد نسختان وأكثر، وكان برًّا بعمّه مشفِقًا عليه تولى قضاء المعرة[1].

ومنْهم ابنُ أخيه الآخر، أخو المقدّم ذكْره تولّى قضاء المعرّة أيضًا، ونسخ بخطّه، جميعَ أمالى عمّه، وسمع منه.

ومن كتَّابه أيضًا جعْفر بنُ أبى صالح بن جعفر بن داود المطهّر، وكان من أعيان كتّابه، وكتب الكثير عنه، وقرأ عليه كثيرًا من كتب الأدب وروى عنه.

ومن كتّابه إبراهيم بن علىّ بن إبراهيم الخطيب، وهو كاتبٌ حسن الخط كتب معظم تصانيفه وقرأ عليه.

قال ابن العديم : «ومن كتّابه جماعةً من بنى هاشم لا أتحقّق أسماءَهم، فإنّى وقفتُ عن رسالةٍ لأبى العلاء تُعرف بـ (رسالةِ الضبعين) كتبها إلى معزّ الدولة ثمال بن صالح يشكو إليه رجلَيْن أحدهما الشّريف بن المحيرة الحلبىّ كانا يؤلّبان عليه، وينْسبانه إلى الكفر والإلحاد، وقد حرّفا بيتا من لزوم ما لا يلزم عن موضعه، ليثبِتَا عليه الكفْرَ بذلك ! قال فيها : «وفى حَلَب - حَمَاها الله - نسخ من الكتَاب بخطوط قوم ثقات، يعرفون ببنى أبى هاشم، أحرار نَسكة، أيْديهم بحبْل الوَرع متمسكة، جرت عادتهم أن ينْسخوا ما أمْليه، وإن أحضرت ظهرت الحجّة بما قلت فيه»[2].

وقدْ اشتهر من تلاميذه : على بن المحسّن بن على التنوخى القاضى. وهو من أقْرانه، وقد لقيه ببغداد. وكان له صاحبًا وصديقًا طول مقامه بهَا. وأبو زكريّا الخطيب التّبريزى من أعْيان القرن الخامس. والإمام أبو المكارم عبد الوارث بن محمّد الأبْهر. والفقيه أبو تمّام غالب بن عيسى الأنْصارى الأندلسى. والخليلُ عبْد الجبّار القزْوينى. وأبو طاهِر محمّد بن أحمد الأنبارى. وأبو الحسن علىّ بن همّام ونصر بن صدقة القابِسى النحوى، الذى رحل إلى المعرة فلازم أبا العلاء، وقرأ عليه وأخَذ عنْه. وأبو عَبد الله محمّد بن

(١) ذكر ابن العديم ترجمة له، وذكر شعرًا لأبى العلاء يمدحه ويشكره على ما فعله.انظر تعريف القدماء ص٤٩٦ .

(٢) راجع فى هذا الباب ابن العديم ص٥١٧-٥٢٧ من تعريف القدماء.

عبد الله الأصبهانِيّ. وكان من فضلاء العصْر، قَصد إلى المعرة ولازمه مدة ياتِه يقرأ عليْه إلى أن مات. وله صنف أبو العلاء (ضوءَ السّقط) شرحا لـ (سقط الزّند). والأمير أبو الفتْح الحَسن بن عبد الله بن أبى حُصينة المعرى، شاعر أسد الدولة وقد ولاه المعرة[1]. قال الرحالةُ الفارسى ناصر خسروا فى كلامِه على أبى العلاء: «ويجلس حوله دائمًا أكْثر من مئتى رجُل يحضرون إليه من الآفاق ويقرءون عليه الشّعر والأدب»[2].

ولم يقْبل قط أنْ يأخذ على العلم أجْرًا، بل إنّه كان يودّ لو أن موارده الماليّة المحددَة احتملت عبء ضيافة تلاميذه، لأنَّ ملكه فى معرة النّعمان كان يدِرُّ دخْلاً فى السنة ينيّف على العشرين دينار كما ذكرنا، وقد كانَ مع هذا يجرى منه على جماعةٍ من الكتّاب يكتبون عنه، وكان يعطى منه لخادم يخدمه، ويدفع منه شيئًا لأولى الحاجات ممن يتردّد عليه، فقال الخطيب التبريزى: «كان المعرى يجرى رزْقًا على جَماعةٍ ممَّن كان يقْرأ عليه ويتردّد لأجل الأدَب إليه[3] وقد أبت مروءتُه أن يقْبل من تلميذه الخطيب التّبريزى نفَقَة إقامته التى طالت عنده برغم فقْره، وفى الخبَر أن الخطيب أعطاه صُرَّة فيها ذهب؛ ليدفعها إلى من يختار، كى ينفق منها على ما يحتاج إليه من طعام، ويتوفر هو على القراءة والدرس، فأخذ أبو العلاء الصرةَ وهيّأ لتلميذه مطالب العيْش طولَ مقامِهِ بمعرة النُّعمان. وهو يظنُّ أن ذلكَ من ذهبه الَّذى دفَعه إلى الشّيخ، فلمّا حان وقتُ رحِيله وودّع شيخَه، دفع إليه صرّتَه بعينها لمْ تُمسّ.

واتّصل به من غير التلاميذ وطلاّب العلْم عددٌ من أعلامِ العصْر يقول ابنُ العديم: «وما علمت أن وزيرًا مذكورًا، وفاضِلاً مشهورًا، مرّ بمعرة النعْمان فى ذلك العصْر والزّمان، إلاّ قصده واستفادَ منه، أو طلبَ شيئًا من تصنيفِه أو كتب عنه»[4] فأجابه أبو العلاء دون أن يأْخذَ على ذلك أجْرًا. وهُنا سِرّ العَظمة فى حياة المعرى الزُّهديّة عاش عيشَة الحكماء المتورّعين عن الدّنيا، ولم يكن فى ذلكَ كأبِى العتَاهية وأضرابه من الحريصين على المال، المقْبلين على حطام الدنيا، بل قنَع باليسير اعتقادًا بحكمة القنَاعة، وأحسن بما كان يفضل عنه، اعتقادًا بشرف الإحسان. فألف للأمير عزيز الدولة:

(١) من أراد المزيد فليرجع إلى تعريف القدماء ص٥١٧ - ٥٢١ والجامع فى أخبار أبى العلاء ١/٤٥٧-٤٧٢.
(٢) تعريف القدماء ص٤٦٣١.
(٣) تعريف القدماء ص٥٧٥عن الإنصاف والتحرى.
(٤) تعريف القدماء ص٥٦٥ عن الإنصاف والتحرى.

شجاع بن فاتك. والى حلب من قِبَل المصريّين فى أيّام الحاكِم، ألّف له ثلاث كتب: (الصاهل والشاحج) و (لسان الصاهل والشاحج) على لسان بغل وفرس. و (القائف) وفيه أمثال على معنى كليلة ودمنة.

وعملَ للأمير عزيز الدوّلة[1]: ثابت بن ثمال بن صالح، ممدوح ابن أبى حصيْنة كتاب (اللامع العزيزى) فى تفسير شعر المتنبى، ويسمى (الثابتى العزيزى) أيضا وهو كتاب فى شرْح شعر المتنبى غير (معجز أحمد) موضوع بحثنا، وعزيز الدولة الثّانى غير عزيز الدّولة الأوّل. نبّهتُ على ذلك لأنّه كثيرًا ما يخْلط بينهما فلا يعرف الأوّل من الثانى فى الكتب أو فى الأشخاص، وألف كتاب (سجع الحمائم) لبعض الرؤساء إجابة لطلبه.

وبعثَ إليه أبو اليمْن المسلم بن الحَسن - صاحب الديوان بحلب - نسخةً من شعر أبى عبادة البحترى، فأعادَه إليه، بعد أن راجعه ونقَدَه، ودوَّن ما فيه من غلط وسماه (عبث الوليد) وعمل لأمير الجيوش أنوشتكين، والى دمشق وحلب كتاب (شرف السيف) وأنفذَ إليه مصطَنع الدولة: أبو غالب كليب بن علىّ، ديوانَ الحماسة مع شرح أبى رياش عليها، وسأله أن يخرج فى حواشيها ما لم يفسّره أبورياش، فأجابه أبو العلاء بكتاب مفرد سمّاه (الرياش المصطنعى).

* * *

هذا إلى جانب ما ألّفه للأصدقاء وذوى الحاجةِ ممّن سألوه أن يزوِّدهم ببعض مؤلّفاته، فى موضوعات يحتاجون إليها، ومن ذلك (سيف الخطبة) وفيه نماذج لخطَب الجمعة والعيدين، والاستسقاء والكُسوف والخُسوف، وعقْد النكاح. على حروف المعجم. سأله فيه أحد المشتغلين بالدين. و (المختصر الفتحى) و (عون الجمل) عملها لولد كاتبه كما ذكرنا.

ثبت كتبـه:

روى ياقوت، والقفطى، والذهبى، وغيرهم، ثبتًا لما ألف أبو العلاء من الكتب المنظومة والمنثورة فى العُلوم والآداب، ولكن - للأسف - النزر اليسير من هذه الكتب هو الذى بقى لنا، وأما أكثرها فقد قال القفطى (٥٦٨-٦٤٦هـ) والذهبى

(١) تولى حلب سنة ٣٣٦هـ وتوفى سنة ٣٥٤هـ. انظر تاريخ حلب ص١/٢٥٤-٢٦٠.

(٦٧٣-٧٤٨) هـ : «أكثر كتب أبى العلاء هذه عدمت، وإنما يوجد منها ما خرج عن المعرة قبل هجم الكفار (الصليبيين) وقتل من قتل من أهلها ونهب ما وجد لهم.

فأما الكتب الكبار التى لم تخرج عن المعرة فعدمت، وإن وجد شىء منها فإنما يوجد البعض من كل كتاب[1]» وقد أورد القفطى، والذهبى، وابن العديم والصفدى، وصاحب كشف الظنون، وتيمور، والدكتور محمد سليم الجندى : أسماء كتبه، وها نحن نذكرها بعد أن رتبناها على حروف الهجاء وأسقطنا من الترتيب لفظ (كتاب) ليسهل الرجوع إليها، وعرفنا بكل منها ما أمكننا ذلك، وسجلنا مصادرها :

١ - كتاب أدب العصفورين : رسالة ذكرها ياقوت وصاحب كشف الظنون.

٢ - كتاب استغفر واستغفرى : كتاب فى المنظوم، به نحو عشرة آلاف بيت ذكره ياقوت، والظاهر من أقوال العلماء أنه يشبه لزوم ما لا يلزم، وأنهما من نبعة واحدة[2] ومقداره ١٢٠ كراسة.

٣ - كتاب إسعاف الصديق : يتعلق بكتابه (تعليق الجليس) وهو يتعلق بكتاب الزجاجى (ت ٣٣٩) المعروف بـ(الجمل) ذكره ياقوت، وصاحب كشف الظنون.

٤ - إقليد الغايات : كتاب لطيف قصره على تفسير ما جاء من اللغز فى كتابه (الفصول والغايات) ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

٥ - كتاب الألغاز : قال البديعى فى (أوج التحرى)[3] : «ولأبى العلاء المعرى ديوان شعر جميعه فى الألغاز».

٦ - الأمالى : لم يذكره ياقوت، وقال صاحب الكشف : هو مئة كراسة.

٧ - كتاب أمالى من حديث رسول الله ﷺ : عن شيوخه ولم يكمله وهى فى سبعة أجزاء[4] ذكره ابن العديم.

٨ - كتاب الأنواء : ذكره البغدادى فى (خزانة الأدب) فى جملة الكتب التى اعتمد عليها وانتقى منها.

---

(١) تعريف القدماء ص٤٩ عن إنباه الرواة، ص٢٠٤ عن تاريخ الإسلام.

(٢) راجع ابن الوردى حوادث سنة ٤٤٩.

(٣) أوج التحرى عن حيثية أبى العلاء المعرى للبديعى ص١٠٤ تحقيق الدكتور إبراهيم كيلانى.

(٤) راجع تعريف القدماء ص٥٤١ عن ابن العديم.

٩ - كتاب الأيك والغصون : وهو كتاب كبير ويعرف بكتاب (الهمز والردف) ذكره ياقوت وصاحب الكشف ومقداره ألف ومئة كراسة، تقع فى اثنين وتسعين جزءًا كما ذكر ياقوت، وقال ابن خلكان[1] : «بلغنى أن له كتاب سماه (الأيك والغصون) وهو المعروف بـ (الهمز والردف) يقارب المئة جزء فى الأدب أيضًا، وحكى من وقف على المجلد الأول بعد المئة من كتاب (الهمز والردف) قال : «لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد !» وهو يشتمل على مثل مضمون (الفصول والغايات) من تمجيد الله تعالى والثناء عليه، والمواعظ، ولم ينسبوه إلى معارضة القرآن الكريم كما نسبوه فى (الفصول والغايات) مع أنهما على نمط واحد[2].

بحر الزجر = نجر الزجر

١٠ - كتاب بعض فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه : وفى ابن العديم «كتاب جمع فيه فضائل على . .» وفى الذهبى «كتاب مناقب على» وفى القفطى «كتاب جمع فيه بعض فضائل على عليه السلام»[3].

١١ - كتاب تاج الحرة : فى عظات النساء خاصة، ويقع فى أربع مئة كراسة كما فى ياقوت وكشف الظنون، قال ابن العديم : «وهو لبعض الخليلات من النساء ويغلب على ظنى أنها طرود زوج صالح بن مرداس» وقد ذكره القفطى وابن قاضى شهبة.

١٢ - كتاب التصريف : ذكره ابن قاضى شهبة فى (طبقات النحاة واللغويين).

١٣ - كتاب تضمين الآى : لم يذكره صاحب كشف الظنون، وقال ياقوت : هو كتاب مختلف الفصول. والغرض أن يأتى عند انقضاء كل فصل بآية من القرآن. ومقداره أربع مئة كراسة فى العظات والحث على تقوى الله.

١٤ - كتاب تظلم السور : يتكلم فيه على لسان سُوَر القرآن، وتظلم كل سورة ممن قرأ بالشواذ، ويتعرض لوجه الشاذ، ومقداره ست كراريس ذكره ياقوت وابن العديم وفى كشف الظنون (نظم السورة) وفى القفطى (نظام السُّوَر).

١٥ - كتاب تعليق الجليس. مما يتصل بكتاب (الجمل) للزجاجى. فى جزء واحد

---

(١) تعريف القدماء ص١٨٢ عن وفيات الأعيان.

(٢) راجع نماذج منه فى الجامع فى أخبار أبى العلاء ٢/٧٠٦.

(٣) انظر فضائل أمير المؤمنين على.

ذكره ياقوت، ولم يذكر فى الكشف، وسماه الذهبى وابن العديم والقفطى (تغليق الخلس).

١٦ - كتاب تفسير أمثلة سيبويه وغريبها: وهو فى مجلد. ذكره صاحب الجامع فى أخبار أبى العلاء.

١٧ - كتاب تفسير خطبة الفصيح: ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

١٨ - كتاب تفسير رسالة الغفران: ذكره صاحب الجامع.

كتاب تفسير شواهد الجمهرة = نشر شواهد الجمهرة.

١٩ - كتاب تفسير الهمزة والردف: وهو جزء واحد ذكره ياقوت، ولم يذكر فى الكشف.

٢٠ - كتاب جامع الأوزان: فيه شعر منظوم على معنى اللغز، يتمم به الأوزان الخمسة عشر التى ذكرها الخليل بجميع ضروبها، ويذكر قوافى كل ضرب من ذلك. به تسعة آلاف بيت، ومقداره ستون كراسة فى ثلاثة أجزاء[١]. ذكره ياقوت وصاحب الكشف وصاحب الجامع فى أخبار أبى العلاء.

٢١ - كتاب الجلَّى والجلَّى: هكذا ذكره ياقوت وابن العديم[٢] بالجيم فيهما وفى (طبقات النحاة واللغويين) والذهبى[٣] (والحلَى والحلَى) بالحاء المهملة فيهما وفى القفطى[٤] (الجلّىّ والجِلّىّ) سأله فيه صديق من أهل حلب يعرف بابن الجِلِّىِّ[٥] بكسر الجيم وكسر اللام المشددة، ذكره الذهبى فى المشتبه، وهو مجلد واحد مقداره عشرون كراسة، ولم يذكر فى الكشف.

٢٢ - كتاب حرز الخيل: ذكره ياقوت وابن العديم ويقول: «لا أعلم مقداره وجزء فيه حرز وتعويذ لا أعلم مقداره»[٦].

٢٣ - كتاب الحقير النافع: مختصر فى النحو مقداره خمس كراريس، كما فى ياقوت

(١) أمثلة منه فى الجامع ٧١٧/٢ - ٧١٨.
(٢) تعريف القدماء ص١٠٦ و٥١٣.
(٣) تعريف القدماء ص٢٠٢ عن تاريخ الإسلام.
(٤) تعريف القدماء ص٤٣ عن إنباه الرواة.
(٥) راجع تبصير المنتبه ٣٤١/١.
(٦) تعريف القدماء ص٥٣١ وانظر ياقوت منه ص١٠٤.

والكشف. وذكره السيوطى فى بغية الوعاة.

وهناك كتاب آخر يتصل به يعرف بـ (الطل الظاهرى)، وفى ابن العديم والقفطى وغيرهما بـ (الظل الظاهرى) عمله لرجل من أهل حلب يكنى أبا طاهر المسلم بن على بن ثعلب : الملقب مؤتمن الدولة. وهو قريب من الأول فى الحجم، وقد يخلط به ويجعلان كتابًا واحدًا.

كتاب حماسة الراح = خماسية الراح

٢٤ - كتاب الخطب : ذكره الذهبى نحو أربعين كراسة.

٢٥ - كتاب خادم الرسائل : فى تفسير ما تضمنته رسائله من الغريب، سواء كانت من الرسائل الطوال كالغفران والملائكة ونحوهما أو ما دونهما، ولم يذكر فيه إلا ما يحتاج إليه المبتدئون فى الأدب، وقد سماه صاحب كشف الظنون (خادمة الرسائل).

٢٦ - خطبة الفصيح : تكلم فيه على أبواب (الفصيح) لثعلب[1] فى خمس عشرة كراسة ذكره ياقوت وابن العديم. وله (تفسير غريب الفصيح) ذكر فى حرف التاء.

٢٧ - كتاب خطب الخيل : يتكلم فيه على ألسنتها ويذكر على لسان كل فرس خطبة ومقداره عشر كراريس، ذكره ياقوت، والقفطى وابن العديم وكشف الظنون.

٢٨ - خطب ختم القرآن. قال ابن العديم : «وظفرت له بجزء فيه خطب لختم القرآن العزيز فيه عدة خطب لذلك»[2] مقداره خمس كراريس.

٢٩ - كتاب خماسية الراح : وهو كتاب لطيف فى ذم الخمر ومقداره عشر كراريس كذا ذكره ياقوت وابن العديم والقفطى وذكر فى كشف الظنون والذهبى (حماسة الراح) ولعله محرف عن الأول.

٣٠ - كتاب دعاء الأيام السبعة : ذكره ابن العديم وياقوت.

٣١ - كتاب دعاء وحرز الخيل : هكذا ذكره ياقوت وهو عند ابن العديم = حرز الخيل..

٣٢ - كتاب دعاء ساعة : وفى ابن العديم : «كلام يعرف بدعاء ساعة» وهو

(١) نماذج منه فى الجامع ٧٢١/٢.

(٢) تعريف القدماء ص٥٣٠ عن الإنصاف والتحرى.

مختصر[1]. وفى القفطى «دعاء يعرف بدعاء ساعة»[2].

٣٣ - ديوان الرسائل وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول - رسائل طوال تجرى مجرى الكتب المصنفة مثل كتاب: (رسالة الملائكة) وهى جزء، و(رسالة الغفران) وهى جزء، و(الرسالة السندسية)، ورسالة (الغرض) ذكر ياقوت وصاحب كشف الظنون: أنها تقع جميعًا فى ثمانى مئة كراسة.

والقسم الثانى - منها رسائل دون الرسائل المتقدمة فى الطول من مثل: (رسالة المنيح) و(رسالة الإغريض).

والقسم الثالث - كنحو ما تجرى به العادة فى المكاتبات. ذكر ذلك القفطى والذهبى وغيرهما. انظر خادم الرسائل.

٣٤ - ديوان أبى العلاء: فى دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٥٤٢/٥٣، وذكر صاحب الجامع أنه تسع ورقات قال فى مقدمته: «وبعد فقد قال العبد الفقير إلى الله الغنى أبوالعلاء المعرى: إنه قد كان ببغداد وكان يتشوق إلى حلب ونواحيها، ونظم هذا الديوان»، وقد نظم فيه تسعًا وعشرين قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء قصيدة أبياتها عشرة، وقد التزم فى كل قصيدة أن يكون الحرف الأول والحرف الآخر من كل بيت واحد كقوله فى الهمزة:

أَمَـالَـكَ يـا دَاء المُحبِّ دَواءُ؟ بَلَى، عنْدَ بعْضِ النّاسِ منْكَ شفَاءُ

٣٥ - كتاب ذكرى حبيب. قال ياقوت: فى غريب شعر أبى تمام، وقال ابن العديم والقفطى: فى تفسير شعر أبى تمام، وهو أربعة أجزاء، مقداره ستون كراسة سأل فيه صديق له من الكتّاب. وقال ابن خلكان[3] «واختصر ديوان أبى تمام وشرحه وسماه: ذكرى حبيب»[4].

ويغلب على ظننا أن أبا العلاء لم يفسر شعر أبى تمام كله ولا اختصر ديوانه، وإنما اقتصر على ذكر الأبيات المشكلة. ففى مقدمة شرح ديوان أبى تمام للتّبريزى: إن أبا العلاء إنما ذكر فى هذا الكتاب الأبيات المشْكلة من شعر أبى تمام متفرقة.

---

(١) تعريف القدماء ص٥٣١ عن الإنصاف والتحرى.

(٢) تعريف القدماء ص٤٨ عن إنباه الرواة.

(٣) تعريف القدماء ص١٨٣ عن الوفيات.

(٤) انظر تعريف القدماء ص١١١ وص٢٧٥ وص٥٣٤.

٣٦ - راحلة اللزوم : شرح فيه ما فى (لزوم ما لا يلزم) ذكره ياقوت.

٣٧ - الرسالة الحصَينيّة : هكذا عند ابن العديم وفى الصفدى (الخطية) وفى ياقوت (الحضية)[١].

٣٨ - الرسالة الزعفرانية : ذكرها صاحب الكشف.

٣٩ - الرسالة السندسية : ذكر ابن العديم أنه كتبها إلى سند الدولة بن ثعبان الكتامى والى حلب من قبل المصريين فى معنى خراج على ملكه بمعرة النعمان[١].

٤٠ - رسالة العرض أو الغرض أو الفرض أو نحو ذلك : وفى كشف الظنون (العروض) ولا ندرى غير اسمها على اختلاف فيه[٢].

٤١ - رسالة على لسان ملك الموت : مقدارها عشر كراريس ذكرها صاحب الجامع[٣].

٤٢ - رسالة الغفران : كان رجل من أدباء حلب يقال له : على بن منصور الحلبى ويلقب بدَوخلة، ويعرف بابن القارح. فارق حلب مدة ثم وردها فأنكرها لفقدان المعرفة والجار، وكان أبو الفرج الزهرجى كاتب نصر الدولة قد كتب رسالة إليه وثانية إلى أبى العلاء المعرى، وكلّف ابن القارح أن يوصلها إليه فسرقت، فكتب ابن القارح إلى أبى العلاء رسالة يذكر فيها شوقه وحنينه إلى لقائه، وتصدى فى رسالته هذه إلى ذكر المتنبى وانتقد عليه تصغير بعض الألفاظ، وادعاء النبوة، وغيرها ثم استطرد إلى ذكر جماعة من الزنادقة كبشار وصالح بن عبد القدوس وغيرهما ثم مدح أبا العلاء وأثنى على ما سمعه من رسائله.

ويفهم من رسالة الغفران أنها كتبت سنة ٤٢٤ هـ فعلى هذا تكون رسالة ابن القارح كتبت فى هذه السنة أو قبلها، ويفهم من رسالة الغفران أيضًا : أن أبا العلاء كان يريد منها إجابة ابن القارح على رسالته التى تقدم ذكرها. وقد أراد أبو العلاء أن يظهر مقدرته العلمية وعبقريته الأدبية بأسلوب لا يمل منه القارئ، فاختار طريقة النقد لأقوال

---

(١) انظر تعريف القدماء ص٥٠ وص١١١ وص٥٣٤.
(٢) انظر تعريف القدماء ص٤٧ وص١١١ وص٥٣٤.
(٣) الجامع فى أخبار أبى العلاء ٧٣٨/٢.

المتقدمين وآرائهم، وأثار حوارًا بين الشعراء أنفسهم وكذا العلماء، وبين الشعراء والرواة والعلماء، وفيها مسائل تتصل بالجن والإنس من عهد آدم فما بعده، ومسائل تتعلق بالحيوان وما يزعمه الناس فيه، ومعتقدات ومزاعم لأمم مختلفة، وأجيال غابرة لم يحتذ فيها على مثال غيره كما يقال.. ولم يستعن فى تكوينها بغير قريحته، انظر بروكلمان، الترجمة العربية: ٤٢/٥.

٤٣ - رسالة الملائكة: ذكرها بروكلمان فى الترجمة العربية: ٤٢/٥.

تتابعت قرون كثيرة والناس لا يعلمون من رسالة الملائكة إلا اسمها، وأنها رسالة تشتمل على أجوبة صرْفيّة سئل عنها أبو العلاء وأجاب بهذه الرسالة، ومن هؤلاء ياقوت وابن العديم وصاحب الكشف، ولا يستكمل الباحث معرفته بأبى العلاء فى النحو والصرف واللغة وما يتعلق بها حتى يستعرض ما فى هذه الرسالة التى ألفت بعد سنة ٤٣٠ هـ[١]. ومنها نسخة فى ليدن ٣٤٩ ونشرها كراتشكوفسكى ١٩٣٢م وحققها الدكتور محمد سليم الجندى وأعيدت طباعتها فى القاهرة بدون تاريخ.

٤٤ - رسائل المعونة: قال ابن العديم: «وهى ما كتبت على ألسن قوم»[٢] ذكرها ياقوت والذهبى وفيه (رسالة المعونة) وصاحب الكشف.

٤٥ - رسيل الراموز: نحو ثلاثين كراسة ذكرها ياقوت (رسل الراموز) والقفطى والذهبى وابن العديم (رسيل الراموز) وفى طبقات النحاة واللغويين: (سبل الزابور) ولعله تحريف.

٤٦ - الرياش المصطنعى: فى شرح مواضع من الحماسة الرياشية، عمل لرجل من الأمراء يلقب: مصطنع الدولة، أنفذ إليه نسخة من الحماسة الرياشية، وسأله أن يخرج فى حواشيها ما لم يذكره أبو رياش مما يحتاج إلى تفسير، وفى كشف الظنون: (الرياش المصطفى) تحريف. ذكره ياقوت فى ترجمة أحمد بن أبى رياش. وابن العديم.

٤٧ - الزائف: هكذا ذكره ابن قاضى شهبة فى (طبقات النحاة واللغويين) وليس ببعيد أن يكون محرفا عن (القائف) الآتى ذكره.

---

(١) انظر حديثًا لطيفًا لكراتشكوفسكى فى كتابه (مع المخطوطات العربية) عن هذه الرسالة، وكراتشكوفسكى أول ناشر لها.

(٢) تعريف القدماء ص٥٣٤.

٤٨ - زجر النابح[١] يتعلق بـ(لزوم ما لا يلزم). وسبب تأليفه أن بعض الجهال - فيما يقول مؤلفه - تكلم على أبيات من (لزوم ما لا يلزم) يريد بها الشر والأذية، وطعن عليه فيها، فنسبه إلى الكفر، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه كتابًا يرد فيه على من طعن عليه، ويبين وجوه الأبيات ومعانيها شارحًا ما أسيء تأويله من شعره فى (لزوم ما لا يلزم) أبطل فيه طعن المزرى عليه والقادح، وبين فيه عذره الصحيح وإيمانه الصريح، ووجه كلامه الفصيح، ومقداره أربعون كراسة. ذكره ياقوت، وفى كشف الظنون: (زجر النائح) ثم أتبع ذلك بكتاب وسمه (نجر الزجر) بين فيه مواضع طعنوا بها عليه بيان الفجر، فلم يمنعهم زجره ولا اتضح لهم عذره.

٤٩ - السادن: أنشأه فى تفسير كتاب (الفصول والغايات) وما فيه من اللغة، ومقداره عشرون كراسة. وفى ياقوت: «وما فيه من اللغز»، وفى الذهبى: «الشادن» وفى كشف الظنون بعد ذكر (الفصول والغايات): وفى تفسير غريبه (كتاب السادر) وكذا فى القفطى والسادن: الخادم. وقد تقدم أن لأبى العلاء كتاب (خادم الرسائل)[٢].

٥٠ - السجعات العشر: موضوع على كل حرف من حروف المعجم عشر سجعات، فى المواعظ، ذكره ياقوت وصاحب الكشف والقفطى والذهبى والصفدى وابن العديم.

٥١ - سجع الحمائم: تكلم فيه على لسان حمائم أربع، وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنف له تصنيفا يذكره فيه، فأنشأ هذا الكتاب وجعل ما يقوله على لسان الحمامة فى العظة والحث على الزهد، وهو أربعة أجزاء ومقداره ثلاثون كراسة، ذكره ياقوت وكشف الظنون.

٥٢ - السجع السلطانى: يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة، وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته، ولا قدم له فى الكتابة، سأله أن ينشىء له كتابًا مسجوعًا من أوله إلى آخره، وهو لايشعر بما يريده، لقلة خبرته بالأدب فألف له هذا الكتاب، وهو أربعة أجزاء ومقداره ثمانون كراسة، وفى الإنصاف والتحرى: عمله لبعض الكتاب القليلى الصناعة ليستعين به على الكتابة وفى الذهبى والكشف «فيه مخاطبات الملوك والأمراء».

(١) راجع نجر الزجر، وقد نشر بعضه فى دمشق بتحقيق الدكتور أمجد الطرابلسى. طبع فى دمشق سنة ١٩٦٥م.

(٢) راجع الفصول والغايات.

٥٣ - سجع الفقيه : جزء واحد ومقداره ثلاثون كراسة، ذكره القفطى وياقوت، والذهبى وابن العديم وصاحب الكشف وغيرهم.

٥٤ - سجع المضطرين : فى ياقوت «كتاب لطيف عمله لرجل مسافر يستعين به على أمر دنياه» وفى القفطى «عمله لرجل تاجر . . »، وقد ذكره أيضًا الذهبى والصفدى وابن العديم.

٥٥ - سقط الزند : ديوان يشتمل على أشعاره فى شبابه ٢٨٦٥ بيتا، وقد ذكروا أنه أكثر من ثلاثة آلاف بيت وسمى (سقط الزند) لأن فيه ما قاله فى أول عمره، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وشبهه بالسقط على سبيل الاستعارة، لأن نار السقط ضعيفة ضئيلة. وفسره بكتابه (ضوء السقط.) ذكره بروكلمان فى الترجمة العربية : ٥/٤٠، وقد طبع غير مرة.

٥٦ - كتاب سيف الخطبة : وهو يشتمل على خُطَبِ السَّنَة، وفيه خُطَبٌ للجمع والعيدين والخسوف والكسوف والاستسقاء والنكاح. مؤلفة على حروف المعجم، وهو جزءان ومقداره أربعون كراسة. وذكر أنه كان سأله فى هذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة. وفى كشف الظنون (سيف الخطيب) وفى الذهبى (كتاب الخطيب) وفى ياقوت وابن العديم (سيف الخطبة) وفى القفطى (سيف الخطب).

٥٧ - شرح الرسالة الإغريضية : لم يذكر إلا فى الفهرسة لابن خير الأشبيلى[١] وكشف الظنون. مقداره عشرون كراسة.

٥٨ - شرح كتاب سيبويه : لم يتمه. وفى الذهبى : «شرح بعض سيبويه» ومقداره خمسون كراسة، وقد تقدم أن له تفسير (أمثلة سيبويه).

٥٩ - شرف السيف : عمله لأمير الجيوش أنوشتكين الدزبرى، الذى تولى دمشق سنة ٤١٩ هـ للظاهر - خليفة مصر - وكان السبب فى عمله أن أبا العلاء بلغه عنه كلام جميل، وأنه كان يوجه إليه السلام ويحفى المسألة، فأراد جزاءه على ما فعل، فعمل له هذا الكتاب، وهو جزءان وسماه صاحب كشف الظنون (شرف السلف).

٦٠ - كتاب الصاهل والشاحج : يتكلم فيه على لسان فرس وبغل مقداره أربعون كراسة، صنعه للأمير عزيز الدولة أبى شجاع فاتك بن عبد الله الرومى مولى

(١) انظر تعريف القدماء ص٣٨٦ عن الفهرسة لابن خير.

منجوتكتين، وكان أبو شجاع هذا والى حلب من قبل المصريين فى أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر، وقد قتل سنة ٤١٣ هـ[١]. كان سبب تصنيفه أنه رفع إلى فاتك أن حقًّا يجب له على بعض أقرباء أبى العلاء[٢]. ونشر فى مصر بتحقيق الدكتورة بنت الشاطىء (عائشة عبد الرحمن).

٦١ - الطل الطاهرى: فى ابن العديم والقفطى وغيرهما (الظل الظاهرى) عمله لرجل من أهل حلب، يكنى أبا ظاهر المسلم بن على بن ثعلب الملقب مؤتمن الدولة، وكان من أكابر الحلبيين، وعلمائهم، وكان وجيهًا عند معز الدولة ثمال بن صالح. وهذا الكتاب يتصل بكتابه السابق (الحقير النافع) فى النحو، وقريب منه فى الحجم، وقد يخلط به ويجعلان كتابًا واحدًا[٣]. ولم يذكر فى كشف الظنون.

٦٢ - ظهير العضدى. كتاب فى النحو يتصل بالكتاب المعروف (بالعضدى) ولقبه (ظهير العضدى) كما فى ياقوت، وفى ابن العديم: «إملاء فى النحو يتصل بالعضدى» وفى كشف الظنون: (ظهر العصرى) فى النحو لأبى العلاء.

٦٣ - كتاب عبث الوليد: بروكلمان، الترجمة العربية ٤٥/٥ يتعلق بشعر البحترى.

وكان سبب وضعه أن بعض الرؤساء: أبو اليمن الحسن بن الحسين بن غياث الكاتب الحلبى - وكان صاحب الديوان فى حلب - أنفذ إلى أبى العلاء نسخة من شعر البحترى، ليقابل بها، فأثبت ما جرى من الغلط، ليعرض عليه ذلك، وبعض الغلط من الناسخ وبعضه من البحترى، وهو جزء واحد ومقداره عشرون كراسة. وقال ابن خلكان: «واختصر ديوان البحترى وسماه: عبث الوليد» ونقل ذلك عنه صاحب كشف الظنون. نشره محمد على المدنى فى دمشق ١٣٥٥ هـ، وانظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٥/١٤ - ١١.

٦٤ - عظات السور: يشتمل على مواعظ. ذكره ياقوت ولم يتحدث عنه، وكذلك الصفدى وقال ابن العديم: «لا أعلم مقداره».

٦٥ - العظة والزهد: ولم يذكره ياقوت وذكره صاحب الكشف فى حرف الكاف،

---

(١) انظر (لسان الصاهج والشاحج) و (رسالة الصاهل والشاحج).

(٢) قال ابن العديم: «وبعض الجهال يقول: أنه عمل لأبى الدوام ثابت... وكان يلقب: عزيز الدولة وهو غير صحيح بل الذى عمله لأبى الدواء هو: (اللامع العزيزى) وسيأتى ذكره. انظر تعريف القدماء ص٥٣٢.

(٣) راجع الجامع ٧٢٠/٢.

وقال: مقداره مئة وعشرون كراسة.

٦٦ - كتاب عون الجمل: يتصل بكتاب الزجاجى، شرح فيه شيئًا من كتاب (الجمل) للزجاجى المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ذكره القفطى وابن العديم وفى كشف الظنون أنه شرح الشواهد ولم يتم، وكذا فى بغية الوعاة للسيوطى.

وهذا الكتاب عمل لأبى الفتح محمد بن على بن هاشم، وكان هو وأبوه يتوليان إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب. قال ياقوت وابن العديم: «وهو آخر كتاب أملاه» وفى القفطى: «آخر شىء أملاه»، وهذا يناقض قول ابن الوردى فى تاريخه ٣٦٠/١ وقول التبريزى: إن (ضوء السقط) خاتمة كتبه فتدبر.

٦٧ - كتاب غريب ما فى جامع الأوزان والقوافى: مقداره عشرون كراسة ذكره الصفدى والذهبى.

٦٨ - الفصول والغايات: وهو الكتاب الذى زعم شانئوه أنه عارض به القرآن الكريم وسماه (الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات)، وليس هذا الكتاب إلا عظات ونصائح، والمراد بالغايات: القوافى، لأن القافية غاية البيت أى منتهاه، ومقداره مئة كراسة ذكره ياقوت وصاحب الكشف وابن العديم[1] والقفطى وغيرهم راجع بروكلمان الترجمة العربية ٤٥/٥، وقد نشر الجزء الأول منه بالقاهرة ١٣٥٦ هـ.

٦٩ - الفصول: ومقدر أربع مئة كراسة ذكره القفطى[2] وذكره صاحب الكشف وقال: «إنه غير الفصول والغايات».

٧٠ - فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه: ضمنه بعض فضائله ذكره ياقوت، وقال ابن العديم: «كتاب جمع فيه بعض فضائل على بن طالب عليه السلام لا أعلم مقداره».

٧١ - قاضى الحق: يتصل بالكتاب المعروف بـ (الكافى) الذى ألفه أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ، وقد رأى القفطى من هذا الكتاب جزءًا من سبعة أجزاء. ذكره القفطى وياقوت والذهبى والكشف.

---

(١) راجع (السادن) و(خادم الرسائل).

(٢) عند الذهبى (كتاب مختلف الفصول) وفى ياقوت «والكتاب المعروف بتضمين الآى وهو كتاب مختلق الفصول».

٧٢ - كتاب القائف[١] : يذكر فيه أمثالا على ما فى (كليلة ودمنة) عمله لعزيز الدولة أبى شجاع فاتك الرومى، ألف منه أربعة أجزاء ثم قطع تأليفه لموت الذى أمر بإنشائه، فقد قتل بقلعة حلب سنة ٤١٣ هـ. راجع بروكلمان الترجمة العربية ٤٥/٥.

٧٣ - كتاب القوافى : ذكره المعرى فى شرحه لمعجز أحمد، وذكر ابن العديم قال : «وكتاب فى القوافى مجلد». وانظر كتاب : غريب ما فى جامع الأوزان والقوافى. له أيضا.

٧٤ - اللامع العزيزى : فى تفسير شعر المتنبى : راجع بروكلمان الترجمة العربية ٨٩/٢. ويقال له : (الثابتى العزيزى) عمله للأمير عزيز الدولة أبى الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس، وبعض الناس يقول : إنه وضعه لعزيز الدولة أبى شجاع فاتك العزيزى وهو وهم. ومقداره مئة وعشرون كراسة، وذكر فى كشف الظنون مرة (لامع العزيز) فى شرح ديوان المتنبى، ومرة (لامع الغزنوى)، وكلاهما محرف وفى مرآة الزمان «فى شرح المتنبى» وفى تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١) فى ترجمة المتنبى قال : «وقد انتدب العلماء لديوانه وشرحوه شروحًا كثيرة وهما ضربان : منهم من تكلم على ديوانه أجمع، ومنهم من تكلم على بعضه فمن تكلم على شعره أجمع فهو أول من شرحه ابن جنى له كتاب فى شرح ديوانه وقد سماه (الفسر)[٢] وكتاب (اللامع العزيزى) و (معجز أحمد) أيضًا لأبى العلاء المعرى»[٣]، وفى هذا إشارة واضحة إلى أن أبا العلاء شرح ديوان المتنبى مرتين فى كتابين مختلفين. وهو عند التحقيق كما ذكره ابن عساكر والصفدى فى الوافى بالوفيات[٤]، وابن العماد فى شذرات الذهب[٥].

إذن له كتابان : الأول (اللامع العزيزى) وهو فى عداد الكتب المفقودة ولا يوجد منه إلا نقول طويلة فى كتاب (المآخذ على شراح ديوان المتنبى) للأزدى. مخطوط فيض الله بتركيا رقم ١٧٤٨ وفى كتاب (تفسير أبيات المعانى) لسليمان المعرى وغيرهما. وشرحه فيه مرتب وفقًا للقوافى. على حروف الهجاء.

---

(١) انظر (منار القائف). وانظر نموذج منه فى الجامع ٧٨٦/٢م وما بعدها.

(٢) طبع الجزء الأول منه فى العراق ١٩٧٠م والجزء الثانى سنة١٩٨٢ بتحقيق الدكتور صفاء خلوصى. أما الكتاب الثانى لابن جنى فهو (معانى أبيات المتنبى) منه أكثر من نسخة فى دار الكتب المصرية أقدمها النسخة رقم ٢٣ أدب وقد حسبها الدكتور صفاء خلوصى محقق الفسر أنها نسخة من الفسر.. !! ولكن.. هذا كتاب.. وذاك كتاب ثان!

(٣) راجع ترجمة المتنبى لابن عساكر الملحقة بالجزء الثانى من المتنبى للأستاذ محمود شاكر ٣١٤

(٤) انظر تعريف القدماء ص٢٧٥ عن الصفدى فى الوافى بالوفيات (٥) تعريف القدماء ص٣٤٧

وقد تبين بعد الطبعة الأولى للكتاب الذى نقدمه لك، أن (اللامع العزيزى) له نسخ اعتمد عليها صديقنا : بيتر سمور، وقد بينا ذلك من قبل وأشرنا إليه أكثر من مرة. وقد بلغنا عند صدور الطبعة الثانية لهذا الكتاب سنة ١٩٩٢ أن كتاب (اللامع العزيزى) قد نشر فى المغرب العربى كما سبق القول.

أما (معجز أحمد) فهو كتاب آخر له. شرح فيه ديوان المتنبى فى مجلدين كبيرين ورتب شرحه فيه وفقًا لترتيب المتنبى نفسه لديوانه، وهو وفق الموضوعات. وقد ذكر جورجى زيدان فى كتابه آداب اللغة العربية ٥٥٨/٢ فقال : «وشرحه (أى ديوان المتنبى) أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ومن شرحه نسخة فى مكتبة منشستر فى المتحف البريطانى وفى بطرس بورج» وهما لـ (معجز أحمد) وليستا للامع العزيزى كما ذكر، وقد تابعه الأستاذ الميمنى فسوى بينهما[1] وقال : «اللامع العزيزى وهو معجز أحمد أيضًا» ثم ذكر النسخ التى ذكرها جورجى زيدان.. وأيضًا ذكر بروكلمان[2] أن عنوان شرح المعرى (معجز أحمد) أو (اللامع العزيزى) قدمه إلى عزيز الدولة وغرسها ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس، ثم عدد نسخه التى وقفنا على أكثرها فما وجدناها إلا «شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى المعروف بمعجز أحمد». وكذا ذكر بلا شير فى كتابه (ديوان المتنبى) أن نسخ المتحف البريطانى وبطرس بورج وهما لمعجز أحمد!! وليستا للامع العزيزى.

٧٥ - كتاب لزوم ما لا يلزم : وهو من المنظوم، بنى على حروف المعجم، يذكر فيه كل حرف - سوى الألف - بوجوهه الأربعة : الضم والفتح والكسر والوقف، منظومًا فى مئة وعشرين كراسة، ولأبى العلاء شرح عليه سماه(راحلة اللزوم) مقداره مئة كراسة وله أيضًا : (زجر النابح) و (نجر الزجر) و (الراحلة) وكلها تتعلق باللزوميات وقد مضى ذكرها. راجع بروكلمان الترجمة العربية ٤٢/٥.

٧٦ - مبهج الأسرار : هكذا قال فى كشف الظنون، ولم يبين ما هو وقال : «لأبى العلاء» ولم نعرف هل هو أبو العلاء المعرى أو غيره، وذلك لأنه لم يذكره أحد ممن ترجموا للمعرى، غير صاحب الجامع، نقلا عن كشف الظنون.

وقال تيمور : «واسم الكتاب يدل على أنه لغيره»[3].

---

(١) أبو العلاء وما إليه ٢٧٤.

(٢) تاريخ الأدب العربى ٨٩/٢.

(٣) أبو العلاء المعرى ص٧١.

٧٧ - مثقال النظم : فى العروض. جزء. ذكره ياقوت والسيوطى وابن العديم.

٧٨ - مجد الأنصار : فى القوافى. كذا فى ياقوت والصفدى. انظر كتاب : القوافى. له أيضا.

٧٩ - كتاب المختصر الفتحى : يتصل بكتاب محمد بن سعدان الكوفى النحوى المتوفى سنة ٢٣١ هـ، عمله لأبى الفتح محمد بن الشيخ أبى الحسن على بن أبى هاشم كاتبه، وجاء فى بعض الكتب (المختصر الفتحى) وفى بعضها (المختصر الفسيحى) ذكره القفطى وياقوت والذهبى وابن العديم وغيرهم.

٨٠ - مختلف الفصول : نحو أربع مئة كراسة ذكره الذهبى.

٨١ - كتاب فى معانى شعر المتنبى : مقداره ست كراريس. ذكره ابن العديم[١].

٨٢ - معجز أحمد : شرح ديوان المتنبى، بروكلمان الترجمة العربية ٨٩/٢، لم يذكره صاحب الكشف ذهابًا مع من قال إنه هو (اللامع العزيزى) فى شرح شعر المتنبى وقد ذكره ابن خلكان[٢] وابن الوردى[٣] والصفدى[٤] وابن العماد[٥] ونزهة الجليس للمكى[٦] وسنفرد له حديثًا خاصًا بعد ثبت الكتب.

٨٣ - كتاب ملقى السبيل : وهو كتاب وعظ يشتمل على نظم ونثر على حروف المعجم مقداره كراستان. وفى كشف الظنون والقفطى أربع كراريس، وقال الذهبى «مقداره ثمان ورقات» فكأنه يعنى بالكراسة زوجين من الورق[٧].

٨٤ - كتاب المواعظ الست : وهو كتاب لطيف سأله فيه بعض الوعاظ. ومعنى هذا اللقب أن الفصل الأول منه فى خطاب رجل، والثانى فى خطاب اثنين، والثالث فى خطاب جماعة، والرابع فى خطاب امرأة والخامس فى خطاب امرأتين، والسادس فى خطاب نسوة[٨]، ومقداره خمس عشرة كراسة. وفى كشف الظنون (المواعظ السنية) وفى القفطى يعرف بـ (مواعظ الست) وفى الذهبى (مواعظ خمس عشرة كراسة).

(١) تعريف القدماء ص٥٤٠.
(٢) تعريف القدماء ص١٨٣.
(٣) تعريف القدماء ص٢٠٧.
(٤) تعريف القدماء ص٢٧٥.
(٥) تعريف القدماء ص٣٤٧.
(٦) تعريف القدماء ص٣٥٢.
(٧) تعريف القدماء ص٢٠٢.
(٨) تعريف القدماء ص٤٣ عن إنباه الرواة، ص٥٣٠ عن ابن العديم.

٨٥ - نجر الزجر: يتعلق بـ (زجر النابح) وهو أربعون كراسة فى قول ياقوت والقفطى والذهبى، وثلاثون فى قول ابن العديم.

والنجر: الأصل. يعنى أصل الزجر، وضعه بعد الكتاب الأول، يردّ فيه على من طعن عليه فى أبيات غير الأبيات المذكورة فى (زجر النابح) وبعضها محرفة عن مواضعها فبينّ التحريف، وبين وجوه تلك الأبيات ومعانيها. وعند الميمنى[1] مقداره عشر كراسات. فتدبر.

٨٦ - نشر شواهد الجمهرة: ثلاثة أجزاء، ولم يتم. ذكره ياقوت والصفدى ولم يذكر فى الكشف.

نظم أو نظام السور = تظلم السور

الهمز والردف = الأيك والغصون

٨٧ - وقفة المواعظ: مختصر، وفى بعض نسخ ياقوت (وقعة الواعظ) ذكره ياقوت والقفطى والذهبى وابن العديم ولم يذكره صاحب الكشف.

ونقل ياقوت عن جماعةٍ من أصحاب أبى العلاء أنّ له بعضَ كتبٍ لم تتم فى العَروض والشعر[2].

٨٨ - وذكر ابنُ العديم أن أبا العلاء جمع شعرَ أخيه أبى الهيثم عبد الواحد لولده زيد، وقد توفى أبو الهيثم سنة ٤٤٢ هـ.

٨٩ - وأنه جمع شعرَ الأمير أبى الفتح ابن أبى حصينة السلمى وشرح مواضع فيه. فى ثلاث مجلدات. وقد طبع محققا فى دمشق.

* * *

هذا ولم تتّفق كلمةُ العلماء على مقدار ما له من الكتب والتصانيف، وإنّما كان بينهما تفاوتٌ عظيم، فقد قال القفْطى بعد أن ذكر كتبه: «فذلك الجمعْ خمسة وخمسون مصنّفًا. العدد بتقريب سوى ما لَمْ يَذْكره»[3].

وإذا تأمّلت ما سبق ذكره من كتب على قلّة ما عرفْنا حقيقته منها - وإنما نَصِف

(١) أبو العلاء وما إليه ص٢٧٥.

(٢) انظر تعريف القدماء ص١١٢ إرشاد الأريب.

(٣) تعريف القدماء ص٤٨ عن إنباه الرواة.

أسماءها - تبينّ لك أنها تدل على مزاج معتدل وذوق رقيق، فانظر كيفَ سمّى شرحه لديوان أبى الطيب (معجز أحمد) إشارة إلى إعجاز أبى الطيب للشعراء. وسمى شرحه لديوان أبى تمام (ذكرى حبيب) فأحسن التورية بحبيب، وكذلك سمى إصلاحه لديوان البحترى (عبث الوالد) أما العبث فظاهر وأما الوليد فيجوز أن يراد به البحترى نفسه لأنه اسمه، ويجوز أن يريد به الناسخ لأنه عبث بالكتاب.

فكان أبو العلاء محْسنًا فى اختيار الأسماء، كما كان متْقنًا لتأليف المسميات، ويلاحظ من قائمة كتبه الّتى ذكرناها أنّه لا يكاد يُرى كتابٌ ألّفه أبو العلاء من غير أن يكون قد ألف له شرحًا أو تفسيرًا، فقد شرح (سقْط الزّندْ)، وشرح (اللزوميات) بكتابين، ودافَع عنهما بثالث، وشرح (الفصول والغايات) بكتابين أيضًا، وشرح (الأيْك والغصون) وشرح (الرّسائل) بكتاب سماه (خادم الرسائل).

ولعل هذا يمثّل للقارئ مقدارَ حرْصه على آثاره واحتفاظه بها، ومصْدر هَذا أمران: أحدهُما أنه لا يقْبل أن يتركَ آثاره ناقصةً محتاجة إلى أن يكمِّلها غيرُه من الناس، والأمرُ الثّانى أنه كان يخْشى التأوّل وكثْرة الكذب عليه، لتجْرِبَته الناس وعدم ثقته بهم، فكان يعْمد إلى كلامه فيجلّيه ويشْرح أغراضَه فيه، ويبينّ المْبهم منه والمشكل فيه، ولعلّ الناظر فى المنشور من كتابه (زجر النابح) المطبوع فى دمشق سنة١٩٦٥م يرى خَبْرَ الأمثلة لذلك، فكثيرًا ما سمعْنا وقرأنا أنّه رمى بالإلْحاد والكفْر لقوله:

١ - أفِيقُوا أفيقُوا ياغُواةَ فإنَّما دِيانَتُكم مَكْر مِنَ القُدَماءِ[1]
٢ - أرَاد بهَا جمْعَ الحطَام فأدْركُوا وبادُوا وبادَت سنّةُ اللؤماء

فقد قال أبو العلاء فى الردّ على من اعترض عليه فى البيت الأول:

المعنى: أن أهل الكتاب كانوا يمْكرون بأتباعهم وفى الكتاب العزيز:

﴿ومكَرُوا ومكَر الله﴾[2] وفيه: ﴿فويْلٌ للذِين يكْتُبونَ الكتابَ بأيْديهم ثمّ يقولونَ

(١) لزوم مالا يلزم، من قصيدة مطلعها:
إذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع فالخسر للعلماء
(٢) سورة آل عمران ٣/٥٤.

هَذا ثمنٌ عنْدِ الله لِيَشْتَرُوا به ثمنًا قليلا﴾[1] وهذا من المكْر، وكثيرًا ما يقول اليهود فى ألفاظهم وحديثهم: ذكر قدماؤنا كَذا وخبّر قدماؤنا ذَلِكَ، فَبُنِي الأمرُ على هذا النّحو[2]. اهـ.

وقال ردًّا على من كفره فى قوله:

١ - أقيمى لا أُعدّ الحجَّ فَرْضًا على عجْز النِّساء ولا العذَارَى[3]
٢ - فَفِى بَطْحاءِ مِكّة شرّ قومٍ وليْسُوا بالحُماة ولا الغَيَارَى

قال أبو العلاء: هذا مذْهبٌ قد قيل فى صدْر الإسلام، وقد رُوى أنّ بعض الصالحين أراد النّهوض إلى الحج فجاءَتْ امرأتُه تسأله أن يرْحل بها مَعه، فدفَعها دفْعة عنيفةً وقال: الزمى بيتك فلا حجّ على مثْلك، لأنه شاقّ منْصب، فأمّا فى هذا العصر (عصر أبى العلاء) فقد أفْتَى الجلّة من الفقهاء بأنّ الحجّ ساقطٌ عن الرِّجال المستطِيعين للرّواحل والزّاد، إذا كان السّالك فى الطّريق يلقى من الظمأ واعتراض البادية والسّراق الّذين طالَمَا سفكوا الدّم. ولم يقْنعوا بأخذ الجهَازِ والسّلْب ما يجْعل الحجّ داخلاً فى قوله تعالى: ﴿ولا تُلْقوا بأيْدِيكُم إلى التّهلُكة﴾[4] وإنّ كثيرًا من النّاس ليُقتل بالخدم. إذا ظن أنّ معه شيئًا يُغْتنم، وقد أخبر الصّادِقُ أنه كان فى الطّواف فوجَد رجلاً قد قُتِل بالحجر، وقوله تعالى: ﴿وأذِّن فى النّاسِ بالحج يأتُوكَ رجالاً وعلى كل ضامر يأتينَ من كلِّ فَجٍّ عميق﴾[5] لا يعنى النساء[6] اهـ.

وقال ردًّا على من اعترض عليه فى قوله:

والموتُ نومٌ طويلٌ مالَه أمدٌ والنّوم موتٌ قصيرٌ فهو منجابُ[7]

---

(١) سورة البقرة ٧٩/٢.
(٢) زجر النابح ص١٤.
(٣) مطلع القصيدة فى لزوم مالا يلزم.
(٤) سورة البقرة ١٩٥/٢.
(٥) سورة الحج ٢٧/٢٢.
(٦) زجر النابح ١٨.
(٧) لزوم مالا يلزم من مقطوعة مطلعها:
ياصاح ما ألف الإعجاب من نفر إلا وهم لرءوس القوم أعجاب

قال أبو العلاء : هذا لا يَعترض به إلا رجلٌ جاهل، لأنّ كل جيل، والمنتسبين إلى كلّ نِحْلة لا يدّعون أنهم يعْرفون وقتَ النشور ما هُوَ، والمعنى : ماله أمدٌ معروف. ومثْل هذا فى الكتاب العزيز من كتْمان السّاعة ومنْع بنى آدم من علْم أوانها، وفى أىّ جيل يكون قيامها والآيات مشهورة[1]. اهـ.

* * *

ولقدْ أحْسن أبُو العلاء صنْعًا بما فعل فى شرْحِ كتبه وتبيْين مراميه البعيدة، والردّ على الطّاعنين فيهَا، أو العابثِين بها، أو المحرّفين الكَلِمَ عن مواضِعه فيهَا. لقد أحْسن صنعًا بذلك إلى نفسه وإلى أدبه خاصّة، والأدب العَربى عامّة، غير أنّ الأيام لمْ تحسن إلينا بهذه الكتب النفيسة فذهبت بمعظمها «وإنْ وُجِد شىء منْها فإنّما يوجَد البعضُ من كلّ كتابٍ» كما قال القفطى (٥٦٨ - ٦٤٦) ولقد ترك هذا الخسْران من كتب أبى العلاء مجالاً فسيحًا للشك والطّعن فى كتب أبى العلاء وفى عقيدة أبِى العلاء وأوقعَتْه فيمَا كان يَخاف منه ويحذر.

دينُه ومعتَقَده :

كان دينُ أبِى العلاء وعقيدته موْضع الاهتمام، ومثارَ الأقاويل منْذ كانَ حتَىّ يومنا هذا، وقد تحدّث فى ذلك معاصِروه، وما يزال أهلُ زماننا فيهِ يتحدّثون، بحيْث يندر أن تَرى كتابًا عن أبى العلاء لم يتعرّض لدينه وعقيدته. ولم تتّفق كلمتهُمْ على جعْل أبِى العلاء يدينُ بدينٍ واحدٍ، وإنّما جعلوه نهْبًا مقسّمًا بينَ المِلَل والنِّحل، وألْحقه كل واحدٍ منهم بما شاءَ وشاءَ هواهُ، فجعلوه برهميًا ومزدكيًّا وزنْديقًا وملْحِدًا وكافرًا ومعطّلا ودهريًّا وقرمطيًّا وشيعيًّا ودرزيًّا وتقيًّا.. وزعم فريق أنّه عارض القرآن[2]. ومن عطف عليه جعله فى حيرةٍ أو صاحب تقيّة أو مجمعًا للمتناقضات، ومنهم من جَعَلَه ساحرًا.. إلى غير ذلك من الأقْوال.. ولكل واحد من هؤلاء حجّة ومتمسّك يعوّل عليه فى حكمه.

ومنهم من جَزَمَ بصحّة دينه وكثْرة يقينه، لكثْرة ما قالَ فى تمجيد الله والعِظات وما شاعَ وذاعَ من ورَعه وَزُهْدِه إلى غيْر ذلك من الأسْباب، ومنْهم من قال : إنه تابَ وأنابَ.

---

(١) زجر النابح ٢٥.

(٢) انظر بروكلمان جـ٤ من الترجمة العربية. ترجمة أبى العلاء المعرى.

ولكنّ أكثرهم على أنّه كافرٌ أو زنديقٌ أوْ مُلْحد أو شاكٌ أو متّهم فى دينه[1]. وقرنُوه إلى أبى حيان التّوحيدى وابن الرّاوندى، وتقرّبوا بلعْنته إلى الله تعالى، يتوارَثون ذلِك خلفًا عن سلف، ويتناقلونه تقليدًا: جيلاً بعد جيل.

والباحث المْعن يجد أسبابًا كثيرة لذلك، من أشدّها: الحقْد والحسَد من أعْدائه، والتنطّع والتشدّد فى الدِّين من خصُومه، والطّموح إلى الظهور على أكتافه، والولُوع بالإغْراب على حسابه.

أما التنطّع والتشدد فإن أبا العلاء انتقدَ كثيرًا من المزاعِم الّتى كان يعْتقدها بعضُ الناس فى زمانِه، فأنكر أن يكون حام أسود من أجل ذنب أحْدثه، وأن يكون الخضْر حيًّا، وأن الذّيب لم يعْرفه الناسُ قبل إبراهيم، وأنّ الآدمىّ إذا عطس لفظ أنْفسا، وأن الشّمس تضرب بتهان إذا حان الشروق وأن عجوزًا تحلْب القَمر، وأنّ وأن.......
وأنكر تأثير الأحراز التى تُكْتب لدفع العَين أو الجنّ، كما أنكر المشىْ على الماء والطّيران على الهَواء، وأن يقوم إمامٌ ناطقٌ فى الكتِيبةِ الخَرْسَاءِ، إلى كثيرٍ من مثْل هذه المَزاعم.
وكان جريئًا فى نقده وإبداء آرائه، فتناولَ رؤساءَ المذاهبِ والنِّحل والمُلوك والعلماء والخطبَاء والشّعراء والتجّار، وقلّما سلم منه صِنفٌ من النّاس. ولم يتخيّر لذلك قوْلاً ليِّنا ولا أسلوبًا لطيفا، وإنّما داهَم هؤلاء بكلمات أشد من الصواعق، وفى تضاعيف كلامه كثيرٌ مما لا يرتضيه المتشدِّدون فى الدين، وإن لم يوجب تكفير، ومنهم من نسبَ إليه أبياتًا هو برىءٌ منها، ومنهم من حرَّف أقواله عما يُوجب الإيمَان إلى الكفر بغير سبب ولا مناسبة، والمتصفّح لكتابِ ياقوت يرى فيه ما تَنْدَهِش له من نسْبة الكفْر إلى المعرِّى.

زعم ابنُ الجوْزى والباخرزى والذّهبى: أن أبا العلاء عارضَ السّورَ والآياتِ بكتابه (الفصول والغايات)!! وقد طُبعَ هذا الكتاب وصارَ فى أيدى النّاس اليوم، ولم يَرَ فيه باحثٌ ما يستوجب الكفْر، وربّما كان فيهم من لَم يطلع عليه، بل نقل الخلفُ منْهم عن السّلف، والنّاظر فيه يَرى أن المعرّى تكلّم فيه على تمجيد الله والعِظات، وتصدّى فيه إلى القوْل فى المُوسيقا والعروض والنّحو وما شابه ذلك، مما ليس له أثر فى القرآن الكريم، واستشهاد بأقوالِ الشّعراء والحُكماء والأمثال ونحْوها، والقرآن الكريم خالٍ من ذلك كلّه.

(١) ليرجع القارئ إلى مختلف ترجماته فى تعريف القدماء.

ولَّما شاعت كلمة السوء فيه - ومن شأنها أنْ تشيعَ - فجرِّح ببعض ما قالَ مما قد يوهُم ويشْكِل. وبغير مما لَمْ يقل. مع أن أكثر مصنّفاته كما رأيت فى الزّهد والعِظات وتمْجيد اللَّهَ سبحانه وتعالى. وديوانه اللزوم نفْسه ملِئٌ بأنفاس إيمانه الصّادق، وأناشيد ضراعته للخالق، ولكن فريقًا من النّاس إذ رأى بيتًا للمعرّى يوهم الحكْم عليْه بسوء العقيدةِ تمسك به، وإذا رأى مئاتٍ من الأبيات الصّريحة فى الدلالة على حسن اعتقادهِ ضربَ بها عُرْض الحائط، ولم يلتفت إلى قوّة الأدلّة، ولا إلى تكافؤها، والقاعدة: أنّ الأدلّة تسقط إذا تعارَضَتْ. فإذا سلمْنا أن الأدلة التى تثْبت إيمانه متكافِئة مع الأدلّة التى تنْفيه فى القوة والصّراحة والسَّلامة من الاحتمال، حكمْنَا بسقوطها، ووجب علينا أن نلتمس سَبيلاً آخر لإيضاح هذه النّاحية، وليْس لدينا إلا حياة المعرى العَمليّة، والتّاريخ يحدِّثنا أنه كان صوّامًا قوامًا صالحًا تقيًّا زاهدًا، طاهرَ الّلسان واليد والذيل، وشَهِد له الّذين عرفوه عن قرْب بصحة العقيدة وصدق الإيمان. ومنْهم من كانَ قد استَراب فى أمْره تأثّرًا بشائعاتِ السّوء، ثم بانَ له مِنْ حقيقَته ما جعله يشْهد له بصحة الدين وقوة اليَقين. نقل السّلفى بإسناده إلى أبى المهذّب عبد المنعم السّروجى قال: سمعتُ أخى القاضى أبا الفتْح يقول: دخلتُ عَلَى أبى العلاء التنوخى بالمعرة ذات يوم، فى وقت خلْوة بغير علْمٍ منه، وكنتُ أترَدَّدُ إليه وأقرأ عليْه فسمعته ينشد من قِيلِه:

كمْ بـودرت غادةٌ كعَـابٌ　　وعمّـرتْ أمّهـا العجـوز
أحْـرزها الـوالـدانُ خـوفًـا　　والقبْـر حِـرْز لهَـا حَـريـزُ
يَجُـوز أن تبْـطىء المَنَـايَـا　　والخلد فى الدّهر لاَ يجوزُ[1]

ثم تأوه مرات وتلا قول الله تعالى: ﴿إن فى ذلكَ لآيةً لِمَن خَاف عذابَ الآخرَةِ ذَلكَ يومٌ مجموع له النَّاسُ وذلِك يوم مشهودٌ. وما نؤخرهُ إلاّ لأجل معدُودٍ، يوْمَ يأْتِ لاَ تَكَلَّم نفْس إلا بإذنِه، فمِنْهم شَقِىٌّ وسَعِيد﴾[2] ثم صاح وبكى بكاءً شديدًا، وطَرَح وجهه على الأرض زمَانًا. ثم رفَع رأسَه ومسح وجهه وقال: سبحانَ منْ تكلّم بهذَا فى القِدَم. سبحانَ من هذا كلامُه! فَصبرت ساعةً، ثم سلّمت عليه فردّ وقال: متَى أتيت؟ فقلتُ: السّاعة. ثم قلتُ: أرى ياسيدنا فى وجهك أثَر غيْظ! فقال: لا يا أبا الفتح، بل

(١) هذه الأبيات من شعره فى ملقى السبيل. انظر تعريف القدماء ص١١٩.

(٢) سورة هود ١١/١٠٣ - ١٠٥.

أنشدت شيئًا من كلام المخلوق وتلوتُ شيئًا من كلامِ الخالقِ، فَلحقنى ما ترى. فتحقّقت صحةَ دينه وقوة يقينه»[1].

ثم يذْكر الذهبىّ وابنُ حجر نقلاً عن السلفى قوله: وفى الجمْلة فقد كان من أهْل الفضْل الوافِر، والأدَب الباهر، والمعْرفة بالنسب وأيامِ العرب، قرأ القرآن بروايات، وسمعَ الحديث بالشّام على ثقاتٍ، وله فى التّوحيد وإثبات النبوة، وما يَحُضُّ على الزهد، وإحياء طرق الفتوة والمروة شعرٌ كثير، والمشْكِل مِنْه فلَه على زعْمه تفْسير[2].

وبعض شعْر أبى العلاء إذَا كان لا يخْلو حقًّا من أبْياتٍ غامضَةٍ أو موهِمة يجوزُ أن تفْتح بابًا للأخذ والردّ، فإنّ فى شِعْره أبياتًا أخرى كثيرة وصريحةً، تشهد لقائلها بحسن المعْتقد وقوّة الإيمان، فلماذَا لا يلْتفتُ الخصْم إليْها!! ويأْبَى إلا التمسّك بالأبيات الّتى يعْتَورها الغُموضُ أوِ يحْتاج تفهمها على حقيقتها إلى علم أبى العلاء ودرايَته.

ولا يصح الحكْمُ على إنسانٍ بالكفْر إلا إذا أنْكر أمرًا معلومًا من الدِّين بالضّرورة، وكانَ هذا الإنكار ثابتًا بدليل سالمٍ من الاحتمال، لأنّ الدليل إذا طرقَهُ الاحْتمال سقطَ به الاستدلال.

وإنْ من يجْعل شعْر أبى العلاء كفْرًا وإلْحادًا. . لغيْر مأمُونٍ - على حدِّ قوْلِ أبى العلاءِ نَفسه - أنْ يدّعى على القائِلين: (لا إلـه إلا الله) أنهم مُلْحدون، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نكفّر كلّ إنسان. لأننا نجْعل قوله: «لا إله» نفْيًا للإله. موجبًا للكفْر، وقوله: «إلّا الله» مِن باب التقيّة[3]. ومثْل هذا لا يرْضاه العلم ولا العدْل.

وإنّنا نحْترم كلَّ رأىٍ كما نحْترم صاحبَه وإن كان مخالِفًا لما نعتقده فى أبى العلاء، وإننا لا نُريد أن نجْعل أبا العلاء فى مصاف الصدِّيقين والأولياء المقرّبين ولا نحاول أن نبرئه من كلّ ما قيل فيه، وإنّما نريد أن نقول إن تكفير الإنسان بما نسب إليه من قول فقط لا يصح إلا إذا ثبتَ بدليلٍ قاطِع، لا على أدلة محفوفةٍ بالشّكوك والاحتمالاتِ التى لا قيمة لها فى نظر الدِّين، ولا فى نظر العلْم!!

(١) تعريف القدماء ص١١٩ - ٢٠٠ عن الذهبى فى تاريخ الإسلام، وانظر ص٣١٣ - ٣١٤ عن ابن حجر فى لسان الميزان.

(٢) تعريف القدماء ص٢٠٠ عن الذهبى وص٣١٤ عن ابن حجر.

(٣) انظر النص رقم ٧٣ من زجر النابح والنص رقم ٦٥ منه أيضًا.

يقول العلامة أحمد تيمور : «الذى ظهرَ لى من مطالعةِ مؤلفاته. أنّه لَمْ يكُنْ ملْحِدًا كما يزْعُمُون[1]، بل كانَ مؤمنًا بالله وملائكتِهِ وكُتُبِه ورُسُله. وإنما كانت تَقعُ له فى بعْض الأحْيان أحوالٌ يضيقُ بها صدْرُه فينفُثُ نفثاتٍ يُوهم ظَاهِرُها. . وكانَ الأوْلى به تركها، وهى مهما بلغت من الشّناعة والبَشاعة لا تصل إلى الكفْر ولا الإلْحاد، بل فيها ما إذا قارنْتَه بما قالَه فى ضدّه، لظهَر لكَ جليًّا أنه لم يرد ما سَبق إلى ذهْنك فيه من أوّل وهْلة. . . وإنّما أُتِىَ الرّجلُ من جهة حسَدته وشانِئِيهِ، وولُوع جماعةٍ منْهم بتقْويله ما لم يَقُلْ واشْتهاره بما كانُوا ينْظمونَه على لِسَانه من أقْوال المعطّلة والزّنادقة! وسيرد عليْك من أقواله ما وافَقَ مشْهورِى المتصوفة وكبار الزهاد حذْو القذة بالقذّة إلا أنّها كُتبت لَهُم. وكُتبت عليْه. . . ولله فى خلْقه شئون!! وحسْبك ما أثاروه على الإمام الغزالى فى قوله: (ليْس فى الإمكان أبدع مِمّا كان) حتى وَضَعوا فيه المؤلّفات وشغلُوا النّاس بالتّرهات. ولا شكّ أنه لم يرد بقوله هذا ما ذَهبوا إليه وتأوّلوه، وأىّ مسلم يخالِجه ريْب فى عقيدة هذا الإمام وهو حجّة الإسلام»[2].

ويتعجّب المعرى نفسه من إنكار «من له غريزةٌ يشوبها شىءٌ من عقْلٍ أن يقولَ مثْل هذهِ الأشياء، ويتأوّل مثل هذا المنكرات فى بعض الأبْيات. . فإذا جاءَ ما يُنبِىءُ عَنْ بَيانِها ألْقاه إلقاء عمْد وتحامل، فَلِلّهِ قول الرّاجِز حيث يقول:

لَـوْ أنّ حوْلى عصْبـةٌ يَمانِيَّـةٌ ... مـا تَركتنِى لِلذِّئَـابِ العَاوِيَـة

ولكن إنما يغضب لهذه الأشْياء المسلمون، وقد اغتربَ الإسلامُ فى هذا الأوان»[3].

علمه باللّغة والأدَب :

رأيْنا قبلُ أنّ أبا العلاء لم يجْلس مجلسَ التِّلميـذ من أستاذ إلا فى صبـاه، فلمّا بلغ السادسةَ والثلاثين رحلَ إلى بغْداد، فزار مكتباتها وجالسَ علماءها وأدباءَها، ومنْ كان فيهَا من الفُقهاء والفلاسفة، مجالسةَ النّد للندّ، لا مجالسة التّلميذ للأستاذ، ثم رجعَ إلى

(١) يزعم بروكلمان عندما تناول ترجمة المعرى أنه كان برهميًا أو مزدكيًا مستدلاً بأنه عارض القرآن بكتابه (الفصول والغايات). .

(٢) أبو العلاء المعرى ص١٣٢ - ١٣٨.

(٣) النص : رقم ٤١ من زجر النابح.

المعرّةِ فاشتغلَ بالتّعليم والتّأليف، وقد اتفق محبّوه ومبْغضوه علَى أنّه كانَ وافرَ البضاعة من العلْم، غزيرَ المادّة فى الأدَب، إمامًا فيه، حاذقًا بالنّحو والصّرف، نسيجُ وحْده فى الذّكاء والفهْم.

أما اللّغة وحفْظ شواهدها وتقْييد أوابدها فقدْ كان فيها أعجوبة من العَجائب، يقول الدكتور طه حسين: «ما أعْرِفُ أحدًا وعَى اللّغة العربيّة كما وعاهَا أبو العلاء، وما أعْرف أنّ أحدًا راضَ اللّغَةَ العربيّة كما راضَها أبُو العلاء، وما أعْرف أنّ أحدًا: صرَّف هذه اللّغة فى أغراضه وحاجاته الفنّية كما صرّفها أبو العلاء»[1]. ورأيت ابن العديم نقل عن ابن الشجرى عن أبى زكريا التبريزى أنه قال: «ما أعرف أنّ العرب نطقت بكلمة ولم يعْرفها المعرى»[2] ولم يُتَّهم الشيخُ أبو العلاء بكذب ولم يطْعن عليْه بتدْليس وقدْ كان الرّجلُ يرى فى نفسه هذا الرأى، فيثقُ بها فيما يحدّث ويملى، وقرأ عليْه التّبريزى كتاب (إصلاح المنْطق) لابن السكيت، فلما أتمّه طالبه بالسّند كما جَرت بذلك العادةُ فى زمانه، فقال له أبو العلاء: «إن كنت تريدُ العلم فخذه عنّى ولا تعدنِى وإن كنْتَ تريد الرِّواية فاطلبها عند غيرى»[3]. ثم يعلّق القفطى قائلاً: وهذا القوْلُ من أبى العلاء يشْعر أنّه وَجَدَ مِنْ نفسه قوّة على تصحيح اللغة، كما وَجَدها ابنُ السكّيت مصنف (الإصلاح) وربما أحسَّ من نفسه أوفر من ذلك.

ولعل بسبب من هذا نراهُ يكثر من ذكر الرّوايات للبيْت الواحِد، بل للكلمة الواحدةِ فى شرحه لديوان المتنبى (معجز أحمد) دون أن يسنْد هذه الرواية أو يشير إلى قائلها، وإنما يقول: وقِيلَ كذَا، وقيل كذا. والظاهرة الغالبة التى لا تحتاج فى تجليتها إلى كبير عناء والتى تسترعى انتباه كلّ من نظر فى شرح المعرى للمتنبى هى اللّغة فلقد صبغ شرْحه بصبْغةٍ لغويّةٍ قويّةٍ، حتّى لينسى فى بعض الأحيان تفسير البيت لما هو مأخوذٌ به من اللّغة. والصّفة الثانية التى يمكن أن يتّصف بها شرْحه كثرة رواياتِه، فأبو العلاء أكْثر الشُّرّاح ذكرًا لرواية أخرى، وأكثرهم كذلك احتيالا على وجهٍ آخر فى تخريج المعنى.

* * *

(١) مع أبى العلاء فى سجنه ص٢٠٨.

(٢) تعريف القدماء ص٥٦٩ عن الإنصاف والتحرى.

(٣) تعريف القدماء ص٥١ عن إنباه الرواة.

فهرس قصائد ومقطوعات (الجزء الأول)
كما رتبت فى شرح أبى العلاء (معجز أحمد)

رقم القصيدة	رقم الصفحة	مطلع القصيدة	عدد أبياتها	موضوع القصيدة
٢٧	١٤٨	حاشى الرقيب فخانته ضمائره وغيض الدمع فانهلت بوادره	٣٤	يمدح بعض أمراء حمص ولم ينشده أحدًا
٢٨	١٦٢	عزيز أسى من داؤه الحدق البنجل عياء به مات المحبون من قبل		يمدح شجاع بن محمد بن عبد العزيز ابن الرضا المضاء الطائى المنحى
٢٩	١٧٤	اليوم عهدكم فأين الموعد هيهات ليس ليوم عهدكم غد	٤٠	وقال أيضا يمدحه
٣٠	١٨٨	أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد يا أبا دلف	٤	وقال فى أبى دلف وقد أهدى إليه هدية فى السجن
٣١	١٩٠	أيا خدد الله ورد الخدود وقدّ قدود الحسان القدود	٢٨	وشى به قوم إلى السلطان فاعتقله فكتب إليه يمدحه (أسباب النبوءة وخروجه)
٣٢	٢٠٠	أبا عبد الإله معاذ إنى خفىٌّ عنك فى الهيجا مقامى	٦	أجاب معاذ الصيداوى وهو يعذله على تهوره
٣٣	٢٠٢	أنا عين المسوّد الجحجاح هيجتنى كلابكم بالنباح	٣	قال لرجل بلّغه عن قوم كلاما فيه
٣٤	٢٠٣	ألذ من المدام الخندريس وأحلى من معاطاة الكؤوس	٤	سئل الشرب ففضل معاطاة الحراب على معاطاة الشراب وقال ارتجالا
٣٥	٢٠٥	إذا ما شربت الخمر صرفا مهنئا شربنا الذى من مثله شرب الكرم	٢	يجيب بعض الكلابيين وقد قال له اشربْ هذه الكأس سرورًا بك
٣٦	٢٠٥	لأحبتى أن يملئوا بالصافيات الأكوبا	٣	وقال ارتجالا : طربه لصليل السيوف لا لقرع الكؤوس .
٣٧	٢٠٦	أما ترى ما أراه أيها الملك كأننا فى سماء مالها حبك	٢	يصف مجلسا
٣٨	٢٠٧	إن القوافى لم تنمك وإنما محقتك حتى صرت مالا يوجد	٢	يفتخر بشعر على أبى بكر الطائى وقد نام ساعة إنشاده
٣٩	٢٠٨	كتمت حبك حتى منك تكرمة ثم استوى فيك إسرارى وإعلانى	٢	يتغزل
٤٠	٢٠٩	هذى برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا	٣	يمدح زريق بن محمد الطرسوسى
٤١	٢٢٠	محمد بن زريق ما نرى أحدا إذا فقدناك يعطى قبل أن يعدا	٣	وقال يمدح محمد بن زريق أيضا

رقم القصيدة	رقم الصفحة	مطلع القصيدة	عدد أبياتها	موضوع القصيدة
٥٨	٣٢٥	أحق عافٍ بدمعك الهمم أحدث شيء عهدا بها القدم	٤٤	يمدح عليًّا التنوخى وفيها يصف ب طيرية
٥٩	٣٤٠	دمعٌ جرى فقضى فى الربع ماوجبا لأهله وشفى أنى ؟ ولا كربا	٣٩	يمدح المغيث بن على بن بشر اله
٦٠	٣٥٦	فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما يهب اللئام	٤٣	يمدحه أيضًا ويذم الزمان

العـراقيّات الأولى

(١)

قال أبو الطيّب أحمد بن الحُسين الكوفيّ الجعفيّ المتنبى رحمه الله – وهو أول شعر قاله فى صباه[١] :

١ – أَبْلَى الهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِى
وفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ والْوَسَنِ

يقال بَلِيَ الثّوب يبلَى بِلى وبلاءً[٢]. وأبلاه غيره إبلاء . والأسف : شدة الحُزْن . يقال : أَسِف يأْسف أسفًا فهو آسف وأسِيف ، ومعنى إبلاءِ الهوى البدن : إذْهاب لحمه وقوّته ؛ بما يُورد عليه من شدائِد . وخصّ يوم النَّوى ؛ لأَن برْح الهوى إنّما يشتد عنْد الفراق ، والهوى عذْب مع الوصال سُمٌّ مع الفراق كما قال السرىّ الرَّفاء[٣] :

وَأَرَى الصَّبَابَةَ أَرْيَةً مَالَمْ يَشُبْ يَوْمًا حَلاَوَتَهَا الْفِرَاقُ بِصابِهِ[٤]

وانتصب أَسفًا على المصْدر ، ودلّ على فِعْلِه ما تقدّمه من قوله : «أبلى الهوى» لأنّ إبلاء الهوى بدنه يدل على أسفه ، فكأنه قال : أَسِفْتُ أسَفًا.ومثله كثير فى

(١) ق : هذه المقدمة بتمامها ساقطة والمذكور عن سائر النسخ . الواحدى : «ولد أبو الطيب أحمد ابن الحسين المتنبى بالكوفة فى كندة سنة ثلاث وثلاث مئة . ونشأ بالشام والبادية ، وقال الشعر صبيًّا ، فن أول قوله فى صباه» . التبيان ١٨٥/٤ : «وقال فى صباه فى المكتب» الديوان ١ «ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبى بالكوفة فى كندة ، ونشأ بالشام والبادية ، وقال الشعر صبيًّا ، فن أول قوله فى الصبا»

(٢) عن خ والواحدى : «وبلاء .... وابلاء» ومهملة فى سائر النسخ .

(٣) شاعر من أهل الموصل ، كان فى صباه يرفو ويطرز فى دكان بها ، ولما جاد شعره ومهر فى الأدب . قصد سيف الدولة فمدحه وأقام عنده مدة . ثم انتقل إلى بغداد ومات سنة ٣٦٦ هـ . ابن خلكان ٢٠١/١ .

(٤) الواحدى والتبيان.

التنزيل ؛ كقوله تعالى : (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ)[١] ، و «يوْمَ النَّوى» : ظرف للإبلاء ، ومعموله . ويجوز أن يكون معموله المصدر الذى هو «أَسَفًا» .

والمعنى يقول : أدّى الهوى بدنى إلى الأسف ، والهُزال ، يوم الفراق ، وبعْد الهَجْرُ مِنَ الحبيب ؛ بين جَفْنَىَّ والنوم[٢] . أى : لم أجد بعده نوْمًا ولا راحة .

٢ - رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مِثْلِ الخِلاَلِ إِذَا أَطَارت الرِّيحُ عَنْهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ

يقول : «روح تردَّدُ» : أى تجىء وتذهب ، فى بدنٍ مثل الخلال فى النحول والدِّقَّة والهزال ، بحيث إذا طيّرت الريح عنه الثّوب لَمْ يظهر ذلك البدن لدقّته . أىْ : إنَّمَا يُرَى لِمَا عليه من الثَّوْب ، فإذا ذهب الثّوب فهو لا يُرَى . و «مثل الخلال» صفة للموصوف المحذوف ، تقديره : فى بدنٍ مثل الخلال .

وأقرأنى[٣] أبو الفضل العروضى[٤] : فى مِثْلِ[٥] الخيال ؛ وقال : أقرأنى أبو بكر الشعرانى خادم المتنبى : «فى مثْل الخَيَال» وقال : ولم أسمع الخلال[٦] ،

---

(١) سورة النمل ٢٧ /٨٨ .

(٢) ق : «بين جفنى النوم» .

(٣) الضمير هنا يعود إلى الواحدى ؛ لأن أبيات هذه المقطوعه نقلت من الواحدى .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى . مات بعد سنة ست عشرة وأربع مئة ، ومولده سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة وهو شيخ الأدب فى عصره ، درس ديوان المتنبى على الشعرانى خادم المتنبى ، وقد تخرج على يدى العروضى جماعة من الأئمة منهم : علىّ بن أحمد الواحدى صاحب شرح ديوان المتنبى . له ترجمة فى إنباه الرواة ١١٩/١ معجم الأدباء ٢٦١/٤ وبغية الوعاة ٦٠ والواف بالوفيات ٣٣/٨ .

(٥) ق : «مثل مثل» مكررة .

(٦) فى الواحدى وطلعت : «ولم أسمع الخلال إلا بالرى» والرى من بلاد فارس .

وما دونه من البيت يدل على صحة هذا . وإن الوأواء[١] الدمشقى سمع هذا البيت فأخذه وقال :

وَمَا أَبْقَى الْهَوَى والشَّوْقُ مِنِّى سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فى خَيالِ

خَفِيَت على[٢] النوائِب أنْ تَرَانى كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّى فِى مُحَالِ[٣]

٣ - كَفَى بِجِسْمِى نُحولاً أَنَّنِى رَجُلٌ لَوْلاَ مُخَاطَبَتِى إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِى

يقول : كفانى نحولا كونى رجلاً ، لوْ لم أتكلّم لم يقع علىّ البصر ، أى إنما يستدل علىَّ بصوتى ، كما قال أبو بكر الصّنوبرى[٤] :

ذُبْتُ حتَّى ما يستدل على أنِّىَ حَىٌّ إلاَّ بِبَعْضِ الْكَلاَمِ[٥]

وأصل هذا المعنى قول الأول :

ضَفَادِعُ فِى ظَلْماءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُها حيَّة الْبَحْرِ[٦]

والباء فى « بجسمى » زائدة ، تزاد مع الكفاية عنها ؛ فى الفاعل[٧] كثيراً كقوله تعالى : (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً) [٨] (وَكَفَى بِكَ على هؤلاءِ شهيداً) [٩] (وَكَفَى بِرَبِّكَ

---

(١) هو : أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانى . المشهور بالوأواء الدمشقى . مدح سيف الدولة من سنة ٣٣٣ - ٣٣٥ وتوفى سنة ٣٧٠ تقريبًا . يتيمة الدهر ٢٧٩/١ ومقدمة ديوانه ١٧/١٥ .

(٢) ق : « عنى » . (٣) ديوانه ١٨٩ واليتيمة ٢٧٩/١ والتبيان .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد الأنطاكى ، يكنى أبو بكر ، ويلقب بالصنوبرى . كان ممن يحضر مجلس سيف الدولة ، وتنقل بين حلب ودمشق وتوفى سنة ٣٣٤ تقريبًا . ابن خلكان ١١١/١ .

(٥) الواحدى . التبيان .

(٦) منسوب إلى الأخطل فى شعره ص ١٣٧ ومعاهد التنصيص ٢٢٠/٤ وغير منسوب فى عيون الأخبار ٩٧/٢ ومحاضرات الأدباء ٣٤١/١ و ٦٨٩/٢ والتبيان والواحدى .

(٧) فى النسخ : « فى اسم الفاعل » والمذكور عن الواحدى والتبيان .

(٨) سورة النساء ٧٩/٤ و ١٦٦ .

(٩) ليست بآية ، مع ورودها هكذا فى المخطوط .

هَادِيًا ونصيرا)[١] ، وتزاد مع المفعول أيضاً كقول بعض الأنصار[٢]

وَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النبيِّ مُحَمدٍ إِيَّانَا[٣]

معناه كفانا فضلاً ، فزاد الباء وقد قال أبو الطيب .

«كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا[٤] »

فزاد فى المفعول فى قوله : «بجسمى» لما ذكرنا وانتصب نحولا ، على التمييز[٥] ، لأن المعنى كفى جسمى من النحول .

(٢)

وقال يمدح محمد بن عبيد الله العلوىّ[٦] :

١ - أَهْلاً بِدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا

«الأَغْيَد» : النّاعم البدن ، وجمعه غيدٌ وأراد هاهنا ، جارية ، وذكّر

(١) سورة الفرقان ٣١/٢٥ .

(٢) ق ، شو : «بعض الشعراء» .

(٣) نسب إلى حسان بن ثابت فى الواحدى ٥ والتبيان ١٨٠/٣ و ١٨٧/٤ .

(٤) وذلك فى أول قصيدة مدح بها كافورًا لإخشيدى . ديوانه ٤٣٩ والمذكور صدر بيت وعجزه :

وحسب المنايا أن يكن أمانيا

(٥) فى ط و ب والواحدى : «على التميز» وفى سائر النسخ : «على أنه مفعول ثانٍ» .

(٦) ق ، خ : «ابن عبد الله» والتصويب من سائر النسخ والتبيان والواحدى والنظام ، وقد ذكر فى نسخة طلعت أن ذلك سنة ٣١٠ هـ . أمّا ع فلم تذكر هذه المقدمة وفيها «وقال أيضًا» ويرى الأستاذ محمود شاكر مجتهدًا أن ذلك كان سنة ٣١٨هـ ، ولعله أقرب إلى الصواب . انظر هامش كتابه المتنبى ٢٧/١ ويذكرَ صاحب التبيان ٣٠٧/١ أن محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قومًا من العرب بظاهر الكوفة ، وهو شاب دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة وجرح فى جبهته ، فكسته الضربة التى فى جبهته حسنًا . يقول : «وقد سمعته عن جماعة من مشيخة بلدنا» ويذكر شارحنا عندما تناول شرح البيت رقم ٢٦ من هذه القصيدة : أن الممدوح أصيب فى وجهه عند غزو الكفار . وقد ذكر فى هامش ع والواحدى قبل هذه القطعة بيتان لم يُذكرا فى سائر النسخ . وهما فى الواحدى و ع : وقال فى صباه ارتجالاً : =

اللَّفْظ ، لأنه عَنِيَ الشَّخص ، و «الخُرَّد» جمع الْخَرِيدة وهى : البِكْر الَّتِى لم تُمَسّ . ويقال أيضًا : خُرَد بالتخفيف ، وفى قوله : «أَبْعَد» أوجهٌ ورواياتٌ ، والذى عليه أكْثَر الناس الاستفهام ، وفيه ضربان من الفساد : أحدهما فى اللفظ والثانى فى المعنى ، والذى فى اللفظ من الفساد هو : أن تمام الكلام يتعلق بالبيت الذى بعده ، وذلك عيب عند الرواة يسمونه [المضمن و] المبتور ، ومثله :

لاَ صُلحَ بينِى فاعْلَموه وَلا بَيْنَكُم مَا حَمَلَتْ عَاتِقِى
سَيْفِى وما كُنَّا بنَجْد وما قَرْقَر قُمْرٌ الوادِ بالشَّاهِقِ[1]

والضرب الثانى من الفساد ؛ فى المعنى ، وهو أنه إذا قال : أبعد فِراقهم تهتم وتحزن ؟ كان[2] محالاً من الكلام ، والرواية الصحيحة : «أَبْعَدُ مابان»[3] بضم الدال .

يقول : أبْعَدُ شيء فارقك جوارى هذه الدار . وروى قوم ، أبْعَدَ مابان[3]

١ - بأبِى مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا وَقَضَى اللهُ بَعْد ذَاكَ اجْتِمَاعَا

هذه الباء تسمى : «باء التعدية» . يقول : فداء بأبى من وددته . أى جعل فداء له ، وتقول : بنفسى أنت وبروحى أنت . وهو كثير فى كلامهم .

٢ - وَافْتَرقْنَا حولاً فلمَّا اجْتَمَعْنَا كَانَ تَسْلِيمُه علىَّ وَدَاعَا

يقول : كان تسليمه على عند الالتقاء توديعًا لفراقٍ ثانٍ ، والوداع : اسم بمعنى التوديع ، يقال : ودعته توديعًا ووداعا ، وهذا المعنى من قول الآخر :

بأبى وأمى زائر مُتَقَنِّع لم يخف ضوء البدر تحت قناعه
لم أسْتَتِمّ عناقه لِلِقَائِه حتى ابتدأت عناقه لوداعه

وأثبت محقق الديوان هذين البيتين فى زيادات الديوان ص٥٢٦ وقد ذكرا أيضًا فى التبيان ٢٧٩/٢ بشرح يقرب جدًّا من شرح الواحدى لها . الواحدى ٦ : «وقال أيضًا فى صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوى» التبيان ٢٩٤/٢ : «وقال فى صباه يمدح محمد بن عبيدالله العلوى» الديوان ٢ : «وله أيضًا فى صباه يمدح أبا الحسن محمد بن عبد الله العلوى»

(١) البيتان لأبى عامر جد العباس بن مرداس . انظرهما مع مصادر أخرى فى كتاب : «المذكر والمؤنث» لأبى موسى الحامض بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب .

(٢) ق : «كان» ساقطة . (٣) ق : «مابان» مهملة .

بفتح الدال ، على أنّه حال من « الأغيد » والعامل فى الحال «سبَاكَ» أى : سباك أغيدها أبْعَدَ مابان عنك ، و « خرّدها » بدل من « الأغيد »(١) وهذا من العجب ، أى أن السابى يسبى وهو بعيد .

ومعناه أنه أسرك بحبّه ، وهو على البُعْد منك ، وانتصب «أهْلاً» بفعل مضْمر(٢) تقديره : جعل الله تعالى أهلاً بتلك الدار ؛ لتكون مأهولة ؛ أى ذات أهلٍ ؛ وإنما تكون مأهولةً إذا سقِيَت الْغَيْثَ فأنبتت الكلأ ، فيعود إليها أهلها ، وهو فى الحقيقة دعاء لها بالسّقيا .

٢ - ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِى عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا

يريد ظَلِلْت ، فحذَف أحد اللاَّمَيْن تخْفيفاً كقوله تعالى : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُون)(٣) .

يقول:ظَلَلْتَ بتلك الدّار تنْثَنِى على كبدك واضِعًا يدك فوق خِلْبِها ، والمحْزون يفعل ذلك كثيراً لمَا يجد فى قلبه(٤) من حرارة الوجْد يخاف على كبده أن ينشق ، وهذا كما قال غيره(٥) :

عشِيَّةَ أَثْنِى البُرْدَ ثمّ ألوِيُه على كَبِدى مِنْ خشْيَةٍ أن تصدَّعَا(٦)

(١) الواحدى : « وخردها بدل من الأغيد » لم تذكر .

(٢) فى الواحدى : « وانتصب أهلاً بمضمر » .

(٣) سورة الواقعة ٥٦/٦٥ .

(٤) فى الواحدى وطلعت : « فى كبده » .

(٥) ق : « كقول بعضهم » .

(٦) فى النسخ : « أن تقطعا » وفى الواحدى والتبيان ودلائل الإعجاز « أن تصدعا » وقد نسب إلى الصمّة القشيرى ، وهو شاعر إسلامى بدوى من شعراء الدولة الأموية .
وفى مختار الأغانى ذكر البيت ضمن أبيات أربعة منسوبًا إلى مجنون ليلى ، بهذه الرواية .
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تصدعا

وقال آخر :

لمَّا رأَوْهُم لَمْ يُحسّوا مدركًا وَضَعُوا أَنامِلَهم عَلَى الأَكْبَادِ[١]

والانطواء كالانثناء ، والنضج لليد ، ولكن جرى نعتًا للكبد فى الإعراب لإضافةِ اليد إليها كقوله تعالى : (مِنْ هَذِه القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا)[٢] فإن الظّلْم للأهل ، وجرى [٢ - ب] صفه للقرية .

والمعنى : التى ظلم أهلها ، وهذا كما تقول مررت بامرأة كريمةٍ جاريتُها ، تصفها بكرم الجارية ، وجعل اليد نضيجة لأنه أدام وضعها على الكبد فأنضجتها بما فيها من الحرارة ، ولهذا جاز إضافتها إلى الكبد ، والعرب تسمّى الشىء باسم الشىء[٣] إذا طالت صحبتُه إيّاه كقولهم لفناء الدار : العَذِرة ، وللمطمئنّ من الأرض : الغائِط[٤] . وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه[٥] كانت الإضافة أهون ولطول وضع يَدِه[٦] على الكبد أضافها إليه ، كأنها للكبد لمَّا لَمْ تُرَ إلاَّ عليها ، والخلب : غشاء للكبد رقيق لاصق بها[٧] ، وارتفع « يدها » بنضيجة ، وهو اسم فاعل يعمل عمل الفعل كما تقول : مررت بامرأةٍ كريمةٍ جاريتُها ، ويجوز أن تكون النضيجة من صفة الكبد ، فيتم الكلام[٨] ثم ذكر وضع اليد على الكبد ، والأوّل أولى .

٣ - يَا حَادِيَىْ عِيرِها وأَحْسِبُنِى أُوجدُ مَيْتا قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا

(١) فى الواحدى والتبيان غير منسوب .
(٢) سورة النساء ٤/٧٥ .
(٣) الواحدى : « تسمى الشىء باسم غيره » .
(٤) ع و ا و ب : « وللبطن : الغائط » .
(٥) ق : « باسم ما ينضجه » .
(٦) ق : « اليد » .
(٧) فى ا و ع : « لازق » وفى سائر النسخ « رقيق لازب بها » .
(٨) ق : « وتم الكلام » .

روى[1] : «عيرها» و «عيسها» وهى أَحَسنهَا[2] لأن العير : هى التى تحمل النساء ، والعيس : هى الإبل البيض التى تعلو بياضها شقرة[3] : والهاء فى «عيرها» للمحبوبة «وأحسَبُنى» : أى أظنّنى ، والفقْد : العدم ، وقوله : أفقِدُهَا ، الأصل فيه النّصب ؛ لأنه أراد : قُبَيْل أن أفقدَها ، إلا أنه حذف (أَنْ) وردَّ الكلام إلى أصله وهو الرفع ؛ لأن العامل فيه غير مظهر .

يخاطب حادِيَىِ العير التى كانت محبوبته فى جملة ركبهما ، ويسألهما أن يقفا عليه بالإبل[4] ليستمتع بالنّظر إليها ، لِمَا ذكره فى قوله : «قفا»[5] ، ثم قال : «وأحسَبُنى» . أى وإن التمست من الحاديين وقوفهما بهذه المرأة علىّ لأتزوّدَ منها بالنظر ، فإنى أظنّ أنى أوجدُ ميتًا قبل أن تغيب هذه المرأة ، فلا يكون فى النظر إليها طائلٍ ، وإنما صغّر فقال : «قبيل» لينبه[6] على أن موته إنما يحصل حال الفراق وقبله بوقت يسير ، وهو الوقت الذى يتحقق الفراق فيه ، وإن ما قبلهما هى حالة الوصال ولا يليق به الموت ، وقوله : «ياحادِيَىْ» أراد به السائق والقائد ، والحادى : اسم السائق ، لكنه سمّاهما باسم واحد للجمع بينهما تغليباً لأحدهما على الآخر ، وفى ذلك إخبار عن عظم حال هذه المرأة الجليلة وأن لها قائدًا[7] يأخذ بزمام المطيّة ، وسائقًا يسوقها ، ويحتمل أن يكونا حاديين على الحقيقة .

٤ – قِفَا قليلاً بها علىّ فَلاَ أقلُّ من نظرةٍ أُزَوَّدُها

---

(١) اعتبارًا من أول شرح هذا البيت رقم ٣ يبدأ شرح المعرى وقدرنا المفقود من نسخة الشارح الذى نقله الناسخ الأول أو تصرف فيه من الواحدى مقدار ورقة واحدة ذات وجهين . هذا غير المقدمة التى فى نسخة ميونخ .

(٢) ق ، خ : «أحسنها» مكانها بياض .

(٣) ق ، خ : «شقرة» ساقطة .

(٤) ق ، خ : «أن يقفا على الإبل» .

(٥) فى البيت الآتى رقم ٤ .

(٦) ع : «ليبين» وب «ليدل» .

(٧) ع : «هى التى لها قائد» .

« قَليلاً » : منصوب ؛ لأنه صفة لظرف محذوف . أراد : زماناً قليلاً ، أو لأنّه صفة لمصدر الفعل الذى هو « قفا » أراد : وقوفاً قليلاً . وقوله : « فَلاَ أقلُّ » ويروى بالنّصب وهو الوجه[1] ؛ لأن « لاَ » يبنى الاسم بعده على الفتح إذا كان نكرة ، و « أقل » نكرة ، وقد روى بالرفع على معنى (لَيْس) وقوله : « قفا » يتعلّق بقوله : « يا حادِيَيْ عيرها » والهاء فى « بها » يحتمل أن تكون للإبل وأن [٣ – ا] تكون للمرأة .

يخاطب الحاديَيْن فيقول : قفا بهذه المرأة علىّ لأتزوّد منها بالنظر إليها ، وإن كان ذلك الوقوف قليلاً ، ثم قال إن لم آخذ منها الاستمتاع وطول الملازمة واستدامة الملاقاة[2] فلا أقل من نظرة أزوّدها : أى إنى أجعلها زادى . ويروى : « أزَوَّدُها » أى يجعل تلك النظرة زادى بعد مفارقتى إياها ومثله للآخر[3] :

أَلمّا عَلَى الدَّارِ الَّتِى لَوْ وَجَدْتُها بِهَا
أهْلَها مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا
وَإِن لَّمْ يَكُنْ إلاَّ مُعَرَّجَ سَاعَةٍ
قليلٌ ، فَإِنِّى نَافع لِى قَلِيلُها[4]

وقال الآخر[5] :

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِى وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لاَ يُقَال لَهُ : قَلِيلُ[6]

(١) ا : « الأوجه » . (٢) ق : « إن لم آخذ ... الملاقاة » ساقط .

(٣) ق : « قول بعض الشعراء » .

(٤) لذى الرمة فى ديوانه ٥٥٠ وفيه « إلا تعلل ساعة قليلاً » وأمالى القالى ٢١٦/٣ « إلا معرس ساعة قليل » وفى مصارع العشاق ١٣١/١ والتبيان ٢٩٦/١ « تعرج ... قليلاً » وفى شرح البرقوق « معرج ... قليلاً » ، وكذا فى معاهد التنصيص ٢٥٨/٣ والحماسة ٥٩٠ لم ينسب وفى نسختى ا وع « قليلاً » .

(٥) ق : « والآخر » .

(٦) نسب إلى أبى نصر الميكالى فى معاهد التنصيص ٢٥٩/٣ وغير منسوب فى الإبانة عن سرقات المتنبى ٣٦ وبصائر ذوى التمييز/٣٠٧ ومغنى اللبيب لابن هشام وشرحه للسيوطى ١٠٧ و ٦٧٥ .

٥ - فَفِي فُؤَادِ الْمُحبِّ نَارُ هَوًى أَحَرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا

« المحب » أراد به نفسه ، والكناية فى « أبْردها » لنار الهوى ، وكأنّ هذا البيت عِلّة فى سؤاله الحاديَيْن الوقوف بالمحبوبة .

يقول : إنّ فى فؤادى ناراً[1] من هواى إياها ، والجحيم فى جنبها أبردها ، يعنى أن أبرد[2] نار الهوى مثل أحرّ نار الجحيم ؛ وقصد بذلك تعظيم الهوى ، وقد ورد الخبر بأن نار جهنّم تزيد على نار الدنيا بسبعين درجة ، فإذا كان أبرد هذه النار تزيد على أحرّ[3] تلك ، فلا مبالغة فوقه .

٦ - شابَ مِنَ الهَجْرِ فرْقُ لِمّتِهِ فَصَار مثلَ الدِّمقْس أَسْوَدُهَا

الفرق : موضع الفرق هاهنا ، وفرْق الرأس : وسطه ، واللّمّة : ما ألمّ بالمنكب من الشَّعر ، والدِّمقْس : الحرير ، أو الإبريسم الأبيض . وأسودها : ليس المراد به المبالغة[4] التى هى أفعل من كذا ، وهو الأشد سواداً ، وإنما أراد به الاسم أى مسوّدها ، يعنى[5] اللمّة .

يقول : شاب شعر رأسى من ألم الفراق ! لا من الكبر فى السنّ ، حتى إن الشَّعر الأسود صار كالحرير الأبيض . وإنما خص موضع الفرْق ؛ لأن ذلك فى مقدّم الرأس ، والعرب تزعم أن ابتداء الشّيب إذا كان منه كان فيه دلالة الكرم ، وإذا كان من جهة القفا كان فيه دلالة اللؤم ، وهذا البيت مثل قول الآخر[6] :

وَمَا شَابَ رأْسِي مِنْ سِنِين تَتَابَعَتْ عليّ وَلكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ

---

(١) ق : « فى فؤادى نار » بإسقاط « إن » .

(٢) ق : « يعنى أبرد » .

(٣) ا : « حرّ » .

(٤) ق : « وليس فيه المبالغة » .

(٥) ع وا : « يعنى » مهملة .

(٦) ق : « بعضهم » .

والأصل فيه قوله تعالى : ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[١] .

٧ - بانوا بخَرْعُوبَةٍ لها كَفَلٌ يكادُ عِنْدَ القِيَام يُقْعِدُهَا

الضمير فى قوله : «بانُوا» لأصحابِ العير ، أو الحُدَاةِ ، والخَرْعوبة : الجارية الناعمة الجسم ، اللينة العصب ، الطويلة .

يقول : بانوا بجارية خرعوبة[٢] عظيمة العجز ، حتى إنها من كبر كفلها يقرب كفلُها عند القيام من أن يُقْعدها ويلقيها . ومثْله لأبى العتاهية[٣] قوله :

بَدَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَار الخُطَا تُجَاهِدُ بِالمشْى ِ أكفَالها[٤]

٨ - رِبَحْلَةٌ أسمرٌ مُقَبَّلُها سِبَحْلَةٌ أبيضٌ مُجَرَّدُهَا

الرِّبحلة : الضَّخمة الحسنة الخَلْق ، والسِّبحلة : الطويلة العظيمة . وقيل : السمينة اللّحيمة . ومقبَّلُها : أراد بِهِ[٥] شفتَها ، لأنّها موضع القبلة فى الغالب ، ويستحسن فيها السّمرة ، وقيل : أراد وجهها وسَوَالِفَهَا ، لأن ذلك مما يقصد بالقبلة كالشفة ، ويكون وصف ذلك بالسمرة تنبيهًا على أنها عربية ؛ لأنها الغالبة على العرب ، وهى أحب ألوان النساء عندهم ، والمجرّد : قيل أراد به سائِر بدنها ، والمستحسن فيه البياض . وقيل : أراد بِهِ ما جرت العادة بتجريده فى الغالب : كالوجه ، والعنق واليد والرجل . فيكون قد وصف جملة البشرة بالبياض ،

(١) سورة المزمل ١٧/٧٣ .

(٢) ق : «خرعوبة» مهملة .

(٣) اسمه : إسماعيل بن القاسم ، وأبو العتاهية : كنية غلبت عليه ، لأنه كان يحب الشهرة والمجون ، فكنى لعتهه بذلك : ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره فى الزهد والمواعظ . له ترجمة فى طبقات ابن المعتز ٢٢٨ ومعاهد التنصيص ٢ / ٢٨٥ والأغانى ٣ / ١٢٦ و١٨٣ وابن خلكان ١ / ١٢٥ - ١٣٠ ومختار الأغانى ١ / ٧ .

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٦١٢ والرواية فيه «مشت بين حور ... تجاهد فى المشى» والوساطة ٣١٩ ومهذب الأغانى ٤٦/٥ ومختار الأغانى ١٥/١ «مشت بين حور ... تجاذب فى المشى» .

(٥) ق : «بها» .

والغرض وصف المرأة بأنواع الحسن ، ليُعذَر فى حبّه لها وشغفه بها .

ويجوز فى «سبحلة» و«ربحلة» الجرّ عطفاً على «خرعوبة» والرفع على أنه خبر ابتداء محذوف فكأنه قال : هى ربحلةٌ وهى سبحلةٌ .

٩ – ياعَاذِلَ العَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً أضلَّها اللهُ كيْفَ تُرْشِدُهَا ؟!

الفِئةُ : الجماعة ، وأراد بها العشّاق . وقوله : أضلَّها الله : أغراها بالضلال ، ووجدها ضالّة ، والظّاهر أنه متعدّى «ضَلّ»[١] والمعنى : أنها همّت بالضلال فأضلها الله ، والإرشاد : ضدّه[٢] .

يقول: دعهم عن العذل على العشْق ، فإن التّمادى فيه ليس منهم ، حتّى ينفع عذلك فيهم ، إنما هو من الله تعالى ، أضلهم بالعشق عن سبيل السّلوة ، فكيف ترشدهم إليها ؟ ! أو أوجدهم ضالين[٣] عن سبيل الرشاد والسّلو .

١٠– لَيْسَ يُحيكُ الْمَلاَمُ فى هِمَمٍ أَقْرَبُها منْك عَنْكَ أَبْعَدُهَا

يُحيك بضم الياء أفصح ، وجَاء : حاك يَحِيك ، والهِمَمُ : العقول والعزائِم[٤] .

يقول : ليس يؤثّر الملام فى همم ، وهى همم العشّاق . أقربها[٥] فى ظنّك أيها العاذل من العمل ، أبعدها عنْك فى الحقيقة ، وعلى هذا الهمم : هى العزائِم ويجوز أن يراد بها العقول[٦] .

فيقول : إن العشّاق لا عقول لهم ، والعذْل إنما ينْفع لمن له عقل ، فلا وجه إلى ملامهم ، وروى : «ليس يحيك الكلام» .

---

(١) ق : «ضل» ساقطة .

(٢) ع : «أضلها الله عن الإرشاد» .

(٣) ا ، ع : «أو وجدتها ضالة» ب و ق : «وأجدهم» والتصويب من سائر النسخ .

(٤) ع : «أو العزائم» .

(٥) ق : «همم العشاق وأقربها» .

(٦) المذكور عن ا وفى سائر النسخ : «الهمم هى العزيمة ويجوز أن يريد بها العقول» .

وسئِل المتنبى عن قوله : «أقْرَبُها مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا» فقال : أقربها منك سمعًا وأبعدها عنْك طاعةً[١] .

١١-بِئْس اللّيالى سَهِدْتُ من طَرَبِى شَوْقًا إلىَ مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُها

سهدْت بالدّال ، لأنه لا يستعمل إلا فى العشْق . والسَّهَرُ عام[٢] . والطَّرب : الخفّة فى فرح أوْ حزن ، وأرادها هنا ما يكون من الحزن ، ويرْقُدُها : أى يرقد فيها ، والهاء ترجع إلى «اللّيالى» .

يذم اللّيالى التى سهر فيها حزناً على المحبوبة ؛ لأنها ليالى المحْنة ، لمفارقتّها من وجهين :

أحدهما من حيث الشخص ، والثانى أنها لم تقابله فى المحبة فتسهر كسهره فى تلك الليالى ، ولا ساعدته على سبيل المجاملة ، وقوله «شوقاً» : نصب لأنه مفعول له ، ويحتمل أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال .

١٢-أحْيَيْتُهَا والدُّمُوعُ تُنْجِدُنى شُئُونُها والظَّلاَمُ يُنْجِدُهَا

إحياء الليل : هو السهر ، والشئون : مجارى الدموع ، والإنجاد : الإمداد والإعانة ، والهاء فى [٤ – ا] «أحْيَيْتُها» لليالى ، وفى «شئونها» للدموع ، وأضافها إليها لأنها مجاريها ، والهاء فى «ينجدها» قيل : ترجع إلى الليالى .

ومعناه : أحييت الليالى على حال تنجدنى شئون الدموع فيها على ما كنت فيه من طول اللّيل الذى حصل بالغم والسهر ؛ لأن من شأن الدّموع أن تخفّف[٣] على المحزون ، وكأنّ الظلام يعين اللّيالى ويمدها ظلمةً أكثر من ظلمتّها ، ويزيدها طولاً

(١) ع : «أقربها منك سمعًا وأبعدها وأبعدها عنك طاعة» مع تكرار «وأبعدها» .

(٢) روى البيت فى الواحدى والتبيان : «سهرت من طربى» . وقد فرق أصحاب اللغة بينهما : «سهرت وسهدت» فقالوا : السهر : فى كل شىء . والسهد : للعاشق . ويستدلون بقول النابغة :

ويسْهَدُ فى ليلِ التّمام سَليمُها

ويقول الأعشى : وبتَّ كمَا بات السَّليمُ مسهَّدا

(٣) ع والنظام : «الدمع أن يخفف» .

إلى طولها ، لانفراده به وعدم مشاهدته ما يتشاغل به عما هو فيه من الغم كما قال الشاعر :

بلى إنّ للعينين فى الصّبح راحةً لِطَرْحِهمَا طَرْفَيهِمَا عَلَى كلِّ مطَّرَح [1]

وقيل : إن الهاء فى «يُنجدها» للدموع .

ومعناه : أن الدموع كانت تعينني لما فيها من الرّاحة ، والظلام كان يعين الدموع ، وكلما ازْدادَ اللّيلُ ظلمةً ازْدادَ الغم .

١٣- لا ناقَتِى تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلاَ بالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهانِ أُجْهِدُهَا

أُجهِدها [2] : من جهدتَ الناقة إذا أشققتَ عليها فى الحمل والركوب والرِّهان [3] : المراهنة فى مسابقة الخيل . وأراد بالناقة : النّعل وأشار إلى أنه أحيا هذه الليالى وهو سائرٌ رَاجِل ، وجعْله نَعْله ناقته من قول النبى ﷺ : «المنتعل رَاكبٌ» [4] ثم بين مخالفته حالها بحال الناقة من وجهين : أحدهما أنها لا تقبل الرديف ولا تسع [5] غير رِجْله ، الثانى أنها لا تجهد بالسوط يوم المراهنة ؛ لأنه ليس لها فعل فى السباق ، ولا سرعة ولا إبطاء [6] ، ثم زاد فى الدلالة على المخالفة فقال :

١٤- شِرَاكُهَا كُورُهَا ومِشْفَرُها زِمَامُها والشُّسُوع مقْوَدُها

الكُور : الرَّحْلُ ، والمشْفر : الشّفة ، والمِقْود : الحبْل يقاد به الناقة ، والزّمام : السير المفتول .

(١) نسب فى حماسة ابن الشجرى ٢١٦ إلى الطرماح بن حكيم وروايته فى الحماسة : « لطرحها طرفيها على كل مطرح » وروايته فى الأصول : « لطرحها فيه على كل مطرح » وفى زهر الآداب ١٦٧/٣ كرواية ابن الشجرى .

(٢) ا : « جهدها » .

(٣) ق : « والركوب فى الرهان المراهنة » .

(٤) لفظ الحديث كما ورد فى مسلم ١٦٦٠ : « فإنّ الرّجل لا يَزال راكبًا ما انتعل » .

(٥) ع : « لأنها لا تسع الرجل الثانى » .

(٦) ق وخ : « فى السباق لا سرعة ولا إبطاء » .

شبه نعله بالناقة ، وشراكها بالكور ؛ لأنه يعلو ظهر الناقة ، كالشراك يعلو النعل ، وهو السير المعترض على القدم المشدود[١] إلى جانِبَى النعل ، والزّمام : هو السير المشدود جانب منه إلى الشراك ، وجانب إلى الشسع ، والشّسع : السّيْر الذى يكون بين الأصبعين ، فشبّه كل آلة من النّعل بشىء من آلات النّاقة[٢] .

١٥–أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبِقُه تَحْتِىَ مِنْ خَطْوِهَا تَأَيُّدُهَا

عصف الرياح : شدّة هبوبها . والهاء ، فى «يسْبقه» : يرجع إلى العصف المضاف إلى الرياح ، والتأيّد : قوة الخطو ، من الأَيْدِ وهو القوة .

يقول: قوة خطوها تحتى تسبق أشد عصف الرياح لأنها تبقى بعدها ، وتفتر الرياح ، وعنى بذلك قوّة نفسه وسرعة مشْيه .

وقِيلَ : أراد بالتأيّد : التّثاقل والتّثبّت ، كأنه جعل أهون سيره على النّعل فوق أشد الهبوب للرياح[٣] مبالغة[٤] وكأنه قال : تَثَبُّت خطْوها يسبق أشد الرياح فيصف قوّته .

١٦–فِى مِثْلِ ظَهْرِ المجَنّ مُتّصلٍ بِمثْلِ بَطْنِ المجَنّ قَرْدَدُها

القَرْدَدُ : الأرض الصُّلبة . وقيل : ما انخفض من الأرض النائِتة[٥] .

يصف طريقه إلى الممدوح [٤ – ب] ، وشبهّ ما ارتفع منه بظهر المجنّ ، وما انخفض منه[٦] ببطن التّرس ، وبيّن أن بعض طريقه كان صعوداً وبعضه كان هبوطاً وذلك دلالة[٧] على فضل المشقّة .

(١) ق : «المشدود» ساقطة .

(٢) ع : «ناقة» .

(٣) أ : «فوق أشد هبوب الرياح» .

(٤) ق : «مبالغة» ساقطة .

(٥) أ : «الثابتة» .

(٦) ع : «وما انخفض منه» ساقطة و «منه» ساقطة من ا و ب و خ .

(٧) ق : «هبوطًا دلالة» .

فيقول : تأيّد خطوها ، يسبق أشد هبوب الرياح ، فى طريقٍ مثل ظهر المجن[١] ارتفاعاً ، متصل بطريق مثل بطن المجن انخفاضاً ، والأصل فى هذا التشبيه قول الأعشى[٢] :

وَبَلْدَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ التُّرس مُوحشةٍ للجنِّ بِاللَّيْلِ فِى حَافَاتِها زَجَلُ[٣]

وقيل : إنه شبّه ابتداء سفره إليه بظهر المجَنّ ، إشارة إلى أنه كان موحشاً ، وانتهاءه ببطنه ، لما أدى إلى لقاء الممدوح ، إشارة إلى أنه كان مؤنساً ؛ لأن ظهر المجنّ يلى العدُوَّ[٤] وبطنه يلى نفْسَ مَنْ حمله ، والأوّل أقوى . ويجوز فى متَّصِلٍ : الرفع على الابتداء أوْ خبره ، والجرّ على أنه صفة لمثل ، أو بدل له .

١٧- مُرْتَمِياتٌ بِنَا إِلَى ابْنِ عُبَيْـ ـدِ اللهِ غِيطانُها وفَدْفَدُها

روى : فى «مرتمياتٍ» : الرّفع على أن يكون خبراً لغيطانها وفدفدها ، وتكون هى مبتدأ ، وروى بالكسر فتكون فى موضع النّصب ، على أن تكون حالاً سادّةً مسد خبر المبتدأ . والغيطان : جمع الغائط وهو المطمئن من الأرض ، والفَدْفَد : ما نشز منها .

يقول: رَمَتْ بنا هذه الغيطان والفدْفَد إلى ابن عبيد الله : الذى هو الممدوح ، يذكر مشقته ليكون أقرب إلى الإكرام .

١٨- إلى فَتًى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وقَدْ أَنْهَلَهَا فِى الْقُلُوب مُورِدُها

إلى : يتّصل بقوله : «مُرْتَمياتٍ» والإيراد : أراد بهِ إوْرادَها[٥] وهو الإتيان

---

(١) ق : «مثل المجن» .

(٢) هو : ميمون بن قيس بن سلام ، يكنى أبا بصير ، وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها . الأغانى ٧٦/٨ ومعاهد التنصيص ١٩٦/١ والشعر والشعراء ٢١٢ ولباب الآداب ٣٤٠ وديوان المعانى ٣٢٩/١ ومحاضرات الأدباء ٦٧٧/١ .

(٣) ديوانه القصيدة رقم ٢٢ وخاص الخاص ٦١ و ٩٩ وحلبة الكميت ١٩ .

(٤) ا : «الصدور» .

(٥) ا و ب : «أراد به رواءها» ع : «أراد إوراد : الإتيان بالمواشى» .

بالمواشي إلى الماء ، والإصدار[١] : صرفها عنه بعد الرّي . وقوله : «أنهلها» : من النّهل ، وهو في اللغة : الشّربة الأولى ، وروى «مَوْرِدُهَا» وهو مصدر وَرَدَ[٢] ، ويجوز أن يكون مكان الورود[٣] وهو جسم المطعون ، وهو رفع على أنه فاعل «أنهلها» .

يقول : رَمَتْ بنا هذه المفاوز إلى فتًى يُسْقِي رماحَه من دم قلب عدوّه ، ويصدرها عنه وقد رُوِيت من الدم . والهاء في «أنهلها» للرماح ، وخص القلوب لأنها أُولى المقاتل .

١٩– لَـهُ أيـادٍ إلـيَّ سابقةٌ أُعَدُّ منْها وَلاَ أُعَدِّدُهَا

وروى : «سابقةٌ» و «سابغةٌ»[٤] أي تامة . والأيادي : النّعم .

يقول : إن له علينا نعمًا سابقة ، لا أقدر أن أحصيها من كثرتها ، غير أني أُعَدّ من تلك النعم ، وأُوجَد منها ، يشير إلى أنه خلّصه من يد عدوّ له ، أو أنه جنى عليه بما يستحق القتل ، فوهب له نفسه ، ومثله :

لاَ تَنْتِفَنِّي بَعْدَمَا رِشْتَنِي فإنّني بعضُ أيادِيكَا[٥]

وروى «أعُدّ منها» يعني : أَعُدّ بعض هذه النعم ، وأما جميعها فلا أقدر أن أُحصيها لِكَثْرتها[٦] ، لأن «مِنْ» للتّبعيض .

---

(١) ا : «والأصل صرفها عنه» .

(٢) ق : «ورود» .

(٣) ق و ب : «الورد» .

(٤) ق : «سابغة» ساقطة .

(٥) غير منسوب في التبيان ٣٠٤/١ وروايته : «لا تنتفني بعد ان رشتني» . وفي التبيان ٣٨٠/٤ برواية توافق رواية شارحنا والبرقوقي ١٤٤/٣ . وفي الواحدي ١١ نسب للحجاز ثم يذكر الواحدي أن ما ذكر في الشرح هو قول ابن جني ويعلق عليه قائلاً : «وهذا فاسد لأنه ليس في البيت مايدل على أنه خلصه من ورطة ، وأنقذه من بلية ، وأعفاه عن قصاص وجب عليه ، ولكنه يقول : أنا غذى نعمتك وربيب إحسانك فنفسي من جملة نعمه فأنا : «أعدّ منها» .

(٦) ق : «من كثرتها» .

٢٠- يُعْطِى فَلاَ مَطْلُهُ يُكَدِّرُهَا بِهَا وَلاَ مَنُّهُ ينكِّدُهَا

الهاء فى « بها » وفى « يكدّرها » وفى « ينكّدها » : للأيادى . وتقدير البيت : يعطى فلا مطله بها [٥ - ا] لأن المطل يَتعدَّى[١] بالباء ، وينكّدها[٢] .

يقول : يُعطى من دون مطَلٍ[٣] بما يعطيه ، ولا مدافعة ينكّد بها ، ولا يَمُنّ بهِ إذا أعطى ، فكأنه قال : له أياد لا يكدّرها مطلٌ ولا ينكدُها منٌّ فكأنه[٤] أخذه من قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالْمَنِّ والأَذَى)[٥] ومثله للحكَمى[٦] :

فَمَا فِى جُودِهِ مَنٌّ وَلاَ فِى بذْلِهِ خَسْرٌ[٧]

٢١- خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبًا وأَمْجَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلاً وَأَجْوَدُهَا

المجد : الشرف ، والهاءات : للقبيلة ، التى هى قريش ؛ « وأبًا » و « نائلاً » : منصوب للتمييز ، وكان هذا الممدوح علويًّا ، وليس فى قريش خير[٨] من بنى هاشم ولا فى بنى هاشم[٩] خيرٌ من العلويَّة ؛ فلهذا قال : خير قريش أبًا ، فَفَضلَهُ

(١) ق ، ع : « يعدى » .

(٢) ينكّد : يكدر ، انظر اللسان . وعند الواحدى ١١ : ينكده : ينغصه ويقلل خيره .

(٣) مطل فلانًا حقّ وبحقه : أجل موعد الوفاء به مرة بعد مرة .

(٤) ق : « وكأنه » .

(٥) سورة البقرة ٢/٢٦٤ .

(٦) هو : أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحَكمى الشاعر المشهور بأبى نواس ، كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمى والى خراسان ، ونسبته إليه ، ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة ثم صار إلى بغداد سنة ١٩٨ . معاهد التنصيص ١/٨٣ وخزانة الأدب ١/١٦٨ وابن خلكان ١/٢٤٠ .

(٧) هذا البيت هو ثالث أربعة أبيات فى ديوان أبى نواس تنتهى كلها بقافية السين فيقول : « .... ولا فى بذله حبس » وفى ب وم (حسر) بالحاء مهملة .

(٨) ق : « خير » ساقطة .

(٩) ع : « ولا فى بنى هاشم » ساقطة .

فى نفسه ، ثم فى مجده ، ثم فى سخائِه .

وقريش : اسم لمن وَلَدَه النضر بن كِنانة ، وقيل لمن ولَدَه فهر بن مالك[١] ؛ والأصح هو الأوّل .

٢٢- أَطْعَنُهَا بالقَنَاةِ أَضْرَبُها بالسَّيْفِ ، جَحْجَاحُها مُسَوَّدُها

الجحْجاح : السيد الممتلئ كرمًا ، والمسوَّد : هو الذى اتفق الناس على سيادته . فقيل : هو المخاطب بالسّؤدد ، وذلك عن أجداده ، وهذا أبلغ فى الجلالة ، وإنما قيّد الطعْن بالقناة ، والضرب بالسيف ؛ إما تأكيداً كقولك : رأيت بعَيْنَىَّ . وإما لأن الطعن قد يكون[٢] بغير القناة من اللسان وغيره ، كذلك قد يكون بغير السيف ، كالخشب ونحوه ، وليس فى ذلك مدح . فرفع الإشكال بالتّقييد . والجحجاح والمسوَّد يعنى : السيد المسوَّد .

٢٣- أَفْرَسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا بَاعًا وَمِغْوَارُهَا وسَيِّدُها

فارسًا : نصب على الحال .

يقول : إنّ هذا الممدوح[٣] أفْرس قريش ، فى حال كونه راكباً للفرس ، فدلّ بهِ على أنّه إنما يركب الفرس فى بعض الأحوال ، إذْ ركوبه فى جميع الأحوال من عادات الرّائضين ، وقيل : إنه نصب على التّمييز[٤] .

والمعنى أنه أفرس من سائِر فرسان قريش ، كقولك : هو أجود قريش جَوَادًا ،

(١) ع العبارة فيها : « قريش من ولد النضر بن كنانة . وقيل من ولد فهر بن مالك والأول هو الأصح » .

وفى معارف ابن قتيبة ٦٧ أن النضر بن كنانة هو أبو قريش وولده . مالك . وولد مالك فهرً . فمنه تفرقت قبائل قريش فقيل لهم بنو فهر .

(٢) ق : « بغير القناة .... بغير السيف » ساقط وهو ما يسمّى بانتقال النظر أثناء نسخ من كلمة « بغير » الأولى إلى « بغير » الثانية .

(٣) ع : « نصب على الممدوح » وقد سقط ما بين الكلمتين .

(٤) ذكر ابن المستوفى فى كتابه النظام أن ابن جنى يرى أن « فارسا » نصب على الحال فقط لا على التمييز وذلك كقولك : زيد أكرم الناس مسئولا . أى فى هذه الحال .

وقيل : إنه أراد به : أفرسها فروسيّة . أيْ فراسة ، ويكون أيضاً نصب على التّمييز ، وقوله : أطولها باعًا . كناية عن مدّ يدَيْه بالعطاء ، أو يكون كناية عن نَيْله كُلَّ ما يُرِيدُ بِفضْل قوّته وقدْرته ، والمِغْوارُ : كثير الغارة(١)

٢٤-تَاجُ لُؤَيِّ بنِ غالبٍ وبهِ سَمَا لَهَا فَرْعُهَا ومَحْتِدُهَا

لؤى بن غالب : اسمُ جدّ النبي ﷺ (٢) وهو أبو قريش ، وأراد بهِ : القبيلة ، والمحتد : الأصل الكريم ، وأراد بالمحتدِ هاهنا : السَّلَف ، وبالفرع : الخلف منهم .

يقول:إنه تاجهم وغُرَّتُهم ، وإن علوّهم بهِ ، خلفًا وسلفًا ، لانتسابهم إليه(٣) .

٢٥-شَمْسُ ضُحَاها هِلَالُ لَيْلَتِهَا دُرُّ تَقَاصِيرُهَا زَبرْجَدُهَا

الضُّحا : ارتفاع النّهار ، والتقاصير : جمع التّقصار وهى القلادة القصيرة .

بيّن أن قريشاً [٥ - ب] يَسْتَضِيئون بنوره ، وجعلوه لأنفسهم كالشمس والهلال ، فى نهارهم وليلهم ، وأضاف الشمس إلى الضّحا ؛ لأنه اسمٌ لأوائِل النهار ، وأضاف الهلال إلى «الليلة»(٤) لأنه يسمى هلالاً فى أوائِل الشهر ؛ ليدلّ على حداثة سنّ الممدوح ، وأنّ فيه رجاء الزّيادة والنماء ، وأنّه منظور إليه ، يَرْمُقُه النّاس ويصدرون عن أمره ونهيه ، ويحكم فيهم بحكمه ، وذلك مختص بالهلال(٥) ، إذْ لاَ يُنْظر إلى البدر كَمَا يُنْظر إِلَى الهلال ، ولا يتعلّق بالبدر ما يتعلق(٦) بالهلال من الأحكام ، ثم بين أن(٧) قريشاً بمنزلة القلادة زينة ، أراد أن الناس يتزيّنون بهم ،

---

(١) ع زادت : « أى كأنه آلة الإغارة » .

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١ ونسب قريش للزبيرى ١٣ ومعارف ابن قتيبة ٦٨ .

(٣) ع ، خ : « لانتسابه إليهم » .

(٤) ع : « الليلة » وفى سائر الأصول « الليل » .

(٥) أ : « يخص الهلال » ع : « يختص بالهلال » .

(٦) ب : « كما يتعلق » .

(٧) ق : « بأن » .

إذ هم رؤساؤهم ، وأن الممدوح أجلّ أولئك السّادة قدْراً ، وأعظمهم خطراً لأن أجلّ ما فى القلادة الدّر والزّبرجَد ، فكأنّ الناس يتزيّنون بهم ، وهم يتزيّنُون بِهِ .

٢٦- يالَيْتَ بِى ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحتْ لَهُ ، مُحَمَّدُها

أتيح : أى قدّر[١] .

وتقدير البيت : ياليت بى ضربةٌ أُتيح لها محمدها كما أتيحتْ له ؛ كَانَ الممدوح أصَابتْه ضربةٌ فى وجهه فى غَزْوِ الكفّار ، فتمنّى هو أن تلك الضربة كانت به دون الممدوح ، تفديةً له بنفسه أو تسلية[٢] حيث سعد بها الممدوح ، لأنه كَثُر[٣] بِسبَبِها عليه الثَّناء ، وكتب له من أجلها الثّواب ؛ ولفظ الإتاحةِ ؛ تنبيهًا على أنها كانت اتّفاقاً وفجاءةً ، لا عن فَضْل[٤] قوة الضارب على الممدوح ، فدلَّ بذلك على شجاعة الممدوح ؛ أو يكون إتاحة الضَّرْب له من حيث أنه نوه بذكرها وبذكر من سبب إليها ، والحديدة الّتى وقعت بها ، فكأنه كسب له الفخر ، وكسبت هى له السعادة والثناء وجزيل الثواب .

وقد كان يستقيم المعنى من دون أن يذكر « محمدها » ويكون تقدير البيت : فى ضربة أتيح لها ، كما أتيحت له . لأنه صرح بذكره للحاجة إليه ، وإن لم يكن فى ذلك إحالة المعنى .

٢٧- أَثَّر فِيهَا وَفِى الْحَدِيدِ ومَا أَثَّر فى وجْهِهِ مُهَنَّدُها

المهنّد[٥] : السّيف المنسوب إلى الهنْد ، والهاء فى « فيها »[٦] ، وفى « مهنّدها » للضربة ، وتأثيره فى الضربة على معنيين :

---

(١) ق : « أتيح : أى قدر » ساقطة .

(٢) ق : « بنفسه تسلية » بإسقاط : « أو » .

(٣) خ : « أكثر » .

(٤) ع ، خ ، ا : « الفضل » .

(٥) يقول الواحدى ، المهند : المشحوذ ، وسيف مهند : مشحوذ ، والتهنيد : شحذ الحديد .

(٦) ع : « وقد عطل الهاء فى قوله فيها وفى مهندها » هكذا العبارة . خ : « الهاء فى قوله فيها » .

أحدهما – أن يكون سلاحه قد عطّل وأبطل تأثيره بشجاعته فلم تؤثر ضربته فيه تأثير(١) مثلها ، فلمّا كان كذلك صار كأنه لم يكن للضرب ، ولا للحديد تأثيرٌ فيه ، فيكون غَرَضه أنّ الضّربة لم تعمل فى الممدوح ، أو عملت عملاً قليلاً يخالف قصد الضّارب ، إذْ أراد أن تعمل عملاً عظيماً .

والثانى – أن يكون قد جعل الممدوح مُؤثِّرًا فِى الضربة والحديد ، من حيث أنّ الضربة وقعت على الوجه فزانتْه ، وماشانتْه ، لأنها دلالة الشجاعة(٢) ؛ فلمّا كان كذلك فكأن الضربة والحديد لم يؤثرا فيه ؛ لأن تأثيرهما فى الشّيْن(٣) والإيلام ، وإذا كان على ما ذكرنا ؛ فكأنّه لا ألَمَ فيه ولا شَيْنَ ، والأظهر أن يكون تأثيره فى الضربة والحديد من أنه نوّه بذكر تلك الضربة وشرّفها وشرّف الحديد وقلّله ، فكأنه قال : أثّر فى الضّربة بالتشريف وفى السيف بالتّفليل ، وأثر السّيف فيه تأثير مثله[٦ – ا] من الوجه الذى بيَّناه(٤) وعلى هذا يدل البيت الذى يليه وهو قوله :

٢٨–فاغْتَبطتْ إذْ رأَتْ تَزَيُّنَها بِمثْلِه والجِراحُ تَحْسُدُهَا

الجِرَاح : جمع جراحة ، والهاء فى «تَزَيُّنَها» ، و«تَحْسُدها» للضربة ، « ورأت » من رؤية العين وهى استعارة هاهنا(٥) .

يقول : إن الضّربة فرحت بحصولها فى جسمه وحلولها ببعض أجزائه ، وسائر الجراح تَحْسُد هذه الضربة لأجْل(٦) ذلك ، وفى هذا تنبيه(٧) على أنه كان هناك

---

(١) ق : « تأثير » ساقطة .

(٢) وذلك لأن الضربة على الوجه شعار المقدام . والعرب يفتخرون بالضربة فى الوجه . والطعن والضرب فى الظهر سبّة وفضيحة .

(٣) الشين : العيب والقبح وهو خلاف : « الزين » . اللسان .

(٤) خ فيها : « بيناه » وفى سائر النسخ « شاه » .

(٥) ق : « وها هنا » .

(٦) ق : « وسائر الجراح تحسدها هذه الضربة لأجله » .

(٧) ع : « التنبيه » .

جِرَاحة(١) ، فكأنه يقول : إذْ رأتْ تَزَيّنَ نفسها لأنّ الهاء فيها للضربة ، وقوله : «بمثله» . فيه زيادةُ مبالغة ؛ لأن تزّين الضربة إذا حصل بوقوعه بمثل الممدوح ، فلأن يحصل إذا وقع به أولى ، وروى «بوجْهِهِ» أى بوجه الممدوح وهو أظهر الروايتين .

٢٩- وأيْقَنَ النَّاسُ أَنّ زَارِعَها بالمكْرِ فى قَلْبِه سَيَحْصُدُها

الهاء فى «قلْبِه» للزّارع . يقول : إنّ زَارِعَ هذه الضربة فى وجهه بالمكر ، سيحصدها : أى أنّ عاقبة أمره تئول إلى أن ينتقم مِنْه ويقتله ، وذِكْرُ «المكرِ» يدلّ على أن هذا الضرب حصل اغتيالاً ومكرًا لا مبارزة ومقاومة ! وقوله : فى «قلبه» : يحتمل أن يكون ظرفاً للمكر ، يعنى أنها حصلت بالمكر الذى كان فى قلبه ، دون أن يُظْهر ذلك له ، إذْ لو ظهر لعجز عنه ، ويحتمل أنه سيحصد هذه الضربة فى قلبه ، يريد أنّه سيقتله(٢) ؛ لأن القلب مَقْتَل ، ويجوز أن تكون الهاء فى «قلبه» للمدوح ، كأنه قال : أيقن الناس أن زارع هذه الضربة فى قلب الممدوح سيحصدها ، فشبّهها بالبَذْر وشبّه الجزاء بالحصاد(٣) .

٣٠- أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوفُهُ ويُصْعِدُها

يُحْدرُ بالفتح(٤) أفصح . يقال : حَدَرْتُ السَّفِينَةَ أَحْدِرُهَا حَدْرًا فانحدرت .(٥) وأحدرت(٦) لغةٌ ضعيفة .

يقول : فزع الحسّاد منه فزعاً عظيماً بحيث لا قرار لهم من الخوف ، حتى كأنّ

(١) الجراحة : عمل الجراح ، وهى فرع الطب الذى يدرس فيه طرق العلاج باليد المجردة أو المزودة بالسلاح .

(٢) ع : «أى أن الممدوح يضربه فى قلبه يريد أنه سيقتله» .

(٣) ق : «بالبذر والجزاء الحصاد» .

(٤) ع : «بفتح الدال» .

(٥) أ ، خ وق : «أحدرها فانحدرت» .

(٦) ب : «وأحدِرُ» .

ما بهم من الخوف يَحدر أنفسهم مرّةً ويصعدها أخرى ، وهذا الفزع يجوز أن يكون من حيث أنّهم[1] خافوا أن يعظُم محلّه بانتقامه منهم ، أو خافوا نَفْسَ الانتقام .

٣١- تَبْكِى عَلَى الأَنْصُلِ الغُمودِ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُها

٣٢- لِعِلْمِها أَنَّها تَصِيرُ دمًا وَأَنَّهُ فى الرِّقابِ يُغْمِدُها

الهاء فى «أنذرها» ، وفى «يجرِّدها» ، للأنْصُل . وفى «عِلْمها» للغُمودِ ، وفى «أنّها» للأنْصل ، وكذلك فى «يُغْمدها» والضمير فى «أنه» للمدوح وقوله : «تَصِير دمًا» أى تختضب بالدماء .

يقول : تبكى الغمود على الأنْصل إذا أعلمها[2] الممدوح ، وخوّفها أنّه يجرِّدها ويخْرِجها من غمودها ، وإنما تبكى الغمودُ لأنها تعلم أنها تصير دمًا ، وأنه يغمدها فى رقاب أعدائِه ، فيجعل رقابهم [٦ – ب] أغمادًا لها بعد إغماده[3] إيّاها فى أغمادها ، ومثله لحسان[4] قوله :

إِذَا مَا غَضِبْنَا بِأَسْيَافِنَا جَعَلْنَا الجَمَاجِمَ أَغْمَادَهَا[5]

---

(١) ق : «ذاتهم» .

(٢) ق ، ع : «أعملها» .

(٣) ق : «اعمادها» .

(٤) هو : حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى ، يكنى أبا الوليد ، وهو من فحول الشعراء وكان أحد المعمرين المخضرمين ، عمّر مئة وعشرين سنة ، ستون منها فى الجاهلية وستون فى الإسلام .

(٥) لم أعثر عليه فى ديوانه فلعله من فائت الديوان ، وقد ذكره الجرجانى فى الوساطة ٣٧٦ منسوبًا إلى حسان وقال : «وقد أكثر الناس فيه بعده» ونسب إليه أيضًا فى ديوان المعانى ٥١/٢ وفيه :

ويثرب تعلم أنا بها أسود تنفض ألبادها

إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجماجم أغمادها

وفى الواحدى ١٤ وشرح البرقوقى ٣٩/٢ بهذه الرواية :

ونحن إذا ما غضبنا السيوف جعلنا الجماجم أغمادها

وغير منسوب فى التبيان ٣٠٩/١ وهو فيه بهذه الرواية :

ونحن إذا ما نصبنا السيوف جعلنا الجماجم أغمادها

وجاء فى محاضرات الأدباء ١٦١/٢ منسوبًا إلى الحارثى .

٣٣-أطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُمُّهَا والصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا

الهاء فى «أطْلَقَها» وفيما بَعْدهُ للأنْصل ، وإطلاقه لها لقتلهم بها[١] . إطلاق يده بالضرب بها فى الأعداء .

يقول : يذم العدوّ هذه السيوف التى أطلقها الممدوح ، لعلمهم أنه يقتلهم بها ، والصديق يثنى عليها لأنها تكسبه العز لما تجلبه من الظفر للممدوح[٢] ، وبيّن أنّ العدوّ يذمها جزعاً ؛ ليدلّ على أنها غير مذمومة فى الحقيقة[٣] ، وحقّق ذلك بقوله : «والصَّديقُ يَحْمَدُها» .

٣٤-تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا

قدحْتُ النّارَ فانْقدحت ، والمضارب : جمع مَضْرب ، وهو حدّ السيف الذى يُضْرب به .

يقول : تقْطع هذه السيوف ما تحتَها ممّا تصيبه حتّى تصل إلى الأرض وتهوى فيها ، ولا يردّها إلاّ حجرٌ[٤] يقدحها ، ويَتْبعها الدم من الموضع الَّذِى أصابته فيخمدها .

وقيل : إن انقداح النار : حين قدّت[٥] اللحم وقطّعت العظام فتقدح منها النار من شدة الوقع ، ثم انصبّ عليها الدّم فأخمدها .

٣٥-إِذَا أَضلَّ الهُمَامُ مُهْجَتَه يومًا فَأَطْرافُهُنَّ تُنْشِدُهَا[٦]

أى أنها تطلب الهمام : وهو الملك العظيم الهمّة ، والذى إذا همّ بالأمر

(١) ب : «وإطلاقه لها إطلاق يده بالضرب بها» ق : «وإطلاق تقتلهم بها» .

(٢) ق : «ولما يجلبه للممدوح من الظفر» .

(٣) ذكر ابن جنى أن «من جزع» حشو حسن . التبيان ٣٠٩/١ .

(٤) ق : «إلا حجرًا» .

(٥) ب «قطعت» ع : «قطع» .

(٦) ق : «فأطرفهن منشدها» .

أَمْضَاه ، وقد روى : « أطرفَهن » بفتْح الفاء و « يَنْشِدُها » بالياء وفتحها ، وكذلك بالتّاء وفتحها ، من نَشدْت الضالّة : أى طلبتها ، وروى : « فأطرافُهن » بضم الفاء « وتُنشدها » بالتاء وضمها ، من أنْشدت الضالة : إذا عرفْتها .

والمعنى على الأول : أن الهمام إذا اشتد عليه القتال حتى أضل مهجته فيه ، وهو أن يصادفها مجروحة أو مقتولة ، فإنه[1] يطلبها عند أطراف سيوف هذا الممدوح ، لأنّ من شأنها إصابة مهج الملوك . ويكون نصب « أطرافَهنَّ » على الظرف ، تقديره : أطرافَهُن تُنْشِدها ، أو يكون المراد بإضلالها : أن يذهل عنها فزعاً ، فيكون كأنّه أضلها ، فعند ذلك يطلبها من أطراف سيوفه لاعتيادها[2] لأرواح الملوك ، فهى التى تدل كل ملك على مهجته إذا قتلت ، أو جرحت فلم يهتد لها ، ولم يقدرْ على ارتجاعها فإن أطراف سيوفه هى التى تدل عليها . وتقول : هى عندنا . إذ هى[3] موكلة بمهج الملوك وسالبةٌ لها ، ويحتمل أن يكون المراد به أن أطراف سيوفه تنشد للهمام مهجته عند إضلاله إياها وإشرافه لها على الهلاك ، وتنقذها من الضلال فتكون هى الناشدة لها . وقد روى[4] بدل : « الهمام » « الشّجاع » .

٣٦– قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِه الخَلِيقَةُ لِى ... أَنَّكَ يَا ابْنَ النَّبِى أَوْحَدُهَا

٣٧– وَأَنَّكَ بِالأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا ... شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا

[٧ – ا] الإجماع : اتفاق الكلمة على الشىء ، والخليقة : البريّة . والأوْحد : الذى لا ثانى له ، والهاء فيه[5] للخليقة ، وأرادَ « بأنْكَ » : أنك[6] وأجراها مع

(١) ق : « فإنها » .

(٢) ق : « لاعتياده » .

(٣) ق : « أوهى » .

(٤) ق : « وروى » .

(٥) ق ، خ : « فيه » ساقطة .

(٦) بعد البيت ٣٧ وردت العبارة التالية فى ع فقط وهى : « يريد أنك بالتشديد فخفف مع المضمر صرفه وأبقى عملها بالفعل والرأى حذف أحد النونين » .

المضمر كالمظهر[١] من قوله :

كأنْ ثدييه حقّان[٢]

ومحتلماً : نصب على الحال ، وشيخَ معدٍّ : نصب بخبر كان ، وروى : «وأَنْتَ بِالأَمْسِ» مكان «وأَنْك» .

يقول : قد اتّفقت البريّة كلهم يا ابن رسول الله على أنك أوْحد هذه البرية[٣] ؛ وإنما قال ذلك ؛ لأنه علويٌّ ، ولا خلاف فى شرفهم ، واتّفقتْ أيضاً أنك كنت بالأمس فى حال احتلامك شيْخ هذه القبيلة المنتسبة إلى معدّ بن عدْنان ورئيسهم ، وأنت حينئذ أمرد ، فكيف بك اليوم وقد علا سنّك ، وقد جرّبتَ الأمور ، فإذا كنت قد سُدْتَهم فى أول أوان[٤] البلوغ فالآن أنت بالسّيادة أولى .

٣٨-فكَمْ وكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْك مَوْلِدُهَا

يجوز فى «نعمةٍ» الفتح[٥] على الاستفهام ، والجرّ على الخبر ، وهو أجود ؛ لأنها أدلّ على الكثْرة ، «ومجلَّلةٍ» : بفتح اللاّم على معنى مُبْهَمة ومعظَّمة ، أو محكوم لها بالْجلال[٦] ، وبكسرها على معنى أنها تنسب إلى الجلال والتعظيم فهى مجلِّلة .

يقول : وكم من نعمة[٧] عظيمة ابتدأتَ بها ، ثم أتبعتَ مثلها ، وجعل ابتداءها : ولادةً . وإدامتَها : تربيةً .

---

(١) ق : «مع الضمير كالمضمر» .

(٢) هذا عجز بيت من الشعر ورد غير منسوب فى شرح الواحدى ١٤ والتبيان ١/٣١٠ وهو :

وصَدْرٌ مُشْرِق النَحر كَأَنْ ثَدْيَيْه حُقّان

وفى التبيان : «كأن ثدياه حقان» .

(٣) ق : «أوحدها» .

(٤) ق : «فى أوان أول البلوغ» .

(٥) فى النسخ : «الضم على الاستفهام» تحريف والصواب : «الفتح» .

(٦) ق : «بالإجلال» .

(٧) ا ، ب ، ع : «كم نعمة» .

وقد روى : «ربيتُها» بضم التاء . والمعنى على هذا : أنى شكَرْتُها فاستوجب لها المزيد ، فكنتُ كالمربى لها .

٣٩–وكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّى إِلَىَّ مَوْعِدُهَا

المَوْعِد : وقت الوَعْد ، لإنجاز الحاجة .

يقول : كم حاجةٍ وبغْيةٍ جادَ الممدوحُ بها وقضاها لى ، وكان موعدها فى الإنجاز أقرب من نَفْسى إلى نَفْسى ، يريد بذلك[1] أنه يبتدئ بالعطاء من غير تقديم وعدٍ ؛ لأنّ قُرْبه على هذا الحدّ كناية عن فقد الوعد .

أو يريد طريقة الصوفية ؛ كأنه فضل نفسه ، أى أن وقت حضور موعده أقرب إلىّ مِنْ نَفْسى إلى نَفْسى.والأوّل أولى . وروى : «أقرب شىء إلىَّ موعدها»[2] وهو أظهر فى المعنى والأول أبلغ وأفصح .

٤٠–ومكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ البِرْ رِ إلى مَنْزِلِى تُرَدِّدُهَا

المكْرُمَات : جمع مكرُمة ، وأراد بها الخِلَع ، والهدايا ، والمشى استعارة هاهنا . قد جعل للبِرّ قدماً يَمْشى بها .

يقول : كم من مرة[3] ردَدْتَها إلى منزلى ماشيةً على قدم برِّك وإحسانِك .

وقيل : دلَّ بقوله : «عَلَى قدم البرّ» على أن الخاطئين كانوا له[4] من جملة الهدايا ، وفى خير العطايا ، كأنهم كانوا غلمانًا وجوارى أهداهم إليه .

وروى : «تردِّدُها» ، وتَرَدّدَها[5] فالأوّل خبر ، والثانى مصدر ، والمعنى واحد .

---

(١) ق : «بذلك» ساقطة .

(٢) ق : «إلىَّ موعدها» ساقطة .

(٣) ا ، ب : «ميرة» .

(٤) ق : «له» ساقطة .

(٥) ع : «تردها» ق : «يرددها».

٤١–أَقَرَّ جِلْدِى بِهَا عَلَىَّ فَلاَ أَقْدِرُ حَتَّى المَمَاتِ أَجْحَدُهَا

يقول : أقرّ جلدى بها علىّ لكثرتها وظهور أثرها على بشرتى ونضارة وجهى بها ، وحسن حالى بسببها ، فلست أقدر ما عشت أن أجحدها ؛ لأنى إذا جحدتها شهِدَتْ علَىّ ؛ وهو مأخوذ من قوله تعالى : (تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ)[1] ، [٧ – ب] ومثله قول الشاعر :

إِذَا مَا جَحَدْنَا جُودَه ظلَّ شاهِدًا جَوَارِحُنَا مَهْمَا أَقَمْنَا على الجحْدِ

ويحتمل أنها كانت من جملة الملبوس ؛ فلهذَا خَصَّ الجلد بذكره ونزّل «أجْحَدُهَا» منزلة المصدر ، وتقديره فلا أقدر على جحودها ، ويجوز أن يكون الأصل أنْ أجحدها غير أنّه حذف (أنْ) فوقع الفعل بعده[2] كقوله فيما تقدّم : «قبيل أفقدها» .

٤٢–فَعُدْ بِهَا – لاَعَدِمْتُهَا أَبَدًا – خَيْرُ صِلاَتِ الكَرِيمِ أَعْوَدُهَا

عُدْ بها : أى أعِدْها «لاعدمتُها» : دعاء ، :لإبقاءِ مكرُمَاته ، وهو حسنٌ مليح ، و «أعودُها» : أدْومها عادة .

يقول : قد عوّدْتنِى مكرُماتك ، فأعدها لاعدمتُها مدى الدهر ، فإن خير الجوائز ما تدام عادتها ، وتعاد ، وقوله : «لاعدمتُها أبدا» : وإن كان دعاء للنّعم[3] بالبقاء ، فهو يتضمن الدّعاء للممدوح بدوام القدرة على الإحسان . وقوله : « خير صلات الكريم أعودها» . مَثَلٌ له[4] .

(١) سورة المطففين ٢٤/٨٤ .

(٢) ق : « فوقع الفعل بعد كقوله » .

(٣) ا : « للمنعم » .

(٤) أمثال المتنبى للصاحب ابن عباد ٣٤ ط بيروت .

(٣)

وقيل له وهو فى المكتب : ما أحسن هذه الوفرة ؟! فقال ارتجالاً[١] :

١- لاَ تَحْسُنُ الشَّعْرةُ[٢] حتّى تُرَى مَنْشُورَةَ الضَّفْرِين يَوْمَ الْقِتَالْ

أراد بـ« الشّعرة » هاهنا : جملة الشّعر الذى كان على رأسه ، ولم يرد الشّعرة الواحدة . وروى مكانها[٣] الوفرة ، و « الضَّفرين »[٤] : الضّفيرتان . وهما من ضفرت السير[٥] أى فتلته .

يقول:لا تَحْسُن هذه الوفرة[٦] حتّى تنشر يوم القتال ؛ لأنّ مِنْ عادة العرب أنهم يكشفون عند الحرب رءوسهم وينشرون شعورهم ، وهو يُظْهر من نفسه حب الحرب ؛ تنبيهاً على شجاعته .

٢ - عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً يُعِلُّها مِنْ كُلّ وَافِى السَّبَالْ

الاعتقال : أن يضع[٧] الفارس رمحه بين ركابه وساقه ، ويمسكه بفخذة . والصّعْدة[٨] : القناة المستوية ، وقيل : هى ما صغر من الرمح ، ويُعِلها : يسقيها من العَلَل[٩] وهى الشربة الثانية ، والهاء فى «يُعِلّها» للصعدة .

---

(١) ق : « ارتجالاً » ساقطة والتكملة من سائر النسخ وديوانه . الواحدى ١٥ نص المذكور فى الشرح التبيان ١٥٩/٢ : « وقال فى صباه ، وقد قيل : ما أحسن شعرك ! فقال وهو فى المكتب » الديوان ٦ : « وقيل له وهو فى المكتَب : ما أحسن هذه الوفرة فقال ارتجالاً » .

(٢) الواحدى والتبيان : « الوفرة » .

(٣) ق : « مكانها » ساقطة .

(٤) ق : « والضفران » .

(٥) ع : « صفرت الشعر » .

(٦) يقول الواحدى : « الناس يروون : (الشعرة) والصحيح رواية من روى : لا تحسن : (الوفرة) ، وهى الشعر التام على الرأس ، والضفر معناه : « الشعر » .

(٧) ا : « الاعتقال هو أن يضع . . . . » .

(٨) الصعدة : الرمح القصير .

(٩) علّ علاً وعلَلاً : شرب ثانية أو تباعًا : اللسان .

يقول:لا تحسن شعرتى هذه حتّى[١] تراها منشورة يوم القتال ، على فتًى . وهو يعنى به نفسه[٢] . وقد اعتقل رمحه ، يسقيه من دَمٍ وافى السبال[٣] .

فكأنه يقول : إنما تَحْسن الوفرة على من لا سبال[٤] له . وهو أمْرد ؛ يقاوم الملتحى عند المقاتلة ، لأن السبال لا يكون وافياً إلا إذا كان تام اللحية . ينبه بذلك على فضل قوته وشجاعته .

وقيل : إن « وافى السبال » كناية عن الشجاع . لأن أهل الحرب كانوا لا يَحُفّون[٥] شواربهم حتّى يكون أهْيب لهم[٦] عند القتال .

وقيل : إنه تعريض بالمتعجب[٧] من الشَّعرة . وكان من أصحاب اللحية الضخمة .

يقول : لا تحسن الشّعرة حتّى تكون علىَّ وقد اعتقلتُ رمحى أسقيه من دم كل علْج طويل اللحية ، وافى السّبال مثلك أيها المتعجب من وفرتى .

هذه . وروى أنه قال [٨ – ا] : ربما أنْشِدَتْ « على فتًى فى يده صَعْدة » ويقال علّ يَعِلُّ ويَعُلّ[٨] بالكسر[٩] لغة قيس[١٠] . والضمّ لغة تميم[١١] .

---

(١) ق : « التى » مكان « حتى » تحريف سماعى .

(٢) ق : « على فتى : يعنى نفسه » .

(٣) فى سائر النسخ : « وقد اعتقلْ رمحه وسيفه من دم وافى السبال » وما ذكر عن ع .

(٤) السّبال : ما استرسل من مقدم اللحية . الواحدى والتبيان وفى اللسان ، السبال : جمع سبلة : طرف الشارب من الشعر ومقدم اللحية .

(٥) ا : « كانوا لا يخفون » .

(٦) ا ، ب ، ع : « لهم » ساقطة .

(٧) ق : « للتعجب » .

(٨) ق : « وقال على يعل بعل » . ب : « وقال يعل ويعلى » . أ : « علا يعل ويعل » ع : التصويب عنها .

(٩) ق : « بالكسرة »

(١٠) بطن من قضاعة القحطانية . معجم القبائل العربية ٣/٩٧١ .

(١١) قبيلة من العدنانية كانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين وقريب من الكوفة . انظر معجم القبائل ١/١٢٦ .

(٤)

وقال أيضاً فى صباه[١] :

١ – محبّى قِيَامِى مالِذَلِكُمُ النَّصْلِ   بَرِيًّامِنَ الجَرْحَى سليمًامن الْقَتْلِ[٢] ؟!

تقديره : يا مُحِبِّى قيامى . وهو نداء مضاف . خطاب للجماعة . ودلّ عليه قوله : « ذلكم » . والقيام بمعنى الإقامة والمُقَام . وقد روى أيضاً « محبّى مُقَامى » . كأنه يخاطب أهله وعياله .

ويقول : يا من يحب إقامتى وتركى الأسفار والمطالب . كيف أفعل ما تحبون : من إقامتى معكم ، ولم أُجْرَح بنصلى[٣] أعدائى ؟! وأوْرد ذلك مورد الإنْكار على

---

(١) ق : « فى صباه » ساقطة . الواحدى ٢١ نص المذكور .
التبيان ٣/١٦٠ نص المذكور . الديوان ٧ « وقال أيضًا فى الصبا » .

(٢) ذكر الواحدى بدل هذه القطعة ، القطعة التى أولها :

لقد أصبح الجرذ المستغير   أسير المنايا سريع العطب

والترتيب الذى معنا يوافق ترتيب الديوان . هذا وسننبه على أوجه الخلاف فى الترتيب لأهمية ذلك للدارس .

تنبيه : كان أبو الطيب شديد الإحساس بالتاريخ حين جمع شعره ورتبه بنفسه . ويتبين ذلك واضحا فى النصف الثانى من ديوانه فأرخ قصائده كلها باليوم والشهر والسنة . وإذا كان كذلك فى القسم الثانى فهو حرىٌّ أن يكون شديد الإحساس بالتاريخ فى القسم الأول منه أيضًا . إلا أن عهده بالشعر كان قد تقادم فنسى الأيام والشهور والسنوات على وجه التحديد ، فرتب هذا القسم على ما بقى فى نفسه من إحساس .

ولكن لا يستبعد أن يكون أبو الطيب قدم شعرًا على شعر ، وتاريخًا على تاريخ ، غير أن هذا التقديم لا يكاد يتجاوز سنة أو بعض سنة على الأرجح ، ومع ذلك فإن المتنبى كان ربما مدح رجلاً فى سنة ثم بعد سنوات مدحه مرة ثانية فيقدم ذلك بلا مبالاة ، وشبيه بهذا ما فعله فى القسم الثانى حين ألحق شعره فى سيف الدولة سنة ٣٢١ إلى القسم الثانى سنة ٣٣٧ ، وحين قدم شعرًا قاله فى سيف الدولة بعد اتصاله بكافور فقدمه ليلحق بشعره فى سيف الدولة وغير ذلك .

(٣) فى النسخ : « بنصْل » والتصويب عن ابن جنى برواية الواحدى .

أهله حين أشاروا[١] عليه بالقيام عندهم .

وقيل : إنهم استنصروه وسألوه الوقوف معهم فقال[٢] : يامن يحب مُقَاتلي العدوَّ معهم[٣] : ما لنصولكم متنحية عن هرْج[٤] أعدائِكم ، غير منكسرة من كثرة القتل[٥] ! فإن من حق المستنجد أن يتسم أوّلاً للحرب ، ويبلى جهده ، ثم يستنصر غيره : فأمّا أن يتنحى ويُغْرى غيره على الحرب فليس من حقه !

ويحتمل أن يكون القيام من قولهم : قام بالأمر إذا تولاه وسعى فيه .

والمعنى : يا من يحب قيامى بأموره وترك فراقه ، ما لذلكم النصل لم أجْرَح به ولم أقتل ؟ فكأنّه يقول : لا أختار القيام بأمورك على حال[٦] أن ذلك النصل لم يؤثر فى الأعداء جرْحاً وقتلاً ، يعنى أن أعمال النَّصَب أحبّ إلىّ من القيام عليك . ونصب «بريًّا» و«سليمًا» على الحال من النَّصل .

٢ - أَرَى مِنْ فِرِنْدى قِطْعَةً فى فِرِنْدِهِ[٧]
وجَوْدةُ ضَرْبِ الهُمَامِ[٨] فى جَوْدَةَ الصَّقْلِ

فرند[٩] السيف : جوهره . بالغ فى وصف نفسه بالْمَضَاء والشجاعة وفضّل نفسه على السّيف حيث جعلَ فرنْد السيف قطعة من فرنده وبعضاً منه ! ثم قال :

---

(١) ق : «شاروا» . (٢) ا ، ب ، ع : «معهم لذلك قال» .

(٣) ا : «منهم» .

(٤) الهرج : شدة القتل . والرواية فى ا ، ع : «جرد» وفى ب : «جرح» .

(٥) يقول أبو القاسم الأصفهانى المتوفى بعد سنة ٤١٠ فى كتابه : الواضح فى مشكلات شعر المتنبى ص٦٥ معنى البيت : يامن يحب قوامى بالأمر الذى أهم به ، والعلا التى أطلبها ، مابال السيف معلقًا بغير قتل ولا جرح ، لأن من يطلب ما أطلب يخوض الدماء ويركب الغمرات .

(٦) ا ، ع : «احتمال» ب : «أعمال» ء : «الحمال» تحريفات .

(٧) ق ، ع : «قطعة من فرنده» والمذكور كما فى سائر النسخ والديوان والواحدى والتبيان .

(٨) فى النسخ : «الهام» . الديوان «الهام» .

(٩) الفرند : السيف وأيضًا أثر مايلمع فى صفحته من أثر تموّج الضوء .

وجوْدة ضرب الهمام فى جودة الصّقل . وظاهر معناه : أن السيف إذا كان صقيلاً جيد الصِّقال كان ذلك سبباً لجودة ضرب الهمام ؛ وهذا مما لا يستمر ، لأن جودة الصقل قد تُوجد ، ولا يكون متضمناً لجودة[1] الضرب ، وذلك إذا لم يكن للسيف جوهر كريم ، غير أنه أثبت أولاً للسيف جوهرًا كريمًا ثم أخبر عن صِقَاله .

فكأنه يقول : كيف أترك النهوض وأقعد عن محاربة أعدائى ؟! ولى جَوهر فى المضاء والشجاعة ، وللحرب آلة موفورة ، وهو السيف الذى فيه الجوهر الكريم والصقل الجيد .

٣ – وَخُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِى الخُضْرَةِ الَّتِى ... أَرَتْكَ احْمِرارَ المَوْتِ فِى مَدْرَجِ النَّمْلِ

أراد بالخضرة الأولى : الرفاهية فى العيش ، فجعل للعيش ثوباً أخضرَ ، كناية عن طيب العيش[2] لأن الخضرة أشهى إلى النفوس ، لميلها إليها دون سائر الألوان ، وقال فى بيت آخر :

والعَيْشُ أخْضَر والأَطْلاَل مُشْرِقَة

وأراد بالخضرة الثانية : لون السيف ، وكأنه وضعها فى موضع الزُّرقة للتجنيس . واحمرار الموت : كناية عن احمرار[3] الدم على السيف عند الضرب ، وقد [٨ – ب] كثر حتى وصف به الشدة ، يقال : موت أحمر ، «ومَدْرَجُ النمل» : ممرّه ، وأراد بهِ ما يُرى فى متْن السيف من جوهر كأنّه مَمرُّ النمل .

يقول : أرى خصب العيش وطيبة النفس فى السيف الكريم الجوهر ، الجيد الصقل ، وهو المعبر عنه بالخضرة التى أرتك شدَّة الموت فى مَدْرج النمل ، وقصد به المبالغة فى تصويب رأيه فيما اختار من النهوض وقصْد محاربة الأعداء وقتلهم وجرحهم[4] .

---

(١) ق : «بجودة» .

(٢) ق ، ب ، ع : «عن الطيب» .

(٣) ق : «حمرة» واحمرار الموت بسيفه .

(٤) ق : «جرحهم» ساقطة .

٤ - أَمِطْ عنكَ تَشْبِيهى بِمَا وكأنَّه   فَمَا أَحدٌ فَوْقِى وَلاَ أَحَدٌ مِثْلِى

أمط : أى أبعد .

وقد أكثر الناس فى هذا البيت : من حيث أن «ما» ليست من أدوات التشبيه .

فقال ابن جنى : إن المتنبى كان يجيب[١] إذا سئِل عن هذا البيت بأن يقول : تفسيره أنه كان كثيراً ما يشبَّه فيقال : كأنه الأسد ، وكأنه البحر ، ونحو ذلك . فقال هو[٢] معرضاً عن هذا القول : أَمِطْ عنك تشبيهى «بما» و «كأنّ» ، فجاء بحرف التشبيه وهو «كأن» وبلفظ «ما» التى كانت سؤالاً فأجيب عنها بكأن التى للتشبيه وأدخل «ما» للتشبيه لأن جوابها يتضمن التشبيه ، فذكر السبب والمسبَّب جميعاً .

قال : وقد نقل أهل اللغة مثل هذا فقالوا : الهمزة والألف فى حمراء هما علامتا التأنيث ، وإنما العلامة فى الحقيقة الهمزة .

وقال القاضى أبو الحسن[٣] على بن عبد العزيز الجرجانى[٤] : إن المتنبى سئِل فذَكَر : أن «ما» تأتى لتحقيق التشبيه كقول [عبد الله الأسَدُ][٥] : ما عبد الله إلا الأسد ، وإلا كالأسد تنفى[٦] أن يشبه بغيره ، فكأن قائلاً قال[٧] : ما هو

---

(١) ع : «كان المتنبى يجيب» .

(٢) الضمير هنا يعود إلى المتنبى .

(٣) ق : «أبو الحسين» تحريف .

(٤) وهو أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى المشهور بالقاضى الجرجانى ولد سنة ٢٩٠ فى جرجان وتوفى سنة ٣٦٦ واشتهر بالفقه . وترجم له الشيرازى فى طبقات الفقهاء . وفسر القرآن الكريم . وذكره السيوطى فى طبقات المفسرين . واشتغل بالتاريخ وله فيه آثار . ثم هو شاعر متقن . وكاتب مترسل وناقد لوذعىّ بصير . معجم الأدباء ٥/١٤ وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ٢/٢٩٣ وابن خلكان ٥٨٤/١ .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة عن وساطة الجرجانى ٤٤٣ .

(٦) ق : «فنى» والتصويب من سائر النسخ ووساطة الجرجانى .

(٧) ق : «قائلاً يقول قال» والتصويب من سائر النسخ ووساطة الجرجانى .

إلا كذا ، وآخر قال : كأنه كذا ، فقال أمط عنك تشبيهى بما وكأنه[١] . و « ما » فى التحقيق للنفى فى هذا الموضع ، ولكنها تضمنت نفى الاشباه[٢] سوى المستثنى منها فمِنْ هذا الوجه نسب التشبيه إلى « مَا » و « كأنّ » ، إذا كان له[٣] هذا الأثر[٤] .

٥ – وَذَرْنِى وإيّاه وطِرْفِى وَذَابِلِى نَكُن واحداً نَلْقَ الْوَرَى وانْظُرن[٥] فِعْلِى

الهاء فى « إيّاه » : للنَّصل . و « الطِّرف » : الفرس الكريم .

يخاطب مَنْ يشبّهه بشىء فيقول : دعْنى مع فرسى وسيْفِى المذكور ، ورمحى ، حتّى نصير مثل الشَّىء الواحد فى التعاون ، نلقّ[٦] الخلْق طُرًّا ، ثُمّ انْظر فِعْلى عند ذلك[٧] حتّى تَعلم ما يُمكنك أن تشبّهنى أم لاَ ؟ وأشهر الروايتين « يلقّ »[٨] حملاً على الواحد ورُوِى : « نلقّ »[٩] اتباعاً لقوله[١٠] : « نكن » حملاً على المعنى .

---

(١) من : « فذكر أن (ما) ...... وكأنه » نص من وساطة الجرجانى ٤٤٣ .

(٢) فى جميع النسخ : « نفى الأشباه » وفى الوساطة : « الاشتباه » .

(٣) ق : « كان له » ومكانها بياض والتكملة من سائر النسخ .

(٤) ذكر الواحدى وصاحب التبيان أوجه الخلاف مفصلة فليرجع إليها من أراد .

(٥) ق : « وانظروا » .

(٦) ق : « فى التعادل تلقّ » .

(٧) ا : « ثم انظر فعلى ذلك » .

(٨) ا : « نلق » تحريف .

(٩) ا ، ع : « يلق » تحريف .

(١٠) ا : « كقولك » ع : « لقولك » .

(٥)

وقال وهو فى المكتب يمدح إنساناً وأراد أن يستكشفه عن مذهبه : [١]

١ - كُفِّى أَرَانِى ، وَيْكِ ، لَوْمَكِ أَلْوَمَا هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا[٢]

الخطاب للعاذِلَة ، وَوَيْكِ : قريبة من وَيْحَك ، وأَنْجَمَ : أقلَع[٣] .

وقال ابن جنى : تقدير البيت : كُفِّى ويْكِ ، أرانى همّ أقام على فؤادٍ أَنْجَمَا ، لَوْمك أَلْوم[٤] .

ويكون «أَرَانى» على هذا منقولاً من رأيتُ بمعنى : علمتُ ، فيتعدّى إلى المفعولين ، وإذا عدّيْتَهُ بالهمزة تعدّى إلى ثَلاثَة مفاعيل [٩ - ا] ، والفاعل هاهنا «همّ» والمفعول الأوّل الياء فى «أرانى» والثانى «لومَك» والثالث «ألوَما» .

ويكون المعنى : إن الهم الموصوف أعْلمنى أن لوْمَك إياى أوْلى بأن يُلام[٥] ، فعَلى هذا يكون المصراع الأوّل متعلقاً بالثانى .

وقال غيره : إن «أرانى» مضارع رأيت بمعنى علمت ، فيكون المراد : أرى

---

(١) ق : «وقال أيضًا» والمذكور عن سائر النسخ . الواحدى ١٧ : «وقال أيضًا يمدح إنسانًا وأراد أن يستكشف عن مذهبه» . التبيان ٢٧/٤ : «وقال يمدح إنسانًا وأراد أن يستكشفه عن مذهبه» . الديوان ٨ : نص ما هو مذكور . وقد ذكر أثناء شرح البيت رقم ١٣ أنه «يقال : إن هذا الممدوح كان نصرانيًّا فأظهر الإسلام وهو متهم بالتنصر ، فأراد أن يستكشفه عن مذهبه فأورد عبارات النصارى» .

(٢) يتفق ترتيب الديوان مع ترتيب الشارح ، أما الواحدى فقد وضع مكان هذه القطعة القطعة التى أولها :

إلى أىّ حينٍ أنت فى زىّ محرم وحتى متى فى شقوة وإلَى كم

(٣) جاء فى الواحدى ٧ والتبيان ٢٧/٣ : «يقال : أنجمت السماء إذا أقلعت عن المطر وأنجم المطر : أى أمسك» .

(٤) الواحدى : قال ابن جنى : يقول : أرانى هذا الهمُّ لومك إيّاىَ أحق بأن يلام منى ، ونقله صاحب التبيان ٢٧/٣ .

(٥) ق : «يدوم» .

نفسى ، لأن أفعال الشكّ واليقين يجوز فيها مثل ذلك ، ويكون «لوْمَك» مفعول «كُفّى» و «ألْوم» المفعول الثانى ، من أرانى ، والمفعول الأول هو الياء .

والمعنى : كفّى ويكِ لوْمكِ فإنى أرانى ألْوم منكِ ، أى أكثر لوْماً منك ، وأحق بأن يَلومَك على لَوْمك إياى ؛ وعلى هذا ، المصراعُ يكون مستقلاًّ بنفسه ، ثم ابتدأ فى المصراع[١] الثانى يشكو دَاءه[٢] ، وقوله : «على فؤادٍ أنْجَمَا» . أى خارج خلف الأحباب منقلع[٣] من أصله كإقلاع السحاب فيكون[٤] «همٌّ» مرفوعاً ، لأنه خبر ابتداء محذوف ، وتقديره : حالى همٌّ هذه صفته ، أو يكون مبتدأ وخبره محذوف تقديره : همٌّ هذه صفته شكواى[٥] «وألْوَم» على المعنى الأول فى معنى الملوم ، أى أحق بأن يكون ملوماً فيكون فى (أفْعَل) مبالغة[٦] فى المفعول مثل أشغل من ذوات الحنين[٧] مبالغة فى المشغول ، وعلى الثانى بمعنى اللائِم أى أقدر[٨] على أن يكون لائِمًا فيكون (أفعل) المبالغة فى الفاعل ، وروى : «أثْجما» بالثاء اى اقام وهذا أولى[٩] ، لانه يفيد ان الفؤاد لم يقلع بالملام عن الهوى .

٢ - وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنْحِلَهُ السَّقامُ وَلا دَمَا

«خيال» عطف[١٠] على «همّ» شبّه جسمه بالخيال الذى لا حقيقة له

(١) عبارة ا : «المصراع يكون مستقلاًّ بنفسه ثم يكون ابتدأ فى الثانى يشكو داءه»
ب : «يكون مستقلاًّ بنفسه» ساقطة .
(٢) عن ا : «داءه» ساقطة فى سائر النسخ .
(٣) ق : «منقطع» ع : «منقنع» تحريف .
(٤) ق : «كإقلاع السحاب فيكون» مكانها بياض . ب ، ع : «كما قلع السحاب» والمذكور عن ا .
(٥) ب من : «هذه صفته أو يكون . . . هذه صفته شكواى» ساقطة انتقال نظر .
(٦) ا ، ع : «فيكون (أفعل) مبالغة» .
(٧) ا ، ب ، ع : «كقولهم أشغل من ذات النحيين» .
(٨) ب ، ع : «قدر» بإسقاط الألف .
(٩) عبارة ا ، ب : «وعلى هذا أولى»
(١٠) ا : «معطوف» .

لدقته[١] ، وأخبر أن الهوى لم يترك له لحماً ولا دمًا يكون للسقام فيه تأثير ، «ويُنْحِلِه» : أى يعطيه من النّحلة ، وقيل : هذا أولى ؛ لأن النّحول لا يكون فى الدم .

٣ – وحقوق قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ يا جنَّتِى لظَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَا

«وحقوق» عطف[٢] على «خيال» وهو الضَّعْف والاضطراب[٣] ، و «رأيتِ» خطاب للمحبوبة دون العاذلة ؛ بدلالة قوله : «يا جنَّتِى» وهو حشوٌ حسنٌ ؛ والغرض : المطابقة بين الجنّة وجهنّم .

يقول : لِيَ اضطراب قلبٍ لو رأيت لهيبه يا جنّتى لظننت فيه ألْهاب جهنم ؛ شبهها بالجنة لحسنها وما فيها من الراحة عند وصْلها .

٤ – وَإِذَا سَحَابَةُ صَدِّ حِبٍّ أَبْرَقَتْ تَرَكَتْ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عَلْقَمَا

الحِبّ : المحبوب[٤] والعلقم : شجر ذو ثمر مرٍّ[٥] .

يقول : إذا ظهرت دلائِل هجر الحبيب ، تركت حلاوةَ كلِّ حبّ مرارةً ، فجعل علامة الصدود[٦] سحابة ، لأنها علامة الهجر ، كما أن السحابة علامة المطر .

٥ – يَا وَجْهَ دَاهِيَةَ الَّذِى لولاكَ[٧] مَا أَكَلَ الضَّنَا جسدى[٨] ورضَ الأَعظُمَا

الضّنا : طول المرض ، وقيل : «داهيةَ» ، ولهذا لم ينونها كما لا ينون الأسماء

---

(١) ا : «لرقته» . (٢) ا «معطوف» .

(٣) ق : «وهو أضعف الاضطراب» .

(٤) فى التبيان : الحب : المحبوب . وفى النسخ : «الحِبّ : المحبة»

(٥) ق : «من» بدل : «مرّ» تحريف . ا : «مر» ساقطة .

(٦) ع : «الصدور» تحريف . (٧) ق : «لولا» والتصويب عن سائر النسخ .

(٨) ق : «جسمى» .

الأعلام عند التأنيث كفاطمة ، وقيل : إنها كناية عنْها وليس باسم لها ، وإنما لم ينونها لأنه أقامها مقام اسمها من ترك التنوين كما تقول : رأيت (فلانةَ) فلا تنون .

يقول[1] : يا وجه الحبيبة التى هى كالداهية [٩ - ب] : وهى الأمر العظيم ، لولاكِ[2] ما أكل المرض جسمى وماكسر عظمى ، يدل بهِ على أنّ هواها قد أمْرضه مرضاً أثّر فى جسمه وعِظامه[3] !

٦ - إنْ كَانَ أَغْـنَاها السُّلُوُّ فَإِنَّنِى أَمْسَيْتُ مِنْ كبِدِى وَمِنْهَا مُعْدِما

روى « منها » ردًّا إلى المحبوبة ، و« منه » ردًّا إلى السلوّ ، وروى : « مُعدِما » و« مصرما »[4] .

يقول : إن كان أغنى هذه المرأة عَنِّى خلوّ قلبها عن محبّتى ، فإنى أمسيت فقيراً منها ومن كبدى ؛ لأنها قد صحبتها[5] وفارقتنى إليها[6] فعدمتها ، وعدمت الصبر الذى كان فى قلبى وكبدى ، ولأن الكبد تَلِفَت[7] فى محبتها .

٧ - غُصْنٌ عَلَى نَقْـوَى فَلاَةٍ نَابِتٌ شَمْسُ النَّهارِ تُقِل لَيْلاً مُظْلِمًا

يجوز فى « غُصْنٌ » أن يكون[8] مبتدأ ، وخبره محذوف ، وتقديره : حبيبتى ، غصن هذه صفته ، وهكذا التقدير فى « شَمْسُ النَّهارِ » ، وأراد بالغصن : قدَّها ، والنَّقـوَى : تثنية النقا[9] : وهو الكثيب من الرمل ، وعنى بهما ردْفَيْها ، وبشمس

(١) ق : « فلا تنون يقول » مكانها بياض والتكلة من سائر النسخ .

(٢) ق : « لولا » والتصويب عن سائر النسخ .

(٣) الواحدى ١٨ والتبيان ٢٨/٤ : الرضّ : الدق والكسر . الضنى : السقم والهزال .

(٤) ق : « مصرما » مكانها بياض . وذكر الواحدى عن ابن جنى : المصرم : بمعنى المعدم .

(٥) ا : « لأنى فى صحبتها » ع : « لأنى قد صحبتها » .

(٦) ا : « إليها » ساقطة . (٧) ا : « تفتت » .

(٨) ا . ب : « غصن يجوز أن يكون » .

(٩) يقول صاحب التبيان ٢٨/٤ : نقوى : تثنية نقا . يقال : نقوان ونقيان . وهو الكثيب من الرمل . سمى بذلك لأن المطر يصيبه وينقيه كما ينقى الثوب الغسل .

النهار : وجهها ، وثقل : تحمل ، والليل المظلم : شعرها .

٨ - لَمْ تَجْمَعِ الأَضْدَادَ فِى مُتَشَابِهٍ ... إِلاَّ لتَجْعَلَنى لِغُرْمِى مَغْنَمَا

أراد بالأضداد ما تقدم فى البيت المتقدم[١] من دقّة وسَطِها ، وثقل ردفيْها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها ، «فى مُتشابه»[٢] أى بدن متشابه ، أى يشبه بعضه بعضاً فى الحُسْن ، وليس بعضها أحسن من بعض . والغُرْم : ضدّ الغُنْم وأصله اللّزوم[٣] .

يقول : إنها لم تجمع[٤] هذه[٥] الأضداد فى بدن متشابه فى الحسن ، إلا لتجعلنى لغرمى : أى لعشقى إيّاها غنيمة ، فتجمع علىَّ هذيْن الضديْن أيضاً ، وهما : المغرم والمغنم ، وروى : « لم تُجْمع الأضدادُ» لأنها لم تجعل ذلك ، فبنى على ما لم يسمّ فاعله .

٩ - كَصِفَاتِ أَوْحدِنَا أَبِى الْفَضْل الَّتِى ... بَهَرَتْ[٦] فَأَنْطَقَ وَاصِفيهِ وأَفْحَمَا

أى صفات هذه المرأة فى اشتمالها على هذه الأضداد ، كصفات هذا الممدوح المشتملة على أمرين ضدّين :

أحدهما : أنها أنطقت الواصفين بذكرها .

والثانى : أنها أفحمت الواصفين دون إدراك غاياتها ، وروى المتنبى : أنطقهم بجزيل العطاء ، وأفحمهم بالقصور عن المدح والثناء . فعلى هذا نصب واصِفِيه ،

(١) ق : « المتقدم » ساقطة .

(٢) ب ، ق : « وفى متشابه » .

(٣) ذكر صاحب التبيان ٢٩/٤ أن الغرم : الغرام وهو ما لزمه من عشقها وهواها ، والمغنم : الغنيمة ، وهو ما يغنمه الإنسان ، وأصله من مال العدو ، ثم صار فى كل ما يصيبه الإنسان من مالٍ أو هبة .

(٤) ق : « تجتمع » .

(٥) ق ، ع : « هذه » ساقطة .

(٦) بهر الشيء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهر النجوم ، والإفحام : ضد النطق .

بأنطق ، وقيل : تقديره كصفات أبى الفضل التى بهرت واصِفِيه . فأنطق : هو وأفحم .

١٠- يُعْطِيك مُبْتَدِئًا فَإنْ أَعْجَلْتَه أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا

يقول : يعطيك مبتدِئًا بالعطاء قبل السُّؤال . فإن استعجلته العطاء . أعطاك معتذراً . كمن قد أذنب .

١١- وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا وَيَرَى التَّوَاضُعَ أَنْ يُرَى مُتَعظِّمَا

المعنى : أنه[(١)] يرى بلوغ عظمته فى التواضع للناس ، ويرى التذلّلَ فى حال رؤية الناس إيّاها متعظماً[(٢)] .

١٢- نَصَرَ الفَعالَ على المِطَال كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤالَ عَلَى النَّوالِ مُحَرَّمَا

الفَعال بفتح الفاء : الفعل الجميل .

يقول : ينصر الفعل الجميل على المِطال[(٣)] ويجعل[(٤)] له الغلبة ، حتى كأنه [١٠ - ١] ظن السؤال محرّما ، وروى : « على المَقال »[(٥)] وهو : إما السؤال ، وإما وعد الممدوح بالعطاء ، فكأنه يقول : يُقدِّم العطاءَ على السؤال وعلى الوعد .

١٣- يَاأَيُّهَا المَلِكُ المُصَفَّى جَوْهرًا مِنْ ذَاتِ ذِي المَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا

يقول : يا أيها الملك المصفّى . يا أسمى ، وأراد ذات الله تعالى[(٦)] : الذى هو

(١) ا ، ب ، ع : « أنه » ساقطة .

(٢) يقول الواحدى : والمعنى : يرى العظمة فى أن يتواضع ويرى الضعة فى أن يتعظم . أى فليس يتعظم . الواحدى ١٩ والتبيان ٤/٣٠ .

(٣) المطال : المماطلة وهى المدافعة . الواحدى ١٩ . (٤) ا : « يحوّل » .

(٥) ب : « على المال » . (٦) عبارة ق : « ما أسمى ذات الله تعالى » .

ذو الملكوت ، وهذا ظاهره يوهم[١] الكفر ويقال : إن هذا الممدوح كان نصرانيًّا فأظهر الإسلام وهو متَّهم بالتنصّر ، فأراد أن يستكشفه عن مذهبه فأورد عباراتِ النَّصارى على وجه الانتحال ، وغرضه استكشاف حاله ووصف منهجه ، فعلى هذا لا يلزم الكفر[٢] ، ويجوز أن يُحمل على أن المراد بالذات : الصنع ، فكأنه قال : يأيها الملك المصفى جوهراً من صنع ذى الملكوت ، وأراد بذلك تعظيمه وتفضيله[٣] . وقوله : «أسمى من سما» يجوز أن يكون فى موضع نصب على النداء المضاف ، كأنه يقول : يا أَعْلَى مَنْ علا . ويجوز أن يكون فى موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف ، فكأنه يقول أنت أعلى من علا ، ويجوز أن يكون فى الجرّ صفةً لذات ذى الملكوت ، أو الذات أو الملكوت ، أى أنه أَعْلَى مِنْ كل عُلاً فى الأرض .

وروى عنه أنه قال : نعوذ بالله تعالى[٤] من الكفر ، إنما قلت جوهراً وبينهما تضمين يزيل الظن .

١٤- نَورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لاَهُوتِيَّةً فَتَكَادُ تَعْلَم عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا

تظاهر : أى تولى . ولاهوتيةً : نصب على المصدر كما يقال : إلْهِيّة[٥] وروى «لاَهُوتِيَّهُ» ويكون رفعًا لأنه فاعل تظاهر ، وهذا ، إذا حمل على ظاهره فلا يسلم من الكفر ، فيحمل حينئذٍ[٦] على أنه أراد به أن النور الذى تفرد به هذا الممدوح

(١) ق : «يوهم» ساقطة ومكانها بياض .

(٢) ق : «فأورد عبارات النصارى فعلى هذا لا يلزم الكفر» .

(٣) يقول الواحدى : «وهذا مدح يوجب الوهم ، وألفاظ مستكرهة فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف الممدوح عن مذهبه حتى إذا رضى بهذا فقد علم أنه ردىء المذهب . وإن أنكر علم أنه حسن الاعتقاد» .

(٤) ا ، ب ، ع : «تعالى» ساقطة .

(٥) ق : «الآلهة» تحريف .

إلهية و«لاهوت» : لغة عبرانية فيقولون لله تعالى «لاهوت» وللإنسان «ناسوت» انظر الواحدى ٢٠ .

(٦) عن ق : «حينئذ» . وساقطة من سائر النسخ .

نور إلهى . كما يقال : أمر سماوىّ وإلهىّ فيكاد يَعْلم ما لم يُعْلم[١] من أجل هذا النور ، فكأنه يقول : إنك مؤيّد بنورٍ ، لأجله تقرَب من أن تعلم ما لا[٢] يَعْلمه أحدٌ من الأمور .

١٥-وَيَهُمّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَا

يقول : يَهُمّ النورِ الإلٰهىّ الذى فيك أن يتكلّم من كل عضوٍ منك ؛ لفرَط فصاحتك . ويجوز أن يكون فاعل « يهمّ » : «كلّ عضْو منْك» . فيكون «مِنْ» زائدة .

يقول : يَهُمّ كل عضو منك إذا تكلمت لفرط فصاحتك[٣] .

١٦-أَنَا مُبْصِرٌ وَأَظُنّ أَنِّىَ نَائِمٌ مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالإِلَٰهِ فَأَحْلُمَا

يقول : أنا مبصرٌ بعينى وأظننى نائمًا ؛ من استعظام ما رأيت من هذا الرجل من العظائِم والأمور العجائِب ! ! ثم قال : مَنْ كان يَحلم بالإلٰه فأحْلم أنا أيضاً ! أى أنه لا يمكن أن يرى فى المنام لأنه لا يُشْبِهُهُ شىء[٤] فشبّه هذا الممدوح بما لا يجوز التّشبيه به فقال : لا أدرك كنْه[٥] وصفك ، كما لا يدرك حقيقة ذات[٦] البارى تعالى . وهذا إفراط منكَر قريب من الكفر .

وقيل : إن فى الكلام حذفاً ، كأنه قال : من كان يحلم بصنع الله تعالى فأحلم أنا . فكأنه يقول : من كان يحلم بصنع الله تعالى[٧] وينسب نفسه إلى النوم [١٠-ب] دون اليقظة عند عظمته حتى أقول : أنا إنما[٨] أرى ذلك فى المنام .

(١) فى النسخ : « مالا يعمل » والتصويب عن الواحدى والتبيان .

(٢) ا : « مالم » .

(٣) ذكر عن المعرى أنه قال : « يهم هذا النور أن يتكلم من كل عضو فيك ولا يقتصر على اللسان دون الأعضاء » تفسير أبيات المعانى .

(٤) فى النسخ : « شيئًا » .

(٥) ق : « كنه » ساقطة . (٦) ق : « ذات » ساقطة .

(٧) ا ، ب ، ع : « تعالى » ساقطة . (٨) ا ، ب ، ع : « إنى إنما » ب : « بما » .

١٧–كَبُرَ الْعِيَانُ عَلَىَّ حتّى إنّه صَارَ الْيَقِينُ من العِيَانِ تَوَهُّمَا

يقول:تأكيداً للبيت الأول[١] قبله : كبرَت المعاينة علىّ بخروجه[٢] عن العادة حتّى صار اليقين المعايَن متوهّمًا .

١٨–يا مَنْ لجودِ يَدَيْهِ فى أَمْوَالِهِ نِقَمٌ تَعُودُ عَلَى الْيَتَامى أنْعُمَا

يقول : يا من يصبّ على أمواله نقمًا بتفريقها والاستهانة[٣] بها ، وتعود تلك النقم[٤] على اليتامى نعمًا وافرة .

١٩–حتَّى يقولَ النّاسُ : ماذَا عَاقِلاً ! ويَقولُ بيْتُ الْمَالِ : مَاذَا مُسْلمًا

يقول : يا من هو فى السخاء يصفه بقول الناس[٥] : إنه ليس بعاقل ؛ حيث يُفْقر نفسه ، ويقول بيتُ المال : إنه ليس بمسلم ؛ لأنه لا يَرُدّ إليه شيئاً من المال ويبقيه ، وحكم الإسلام يقتضى حفظ بيت المال .

وروى عنه : «ماذا غافلاً» يعنى عن كسب المكارم فى الدنيا والثواب فى الآخرة ، ونصب «غافلاً» و«مسلماً» لأنهما خبر «ما» .

٢٠–إذْكَارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إذْكَارِى لَهُ إذْ لاَ تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمَا

يقول : إذْكارُ[٦] مثلك ترك الإذكار ، لأنك عارف بما فى قلبى ، غيرِ محتاج إلى التنبيه لعلمك به ، وهذا مثل قول أبى تمام[٧] :

---

(١) عن ق : «الأول» ساقطة من سائر النسخ .

(٢) ا ، ب ، ع : «ولخروجه» .

(٣) ق : «والإهانة لها» .

(٤) ق : «النقم» ساقطة . ب : «النعم» تحريف .

(٥) ق : «يقول الناس عندها» .

(٦) ق : «إذا كان» تحريف .

(٧) هو : حبيب بن أوس الطائى ، ولد بالشام ثم انحدر إلى مصر ثم صار إلى بغداد ، فمدح الخليفة المعتصم وغيره ، فأبدع حتّى تقدم سائر شعراء عصره وهو من أوائل من عنوا بفنون البديع وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هـ .

وَإِذَا الجود كَانَ عَوْنِى على المر ء تَقَاضَيْتُه بتَرْكِ التَّقَاضِى[١]

(٦)

وقال فِى أيَّامِ الصِّبَا[٢] [فى الحماسة] :

١ – إلى اَىِّ حينٍ أنْتَ فِى زِىِّ مُحْرِمِ ؟ وحَتَّى مَتَى فِى شِقْوَةٍ وَإلى كَمِ ؟!

يخاطِب نَفْسَه ويلومُها فيقول : إلى أىِّ وقتٍ أنت فى زىِّ الإحرام[٣] ؟ . فكأنه يقول : إلى أى وقت تكون عارياً ؟ قاعداً عن القتال ؟ ومنازلة الرجال ؟ وحتى متى تعيش فى الشقاءِ ؟ ولا تطلب[٤] العزّ والثناء ؟ وروى « فى غَفْلة » وروى فى « زِىِّ مُجْرِم » بالجيم . يعنى : إلى متى تعيش ذليلاً كالمتّهم المذنب . والمعنى جيّد[٥] .

٢ – وَإلاَّ تَمُتْ تَحْتَ السُّيوفِ مُكَرَّمًا تَمتْ وتُقَاسِى الذُّلَّ غيرَ مكرَّمِ

يقول : إن لم تمت تحت السيوف فى الحرب مكرّماً ، تمت مُقَاسياً للمذلّة ساقط الرُّتْبَة حتف أنفك[٦] ، والأصل فيه قولهم : « مَوْتٌ فى عِزٍّ خيرٌ من حياةٍ فى ذُلّ »[٧] ويجوز « تُقَاسِ » بحذف الياء للجزم عطفاً على جواب الشرط ، وهو قوله

---

(١) ديوانه ٣١٦/٢ وديوان المعانى ١٦٨/١ والواحدى ٢١ والتبيان ١٩٩/١ و ٣٣/٤ والمثل السائر ٣٧٨/٢ وغير منسوب فى محاضرات الأدباء ٥٤٧/١ . وفى المصراع الأول منه تحريفات فى النسخ وقد روى فى ق : « وإذا المجد » بدل « وإذا الجود » .

(٢) ا : « وقال أيضًا فى صباه » . ب : « وقال فى صباه أيضًا » . ع : « وقال أيضًا » . الواحدى ٢١ : « وقال أيضًا فى صباه » . التبيان ٣٣/٤ : « وقال فى صباه » . الديوان ٩ : « وقال فى صباه » .

(٣) ب : « إلى أى وقت تكون أنت فى زى ذى الإحرام » .

(٤) ا : « ولا تطلبن » .

(٥) قال الواحدى : « ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب شيئًا ولا يقتل صيدا فهو يقول : حتى متى أنا كالمحرم من قتل الأعداء . وهو الوجه » . و : « كم » استفهام عن عدد .

(٦) ق . خ : « على حتف أنفك » .

(٧) ق . ح : « لئن تموت ... » ا : « أن تموت فى عز » ب : « لموت فى عز » .

« تمت » ويجوز بالياء فيكون فى موضع نصب على الحال : إن تمت مقاسيا للذلّ .

٣ – فَثِبْ وَاثِقًا باللهِ وثْبةَ ماجدٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي الهيْجا جَنَى النَّحل فى الْفَمِ

الهيجا : بالمد والقصر : الحرب . وجَنَى النحل : العسل المجتنى من النحل . والماجد : الشريف .

يقول ثب إلى طلب المعالى واثقاً بالله تعالى ، وثْبَةَ رجل ماجدٍ ، يرى للموت فى الحرب حلاوة كالعسل فى الفم كما قال الآخر :

الموت أحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَل [1]

(١) نسب فى الحماسة رقم ٨٨ إلى الأعرج المعنى . وهو شاعر مخضرم . كما جاء فى معجم الشعراء ٢٥ وكذلك نسب إليه فى المثل السائر ١٤٣/١ . وترتيب البيت مع ما سبقه وما لحقه من الأبيات يختلف من مرجع إلى آخر . وانظر هذا الشرح ٥٩٤/٢ . من الأصل

الشـــاميَّات

(٧)

وقال فى صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى [١١ - ١][1] :

١ - أَحْيا وأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ ماقَتَلا والبَيْن جَارَ عَلَى ضَعْفِى وَمَا عَدَلاَ

فى « أحيا » تقديران : أحدهما ، أنه أفعل تفضيل من الحياة[2] ، وتقديره إنّى أكثر حياة مع [3] أن أيسر ما قاسيت ، ما قتل غيرى[4] ومع [3] أن البَيْن أيضاً جَارَ على ضَعْفِى وما عدل . والثانى ، أنه فعل مضارع من الحياة ثم فيه تقديران : أحدهما ، الخبر ، والآخر الاستفهام . فأما الخبر فتقديره كأن يقول على وجه التعجب : إنى أحيا ، وأيسر ما لقيته فى محبة هذه المرأة ما قتل غيرى ! وقد أضيف إليه فراق الحبيب الذى جار علىّ مَعَ[3] ضعفى ، ومع ذلك فإنى مقيم باقٍ ! وهذا موضع التعجّب ! ولعلّه كان به ضعف ، وأما الاستفهام فتقديره أأحيا ؟! وأيسر شىء قاسيته فى حبّها هو الذى يقتل !

٢ - والْوجْدُ يَقْوَى كما تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا والصَّبْرُ يَنْحَلُ فِى جِسْمِى كَمَا نَحِلاَ

يقول على وجه التعجب أيضاً : إنى باقٍ ! مع اجتماع هذه الأمور القاتلة ، وهى : ازدياد الحزن بازدياد البعد ، ونقصان الصبر ، ونحوله ، كما أن الجسم يضعف ويَنْحَل .

(١) ا : « وقال أيضًا فى صباه يمدح سعيد بن كلاب الكلابى رحمهما الله » . ب : « وقال أيضًا فى صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى » . ع : « وقال أيضًا فى صباه يمدح سعيد بن كلاب » . الواحدى ٢٤ : « وقال فى صباه فى الشامية : (يعنى القصائد الشامية) يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى » . التبيان ١٦٢/٣ : « وقال يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى المنجى » . الديوان ١٠ : « وقال فى صباه » .

(٢) ع : « فعل مشتق من الحياة » .

(٣) ق : « مع » ساقطة .

(٤) ق : « غيرى » ساقطة .

يصف ازدياد البعد ونُحولَ الجسم والصبر بعد البعد .

٣ - لَوْلاَ مُفَارَقَةُ الأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ لَهَا الْمَنَايَا إلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلا

الهاء فى «لها» : للمنايا ، أو للمفارقة .

كأنه يقول : لولا مفارقة الأحباب ما وجدت المنايا لأنفسها وللمفارقة طُرُقًا تصل إلى أرواحنا . وهو كقول أبى تمام الطائى :

لَوْ حَارَ مرتادُ المنيّةِ لَمْ يجدْ إلاّ الفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلاَ(١)

٤ - بِمَا بِجَفْنَيْكِ مِنْ سِحْرٍ صِلِى دَنِفًا يَهْوَى الْحَيَاةَ ، فَأَمّا إنْ صَدَدْتِ فَلاَ

بما بجَفْنَيْكِ : قسم .

يقول : بحقّ ما بجفْنَيْك من سِحْرٍ ، صِلِى مَنْ تناهى فى المرض ؛ حزناً على البعد منك ؛ فإنّه إنّما يهوى الحياة إن واصلتِ ، وإن لم تصلى فلا يهوى الحياة .

« فلا » هنا جواب (إن) كقوله تعالى : (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلاَمٌ لَكَ)(٢) وروى : « بما بجفنَيْكِ من سِقَمٍ » وقوله : «يهوَى الحياة» فى موضع نصب(٣) صفة لدنفٍ .

٥ - إلاَّ يَشِبْ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سُلوةٌ نَصَلاَ

قوله إلاّ يشب : فاعل [يشب] ضمير الدنف الذى ذكره فى البيت قبله .

يقول : إلاَّ يَشب الشَّعر فقد شابت الكبد ، شيباً أعظم من شيب الرأس ؛ من حيث أن شيب الشعر يقبل الخضاب ، وشيب الكبد لا يقبله فكلما خضبته

(١) ديوانه ٦٦/٣ والواحدى ٢٤ والتبيان ١٦٣/٣ .

(٢) سورة الواقعة ٩٠/٥٦ .

(٣) فى التبيان ١٦٤/٣ يهوى : يجوز فيه الجزم والرفع ، فمن رفعه جعله وصفا : « لدنف » ومن جزمه جعله جواب : « صلى » ... فهو فى الرفع والجزم كقوله تعالى : (أَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدءًا يُصَدِّقْنِى) بالجزم ، كقراءة نافع ، وبالرفع ، وكقوله : (فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يرِثْنِى) بالجزم ، كقراءة أبى عمرو وعلىّ بن حمزة ، وبالرفع كقراءة الباقين .

السلوة نصل الخضاب فى الحال ، وشيب الكبد[١] لا يقبله ، كناية عن ضعفها . ومثله لأبى تمام قوله :

شَابَ رأْسِى وما رَأَيْتُ مشيبَ الرَّأْ سِ إلاّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَاد[٢]

وزاد المتنبى عليه بذكر الخضاب ، والنُّصول ، قيلَ إنها تَصفر[٣] وقيل إنها تبيض عندما تصيبها الآفة كما قال الحكَمى :

يادَعد قد أصبحتْ مبيضَّةً كبِدِى فاصْبغِى بَيَاضًا بعصْفَر العِنَبِ[٤]

[١١ – ب] إلا أنّ لفظة المشيب[٥] لاتطلق على كل البياض .

٦ – يَحِنّ شَوْقًا فَلَوْلاَ أنَّ رَائِحَةً تَزُورُهُ فِى رِيَاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلاَ

يقول : إن هذا المحب يَحِنُّ شوقاً إلى محبوبته ، فلولا أن رائِحةً من رياح الشرق تأْتيه لما عقل ؛ كأن المحبوبة كانت فى جانب الشرق . وروى : « زياد الشوق » والأول أكثر . وروى : « يُجنّ » أى يظهر الجنون ؛ وهذا أولى بالمطابقة[٦] .

٧ – هَا فَانْظُرِى أَوْ فَظُنِّى بِى تَرَىْ حُرُقًا مَن لم يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَأَلاَ

« ها » : تنبيه المخاطب لما بعده .

يقول : لمحبوبته : انظرى إلىّ لتدرى ما بى من الحزن ، فإن لمّ تريني أهلاً للنّظر « فَظُنِّى بى تَرَىْ حُرُقًا » من لم يذق بعضًا منها فقد وأل : أى نجا من البلاء ، من وأل يئل[٧] إذا نجا .

(١) ق : « فكلما خضبته ...... شيب الكبد لا يقبله » ساقط انتقال نظر .

(٢) أخبار أبو تمام للصولى ٤٨ والواحدى ٢٤ والتبيان ١٦٤/٣ .

(٣) ا ، ق : « قيل إنها تصفر » ساقطة . والنصول : ذهاب الخضاب .

(٤) لعل هذا البيت من فائت الديوان ، فلم أعثر عليه فيه .

(٥) ق ، ع : « الشيب » .

(٦) ق ، خ : « وروى : يجن ...... بالمطابقة » ساقط . والمراد : المطابقة بين الجنون والعقل فى قوله : « عقلا » .

(٧) ق : « مثل » بدل « يئل » تحريف « يئل » .

٨ - عَلَّ الأميرَ يَرَى ذُلِّى فَيَشْفَعَ لِى   إِلَى الَّتِى تَرَكَتْنِى فِى الْهَوَى مَثَلا

علّ : بمعنى لعلّ ، يقول : لعلّ الأمير (الذى هو الممدوح) إذا رأى ذُلِّى يَتَشَفَّع لى ، إلَى المرأة التى تركتنى فى الهوى مثلاً مضروباً كسائر العشاق من العرب ؛ ووجه تشفّعه إليها أن يصل جناحَه بما يصل به إلى المراد بها ، ويحظى عندها لمكانه منها . وهذا مأخوذ من قول[1] أبى نواس .

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بنِ يَحْى بنِ خَالِدِ   هَوَاها[2] لعلَّ الفضْلَ يَجْمَع بيْنَنَا

٩ - أَيْقَنْتُ أَنّ سَعِيدًا طَالِبٌ بِدَمِى   لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بالرُّمْحِ مُعْتَقِلا

يقول : لما رأيت الممدوحَ (وهو سعيد) معتَقِلا برمحه على هيئة المحاربين ، تحقَّقْت أنه يطلب بدمى من هذه المرأة القاتلة لى ، على سبيل القتل والقصاص[3] منها ، لأن قتل النساء نقص ، ولكن من حيث أن عادته اغتنام الأموال فى الحرب ، لأن ذلك كسب الشجعان ، وإن المال الذى يغتنمه يجعل له حظًّا منه ليصل إلى مراده منها ، وانتقل الرجاء الذى فى البيت الأول إلى اليقين ، من حيث أنّه قد رآه تأهّب للحرب ، لأنه إذا حارب يظفر بالأعداء وينهب الأموال ، وإذا[4] نهبها فرقها ، لأنَّ خلافَ ذلك مِنَ الْبُخْل .

وقد قيل : إن هذا البيت منقطع عما قبله كأنه يقول : لما رأيته كذلك أيقنت أنه ينتقم من أعدائى .

١٠ - وأَنَّنِى غَيْرُ مُحْصٍ فَضْلَ وَالدِهِ   ونائِلٌ دُونَ نَيْلِى وَصْفَهُ زُحَلا

---

(١) ق : « لمكانه وهذا من قول » ب : « وهذا مستق من قول » .

(٢) ع : « هواك » . ديوانه ٤٧٤ وروايته : « هواك » ، وهى كذلك فى المثل السائر ٢٧٥/٢ ومعاهد التنصيص ٥٨/٣ و ٥٢/٤ والإبانة ٣١ وبالرواية المذكورة فى النص عند الواحدى ٢٥ والتبيان ١٦٦/٣ .

(٣) أ ، ب ، ع : « الاقتصاص » .

(٤) ق : « وإذا نهبها فرقها » ع : « وإلا نهبها » .

قوله نائِل : اسم فاعل ، من نال الشيء يناله . ومفعوله : زُحَل[١] و« نَيْلى » : مصدر مضاف إلى فاعله ، وهو ضمير المتكلم ، ومفعوله : «وَصْفَه» .

يقول : إنى لا أحصى فضل والده ، فجمع بين مدحه ومدح والده . يقول : وإنى نائِل زُحَلا قبل أن أنال وصف والده . وروى «فضل نائِله»[٢] فيكون مدحاً له .

١١- قَيْلٌ بِمَنْبِجَ مَثْوَاهُ ونَائِلُه فِى الأُفْقِ يَسْأَلُ عمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلاَ

القيل : الملك من ملوك حِمْيَر . ومَنْبج : بلد بالشام .

يقول : إن الممدوح مَلِكٌ ، مقامه بِمَنْبِج . وعطاؤه فى أفق الدنيا ؛ يستخبر عمّن يطلب من غيره العطاء ، حتّى يُدَلّ عليه بالسؤال الأول ، وهو [١٢ - ا] الاستخبار ، والثانى . الذى هو سأل السؤال الذى هو[٣] طلب العطاء وهو كقول[٤] أبى تمام :

فأضْحت عطاياه نوازعَ شُرّدا تسائِل فى الآفاق عن كُلّ سائِل[٥]

١٢- يَلُوحُ بَدْرُ الدُّجَى فِى صحْنِ غُرَّتِهِ وَيَحْمِلُ الموتُ فِى الهيْجاءِ إنْ حَمَلاَ

روى : الهيجاء بالمد فتكون حينئذ « فى الهيجاء إن حملا » . وروى : مقصوراً ، فعلى هذا يكون «فى الهيجا إذَا حملا» .

يقول : إن الممدوح موصوف بخصلتين :

إحداهما : «الحسن» وهو قوله :

«يلُوحُ بدْرُ الدجى فى صحن غرته»[٦]

---

(١) زحل : أعظم الكواكب السيارة وأبعدها فى النظام الشمسى ، وسمى زحلا فيما يقال : لأنه زحل وتنحى ، وهو معدول عن زاحل كعمر وعامر .

(٢) فضل نائله : العطاء.

(٣) ق : «هو» ، وعبارتها «سؤال السؤال الذى طلب العطاء» .

(٤) ع : «مأخوذ من قول أبى تمام» .

(٥) ديوانه ٧٩/٣ والوساطة ٧٦ والتبيان ١٦٧/٣ والواحدى ٢٦ .

(٦) ق . عن خ : «فى صحن غرته» .

والثانية : «الشجاعة» وذلك قوله : « وَيَحْمِل المَوْت فى الهيجاء إن حَمَلا »[١]
يعنى أن الموت ناصرُه ومعه .

١٣- تُرَابُه فِى كلابٍ كُحْلُ أَعْيُنِها وَسَيْفُه فِى جَنابٍ يَسْبِق الْعَذَلاَ

كلابٌ ، وجناب : قبيلتان . وقيل : إن بينه وبينهما معاداة .

والمعنى على هذا : إنّ الممدوح يهجم بخيله على بنى كلاب ويوقع بهم ، فغبار خيله فى عيونهم بمنزلة الكحل[٢] ، وكذلك سيفه فى جَناب ، يسبق عذل العاذل . يعنى : إذا ظفر بعدوه قتله ، ولا يبالى بلوْم اللائِم . وقد نظمه من مَثَلٍ سائِر وهو «سبق السيفُ العَذَل» وأوّلُ من قاله ضَبّة بن أُدّ إذ ظفر بقاتل ابنه فى الشهر الحرام[٣] فقتله ! فلما ليم عليه قال هذا القول .

وقيل : إن بنى كلاب كانوا أولياءهُ[٤] . فيكون المعنى : إنهم لحبهم[٥] له يتخذون تراب قدمه كحلاً لأعينهم[٦] ، ويتبرّكُونَ به .

١٤- لِنُورِه فى سمَاءِ المجد مُخترَقٌ لو صَاعَد الفِكْرُ فيهِ الدهرَ ما نَزَلاَ[٧]

مختَرَق : يجوز أن يكون مصدراً ، ويجوز أن يكون اسماً لموضع الاختراق .
يقول : إن للممدوح فخر إلى السماء[٨] وذلك مَثلٌ لعلوّ فخره ، وإنّ له نوراً ،

(١) ق : «فى الهيجاء إن حلوا» مهمل . (٢) أ ، ب : «تنزل منزلة الكحل» .

(٣) نسبه صاحب كتاب الأمثال ٦٧ ط الهند سنة ١٣٥١ هـ إلى ضبة بن أدّ ، وقال : «قاله ضبة ابن أد لما لامه الناس على قتله قاتل ابنه سعيد فى الأشهر الحرم» ، وذكر غير منسوب فى الواحدى ٢٦ والتبيان ١٦٨/٣ . (٤) يقول الواحدى : إن بنى كلاب هم قبيلة الممدوح .

(٥) ا ، ب ، ق : «يحبهم» . (٦) ع : «كحل أعينهم» .

(٧) أ فقط زادت هذا البيت قبل البيت رقم ١٤ :

مهذّب الجدّ يستسْقى الغمامُ بِهِ حُلْوٌ كأنّ على أخلاقه عَسَلاً

ولم يذكر له شرح ، ولعله من زيادات النساخ ، فقد ذكر الواحدى ٢٦ أنه منحول وليس فى الروايات ، ونبه محقق الديوان : (الدكتور عزام) إلى أن بعض النسخ لم تذكره ، والبيت فى التبيان بعد : «وهو الأمير الذى بادت تميم به» الخ .

(٨) ع ، ب : «إن للممدوح فخر له سماء» ق : «إن الممدوح فخرا فى السماء» .

منْفذه فى سماء فخره ، بحيث لو صَاعَدَه الفكر وغالبه فى الصُّعود فى ذلك المنفذ ، لم يكن له نزول أبداً ، من حيث أنه ليس له نهاية ، حتى يبلغها ، ثم ينزل عنها ، وقد روى : «محترق» بالحاء المهملة ، والأَوْلى الأوّل .

١٥– هُوَ الْهُمَامُ[1] الّذِى بَادَتْ تَمِيمُ بِهِ قِدْمًا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنَهَا الأَجَلاَ

وروى : هو الأمير ، ولم يصْرف تميم للتعريف ، والتأنيث للقبيلة .

يقول : هو الأمير الذى هلكت به تميم منذ قديم الزمان ، وساق به إليها هلاكَها الأجلُ ، أى لمّا عادوه[2] أوقع بهم وأهلكهم .

١٦– لَمّا رأَتْه وَخيلُ النَّصرِ مقبلةٌ والْحَرْبُ غيرُ عَوَانٍ أسْلَمُوا الْحِلَلاَ

الحرب العَوان : التى تكررت بخلاف البكر[3] . والحِلَلا : جمع الحِلّة[4] ، وهم القوم الذين ينزلون فى مكان واحد .

يقول : إن تميماً لما رأت هذا الممدوحَ ، وخيل النصر مقبلةٌ ، أسلموا جماعتَهم وبلدتَهم ، ثم بيّن أن ذلك فى أول الحرب ، قبل أن تتكرر ، ليدلّ ذلك على فضل خوفهم منه وأنهم انهزموا فى أول الأمر .

١٧– وَضَاقَتْ الأَرْضُ حَتّى كَأَنّ هَارِبَهم إذَا رَأَى غَيْرَ شَىءٍ ظَنَّهُ رَجُلاَ

يقول : ضاقت الأرضُ عليهم لمّا هربوا منه ، حتى أن هاربهم من شدة خوفه كان إذا رأى غيرَ شىء لا يُبَالَى بهِ من صغره ، ظنه رجلاً من أصحابه ! وهذا

---

(١) فى النسخ : «هو الأمير» . والمذكور عن شرح البيت والديوان .

(٢) أ . ع : «عادوك» .

(٣) ق : «بخلا به» تحريف .

(٤) يقول الواحدى : الحلل : جمع الحلة ، وهى المنازل التى حلوها ، وتابعه صاحب التبيان وعلى هذا فسرا البيت فقالا : لما رأت تميم الممدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ، ولم يقاتلوا بعد تركوا منازلهم وهربوا فى أول الأمر . وذكر ابن منظور فى لسان العرب أن الحلة : منزل القوم ، وجماعة البيوت ومجتمع الناس .

المعنى ، اشتقه من قول الله تعالى : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوّ﴾[١] وهذا كقول جرير[٢] :

مَا زِلْتَ تَحسِبُ كلَّ شىءٍ بَعْدهم خَيلاً تكُرّ عَلَيْهم ورِجَالاَ

١٨- فَبَعْدَه وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لو رَكَضَتْ بِالْخَيْلِ فى لَهَواتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلا

يقول : فبعد ذلك اليوم الذى قاتلتهم وهزمتهم ، إلى هذا اليوم ؛ لو ركضت تميم بخيولهم فى لَهَوَاتِ[٣] الطفل وحنكه[٤] لما أثّرت فيه تأثيراً يُسْعِل الطفلُ منه ؛ مع أنه يتأذى بأقل شىء ، وذلك إشارة إلى قلّتهم ، وأنه لم يبق منهم بعد ذلك الحرب عناء ، ولا قوم يمكنهم أن يَضُرُّوا أدنى ضرر.

قال القارئ عليه قلت له : لم لا يسعل ؟! قال : لحسن طاعته[٥] !

١٩- فَقَدْ تَرَكْتَ الأُلَى لاَقَيْتَهُم جَزَرًا وَقَدْ قَتَلْتَ الأُلَى لَمْ تلْقَهم وَجَلاَ

«الألى» : بمعنى الذين . «وجزراً» : أى مقطّعين بالسيوف . وقوله : «وَجَلاَ» : مصدر واقع موقع الاسم . يعنى : وجلين.

يقول : قد تركت الذين لقيتَهم فى الحرب قِطَعًا بالسيوف ، وتركت الذين لم تلْقهم وَجِلين خائِفين منك .

---

(١) سورة المنافقون ٦٣/٤ .

(٢) فى النسخ كقول الأخطل ! والبيت لجرير فى ديوانه ٥٣ والحيوان ٥/٢٤٠ والرواية فيها « خيلاً تشد عليكم » والوساطة ٢٦٣ والواحدى ٢٧ والتبيان ١/١٤٥ و٣/١٦٩ وشرح البرقوقى ٣/٣٦٠ وغير منسوب فى ديوان المعانى ١/١٩٤ ولم أعثر عليه فى ديوان الأخطل . ويذكر الواحدى ، وينقل عنه صاحب التبيان : « قال أبو عبيدة : لمّا أُنشِدَ الأخطل قول جرير فيه هذا قال : سرقه والله من كتابهم (يحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عليهم هُمُ الْعَدُوّ) » .

(٣) اللهوات : جمع لهاة . وهى من كل ذى حلق : اللحمة المشرفة على الحلق أو الهنة المطبقة فى أقصى سقف الفم ، وتجمع على لهوات ولهيات ولهىّ ولَهَا ولهاء ، ويقال : فلان تسدُّ به لهوات الثغور .

(٤) ق : « أحنكه » .

(٥) يقول صاحب التبيان ٣/١٦٩ : « ويجوز أن يجعل الطفل منهم : أى ما جسر الطفل منهم أن يسعل خوفًا وإشفاقًا مع أنه لا عقل له ، فكيف الظن بكبيرهم فى أمر الخوف وله عقل بالخوف » .

٢٠-كَمْ مَهْمَةٍ قُذُفٍ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ   قلبُ المُحِبِّ قَضَانِى بعدَمَا مَطَلاَ

المهمة : الفلاةَ[١] القَذَف : الواسع البعيد النواحى . والقضاء والمطل : نقيضان .

يقول : كم فلاةٍ بعيدة الأطراف ، قلب الدليل فيها خافقٌ خوفَ الضّلال[٢] ، كخفقان قلب المحب ؛ خوفَ الهجران ؛ أدّتنى تلك الفلاة إلى أقصاها ، بعد ما مطَلَتْنى مدّة مديدة ، وقضاؤها إياه : بلوغها به إلى أقصاها ، ومطلها ، مدة لبْثه فيها .

٢١-عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرْفِى فى مَفَاوِزِهِ   وحُرَّ وَجْهِى بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذْ أَفَلاَ

الهاء فى « مفاوزه » : للمَهْمَه . وحُرّ الوجه : الخد . والنّجم ، قيل : هو اسم للثّريّا خاصة ؛ وقيل : اسم الجنس . وأَفَلَ : فعل النجم .

يصف مواصلة سيره بالسُّرى ويقول : عقدت طَرْفى بالنجّم ليْلاً ، وعقدت حُرّ وجهى بحَرّ الشمس ، إذا غاب النجم ؛ يَمُنّ بذلك عليْه ليكون أعرف بحقه .

وروى عنه قال : عقدت بالنجم طَرْفى ، خوف الضّلال بالشمس لأنى كنتُ مشرِّقًا .

٢٢-أنكَحْتُ صُمَّ حَصَاهَا خُفَّ يَعْمَلَة   تَغَشْمَرَتْ بِى إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلاَ

« اليَعْملة »[٣] : الناقة العمول فى سرعة المشى أى أسرعت [وتغشمرت : تعسفت][٤] وأخذت قصدًا وغير قصدٍ ، والإنكاح هو : الجمع .

يقول : جمعت بين خف ناقتى وبين الحصا الصم التى كانت فى الفلاة

(١) : « المهمة : الفلاة » محلها فى النص عن ب . وقد ذكرت فى سائر النسخ بعد قوله : « كخفقان : « المهمة : الفلاة » قلب المحب » ! ! .

(٢) ا « الضلالة » .

(٣) ق : « اليطمة » تحريف .

(٤) ما بين المعقوفتين عن الواحدى .

المذكورة ، وعَسَفَت[1] بى السَّهْل والجبل ؛ حتى أوصلتنى إليك .

٢٣- لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصِى فَوْقَ نُمْرقِهَا سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِى غِيطَانِهَا زَجَلاَ

النُّمرق : الوسادة التى يَعتمد عليها الراكب . والزَّجل : الصوت . وحشو قيصى : أى وسطه[2] .

يقول: لوكنت أيها الممدوح مكانى فوق رَحْل هذه الناقة ، لسمعت صوت الجن فى غيطان هذه المفاوز ! [١٣ - ا] .

٢٤- حَتَّى وَصَلْتُ بنفسٍ مَاتَ أكْثَرُهَا وَلَيْتَنِى عِشْتُ مِنْها بِالَّذِى فَضَلاَ

يقول : كنتُ[3] على الحال الموصوفة ، حتى وصلتُ إليك بنفسٍ مات أكثرها تعبًا وخوفًا ، ولم يبق منها إلاّ فَضْلٌ أخشى عليه ، لأنى وقيت ما مر بى[4] ولا آمن أن يكون عاقبته الهلاك . وغرضه بهذه الأبيات الامتنان عليه بما ناله من ذلك .

٢٥- أَرْجُو نَدَاكَ وَلاَ أَخْشَى المِطَالَ بهِ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلاَ

قوله : «أرجو» : أى راجياً ، فى موضعَ نصب لأنه فى موضع الحال[5] .

يقول: جبت هذه المفاوز إليك ثقة بك ، إنك لا تمطل بوعدك ، وإنك تجزل العطاء ؛ لأنك إذا وهبت الدنيا تستقلها فكأنك قد بخلت .

---

(١) ا : « عسفت به السهل والجبل » ب . ق : « عسفت فى السهل والجبل » .

(٢) ق : بعد ذلك « معناه لو كنت مكانى » زائدة عن سائر النسخ .

(٣) ق : « لو كنت » .

(٤) ا . ب . ع : « أخشى عليه لأنى وقيت ما مر بى » وساقطة من ق .

(٥) ا . ق من : « قوله أرجو ..... الحال » ساقط .

(٨)

وقال أيضاً فى صباه[1] [فى الحماسة والفخر]:

١ – كم قَتِيلٍ – كَمَا قُتِلتُ – شهِيدِ ببَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الخُدُودِ

«الطُّلى» : الأعناق ، واحدها طلية . وتقدير البيت : كم قتيلٍ شهيدٍ ببياض الطُّلى ووَرْد الخدود[2] ، كما قُتِلْتُ أنا ؛ يعتذر فى قتل الهوى إيّاه . ويقول : لست بأول قتيل الهوى[3] فكم من قتيلٍ شهيد ! قُتِل ببياض الأعناق وحمرة الخدود ! وجعل القتل بسبب الهوى شهادة أخذه من الحديث «من عشق وعفَّ مات وهو شهيد»[4] .

٢ – وَعُيُونِ الْمَهَا وَلاَ كَعُيُونٍ فَتَكَتْ بالمُتَيَّمِ الْمَعْمُودِ

المها : بقر الوحش ، واحدتها مهاة . والفتك : القتل غيلة . والمتيَّم : الذى استعبده الحب . والمعمود الذى أصيب عمود قلبه (وهو وسطه) بالحبّ . وجرَّ عيوناً : عطفاً على «ورد الخدود» .

يقول: كم قتيلٍ ببياض الطُّلى ، وورد الخدود . وعيون المها : وهى بقر الوحش (من حسنها ، وملاحتها) ولا كعيون النساء التى أصابتنى وقتلتنى غيلة ، بل هذه أحسن منها ، فضَّل هذه العيون على عيون المها . وقيل : أراد بالمها :

---

(١) الواحدى ٢٩ نص المذكور . التبيان ٣١٣/١ نص المذكور . الديوان ١٣ نص المذكور .

(٢) فى النسخ : «أو ورد الخدود» والمذكور عن الواحدى .

(٣) ق : «الهوى» ساقطة .

(٤) روى هذا الحديث بروايات تختلف فى اللفظ . وذكره الأستاذ محمد ناصر الدين الألبانى فى كتابه الأحاديث الضعيفة والموضوعة تحت رقم ٤٠٩ . ورواه الخطيب فى تاريخه ١٥٦/٥ و ٢٦٢ و٥٠/٦ – ٥١ . وابن الجوزى فى مشيخته الشيخ الثامن والسبعون ، والسيوطى فى الجامع الصغير والواحدى ٢٩ والتبيان ٣١٣/١ ومصارع العشاق ١٠٣/١ . ومحاضرات الأدباء : ١٤٥/٢ .

وخلاصة القول : الحديث ضعيف الإسناد موضوع المتن كما جزم بذلك ابن القيم الجوزية فى زاد الميعاد : ٣٠٦/٣ – ٣٠٧ .

الحسان العيون من النساء . ثم فضّل العيون التى قتلته على تلك العيون[١] .

٣ - دَرَّ دَرُّ الصِّبَا أَيَّامَ تَجْرِيـ ـرِ ذُيُولى بِدَارِ أَثْلَةَ عودِى

الدّر فى أصل اللغة : اللّبن . ثم استعمل فى كل خيْر .

كأنه يقول على وجه الدعاء : كثر خير الصِّبَا . ثم نادى فقال : «أأيام تجريرى»[٢] والهمزة الأولى حرف النداء ، والرواية «تجريرى بدار أثْلة» موصلة الألف بالرّاء كقوله تعالى : (عادًا الأُولَى)[٣] ، وروى «بدار الأثلة عودى» قيل : الأثلة . مكان بالكوفة[٤] ، وقيل : بالشام . وقيل : إنّ «أثلة» بغير ألف ولام ، وروى «قتلة» وهى[٥] اسم امرأة . وعودى : أمر من العوْد ، وهو : خطاب للأيام .

يقول مخاطباً لأيامه الّتى مضت مستعيداً لها : يا أيام بطالتى حين كنت أسحب ذيلى بهذا المكان ، عودى إلىّ وارْجعى فإنى مشتاق إليك[٦] .

٤ - عَمْـرَكَ اللهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا قَبْلَها[٧] فِى بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ

أصله : تعميرك[٨] الله . وهو مصدر من عمرك الله تعميرًا ، إلاّ أنّه حذف

---

(١) ق : «العيون» ساقطة .

(٢) ق : «يقول على وجه الدعاء كذلك النادى فقال أيام تجرى» تحريفات ، وذكر ابن المستوفى فى كتابه النظام قال أبو العلاء يروى : «تجرير ذيولى» بإضافة تجرير إلى ذيول ، وبعض الناس ينشد «تجريرى ذيولى» فيضيف إلى ياء النَفْس .

(٣) سورة النجم : ٥٣/٥٠ . والمراد وصله وإسقاط الهمزة كقراءة ورش : «ولدار الآخرة» .

(٤) : «قيل : إنه مكان بالكوفة» فى سائر النسخ . والمذكور عن ق .

(٥) ق : «بغير ألف ولام ، وروى قتله وهى» ساقط .

(٦) يقول الواحدى : جر الذيول . كنايه عن النشط واللهو . لأن النشوان والنشيط يجر ديوله ولا يرفعها .

(٧) فى الواحدى والتبيان : «طلعت» بدل : «قبلها» رواية .

(٨) ق : «يعمرك» .

ما كان زائدًا ، وردّه [١٣ – ب] إلى تركيب الكلمة . فقال : « عمْرك الله » فكأنه قال : سألت الله تعميرك[١] . أيها الصاحب ، هل رأيت بُدورًا مثل هؤلاء النساء اللواتى هن بدورا – فى الحسن والبهاء – فى براقع[٢] وعقود ؟ ! لأن البراقع والعقود من آلة النساء ، ولم تعدْ فى البدور .

٥ – رَامِيَاتٍ بأسْهُم رِيشُهَا الْهُدْ بُ تَشُقُّ القُلوبَ قَبْلَ الجُلُودِ

رامياتٍ : فى موضع نصب [صفة][٣] لبدور .

يقول لصاحبه : هل رأيت بدوراً ترمى بسهام ؟ ! قدودها الهدْب ، وهى تشقّ القلوب قبل الجلود ! بخلاف سائر السهام التى تصيب الجلود قبل القلوب . وعنى بالسهام : العيون . وهو مأخوذ من قول كثيّر :[٤]

رمتْنِى بسهْم ريشه الهدْب لم يصب ظَوَاهِرَ جِلْدِى وهو فى القلْبِ جَارِح[٥]

٦ – يَتَرشَّفْنَ مِنْ فَمِى رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ

يقول : إن هذه النسوة يمصصن من فمى مصّات لميلهن إلىّ . هنَّ : يعنى الرشفات . فى فمى أحْلَى مِنْ حلاوة[٦] التّوحيد فى قلب الموحّد ، وهو المقرّ بوحدانية الله تعالى ! وهذا أحد ما نسب المتنبى لأجله إلى الكفر ، حيث جعل التّرشّف أحلى من التوحيد ! وروى : « هن فيه حلاوة التوحيد » يعنى : للتّرشف فى الفم حلاوة التوحيد . وهذا أخفّ من الأوّل . وقيل : إنه المعشوق بعاشقه ، أى قوله : أنت

(١) ق : « يعمرك » .

(٢) ق : « ببراقع » .

(٣) : « صفة » زيادة عن صاحب التبيان .

(٤) كان كثير جيد الأسلوب حسن الصنعة . وهو أحد عشاق العرب . وقد صغّروه لأنه كان شديد القصر . وكان فيما يظهر دعيًا فى الحب وقد توفى سنة ١٠٥ هـ . انظر ترجمته فى الأغانى ١٢٧/٨ و ٤٦/١١ وابن خلكان ١٨٩/٢ وخزانة الأدب ٣٧٦/٢ ومعاهد التنصيص ١٣٦/٢ ودلائل الإعجاز : ٣٢٣ .

(٥) الوساطة : ٤٠٤ والتبيان ٣١٥/١ والإبانة ٥٦ وروايته : « وهو للقلب صادع » وشرح البرقوق ٤٦/٢ وروايته « ريشة الكحل .... جارح » . وبهذه الرواية فى الواحدى ٣٠ .

(٦) ق ساقط : « لميلهن إلىّ » وكذلك : « يعنى الرشفات » و : « حلاوة » .

واحدى ؛ عند إقباله علَى وِصَالِه ، من دون أن يعرف غيره ، فلهذا أحلى ما يكون للعاشق إذا كان معشوقه لا يعرف سواه ، ولا يقول إلا به ، وإذا فعل ذلك فقد وحّده ، فكأنه يقول : هن فى الفم أحلى من هذا التوحيد[١] .

٧ - كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرَقُّ مِنَ الْخَمْـ ـرِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجُلْمُودِ

الخُمصانة : الدّقيقة الخاصرة . والجلمود : الصخر الصُّلب . روى : «أرقّ»[٢] فى موضع الجر صفة لخمصانة ، وبالرّفع صفة لكلّ .

يقول : كلّ واحدة من هذه المترشّفات (وهى : كل ضامرة البطن) أرقّ بشرةً من الخمر ، بقلْبٍ أشد قساوة وصلابة من الصّخر . شبّه رقّة بشرتها بالخمر ، وقساوة قلبها بالحجر ، وجعله أقسى منْهُ : أى أقسى من الحجر الصُّلب[٣] .

٨ - ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضَرَبَ الْعَنْـ ـبَرُ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وعُودِ

أى : كلّ خمصانة ذات فرع ، كأنما خُلِط[٤] فيه العنبر بماء الورد والعود ، طيبًا ورائحة ؛ وإنَّمَا كان ذلك خلْقة ، فلهذا قال : «كأنما» .

٩ - حَالِكٍ كَالْغُدَافِ جَثْلٍ دُجُوجِـ ـيٍ أَثِيثٍ جَعْدٍ بِلاَ تَجْعِيدِ

الحالك : الشديد السواد . والغُدَاف : الغراب الأسود . والجثْل : الشّعر الكثير . والدُّجُوجىّ : الشديد السواد أيضاً . والأثيث : الكثيف الملتف .

---

(١) ذكر ابن المستوفى فى كتابه النظام قال : قال المعرى : «وقوله أحلى من التوحيد يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون وصف التوحيد بالحلاوة فى فمه وجعل الرشفات أحلى منه على وجه المبالغة كما تقول : هذا أحلى من الضرب : «العسل» لأن الضرب معروف بالحلاوة ، والآخر أن يكون جعل التوحيد غير موصوف بالحلاوة» .

(٢) عنى برقتها : نعومتها وصفاء لونها .

(٣) : «أقسى من الحجر الصلب» مثبتةفى ق وساقطة من سائر النسخ .

(٤) ا . «أخلط» .

والتجعيد : يُجْعلُ جَعْدًا بتكلّف[١] .

يقول : هى ذات فرع أسود بهذه الصفة [١٤ - ا] .

١٠- تَحْملُ المسْكَ عَنْ غَدَائِرهَا الرِّيـ ـحُ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَتِيتٍ بَرُودِ

الهاء فى «غدائِرها» للمرأة ، وروى : «من غدائِره» . أى : من غدائِر الفرع والغدائِر : هى الضفائِر ، واحدها غديرة ، والريح : فاعلة «تحمل» والشتيت[٢] : صفة الأسنان[٣] ، وهو المفلج ، والبَرُود أيضاً .

يقول : إنها مع استغنائِها عن الطيب ، تستعمل الطيب الكثير ، بحيث تحمل الريحُ عن غدائِرها المسكَ . وتفْتَر : أى تضحك عن ثغر مفلج فيه ماء بارد ، أو يبرِّد حرارةَ الكبد ! وهو الريق المتحلب من بين الأسنان ، وقيل : هو من البَرَدَ النازل من السماءِ ، فوصف أسنانها بأنها مفلجة ، وبأن ريقها بارد ؛ لبياضه ونقائه وبرده إذا مُصّ .

١١- جَمَعَتْ بيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَالسُّقْمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ والتَّسْهِيدِ

أراد بأحمد : نفسه .

يقول : إن هذه المرأة جمعت بين جسمى ، وبين السُّقْم ! وبين جفونى والتسهيد[٤] فبعَّدتْ عنِّى الصحة والنوم .

١٢- هَذِهِ مُهْجَتِى لَدَيْكَ لِحَيْنِى فَانْقُصِى مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَزِيدِى

المهجة : النفس . والحين : الهلاك .

يقول : هذه نفسى عندكِ مسلَّمةً إليك للهلاك ! فانْقُصِى من عذابها ،

---

(١) ع : «أن يكون جعدًا بتكلف» . ق : «يجعل جعدًا بتكنف» .

(٢) ق : «الشنيب» .

(٣) ق : «الإنسان» .

(٤) ق : «السهد» .

أو فزيدى فى[١] عذابها فحكمكِ نافذٌ فيها ، وأخذه من قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٢] .

١٣–أَهْلُ مَا بِى مِنَ الضَّنَى بَطَلٌ صِيـ ـدَ بِتَصْفيفِ طُرَّةٍ وَبِجِيدِ

الضَّنَى : طول المرض والضعف[٣] وتصفيف الطرة : تسويتها من الصف[٤] و « أهلُ » : مرفوع لأنّه خبر الابتداء ، والابتداء : « بطل » . متأخر عن الخبر كأنه[٥] يقول : بطل صيد بتصفيف طرة[٦] أهلُ ما بى .

ومعناه : إننّى بطلٌ صِيدَ ؛ ومع ذلك أهلٌ لما بِى[٧] ، مستحقّ لطول المرض . وهذه الإشارات إلى شجاعة نفسه ، وإنه مع ذلك قد صيد ، بتصفيف طرّة وبجيد . ويجوز أن يكون « أهل » مبتدأ ، و « بطلٌ » خبره . ويجوز أن يكون « أهل » خبر مبتدأ محذوف كأنه قال : أنا أهل ما بى من الضنى ؛ ثمّ بين العلّة فقال : لأنى بطل[٨] صيد بتصفيف طرةٍ وبجيد .

١٤–كُلُّ شَىءٍ مِنَ الدِّماء حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلاَ دَمَ الْعُنْقُودِ

يقول : جميع الدماء حرام شربها ، ما خلا دم العنقود : الذى هو الخمر . ثم

---

(١) ق : « من » .

(٢) سورة المائدة : ٥/١١٨ .

(٣) : « والضعف » من ع .

(٤) : « من الصف » من ب .

(٥) : « كأنه » من ع .

(٦) : « طره » من ب .

(٧) فى سائر النسخ : « ومعناه شجاع صار ضد النساء وطرتهن وأجيادهن أهل لما بى » والمذكور عن ق .

(٨) البطل : الشجاع الذى يطل عنده دماء الأقران . والطرة : شعر الجبهة . وتصفيفها : تسويتها .

أخذ فى ذكر الخمر استِسْقَاءً لها[١] فقال :

١٥- فَاسْقِنِيهَا فِدًى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِى مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِى وَتَلِيدِى

يقول[٢] : اسقنى هذه الخمرة فِدًى لعينيك نفسى ، وما اكتسبته من مالٍ ، وما ورثته من آبائى[٣] وجعل المخاطب غزالاً بقوله : «من غزال» . فكأنه قال : من بين الغزلان ومِنْ : هنا للتخصيص[٤] .

١٦- شَيْبُ رأْسِى وَذِلَّتِى وَنُحُولِى وَدُمُوعِى عَلَى هَوَاكَ شُهُودِى

[١٤ - ب] يقول : أربعة أشياء شاهدات لى على هواكَ . وهى : الشيب ؛ لحلوله قبل أَوانه ، ونزوله فى غير زمانِهِ . وذلّى فى هواكَ ، ونحول جسمى ، وانسكاب دموعى ، والله تعالى أمر فى القضاء بالشاهدَيْن ولى أربعة[٥] شهود وهذا مثل قول القائِل :

مَنْ ذَا يكذِّب فى شهودٍ أربعاً؟ ! وشهودُ كلّ قضيّةٍ اثْنَانِ :
خَفَقَانُ قَلْبى واضْطِرابُ مَفَاصِلِى وَنُحولُ جِسْمِى وَاعْتِقَالُ لِسَانِى

١٧- أىَّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِى بِوِصَالٍ لَمْ تَرُعْنِى ثَلاثَةً بِصُدُودِ

يقول : اذكر أيها الغزال أىّ يوم واصلتنى فيه ، فسررتنى بوصلك ولم ترعنى بصدود ثلاثة أيام !

---

(١) ذكر ابن المستوفى فى كتابه النظام أن أبا العلاء قال : «أحل الخمر فى هذا البيت على سبيل الدعوى ، وذلك قبيح بمن يشتمل عليه الإسلام ، ويروى : ما سوى» وقال الواحدى ٣٢ : «شرب الخمر لا يحل إلا أن يريد بدم العنقود العصير أو ما لا يسكر من المطبوخ» .

(٢) ق : بعد البيت مباشرة زادت هذه العبارة : «ذكر المخاطب بعد قوله فانقضى» ولعلها زيادة من الناسخ وضعت فى غير مكانها .

(٣) ا ، ب : «أبى» .

(٤) ا ، ع : «للتجنيس» ب : «للجنس» .

(٥) ق : «بالشاهدين إلى أربعة شهود» ع «بالشاهدين لا أربعة شهود» .

١٨-مَا مُقَامِى بِأَرْضِ نَحْلَةَ إلاَّ كَمُقَامِ الْمسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

روى : نخلة . بالمعجمة ، قيل : هى محلّه بالكوفة ، وروى : بالحاء المهملة وهو الأصح . وهو : مكانٌ بالشام . وقيل : إنه على ثلاثة أميال من بعلبك[١] .

يقول : ليس مقامى بين أهل هذا المكان وإيذائهم إياى[٢] واستخفافهم لى ، إلا كمقام السيد المسيح بأرض اليهود ؛ لكثرة عداوتهم له .

وروى : أنه لقب المتنبى بهذا البيت .

وقيل : بل بالبيت الذى يقول فيه :

أَنَا فِى أُمَّةٍ ، تَدَارَكَهَا الله غريبٌ كصالِحٍ فى ثَمُودِ[٣]

١٩-مَفرَشِى صَهْوَةُ الْحِصَانِ وَلكِنَّ قَمِيصِى مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ

٢٠-لأْمَةٌ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلاصٌ أَحْكَمَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدِ

الصّهوة : مقعد الفارس من الفرس . والحصان : الفرس الكريم الذكَر .

يَصِفُ بهذا شدة حذره من القوم ، وهم أهل نخلة .

يقول : مفرشي مقعد الفارس ؛ لكونى عليه ليلاً ونهاراً ، وقيصى ودِرْعى التى هى مسرودة[٤] من حديد ؛ لمواظبتى على الحرب وشدة تحرّزى من أعدائى .

ثم وصف درعه الحديد فقال : «لأْمَةٌ» : أى ملتئمة الصَّنعة[٥] ، مجتمعة «فَاضَةٌ» : سابغة . «أَضَاةٌ» : أى صافية . وهى [صفة] الغدير شبّهها به لصفائها

(١) فى تاج العروس ، نخلة : قرية قرب بعلبك على ثلاثة أميال منها . وذكرها الواحدى بالخاء المعجمة .

(٢) ق : «ليس مقامى فى هذا المكان بين أيديهم إياى» تحريفات .

(٣) ق من : «الله ... ... ثمود» غير موجود . وهذا البيت آخر أبيات القصيدة التى بين أيدينا .

(٤) مسرودة : منسوجة .

(٥) ق : «أى مليحة الصفة» تحريف .

وزرقها كالماء الذى فى الغدير . «دِلاصٌ» : أى برّاقة . «أحكمت نسجها : يَدَا داود» : أى هى من عمل داوود[١] عليه السلام ، وهى أوثق ما تكون من الدروع ؛ لأنها مسرودة غير مسمورة ، وهذا غاية ما يمدح به الدّرع .

٢١-أَيْنَ فَضْلِى إِذَا قَنِعْتُ مِنَ الدَّهْـ ـرِ بِعَيْشٍ مُعَجَّلِ التَّنْكِيدِ؟!

التنكيد[٢] : التقليل . يشكو سوء حاله مع فضله ، وبُعْد محلّه .

فيقول : أين فضلى إذا رضيت من الدهر بعيش قليل الخير؟

٢٢-ضَاقَ صَدْرِى وَطَالَ فِى طَلَبِ الرِّزْ قِ قِيَامِى وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِى

ويروى : ضاق صدرى .

يقول تأكيداً لما تقدم من البيت : ضاق صدرى لما بى من ضيق الرِّزق ، وطال قيامى فى طلب رزقى ، وقلّ قعودى عنه .

٢٣-أَبَدًا أَقْطَعُ البِلَادَ وَنَجْمِى فِى نُحُوسٍ وَهِمَّتِى فِى سُعُودِ

يقول : أنا أَجُوبُ[٣] البلاد أبداً ، ولا أفتر عن السّعى ، لكن نجمى فى نحوس [١٥ - ا] فلا يساعفنى[٤] وهمّتى فى سعود[٥] .

٢٤-وَلَعَلِّى مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَبْـ ـلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ

ويروى : «ولعلى مُبْلغ بَعْضَ ما آمل» ؛ وهذا ظاهر ؛ لأن التَسَلى لم يدخل فى

(١) يذكر صاحب التبيان أن داود هو أول من عمل الدروع مستدلاً بقوله تعالى : (وألنا له الحديد) .

(٢) التنكيد : بمعنى التقليل تؤيده معاجم اللغة .

وقد رأى الواحدى وصاحب التبيان أن المتنبى يقول : إذا قنعت من الدنيا بعيش قد عجل لى نكده وآخر عنى خيره فأين فضلى؟! فإذا لا فضل لى ! .

(٣) ق : «أجرب» تحريف .

(٤) ق : «فلايسا عف نى همة فى السعود» .

(٥) يريد أنه عالى الهمة . دائب السعى . وإن قل حظه من الرزق .

الأمل ، وإنما يدخل في الوصول إلى المأمول ، وعلى الرواية الظاهرة لابُدّ أن يكون مقلوباً ، فيكون راجعاً إلى ما ذكرناه في الرواية الأولى ، ويجوز أن يحمل على ظاهره ويريد أنا راجٍ بعض ما أبلغ من العيش الهنيّ ، والمكان السنيّ ، بلطف الله العزيز الحميد .

٢٥- لسَرِيٍّ لِبَاسُه خَشِنُ الْقُطْـ ـنِ وَمَرْوِيّ مَرْوَ لُبْسُ الْقُرودِ

السريّ : السيد ذو المروءة[1] وقيل : أراد به الممدوح . وإنْ كان ممن يلبس الخشن للزهد والتواضع .

فيقول : إنه سَرِيّ ، لباسه خشن القطن ، وليس فيه ما يوجب الضعة ؛ وإنّ الْمَرْوِيّ[2] : لُبْس القرود والسِّفلة من الناس ، ولم يدل على رفعتهم .

وقيل : أراد بالسَّرِيّ : نفسه وأن لباسه خشن القطن ، لما به من الفاقة ، ثم بين أنه لا يقنع بالمَرْوِي . لأنَّه لباس السِّفلة من الناس . وإنّ همته ترتفع عن[3] الاقتصار على ذلك . بل يريد ما هو[4] فوقه من الثياب الثمينة النفيسة[5] .

٢٦- عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ

خفْق البنود : اضطراب الرايات ، وهي جمع : بَنْد ، وهو العَلَم . يحض نفسه أو صاحبه على طلب العز والعلا ، وينهاه على النزول على الفاقة في الشقاء .

يقول : عش عزيزاً إن أمكنك ، وإلاّ فمت كريماً ، بين المطاعنَة وخفق الرايات ؛ فإنّ من مات بين هذه الأشياء مات عزيزاً ، لبقَاءِ الذكر الحسن بعد موته ، وكلّ هذا للمنْع من الذل ، والحثّ على طلب العلو .

(١) ق : « دو المروءة » ساقطة .

(٢) المروى : ما نسب إلى مرْو . والمراد بذلك ثياب رقاق تنسج بمرو . انظر الواحدى .

(٣) ق : « من » .

(٤) « هو » ساقطة .

(٥) أ ، ب ، ع : « النفيسة » ساقطة .

٢٧- فَرُءُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْغَيْـ ـظِ وَأَشْفَى لِغلّ صَدْرِ الحَقُودِ

بَنَى من أذْهَبَ : أفعل التفضيل وهو لا يأتى إلا[1] من الأفعال الثلاثية المجرَّدَة[2] عن الزيادة ، فإن كان بناؤه من «ذهب» فهو لازم فلابد[3] من الباء للتعدية ، وهو أن يقول : أذْهَبُ بالغيظ ، ذلك رواية . فأما أذْهب للغيظ[4] . فهو محمول على أنه حذف من أذهبت ، ثم بنى بعد رده إلى ثلاثة أحرف (أفعل) ، كقوله تعالى : (أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى)[5] لأنه من أحصيْت .

يقول : إن لم يكن يمكنك أن تعيش عزيزاً ، فمتْ بين طعن القنا ، فإنّه من الأشياء التى تشفى الصدور من الحقد ، أو تُقَتّل ؛ فتستّريح مما كنت فيه من الغيظ والحقد .

وروى أنّه قال : أنا لم أَبْنِ «أَذْهَبُ» من فعل متعدٍّ وإنما قلت : «أذهب بالغيظ»[6] .

٢٨- لاَ كَمَا قَدْ حَيِيتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيدِ

يقول : عش عزيزاً ، أو مُت كريماً . لا كما كنت تحيا غير محمود ، وإذا متّ فى هذه الحالة «متّ غير فقيد» : أى [١٥ - ب] غير مفقود ، لا يعتدّ بك ، ويكون موتك وحياتك واحدة ولا يعرفك أحد فيفقدك ، كأنّه كَانَ قد استعمل الكسل قبل هذه الحالة .

---

(١) ق : «إلا» ساقطة .

(٢) ق : «المجردة» ساقطة .

(٣) : «فلابد» عن ا ، ب ، ع .

(٤) قوله : «أذهب للغيظ» كان حقه أن يقول : أشد إذهاباً ولا يبنى أفعل من الإفعال إلا فى ضرورة الشعر ، ولو قال : «أذهب بالغيظ ، لم يكن ضرورة» لأن فى هذه الحالة (ذهب) لازم فلابد من الباء للتعدية .

(٥) سورة الكهف ١٢/١٨ .

(٦) وعلى ذلك فلم يرتكب ضرورة .

٢٩- فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِى لَظَى وَذَرِ الذُّلْـ ـلَ وَلَوْ كَانَ فِى جِنَانِ الْخُلُودِ

لظى : إذا جعلتها نكرة[١] صرفتها لأنها ليس فيها إلا التأنيث[٢] ، وإن جعلتها اسمًا لجهنم ، وهو المراد هاهنا لم تصرفها : للتعريف والتأنيث .

يقول : اطلب العز ولو كان فى جهنم ، واترك الذل ولا تقبله ولو كان فى جنان الخلد . من قولهم : «النار ولا العار»[٣] .

٣٠- يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يَعْـ ـجِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ الْمَوْلُودِ

٣١- وَيُوَقَّى الْفَتَى الْمِخَشُّ وَقَدْ خَوَّضَ فِى مَاءِ لَبَّةِ الصِّنْدِيدِ

البُخْنُق : خرقة يوقى بها رأس الطفل إذا دُهِن[٤] . والمخش : هو الدخَّالُ فى الأمور[٥] . وروى : «المحش» بالحاء وهو : الذى يوقد الحرب كأنه آلة ذلك . وخوَّضَ : يجوز أن يكون بمعنى خاض ؛ مبالغة فيه كطوَّفَ[٦] ، ويجوز أن يكون متعدّياً ، ومفعوله محذوف ، وتقديره قد خوّض الرمح ، وماء اللّبة : الدم[٧] . والصِّنديد : السيّد الكريم .

---

(١) ق : «نكرة» ساقطة و أ ، ب : «صفة» بدل : «نكرة» .

(٢) ا : «ليس فيها التأنيث» .

(٣) هذا المَثَل ذكر فى كتاب الأمثال المطبوع فى الهند لمؤلف مجهول وفى الوساطة ٣٥١ ولم ينسب . وقال الواحدى : هذا مثل ومبالغة فى طلب العز والتجافى من الذل وإلا فلا عز فى جهنّم ولا ذلّ فى الجنة .

(٤) وذكر الواحدى أن البخنق : خرقة تقنع بها المرأة رأسها أيضًا .وتذكر معاجم اللغة أن البخنق : خرقة تتقنع بها المرأة فتشد طرفيها تحت حنكها .

(٥) جاء فى اللسان . المخش من الرجال : الماضى الجرئ على هول الليل ويقال : هو مخشّ ليل : دخال فى ظلمته . والمحش : موقد نار الحرب ومؤججها والخبير بها .

(٦) ق : «كطرف» تحريف ا : «كظرفه» تحريف أيضًا .

(٧) ق : «وأما اللبة فهى الدم» والمذكور عن سائر النسخ واللبة : أعلى الصدر عند الحلق ، وماؤها : الدم – وهذا ما ذكره الواحدى وغيره ، فقد جاء فى كتب اللغة أن اللبّة : موضع القلادة من العنق .

يقول : يُقتَل العاجزُ الجبانُ مع عجزه عن قطع البُخْنق ، ولا ينفعه الحذر[١] والإحجام عن القتال ، ويصان الرّجل الشجاع الدخّال فى الحرب ، فى حالٍ قد خاض ودخل أوْ أدْخل سِنَان رمحه فى دم الشجاع ومثله للأهتم[٢] :

وَمَا كُلّ من يغشى القتال بميِّت وما كل من يرجو الإياب بسالم[٣]

٣٢-لاَ بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وبِنَفْسِي فَخَرْتُ لاَ بِجُدُودِي

٣٣-وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا دَ وَعَوْذُ الْجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ

يقول : إنّ شرفى بنفسى لا بقومى ، بل هم شرفوا بى ، فإذا فخرت فبنفسى لا بجدودى ؛ لا لعدم فضلهم ، ولكن لزيادة فضلى على فضلهم ؛ وهذا كما قيل « نفس عصامٍ سوّدت عصاما »[٤] ومثله لعلى بن جبلة[٥] .

---

(١) ق : « العذر » .

(٢) هو : عمر بن سنان ، أحد السادات الشعراء الخطباء فى الجاهلية والإسلام ، من أهل نجد ، كان يدعى : المكحّل ، فى شبابه ، أسلم وحسن إسلامه ، ولم يكن فى زمانه أخطب منه ، وهو صاحب البيت المشهور :

لعمرى ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

ولقبه أبوه بـ : « الأهتم » لأن ثنيتيه وقعتا يوم الكلاب .

ترجمته فى المرزبانى ٢١٢ والشعر والشعراء ٢٤٠ والبيان والتبيين ٢٧/١ .

(٣) منسوب له فى الوساطة ٣٥١ والرواية فيه : « ولا كل من يرجو الإياب » .

(٤) عصام : هذا هو صاحب النعمان بن المنذر ، وكان فى مطلع حياته خادماً للملك ، ثم لم يزل يسمو حتى أصبح حاجبه ووزيره وإليه نسبت كلمة : « عصامى » ومعناها الذى يشق طريقه وسط الصعاب والمثل المذكور من قول النابغة فى مدح عصام هذا :

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الكر والإقداما
وصيرتـه بـطلا همامـا حتى علا وجاوز الأقواما

انظر فيما ذكرنا عيون الأخبار ٢٢٧/١ وأمالى الزجاجى ٢٢٣ وكتاب الأمثال لمؤلف مجهول والخزانة ٩٦/٤ ونهاية الأرب ٥٢/٣ والعقد الفريد ٤١١/٣ وفصل المقال فى شرح كتاب الأمثال وديوان النابغة .

(٥) المعروف بـ : « العكوك » . شاعر عراقى من أبناء الشيعة الخرسانية وكان أعمى أبرص . ومن أحسن الناس إنشاداً . وكان الأصمعى يغبطه وهو الذى لقبه بـ : « العكوك » . أى الغليظ =

وما سوّدت عجْلاً مآثِرُ قومهم[١] ولكن بهم سادَتْ على غيرهم عجْلُ[٢]

ثم بيّن أن لقومه فضلا على سائر العرب[٣] ؛ ومع ذلك فهو أفضل منهم ، فقال : وبهم فخر كلّ من نطق الضاد : يعنى أنه فخر كل العرب . لأن الضّاد مختصّة بلغة العرب ، وقيل : المراد أن بهم فخر كل ذى فضل ، والضاد هى التى فى الفضل ، وبيّن أن قومه وجوهٌ بهم[٤] عوذ الجانى : إنه يستعيذ بهم . وبهم غوث الطريد : أى بهم يستغيث المطرود .

٣٤- إنْ أكُنْ مُعْجبًا فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ

المعجِب : المتكبّر. والعُجْب : الاسم منه . والعَجيب : الذى لا نظير له .

يقول : إن تكبّرت بمَا لِيَ من الشّرف ، فَلَيْس إلا لأنى عَجيبٌ ، لا نظير لى فى زمانى ، ولا لأحد مزيداً علىّ[٥] . وقيل : المعجب [١٦ - ا] الذى لم يجد فوقه أحد .

٣٥- أنَا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِى وَسِمَامُ الْعِدَا وغَيْظُ الْحَسُودِ

يذكر فضائله ، ومفاخره ، فيقول : أنا قرين النّدى والسخاء وقادر على الشعر ، والقوافى ، وسمٌّ قاتل لأعدائى وغيظ للحسّاد[٦] ، لِمَا لِيَ مِنَ الرُّتْبة العالية ، والدرجة السامية ، من الفضْل والكمال .

= السمين . استنفد أكثر شعره فى مدح أبى دلف العجلى وقتله المأمون سنة ٢١٣ . ابن خلكان ٣٤٨/١ . والشعر والشعراء ٣٦٠ ونكت الهميان ٢٠٩ والورقة لابن الجراح ١١٣ وطبقات ابن المعتز ١٧١ .

(١) ع : « قومهم » . وفى سائر النسخ : « غيرهم » .

(٢) الوساطة ٣٧٣ ومحاضرات الأدباء ٣٣٤/١ .

(٣) ق : « سائر الناس » .

(٤) ق : « قومه بهم » ع : « وجوده بهم » .

(٥) ا : « ولا أجد لأحد مزية علىّ » .

(٦) ع ، ا ، ب : « وغيظ فى حلوق الحسّاد » .

٣٦– أَنَا فِى أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللّهُ   غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِى ثَمُودِ

قوله : تداركها الله . كقولك : أصلحك الله . وقيل : تداركها الله بالعذاب ، فالأولى دعاء لهم ، والثانية دعاء عليهم .

يقول : أنا فى أمة يُصِيبُنى[1] منهم أذى ، وطبْعِى مخالف لطبعهم ، وهم لا يعلمون محلِّى ، بل يعادوننى فحالى بينهم ، كحال صالح بين ثمود ، وقد قيل : إنه لقّب المتنبى بهذا البيت ، حيث شبه نفسه بصالح .

(٩)

وقال وقد مرّ فى صباه برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يعجبان الناس من كبره فقال[2] لهما :

١ – لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَغِيرُ   أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيعَ الْعَطَبْ

الجرذ : فأر البيت الكبير . المستغير : طالب الغارة[3] ، أو طالب الغيرة[4] وهى الميرة[5] ، و «صريعَ» و «أسيرَ» : نصبا بخبر «أصبح» .

---

(١) أ ، ب ، ع «يصَبِّى» تحريف

(٢) ترتيب مكان هذه القطعة يختلف من مجموعة من النسخ إلى مجموعة ثانية ولكن كل النسخ تتفق فى إثبات هذه القطعة فهى فى ق ، ع ، ح تتفق على وضعها فى هذا المكان وفى ا ، ب بعد القطعة رقم (١٠) :

قد شغل الناس كثرة الأمل   وأنت بالمكرمات فى شغل

ومقدمتها عند الواحدى ١٦ : «وقال فى صباه وقد مر برجلين قد قتلا جرذًا وأبرزاه يعجبان الناس من كبره» وهى عند الواحدى بعد القطعة : «وقيل له وهو فى المكتب ما أحسن هذه الوفرة !» أى رقم (٣) وقبل الأبيات الثلاثة التى هجا بها القاضى الذهبى . التبيان ١/٢٢٠ : «وقال فى صباه وقد رأى جرذا مقتولاً» . الديوان : عدها المحقق من زيادات الديوان . ولم أقف عليها فى الفسر . وفى العرف الطيب ص ٨ .

(٣) الغارة : الهجوم .   (٤) الغيرة : الطعام .   (٥) والميرة : الطعام يجمع للسفر .

يقول : قد أصبح الجرذ الذى كان يغير فى البيوت . أى ينْقل الميرة[١] حليف الهلاك ، صريع الموت .

٢ - رَمَاهُ الكِنَانىّ والعَامِرىّ وتَلاَّهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعربْ[٢]

«تلاّه» : أى ألقياه على وجهه .

يقول :رماه الرجلان وتلاّه على وجهه ، كما تفعل العرب .

٣ - كِلاَ الرَّجُلَيْن اتَّلَى قَتْلَهُ فأيّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلَبْ

«كِلاَ الرجلين» : أى كل واحد منهما . و «اتَّلى» : افتعل من الولاية ، أى ولى كل واحد منهما قتله ، و «حُرَّ السلب» : خالصه . و «غلّ» : أى خان فى الغنيمة .

يسخر منها[٣] ، ويقول : قتلتما هذا الشجاع فأيكما خَان فى سَلَبه[٤] ، ففاز به دون صاحبه ، فإنى لاَ أرى سلبه ظاهراً .

٤ - وَأَيّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ فَإنّ بِهِ عَضَّةً فِى الذَّنَبْ

يقول : أيكما كان من خلفه ؟ فإن به عضة فى ذنبه ، فمن كان خلفه فهو الذى عضه ! يسخر منهما بذلك .

---

(١) ق : « ينقل » ساقطة .

(٢) أ : « وقتلاه للوجه تل العرب » .

(٣) ق : « كأنه يسخر منهما » .

(٤) السّلب : ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه . وحرّه : جيّده . وغلّ : أى خان .

(١٠)

وقال أيضاً فى صباه ارتجالاً وقد أهدى إليه عبيد الله بن[١] خُراسان هديّة فيها سمك من سكّر ، ولوز[٢] فى عسل[٣] :

١ – قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الأَمَلِ وَأَنْتَ بِالْمكْرُمَاتِ فِى شُغُلِ

يقول : إن الناسَ شُغْلهم كثرةُ الأمل . وشغْل الممدوح أبداً المكرمات وإسداء الإحسان[٤] .

٢ – تَمثَّلوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقلُوا لكُنْتَ فِى الْجودِ غَايَةَ الْمَثلِ

يقول : جعل الناسُ[٥] المثل فى الجود لحاتم الطائى ، ولوكانوا عقلاء لجعلوكَ غاية المثل فى الجود ، لأنك[٦] أسخى منه ومن سائر الناس [١٦ – ب] .

٣ – أهْلاً وَسَهْلاً بِمَا بَعَثْتَ بِهِ إِيهًا أَبَا قَاسِمٍ وبالرُّسْلِ

تقديره : أهلاً وسهلاً بمابَعَثْتَ بهِ ، وبالرّسل . إيها أَباقاسم و« إيهًا » : بمعنى كف[٧] .

---

(١) ع : « عبيد الله بن خراسان الطرابلسى » وفى العرف الطيب ١٨ « عبيد الله بن خلكان » ! ! ويغلب على ظنى أنه نقله عن صاحب التبيان فى ١/٣٢٥ .

(٢) ب ، ق : « ولوز وعسل » .

(٣) الواحدى ٣٥ نص المذكور . التبيان ٣/١٧٢ نص المذكور إلا أنه أسقط كلمة « ارتجالاً » . الديوان ١٦ قريب من المذكور .

(٤) ا ، ب ، ع : « والإحسان إليهم » .

(٥) ا ، ب ، ع : « الناس » ساقطة .

(٦) عبارة ب : « لأنه فى الجود دونك » .

(٧) ع : « وإيها : بمعنى كف » ساقطة .

إيهًا بالنصب . أى كف . وإيه بالخفض . الاستزادة من المتكلم . فإذا أردت أن تستزيده قلت : إيه . وإذا أردت أن تكفه قلت : إيهًا .

يقول : كف عن ذلك فقد عجّزتنى[١] عن القيام بشكرك وأثقلتَ ظهرى بمبارّك . واستغنيتُ بما سلف من عطاياك ، فلا حاجة إلى المبالغة .

٤ – هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيهَا إلاَّ رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِى رَجُلِ

يقول : هديّةٌ ما رأيتُ مُهْدِيها ، إلاّ رأيتُ فضائِل الناس فيه مجموعة . فكأنه جميع الناس فى المعنى[٢] ، وهو مأخوذ[٣] من قول الحكَمى :

وليْسَ للهِ بمسْتَنْكَر أن يَجْمَعَ العَالَمَ فى واحِ[٤]

روى : « العباد » و « الأنام » جميعاً[٥] .

٥ – أَقَلّ مَا فى أَقَلِّهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِى بِرْكَةٍ مِنَ الْعَسَلِ

« أقل » : مبتدأ « وسمك » : خبر . و « ما » : بمعنى الذى ، وروى : « يلعب » و « يسبح » .

يقول : أقل ما فى أقل هذه الهدايا[٦] : سمك من اللّوز والسكر ، فى حوضٍ من العسل ، يشير إلى أن ذلك إذا كان أقل الأقل فكيف يكون ما هو أجَلّ الأجل والأفضل[٧] ؟ !.

---

(١) ب : « أعجزتنى » .

(٢) عبارة ق : « فضائل الناس مجموعة . فكأنه جمع الناس فى المعنى » .

(٣) ا ، ب ، ع : « وقد أخذه » .

(٤) ديوانه ٢٥٤ والرواية فيه تطابق رواية الشارح تماماً . وكذلك فى عيون الأخبار ١ ٢٢٧ ودلائل الإعجاز ١٣٠ و ٢٧٥ و ٢٧٨ . وزهر الآداب ١٠٢/٤ . وأخبار أبى تمام للصولى ١٤٨ وأهيل الغريب ٢٥٤ و ٣٢٠ . وحلبة الكميت ٢٧ . ومحاضرات الأدباء ٢٩٨/١ . والرواية فيه : « وليس على الله بمستنكر » . والإبانة ٥٢ وروايتها : « وما على الله بمستنكر » . وتلخيص القزوينى ٤١٩ وخاص الخاص ١١١ .

(٥) ع : « روى العباد والأنام جميعاً » زيادة عن سائر النسخ . وساقطة من ق .

(٦) ق : « أقل ما فى هذه الهدايا » والمذكور عن ا ، ع .

(٧) ق : « ما هو الأجل والأفضل » وما ذكر عن ا ، ع .

٦ – كَيْفَ أُكَافِى عَلَى أَجَلِّ يَدٍ مَنْ لاَ يَرَى أَنَّها يدٌ قِبَلِى ؟!

أكافى : أصله الهمز فخففه . وروىَ : «أجازى» . ولا همز فيه .

يقول : كيف أجازى على أجل نعمة له[1] عندى ، وهو يستصغر العظيم من أياديه ، ولا يَعْتَدّ بها ، ولا يراها نعمة عندى ، فلا يمكننى القيام بشكره .

(١١)

وكتب إلى عبيد الله بن خراسان فى الطيفورية وقد رد الجامة[2] وكتب على جوانبها بالزعفرانَ[3] :

١ – أَقْصِر فَلَسْتَ بِزَائِدى وُدًّا بَلَغَ الْمَدَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَّا

أقْصِر : أى أَمْسك عن الإهْدَاء ، [وفاعل] بلغ المدى وتجاوز الحدّ : ضمير الوُدّ[4] .

يقول : أقصر عن الإهداء فلست تزيدنى ودًّا بزيادة الهدية ، فإنّ ودّك عندى قد بلغ المدى وتجاوز الحدّ[5] ، فلا مزيد عليه ؛ والأصل فيه الحديث : «جُبِلت

---

(١) ق : «أجل نعمة لى عندى» .

(٢) الجامة : صنية أو شبهها يقدم عليها طعام أو فاكهة أو شراب ، تكون من فضة أو غيرها .

(٣) المذكور عن أ : و ب : «وكتب إليه فيها بالزعفران فقال» . ع : «فرد الجامة وكتب إليه فيها بالزعفران فقال» . ق : «وكتب إليه أيضًا» الواحدى ٢٦ «وكتب إليه أيضًا على جوانب الجام بالزعفران» . التبيان ٣٢٥/١ «وأهدى إليه عبد الله بن خلكان ؟؟ هديه فيها سمك من سكر ولوز فى عسل ، فرد إليه الجام وكتب عليه هذه الأبيات» . الديوان ١٦ «وله أيضًا وقد أنفذ إليه عبيد الله ابن خراسان جامة فيها حلوى فردها وكتب فى جانبها .

(٤) ا : «بلغ المد وتجاوز الحد» وفى جميع النسخ : «بلغ الحد وتجاوز ضمير الود» .

(٥) ا ، ق ، ع : «الحد» ساقطة .

القُلُوبُ على حبّ مَنْ أَحْسَن إِلَيْهَا »[١] .

٢ - أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً حَمْدًا

الهاء فى «أرسلتها» و«رددتها» للجامة ، التى فيها الحلواء ، ونصب «كرمًا» و«حمدًا» على التمييز .

يقول : بعثت بالجامة مملوءة كرماً فرددتها مملوءة حمداً ؛ وذلك أنه كان كتب بهذه الأبيات فى جوانب الجامة[٢] وفيها حمد الممدوح .

٣ - جاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهِىَ فَارِغَةٌ مَثْنَى به وتظُنُّهَا فَرْدَا

الطَّفْح : الارتفاع ، والامتلاء .

يقول : جاءتك هذه الجامة فارغة من الحلاوة ، وهى مع ذلك ممتلئة مِنْ حَمْدك ، فأنت تظن الجامة فرداً وهى قد انْضَمَّ إليها هذه الأبيات فهى مثنى بها : أى الأبيات[٣] ، وروى : «مثنى به» : أى بالحمد .

٤ - تَأْبى خلائِقُكَ الَّتِى شَرُفَتْ أَلاَّ تَحِنُّ[٤] وتَذْكُرُ الْعَهْدَا

يقول : إن أخلاقك الشريفة تمتنع وتكره أن [لا] تشتاق إلى مثل صَنيعك فى إنفاذ الهدية [١٧ - ا] وألا تذكر العهد بإنفاذ الهديّة ، فكأنّه يستعيد مثل هذه الهدية التى بعث بها إليه .

وقيل : ألا تحن إلى أصدقائك .

(١) الشرح الصغير ١٣١ عن أبى نعيم فى حلية الأولياء والبيهقى فى شعب الإيمان ، وابن عدى فى الكامل .

(٢) ا : «وذلك ... الجامة» ساقط .

(٣) ق : «فهى ... الأبيات» ساقط انتقال نظر .

(٤) : «أن لاتحن» : أن هاهنا هى المخففة من الثقيلة . ودخلت ألا . لتفصل بينها وبين الفعل . فلهذا رفع : «تحن» و : «تذكر» وروى : «أن لاتحنَّ وتذكرَ» بالنصب . وجعلوا : «أن» هى الناصبة ولم يعتدوا : «بلا» .

٥ - لَوْ كُنْتَ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهرًا كُنْتَ الرَّبِيعَ وكَانَتِ الْوَرْدَا

التاء فى «كانت» : ضمير الهديّة . وقيل : ضمير الخلائق .

يقول : لو كنت زَمَنا من الأَزْمان لكنت أطيبها وهو الرّبيع . وكانت هديتك التى بعثت بها ، وخلائقك الشريفة كالورد ، فى فضْله على سائِر الأزهار ، كفضل الربيع على سائِر الأعصار .

(١٢)

وقال أيضاً يمدح عبيدَ الله بن خراسان وابْنيه[١]

١ - أَظَبْيَةَ الْوَحْشِ لَوْلاَ ظَبْيَةُ الأَنَسِ لَمَّا غَدَوْتُ بِجَدٍّ فِى الْهَوَى تَعِسِ

الأَنَس والإِنْس : واحد ، وهو جمع أَنَسى وإِنْسى[٢] والألف : حرف النِّداء ، والتَّعس : العثور[٣] :

يقول مخاطباً للظبية الوحشيّة : لولا الظبية الأنسية لما غدوتُ إِلَى المنزل الذى كنت فيه ، وارتحلت عنها ، بِجَدٍّ عَثُورٍ فى هواك[٤] .

وخاطب الوحشيّة لشبهها بالأنسيّة . أو لأنّ الموضع صار مألفاً للوحش . أو ليدلّ على أن الوحش يألفه بملازمة الفلوات .

---

(١) ا . ب : «وقال يمدح عبيد الله بن خراسان وابنيه» . ق . خ : «وقال أيضًا» . ع نص المثت . الواحدى ٨٨ : «وقال يمدح عبيد الله بن خراسان الطرابلسى» . التبيان ١٨٥/٢ : «وقال يمدح عبيد الله بن خراسان الطرابلسى» . الديوان ١٧ : «وقال فيه أيضًا» .

(٢) الأنس والإنس : البشر . الواحد : إنسى وأنسى بالتحريك . وهو مصدر أنست بالكسر أنسًا وأنسة . ويجوز فيه الفتح أَنَسَ به أُنسا . انظر اللسان .

(٣) التعس : فسره الواحدى وتبعه صاحب التبيان بـ : «الهلاك» وكلا المعنيين جاء بهما اللسان . ولعل ما قاله الشارح أقرب إلى المراد .

(٤) يقول : لولا مشبهتك من الإنس لما كان حظى فى الهوى مشئوما .

٢ - وَلاَ سَقَيْتُ الثَّرَى والْمُزْنَ مُخْلِفُهُ دَمْعًا يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفَسى

اللّوعة : شدة الحزن . والمزن : السحاب الأبيض . والثّرى : التراب . ومخْلفة : من أخلف البرق ، إذا لم يمطر .

يقول : لولا الظبية الأنسية لكنت لا أسقِى ثرى ربْعَها دمعى ، فى حال تخلّف السحاب فلا يسقيه ، ثم بيّن حرارة نفسه بأنه لحرارته كان ينشّف[1] ما يبل الأرض من دموعه ، وهو من قول الآخر :

لَوْلاَ الدُّمُوعُ وفَيْضُهن لأَحرَقَتْ أَرْضَ الْوداع حَرارَةُ الأكْبادِ[2]

٣ - وَلاَ وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسْىَ ثَالِثةٍ ذِى أَرْسُمٍ دُرُسٍ فِى الأَرْسُمِ الدُّرُسِ

تقديره : ولا وقفت مُسْىَ[3] ثالثةٍ بجسم ذى أرسم دُرُس .

يقول:لولا الظّبية الأنْسية ، لكنت لا أقف فى رُسُوم دار هذه المحبوبة الدّارسة ثلاثة أيام ولياليها ، حتى يصير آخر وقوفى وقت العشيّة من الليلة الثالثة ، من أول وقوفى ، بجسمٍ ذى أرسم دارسة : نَحِيلٌ شبيه بالأرسم الدارسة من منزل المحبوبة ، ويكون المراد «بمُسْى ثَالِثة» تقديره أيام وقوفه عليها .

قال ابن جنى : ولا يجوز أن يريد به أنه وقف بعد ثلاثة أيام من غيبوبتها عن الدار ، لأنها لا تصير دارسة بثلاثة أيام[4] .

وقيل : إنّ ذلك أيضاً جائز ، لأنّ ديار الأعراب لا تكاد تسلم من الدروس

---

(١) ق : بياض مكان «كان ينشف» .

(٢) غير منسوب فى التبيان ٢/١٨٦ .

(٣) المسى ، والمساء ، واحد ، كالصبح والصباح . والرسم : الأثر ، وجمعه أرسم . والدّارس : جمع دراسة ودارس . الواحدى ٩ وتبعه التبيان ٢/١٨٦ .

(٤) هكذا نص رواية الواحدى ٨٩ عن ابن جنى : قال ابن جنى : وقفت عليها ثلاثة أيام بلياليها يسائلها ، ولم يرد بعد ثلاثة أيام من فراق أهلها ، لأن الدار لا تدرس بعد ثلاثة أيام ، والمعنى أنه وقف عليها ثلاثة أيام .

لأوَّل ريح تهب فتسفى عليها التراب من جهة ، وتَطُمّ آثارها ، وإن وَافقَها مطرٌ كان دروسها أَدْعَى[١] .

٤ – صَرِيعَ مُقْلَتِهَا سَئَّال دِمْنَتِهَا قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكِ الْجَفْنِ واللَّعَس

« صريعَ » و« سئّال » و« قتيلَ » : منصوبة على الحال ، من «وقفت» ، والدِّمنة : ما اسودّ من آثار الدّار [١٧ – ب] كالأثافى ونحوها ، واللَّعس : حمرةٌ فى الشفة تَضْرب[٢] إلى سواد ، فَوْق اللَّمَى[٣] .

يقول : ظبية الإنس لمّا وقفتُ صريعَ مقلتها سائلاً آثارَ دارها متعلّلا بذلك ، قتيل تفتير أجفانها وقتيل اللَّعَس الذى فى شفتيها[٤] .

٥ – خَرِيدَةٌ لَوْ رَأَتْها الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ وَلَوْ رآهَا قَضِيبُ الْبَانِ لَمْ يَمِسِ

الخريدة : الجارية الناعمة . وقيل : الحيِيَّة . ولم يَمِس : أى لم يَتَبَخْتَر .

يقول : هى جارية ناعمة حيِيّة حَسنة معتدلة القامة ، لو رأتها الشمس ما طلعت ، خجلاً من وجهها ، وإنها وإن طلعت[٥] فكأنها لم تطلع ؛ من حيث لا يبين نورها لنور هذه الظبية الأنسية ، ولو رآها غصن البان لَمَا تَبَخْتَر[٦] ؛ خجلاً من اعتدال قامتها .

٦ – مَا ضَاقَ قَبْلَكِ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَإٍ وَلاَ سَمِعْتُ بِدِيبَاجٍ عَلَى كَنَس

الرشأ : الغزال . والكَنَس : بَيْت الظبى[٧] . وروى على كَنِس . وهو صفة

(١) فى النسخ : « أوحى » .
(٢) ب : « تضرب » ساقطة .
(٣) عبارة التبيان . « أقوى من اللمى » والواحدى « مثل اللمى » .
(٤) ق « اللعس التى فى شفتها » واللعس : سمرة الشفة . اللسان .
(٥) ا : « أو إنها إن طلعت » .
(٦) ا . ب . ع : « لايبين نورها لنور وجهها . ولو رآها غصن البان لم يتبختر » .
(٧) ق : « بنت الظبى » تحريف والمذكور تؤيده كتب اللغة .

الظبي ، أي ذي كَنِس .

يقول : مارئى(١) خلخال على غزال ، ولورئى(١) لكان لا يضيق عليه ؛ لأن رجله دقيقة ، ولا سمعت بديباج فوق كِنَاس ، وهذه الظبية الأنسيّة ضاق عليها الخلخال ، وغُشِّى بيتُها الذى هو الهودج بالديباج(٢) وهذا من قول الشاعر :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاها وَجِيدُكِ جِيدُهَا سِوَى أَنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكِ دَقِيقُ(٣)

٧ - إنْ تَرمِنِى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ تَرْمِ امرأً غَيْرَ رِعْدِيدٍ وَلاَ نِكِسِ(٤)

النكبات : جمع نكبة وهى المحْنة ، وعن كثَب : أى عن قرب . والرعديد : الجبان . والنِّكِس : الساقط الخامل(٥) .

يقول : إن ترمنى محن الزمان من قرب . فقد رَمَتْ امرأً غيْر جبان ، ولا ضعيف ساقط ، يوهنه رميها .

٨ - يَفْدِى بَنِيكَ عُبَيْدَ اللهِ حَاسِدُهُم بِجَبْهَةِ العَيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ

يقول : يا عُبَيْد الله ، حاسد بَنِيكَ صار فداءً لهم ، على وجه الدعاء . ثم قال : «بجبهة الْعير(٦) يفْدى حَافِرُ الفَرس» : أراد به أنهم كرام وحسّادهم لِئام ، فهم فداء

---

(١) ق : «ماروى» .

(٢) ق : «بالديباج» ساقطة .

(٣) نسب هذا البيت إلى مجنون ليلى : قيس بن الملوح فى ديوانه ٢٠٧ ، والكامل ٥٠٩ ، وخزانة الأدب ٥٩٥/٤ ، والتبيان ٢٤٤/١ .

(٤) قال ابن القطاع : أنشد هذا البيت كل من روى شعره فقالوا : «نَكَس» بفتح النون . وهو خطأ محض ؛ لأن أصل الكلمة «نِكْس» وهو اللئيم من الرجال . وأبو الطيب لما احتاج إلى حركة الكاف ليقيم بها الوزن حرّكها بالكسر . التبيان ١٨٨/٢ وقال الواحدى : ولم أر «النِّكس» بمعنى «النِّكس» إلا فى هذا البيت . ص ٩٠ .

(٥) : «الخامل» من أ ، ب .

(٦) العير : المراد به الحمار .

لهم ، كما يفدّى حافر الفرس ، وهو أحسن خِلْقةً بجبهة العير . وهى : أى الجبهة أعلى الأعضاء[١] .

وقيل : جعل أبناء الممدوح منه ، بمنزلة الحافر من الفرس ، وجعل الممدوح بمنزلة أعلى الفرس ، وجعل حسّاد أبنائه بمنزلة جبهة الحمار ، من سائِر الحساد الذين هم كالحُمُر ، فجعل أعلى الأشياء من الحساد فداء لأدْنى الأشياء من الممدوح ، لأن الابن بإضافة الأب إليه بهذه المنزلة ، وهما كما يقال للشىء الخسيس : فداء للشىء النفيس[٢] وكبار هؤلاء القوم ، فداء لصغار قومك ، وأشباه ذلك .

٩ - أبا الغَطَارِفةِ الْحَامِينَ جَارَهُمُ   وَتَارِكِى اللَّيْثَ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَرِسِ

أبا الغَطارفة : منصوب لأنه منادى مضاف ، أو لأنّه بدل من « عبيد الله » أو يكون نصْباً على المدح ، والغَطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد ، والمفترس ، والصائِل .

يقول : يا أبا [١٨ - ا] السّادة الذين يحمون جارهم ويتركون الليث غير مفترس ، مثل الكلب . والافتراس نعت الليث ، ويجوز أن يريد : وتاركى الليث ككلب عاجز عن الصيد[٣] .

١٠- مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ[٤] وَضَّاحٍ عِمَامَتُه   كَأَنَّمَا اشْتَمَلَتْ نُورًا عَلَى قَبَس

القبس : الشُّعلة من النار .

يقول : كل واحد من بَنِيه أبيض وضّاح أى وَاضح الجبهة[٥] وتم الكلام

---

(١) ا ، ب ، ع : « حافر الفرس وهو أحسن خلقة . بجبهة العير ، وهو أعلى عظم أعضائه » . ق : « يفدى حافر الفرس بجبهة العير وهو أحسن خلقة » .

(٢) ق : « كما يقال للشىء النفيس فداء للشىء النفيس » .

(٣) ا : « كالكلب العاجز عن الصيد » . ق : « ككلب عن الصيد » .

(٤) أبيض : المراد به الكريم . الواحدى .

(٥) ق : « الجبهة » مكانها بياض والتكملة من سائر النسخ .

هاهنا ، ثم استأنف فقال : عمامتُه : أى عمامة كلّ واحد منهم ، كأنها مشتملة على شعلة من النّار ، ونصب «نورًا» على التمييز.

١١- دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٍّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ أَغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٍّ لَيِّنٍ شَرِسِ

«دانٍ» : أى قريب . أى هو دانٍ مِمَّن يقصده لا يحتجب عنه ، أو مِنْ أوليائِه ، أو مِن فعْل الخير ، أو أنّه متواضع . «بَعيدٍ» : ممن ينازعه الكرم ، أو عن النقص ، أو من حيث المحل ، أو عن إتيان ما لا يحلّ . «محبّ» : أى يحبّ البذْل ، للأولياء وأهل الفضل[1] ، «مبْغِض» : أى للبخل ، أوْ لأهل النقص واللؤم . «بَهِجٍ» : أى فرِحٍ عند سؤال السائِل إيّاه وأفضاله عليه «أَغَرَّ» : أىْ أبيض منير الوجه «حُلْو» : أى حلْوٌ لأوليائِه ، أو فى مجالس الأنس[2] «مُمِرّ»[3] : أى على أعدائِه . أو فى موْقف الحرْب والجدال . «لَيِّن» : أى ليّن الجانب لأوليائِه ، ومن يستعين به . «شَرِس» : أى سيّىء الخلق مع منْ لاَ يطيعه .

١٢- نَدٍ ، أبِىٍّ ، غَرٍ ، وَافٍ ، أَخٍ[4] ، ثِقَةٍ ،
جَعْدٍ ، سَرِيٍّ ، نَهٍ ، نَدْبٍ ، رِضًى ، نَدُسِ

«ندٍ» : أى سخىّ. «أبىٌّ» : أى ممتنع ، من فعل الأمور الدنيئة ، أوأبىّ الضيم. «غَرٍ» : أى مولع باقتناء المكارم. يقال : غَرِىَ بكذا فهو غَرٍ. «وافٍ» : أى بالعهد . «أخٍ» : لمصافاته مع الأصدقاء يطلق عليه اسم الأخ «ثقة» : أى موثوق به وبإخائِه ويروى «أخِى ثِقَةٍ» فيكون على هذا مصدراً ، أى صاحب ثقة «جَعْد» : أى ماضٍ فى الأمور ، خفيف النّفس . ويقال : الجعد ، إذا أطلق أريد به السّخِىّ ، وإذا قيِّد فقيل : جعد اليدين ، فهو البخيل . «سرىّ» : أى سيِّد

---

(١) ع : «محب : أى ليدل الأولياء وأهل الفضل» تحريف .

(٢) ا : «الخير» ب ، ع : «الشرب» .

(٣) ممرّ : أى مُرّ. يقال أمرَّ الشيءُ : إذا صار مرًّا .

(٤) ق ، ع ، خ : «أخى ثقة» .

رفيع المنزلة ، من السَّرْو[١] وهو الارتفاع «نَهٍ» : أى عاقل ، من النُّهى . «نَدْب» : أى خفيف فى الأمور ، وقيل : سريع الاهتمام . «رِضًى» : أى مَرْضى . «نَدْس» : أى بحّاث عن الأمور عارفٌ بها .

١٣–لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْه مَاءُ غَادِيةٍ   عَزَّ الْقَطَا فِى الْفَيَافِى مَوْضِعُ الْيَبَسِ

«الغادية» : السحابة التى تأتى فى الغداة[٢] . و«موضع اليبس» : فاعل «عزّ» . و«القطا» : مفعوله . فيكون «عزّ» من قولهم : عَزَّه يعزه إذَا غَلَب .

يقول : لو كان ما يفيض من يديه ماء سحابة[٣] لعم الدنيا كلها ؛ حتى لا يجد القطا موضعاً يابساً يلتقط منه الحب ، أو ينام فيه وعزّ اليَبْس وغلبه ، بامتناعه عليه ، فهو يطْلبه ولا يجده ، وتحقيق المعنى : غلب القطا وجودُ موضع اليبس وهو من باب إضافة المنعوت إلى النعت[٤] .

١٤–أَكَارِمٌ حَسَدَ الأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ   وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ

[١٨–ب]أَنَّثَ «قصّرت» وإن كان فعل «كل» لأنه أراد جماعة الأمصار.

يقول : هؤلاء السادة الذين تقدّم ذكرهم وهو قوله : «أبا الغطارفة» . وقوله : «أكارم» : جمع أكرم . حسدت السماءُ الأرضَ لكونهم عليها وصارت كل بلدة قاصرة عن طرابُلُس[٥] لكونهم فيها دون غيرها . وروى : «وقصّرَتْ كلَّ مصْر» بفتح اللام فيكون فى تقديره وجهان :

---

(١) ب : «من الشرف» وهى من معانى : «سرىَ» أيضًا إذ يقال : سرو يسرى سروا فهو سرى : إذا صار شريفًا .

(٢) ا ، ب ، ع : «بالغداة» .

(٣) ا ، ب ، ع ، خ : «لوكان مايفيض من يديه من عطاياه ماء سحابة لتعذر على القطا فى الفلوات موضع يابس يقع عليه» وإلى هنا ينتهى الشرح فى هذه النسخ .

(٤) ق: «من باب نقل المنعوت إلى النعت» .

(٥) طرابلس : بلد الممدوح وهى المعروفة الآن من بلاد الشام بالساحل .

أحدهما : أن السماء قصّرت البلدان عن هذه البلد ، لمكانهم فيه .

والثانى : أنها راجعة إلى قوله : «أكارم»[1] وهو جمع ، وكأنهم قصروا كل مصر عن بلدتهم .

١٥-أَيُّ الْمُلُوكِ وَهُمْ قَصْدِي ، أُحَاذِرُهُ وَأَيُّ قِرْنٍ وَهُمْ سَيْفِي وهُمْ تُرْسِي ؟

قصدى : أى مقصودى .

يقول أىُّ ملك أحاذره وهم مقصودى ، وأىُّ منازع لى أخشاه وهم سيْفى ، أمْضيه فيه ، وترسى الذى أحرس نفسى بهم ، وهو من قول البحترى[2] .

وإنى امرء أخشى الأعادى ودونه جناب ابن عمرو والرِّمَاح الذّوائِد[3]

(١٣)

وقال أيضاً فى صباه لصديق يودعه : وهو عبد الرازق بن أبى الفرج[4] :

١ - أَحَبَبْتُ بِرَّكَ إِذْ أَرَدْتَ رَحِيلاَ فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلاً

يقول : أحببت أن أبرّك بمبرّة عند ارتحالى عنك ، فوجدتُ كلَّ جليلٍ قدرتُ عليه قليلاً عن قدْرك ، قاصراً عن محلّك ، وظاهره أنه مدح على ما ذكرنا . وقيل :

---

(١) ق : «أركارم» تحريف .

(٢) هو : أبو عبيدة الوليد بن عبيد الطائى الشاعر المشهور ، ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ وتنقل فى قبائل طيئ وغيرها من البدو والضاربين فى شواطئ الفرات واتصل بالمتوكل ، والفتح بن خاقان حتى قتلا ومات سنة ٢٨٤ هـ . له تصرف فى فنون الشعر سوى الهجاء .

(٣) لعله من فائت الديوان فلم أعثر عليه فيه ، وفى ا معنى الذوائد : الموانع .

(٤) ق : «وقال أيضا فى صباه لصديق له» ، والمذكور عن سائر النسخ والديوان و ا : «عبد الرازق بن أبى الفتح» وما ذكرناه يوافق ما فى سائر النسخ . الواحدى ٩٢ : «وقال فى صباه لصديق له وأراد سفرًا» . التبيان ١٧٨/٣ : «وقال لصديق له فى صباه» . الديوان ١٢ نص المذكور فى مقدمة الشارح .

إنه هجاء ، وأراد : أحببتُ برّك بي وإحسانك إليّ فوجدتُ كثيره قليلاً . والأَوْلى أنه مدح .

٢ - وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ صَبٌّ إِلَيْهَا بُكْرَةً وَأَصِيلاَ

يقول : قد علمتُ أنك راغبٌ فى اقتناء المكارم ، مشتاق إليها . «بُكْرَةً وأَصيلاً» : أى ليلاً ونهاراً[1] ، فلم أر الامتناع عن الإهْدَاء صواباً .

٣ - فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرْفَهَا التَّأْمِيلاَ

يقول : فكرت فيما أهديه إليك ، فلم أر شيئاً يقع عند قدرك ، فجعلت هديتى إليك المدح الذى تعلمته منك ، ومن صفاتك ، فجعلته هديَّة منى إليك ، بعد ما كان هديّة منك إليّ . ويمكن أن يكون المراد : بعثت إليك بعض ما أهديته إليّ[2] من الأموال فأهديته إليك . وقد أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومى : [3]

أيّ شيء أهدى إليك وَفى وجْـ ـهك مِنْ كلّ ما تهوى القلوب ومَعْنَى
منك ياجنَّة النَّعيمِ الْهدَايَا أَوْ أَهْدِى إِلَيْكَ ما مِنْك يُجْنَى[4] ؟!

إلا أنه أخبر أنّه أهْدَى ، وابن الرومى قال : «أو أهدى» ؟!

ويحتمل أن يكون مراده : جعلتُ ما تريد إهداءه إليّ عند ارتحالى عنك منّى إليك ، أى أسألك أن تمسك عنه ، فتجعل إمساكك عنه بمنزلة إهدائى إليك . وقوله : «وظرفها التأميلا» : أى جعلتُ تأميلى إيّاك قبول هذه الهديّة ظرفا لهذه الهدية ومشتملاً عليه ، فجعل الأمل كالظرف له . هذا ما ذكره ابن جنى .

(١) البكرة : أول النهار ، والأصيل : آخره .

(٢) ق من : «ويمكن .... إليّ» ساقطة انتقال نظر .

(٣) هو : أبو الحسن على بن العباس ، صاحب النظم العجيب الغريب . كان إذا أخذ المعنى يظل يستقصى فيه حتى لا يدع فيه بقية ولا فضلة ، ومعانيه غريبة جيدة . ولد سنة ٢٢١ وتوفى سنة ٢٨٣ . ابن خلكان . معاهد التنصيص ١٠٨/١ .

(٤) انظر المثل السائر ١١/٢ تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد .

وقال غيره : إنه لما أراد ارتحاله عنه واستقل كل هدية يبعثها إلى الممدوح [١٩ – ا] جعل قبوله الهدية ، هدية منه إليه ؛ لعلمه أن الممدوح ممن يُسَرُّ بقبول المتنبى هديته ، سرورَ من أُهدى إليه الهدية ، وقوله : «وظرفها التأميلا» : أراد به أن الأمل مشتمل على هذه الهدية ومحيط بها كإحاطة الظرف بالهدية .

٤ – بِرٌّ يَخِفُّ علَى يَدَيْكَ قَبُولُهُ وَيَكُونُ مَحْمِلُهُ علىَّ ثَقِيلاَ

معناه على تأويل الأول : أنه لا كُلْفة[١] علىّ فيما أهديتُه إليك[٢] لأنى لم أتكلّف منه شيئاً ، وإنما هو منك عاد إليك ، ويكون تحمّل شكرك على قبوله ثقيلاً علىّ[٣] :

وعلى المعنى الآخر الذى ذكره ابن جنى : أنكَ إذا أمسكتَ عن إهداء ما عزمتَ عليه فلا نقص عليكَ ؛ لأنى على كل حالٍ لم أعطك شيئاً من عندى وإنما هو مالك تركته لك[٤] .

وقيل : إنما مدحى إليك برٌّ خَفِيف ، على يديك قبوله لجلالتك ، وقصوره عن محمله : «علىّ ثقيلاً» : لعظم شأن قبولك لمدحى وصغر شأنه بالنسبة إليك .

(١) ق : « أن لا أكلفه » تحريف .

(٢) ق : « إليه » .

(٣) عبارة ق : « ويحتمل أن يكون شكرك بقبوله ثقيلاً علىّ » .

(٤) ب : « وإنما هو منك تركته برًّا لك » .

(١٤)

وقال أيضا وقد حلف عليه صديقٌ ليشربنَّ كأسًا بيده فأخذه وقال[١] :

١ – وَأَخٌ لَنَا بَعَثَ الطَّلَاقَ أَلِيَّةً لَأُعَلِّلَنَّ[٢] بِهٰذِهِ الْخُرْطُومِ
٢ – فَجَعَلْتُ رَدِّى عِرْسَه كَفَّارَةً عن شربها وَشَرِبْتُ غيْرَ أَثِيمِ

« الْخُرْطُوم » : اسم[٣] الخمر .

يقول : لمَّا حَلَفَ بالطَّلاق أن أشرب هذا الخمر شربت غير أثيم ؛ وجعلت كفَّارة شربى لها ، رَدِّى عليه امرأته ؛ كراهةَ أن يحنث فى يمينه !

(١٥)

وقال أيضاً فى صباه[٤] ارتجالا – وقد أصابهم المطر والريح – يهجو رجلا يقال له سوار :

١ – بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ وَأَنْضَاءُ أَسْفَارٍ كَشَرْبِ عُقَارِ

(١) ب : مقدمة القطعة ساقطة . ق : « وقال ومد يده إليه بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها » أ : « وحلف صديق عليه ليشربن كأسا بيده فأخذها وقال » . ع المثبت عنها . الواحدى ٨٨ : « وقال وقد مد إليه إنسان بكأس وحَلف بالطلاق ليشربنّها » . التبيان ٤٦/٤ نص ما فى الواحدى . الديوان ٥٢ : « وحلف أحد جلسائه عليه بالطلاق ليشربن الخمر فأخذها وقال » .

ويلاحظ أن ترتيب هذه القطعة غير الترتيب عند الواحدى والديوان . وأيضًا فإن ترتيبها فى الديوان يختلف عن الواحدى .

(٢) الألية : القَسَم ، والجمع ألايا ، والعلل : السقى مرة بعد أخرى .

(٣) ا ، ب ، ع : « اسم » ساقطة . والخرطوم : الخمر السريعة الإسكار . اللسان .

(٤) ب : العنوان غير مذكور . ق : « وقال أيضًا فى صباه » . الواحدى ٣٧ : « وقال فى اللجون ارتجالاً ، وقد أصابهم مطر وريح » ولعل اللجون : موضع . التبيان ١١٤/٢ : « وقال يهجو سوارًا . وقد نزلوا منزلاً أصابهم فيه مطر وريح » . الديوان ١٩ : « وقال يهجو سوارًا الرملىّ » . وهذه القطعة فى الواحدى والديوان مقدمة عن موقعها هنا .

آذنوا : أى أعلموا . و « الأنضاء » : جمع نِضْو[١] . وهو البعير المهزول . وأضافها إلى الأسفار ، ليُعْلِمَ إنّما أنْحلَها كثرةُ الأسفار . والشَّرْب : جمع شارب . والعُقار : الخمر .

يقول : نحن بقيةُ قوم قد هلك أكثرهم وآذنوا بالهلاك ، وبقينا نحن على شرف الهلاك[٢] ونحن أنضاء أسفار ، كأنهم من تساقطهم جماعةٌ شربوا الخمر ، فصاروا سكارى . ويجوز أن يكون الأنضاء صفة لداوبِّهم وإبلهم فيقول : ونحن على دوابٍّ قد أهزلها كثرة الأسفار[٣] ، حتى صارت كذلك[٤] .

٢ - نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَاحِ بِمَسْجِدٍ عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبَا حصًى وَغُبَارِ

ثوبا : تثنية ثوب ؛ لإضافته إلى الحصا والغبار .

ويروى : « بمشهد » : مكان « بمسجد »[٥] .

٣ - خَلِيلَىَّ مَا هَذَا مُنَاخًا لِمِثْلِنَا فَشُدَّا عَلَيْهَا وَارْحَلاَ بِنَهارِ

الهاء فى « عليها » : ترجع إلى أنضاء الأسْفار ؛ إذا جعلناها دوابّ .

فيقول مخاطباً لصاحبه : ليس هذا المسجد مناخاً لمثلنا ، فشُدَّ على الدواب رحالَها ، وسروجَها ، « وارْحَلاَ بِنَهار » ، قبل اجْتِنَانِ[٦] الليل فيصعب الارتحال ،

---

(١) فى النسخ : « والأنضاء : جمع نضوة » والتصويب عن الواحدى . وقال : النضو : المهزول من الناس والإبل .

(٢) ا : « وبقينا نحن على شرف الهلاك » ساقطة .

(٣) ع : « أضناها كثرة الأسفار » ب : « أنضاها كثرة الأسفار » .

(٤) الواحدى ٣٧ والتبيان ٢/١٠١ . يقول : « نحن بقية قوم علموا بالهلاك ، فأعلم بعضهم بعضًا بأنهم هالكون ، ونحن مهازيل لاحراك بنا من الجهد والتعب ، كأننا سكارى » .

(٥) ق : « ويروى . . .. بمسجد » ساقطة ، والمعنى : أن الرياح تحكمت فينا بهذا المكان حتى سترتنا بالحصى والغبار .

(٦) ا ، ب ، ع : « أجفان » تحريف .

ويحتمل أن يكون الكناية فى «عليها» للرياح كأنه قال : شدا على الرياح أو على دواب كالرياح[1] سرعة .

٤ - وَلاَ تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَاحِ فَإِنَّهَا   قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ

يقول : لا تُنكِرَا شدّة هبوب الرياح فى هذا المكان ؛ لأنها طعام كلّ ضيفٍ بات عند هذا الرجل الذى اسمه سِوار ، فإن ذلك عادته لضيوفه فليس هذا بمستنكر منه . وقيل : سَوار . أى سَوارى المسجد ، أو سَوارى الأمطار[2] . والأوّل أوْلى وأظهر[3] .

(١٦)

وقال أيضاً فى صباه يمدح أبا المنتصر : شجاع بن محمد بن الرضا الأزدى[4] :

١ - أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِيَ يَأْرَقُ   وَجَوًى يَزِيدُ وعَبرةٌ تَتَرَقْرَقُ

« أرقٌ » : مبتدأ ، وخبره محذوف . وكذلك « جَوًى » و « عبرةٌ » تقديره : بى أرق و « عَلَى » هنا بمعنى مَعَ ، وأراد به دوام الأرق : وهو السهاد .

يقول : بى أرق على[5] أرقٍ . ومثلِيَ جدير بالأرق ، وبى جوًى : وهو الحزن . يزيد ولا ينقص . ولى دمعة تسيل أبدا[6] .

٢ - جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى   عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ يَخْفِقُ

(١) ق : «أو على دواب كالرياح» ساقطة .

(٢) سَوارى المسجد : أعمدته ، وسوارى الأمطار : التى تأت ليلاً .

(٣) ا ، ب ، ع : « والأول أولى وأظهر » ساقط .

(٤) ا ، ق : « وقال أيضًا فى صباه » . الواحدى ٣٨ النص المذكور فيه : « محمد بن معن بن الرضا » . التبيان ٣٣٢/٢ نص المذكور . الديوان ٢٠ « وله أيضًا . وهى من أول قوله » .

(٥) ا ، ب ، ع : « على أرق » . ق : « مع أرق » .

(٦) ا ، ب ، ع : « أبدا » ساقطة .

وروى : «كما يرى»[١] .

يقول جُهْد الصَّبَابةِ[٢] هو الذى أراه من عيْنٍ مسهَّدةٍ ، وقلبٍ خافق خوْف الهجر .

٣ - مَالاَحَ بَرْقٌ أوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إلاَّ انْثَنَيْتُ وَلِى فُؤَادٌ شَيِّقُ

وروى : «مَالاَحَ نَجْمٌ» . والترنّم : شبيه الغناء ، وانثنيت : أى انعطفت .

يقول : لم يلمع برق أو نجم[٣] ولم يترنم طائر ، يدعو إلْفَه إلا انعطفت ورجعت إلى نفسى ، وأنا مشتاق ، مُهيَّج القلبِ لذكر المحبوبة . وتشويقه لمعان البرق على معنيين : أحدهما أنه يذكّره ثغرها المضىء ، والثانى أنه يلمع من جانب المحبوبة وناحيتها ، فشوقه لهذا الوجه .

٤ - جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِى نَارُ الْغَضَا وَتَكِلُّ عَمَّا تُحْرِقُ

أى تحرق هذه النار . و «تَنْطَفِى» : لغة ضعيفة . لقولهم : طفيتُ النار وأطفيتها . و «ما» بمعنى الذى . والغضا[٤] : شجر يوصف بقوة التوقد .

يقول : جرّبت من نار الهوى ناراً تطفأ عندها نار الغضا مع شدتها وتَكلّ أيضاً نارُ الغضا عما تحرقه نار الهوى . وقيل : إن «ما» للنفى وقدّر فيه تقديران :

أحدهما : أن[٥] يكون تقديره : جرّبْت من نار الهوى كنار الغضا ما تنطفى وما تكلّ ، ومعناه : ما تنطفئ نار الهوى[٦] وما تكل عن الإحراق ، بمرة فتريحنى .

---

(١) ع : « روى : كما أرى ، وكما يرى . وكما أنا » .

(٢) الجَهْد : « بالفتح » : المشقة . والجُهْد : « بالضم » : الطاقة . والصبابة : رقة الشوق . يقول : غاية الشوق أن تكون كما أرى ، ثم فسره بباقى البيت

(٣) ق « أو نجم » ساقطة .

(٤) الغضا : جمع غضاة : وجوز الدينورى أن تكون « الغضاة » جمعًا . انظر معجم أسماء البنات ١١٤

(٥) « أحدهما أن» ع ، ب .

(٦) ب : « نار الهوى » ساقطة .

وقوله : نار الغضا تشبيه يعني كنار الغضا في شدة توقدها[١] .

والثانى : أن يكون «تكلّ» فعل الغضا والواو زائدة أو منقولة إلى نار الغضا ، ومعناه : جرّبت من نار الهوى ناراً ماتنطفى ، ونار الغضا تكلّ عما تحرقه هذه النار .

٥ - وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتَ مَنْ لاَيَعْشَقُ ؟!

يقول : كنتُ أعذل أهل العشق ، لجهلى به ، حتى دفعت إلى العشق[٢] ، فلما ذقته عجبت كيف يموت[٣] من لا يدخل العشقُ قلبه ؟! فكأنه يقول : إنّ أقوى أسباب الموت العشق ، وإن من بَعُد عنه فهو بمعزل عن الموت .[٢٠-١].

٦ - وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِى أَنَّنِى عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَالَقُوا

الهاء فى «فيه» للعشق . والضمير فى «لَقُوا» لأهل العشق . وكذلك فى «عذرتهم» و «عيّرتهم» .

يقول : لما ذقته عذرت عنده العشاق[٤] وعرفت أنى مذنب فى عيبهم[٥] ، فلما جربت عليهم فى اللوم ، لقيت من شدة العشق مثل ما لقوا . ومنه قول الآخر :

عَذَرْتُ من عَيَّرنى[٦] فى الْهَوَى لأنه لَمْ يدْرِ مَا شَانُه
لَوْ ذَاقَهُ يوماً دَرَى أنّه -أصعب حُزْن المرء أَحْزَانُه-

٧ - أَبَنِى أَبِينَا نَحنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِينَا يَنْعِقُ

يحتمل أن يريد به : يا إخواننا وأهل نسبنا[٧] ، ويحتمل أن يريد بهِ : يا بنى

---

(١) ب : «الإحراق» مكان : «توقدها» . ع : «كنار الغضا فى الشدة» .
(٢) ا ، ب ، ع : «دفعت إلى أسبابه» .
(٣) ق : «عجبت بموت» .
(٤) ا ، ب ، ع : «قبلت عذر العشاق» .
(٥) ق : «فى عينيهم» تحريف.
(٦) ب : «يعذلنى» مكان «عيرنى» .
(٧) ا ، ب : «وأهل أبينا» والمذكور عن ق ، ع .

آدم . و « غُرَابُ البَيْن »(١) . قيل المراد به الموت . و « ينعِقُ » : أى يصيح . وهما مرويان .

يقول : يا بنى أَبِينَا(٢) . نحن أهل منازل يقضى علينا فيها بالموت والفراق ، فإن كان اليوم وقع الفراق بيننا(٣) ، فكذلك يقع فى الدنيا بين أهلها ؛ أَوْرَدَ ذلك مَوْرِدِ التّسلية والوعظ للمخاطبين(٤) :

٨ – تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ   جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا

يقول : نبكى على هذه الدنيا(٥) وحياتها ؛ لعلمنا بفنائِها ، وما من جمْع إلاَّ بدَّدتْه الدّنيا وفرقته ؛ فالبكاء على هذا محال(٦) .

٩ – أَيْنَ الأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الأُولَى   كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلاَ بَقُوا ؟

الأكاسرة : جمع كسرى ، وهو ملك العجم . وهو تعريب(٧) خسرو ، الذى بالفارسية(٨) . والجبابرة : جمع الجبّار . وهو المتسلّط على الناس العاتى(٩) .

يقول : أين ملوك العجم وعظماء الدنيا(١٠) ؟ الذين كنزوا الكنوز ، فما بقيت كنوزهم ولا بقوا هم .

---

(١) غراب البين : دعى الموت . الواحدى عن ابن جنى .

(٢) ا ، ب ، ع : « يا بنى آدم » .   (٣) ا ، ب ، ع : « بين أهل الهوى » .

(٤) انتقل المتنبى من النسيب إلى الوعظ ، ومثل هذا يستحسن فى المراثى لا فى المدائح . انظر الواحدى ٣٩ .

(٥) ق : « هذه الدنيا » مكانها بياض .

(٦) عبارة ا : « فالبكاء على ما أشبه هذا جهالة ومحال » .

(٧) ا ، ق : « تعريف » تحريف .

(٨) ب : « خسرو الذى بالفارسية » مكانها بياض . ق : « خسرون الذى بالفارسية » . انظر المعرب ١٨١ .

(٩) ق : « العالى » تحريف . ا ، ب : « العاتى » ساقطة .

(١٠) من ا ، ع : « وعظماء الدنيا » ومهملة فى سائر النسخ .

١٠–مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ

يقول : مِنْ كل ملك ضاق المكان[1] الواسع بجيشه ، حتى مات فتوارى ، مقيمًا فى القبر ، وضَمَّه فى قبره[2] لحدٌ ضيّق .

١١–خُرْسٌ إِذَا نُودُوا كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقُ

يقول : هؤلاء الملوك ماتوا ، وصاروا ، كالخُرْس لا يُجِيبُونَ إِذَا نُودُوا ، فكَأَنَّهُم لَمْ يعلموا : أَنّ الكلام لهم حلال مطلق . لو قدروا عليه[3] .

١٢–فالْمَوْتُ آتٍ والنُّفُوسُ نَفَائِسٌ والْمُسْتَغِرُّ بِمَا لَدَيْهِ الأَحْمَقُ

النفائِس : جمع النفيسة ، وهى التى يُبْخَل بها لجلالتها «والمستغر» المحمول على الغرة المخدوع . أو هو طالب الغرور[4] ورُوِى : «المستعِزّ» بالْعَيْن والزّاى وهو المتعزز أو طالب العزّ .

يقول : الموت لا محالة آت والنفوس جليلة[5] خليقة بأن يبخل بها ، إلا أن المخدوع والمتعزز بما لديه ، مما لا بقاء له هو الأحمق[6] .

١٣–وَالْمَرْءُ يَأْمَلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ والشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ

شهيّة : بمعنى المفعولة[7] ، والنَّزَق : الخفّة والطيش .

---

(١) ب : «الفضاء» .

(٢) ب : «وضمه فى قبره» ا ، ع ، ق : «من قبره» .

(٣) لو قال : خرس إذا نودوا لعجزهم عن الكلام وعدم القدره على النطق كان أولى وأحسن مما قال ، لأن الميت لا يوصف بما ذكره . انظر الواحدى ٤٠ .

(٤) ا ، ب ، ع : «أوهو طالب الغرور» ساقط .

(٥) ق ، م ، خ : «الجليلة» .

(٦) الأحمق : الذى لا عقل له أو الجاهل .

(٧) ب : شهيّة : فعيلة بمعنى مفعولة .

يقول : إن المرء يؤمّل الأمل الطويل ، والحياة شهيةٌ ، والشيب وقورٌ ، والشباب نزقٌ ، فيكون . «أُفْعل» بمعنى الفاعل ، لا بمعنى المبالغة . وأراد صاحب الشيب وصاحب الشبيبة ؛ وقيل : أراد به «أفعل» للمبالغة .

فيقول : إن الشيب أوقر من الشبيبة ، والشبيبة أنزق من الشيب ؛ وذلك لأن [٢٠ – ب] الشيخ قد يستعمل النزق فى بعض الأحوال ، وإن كان الغالب منه الوقار ، والشاب قد يستعمل الوقار فى بعض الأحوال ، غير أن الغالب منه النزق . فلهذا المعنى استعمل[١] فيه لفظ أفعل[٢] .

١٤–وَلَقَدْ بكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلمَّتِى مُسْوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِى رَوْنَقُ

يقول : بكيت على فراق الشباب قبل نزول المشيب[٣] بى ، وعند ما كان شَعْر رأسى أسود ، ولماء وجهى رونق ، وذلك لعلمى بزواله ، وحذرى من فراقه .

١٥–حَذَرًا عَلَيْه قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِى أَشْرَقُ

حَذَرًا عليه : أى على فراق الشّباب[٤] . وروى : «بدمع عينى أغرق» . ونصب «حذراً» لأنه مفعُول له .

يقول : بكيت على الشباب قبل زواله[٥] حذَراً من فراقه ، حتى كدت أشرق بماء جفنى ، أى أغُص بهِ[٦] . وأراد بهِ الهلاك ، ولهذا جعل بدله « أغرق » .

---

(١) ق ، م : « يستعمل » .

(٢) الإشارة فى هذا إلى أن الإنسان يكره الشيب وهو خير له ؛ لأنه يفيده الحلم والوقار . ويحب الشباب وهو شر له ؛ لأنه يحمله على الطيش والخفة . الواحدى ٤٠ .

(٣) ا ، ع : «الشيب بى » .

(٤) ا ، ب : « حذرًا عليه : أى على فراق الشباب » مهملة .

(٥) ق ، م : « نزوله » .

(٦) ا ، ب ، ع : « أغتص » .

١٦-أمّا بنو أَوْسِ بن مَعْنِ بْنِ الرِّضَا[١] فَأَعَزَّ مَنْ تُحْدَى إِلَيْه الأَيْنُقُ

يقول : هؤلاء الممدوحون هم[٢] أعزّ من تُحدى إليهم[٣] الإبل ، ويقصد إليهم[٤] ؛ لطلب المال ، والجاه ، لسخائهم .

١٧-كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ

يقول : إن ديارهم ليست فى نواحى المشرق ، ولكنها فى نواحى المغرب ، فلما رأيت صورهم الحسان[٥] بمنزلة الشموس - مع أن المعهود من الشمس أنها تطلع من جهة المشرق - كبّرت لتعجبى من ذلك ؛ فإنى رأيت الشمس فى غير[٦] جهة المشرق !

١٨-وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لاَ تُورِقُ

يقول : عجبت من صخور هذه الأرض ، التى هى مقرّهم ، كيف لا تورق ؟ وفوقها تُمطر سحائب أكفّهم ؛ يصفُهم بالسخاء .

١٩-وَتَفُوحُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحٌ لهمُ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ

المكان : والمكانة واحد . والاستنشاق : طلب الرائحة بالشم .

يقول : إن هؤلاءِ القوم تفوح لهم - من طيب ما يثنى عليهم - روائح طيّبة !

(١) يروى الواحدى عن أبى بكر فيقول : الرُّضا : بضم الراء اسم صنم . وأراد ابن عبد الرضا كما قالوا : ابن مناف ، ويريدون : ابن عبدمناف . انظر الواحدى ٤١ .

(٢) « هم » من ا ، ب ، ع .

(٣) ق ، ع : « إليه » ا : « إليهم » .

(٤) ب ، ع : « وتقصد إليهم » ق : « إليهم » ساقطة .

(٥) ا : « فلما رأيت هذه الصور الحسان » ب : « فلما رأيت هذه من صور حسان » ع : « فلما رأيت صورًا حسانًا » .

(٦) ا ، ب ، ع : « فى غير » . ق : « من غير » .

تصل إلى كل مكان ، ويشمّها كلُّ إنسان ، فيقصد النّاسُ إليهم من كل جانب[١] لطلب معروفهم وكرمهم[٢] .

٢٠–مِسْكِيَّةُ النَّفَحَاتِ إلاَّ أنَّهَا وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمُ لاَ تَعْبَقُ

النفحات : جمع نفحة . وهى أول هبوب الريح[٣] .

يقول : روائِح ثنائِهم مسكيّةُ النفحات ، يفوح منها ما يفوح من المسك ، إلا أنها نافرة من غيرهم ولا تعبق بسواهم[٤] ؛ يصفهم باختصاص الثناء بهم وأنه لا يستحقه سواهم .

٢١–أَمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فِى عَصْرِنَا لاَ تَبْلُنَا بِطِلاَبِ مَا لاَ يُلْحَقُ

لا تَبْلُنا : أى لا تُجرّبنا . وروى : «لا تُبْلِنَا» : لا توقعنا فى البلوى ، لطلاب ما لا يُلْحَقُ .

يقول : يا من يريد أن يكون مثل محمدٍ الممدوح لا تُجرّبنا بطلب ما لا يلحق ، ولا يوجد . يعنى أنه لا نظير له ، فطلب مثله أمر محال[٥] .

٢٢–لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمّدٍ أَحَدًا وَظَنِّى أَنَّهُ لاَ يَخْلُقُ

يقول : لم يخلق الله تعالى مثله أحدًا فيما مضى ، ويقينى أنه لا يخلق[٦] فى المستقبل ؛ إذ الأمور الآتية معتبرة بالماضية . وهذا كذب ظاهر .

---

(١) ا ، ع : «ومن كل جهة» .

(٢) ا ، ب ، ع : «وكرمهم» مهملة . والمراد أن أخبار الثناء عليهم تسمع من كل مكان لكثرة المثنين عليهم . الواحدى .

(٣) النفحة : الطيب الذى ترتاح له النفس . اللسان . وبمثل هذا فسر الواحدى وصاحب التبيان .

(٤) ق : «نافرة من غيرهم لا يعبق بسواهم» . ب : «نافرة من غيرهم ولا تعلق بسواهم» . ع : «نافرة من غيرهم ولا تبقى بسواهم» .

(٥) ا ، ب ، ع : «فطلب مثله محال» .

(٦) ا ، ب : «فظنى يقين أنه لا يخلق» .

٢٣–يَاذَا الَّذِى يَهَبُ الْكَثِيرَ وَعِنْدَهُ   أَنِّى عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ

وروى : « يهب الجزيل » . و « أتَصدَّقُ » : أُعطى الصدقة[(١)] .

يقول : يامن هو يعطى العطاء الجزيل ويرى أنى متصدق عليه بأخذى منه[(٢)] ، وذلك لسروره بما يُعْطِيهِ[(٣)] لى . ونظيره :

تَرَاه إِذَا مَا جِئْتَه مُتَهلِّلاً   كأنّك تُعْطِيهِ الَّذِى أنت سائِلُه[(٤)]

٢٤–أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً   وَانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لاَ أَغْرَقُ

يقول : أمطر على سحاب عطائك وسخائك غزيرة . ثم انظر إلىّ برحمتك[(٥)] . ولا تجاوز الحدّ على ما عهدتُ من حالك . لِكَىْ[(٦)] لا أَغْرَق بنَيْلك .

وقيل : أراد بقوله : « كى لا أغرق »[(٧)] أى كى لا أعجز عن القيام بشكرك .

٢٥–كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ :   مَاتَ الْكِرَامُ . وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ !

يقول : كذب ابن زانيةٍ ، يقول بجهله : إن الكرام ماتوا[(٨)] ، وانت حى تُرْزَق

---

(١) ا من : « وروى .... الصدقة » ساقط .

(٢) ب ، ق : « متصدق باخذى منه » .

(٣) ا ، ع : « لسروره بما أعطيه » .

(٤) نسب إلى زهير بن أبى سلمى ديوانه ١٤٢ . وكذلك نسبه ابن السكيت فى شرحه لديوان الحطيئة ٦٢ ، والوساطة ٣٣١ ، وثمرات الأوراق ٥٥/١ ، وعيون الأخبار ٣٤١/١ ، ومحاضرات الأدباء ٥٨٧/١ ، وتأهيل الغريب ٢٥٣ . ولباب الآداب ٣٦٣ . وقافيته فيه : « سائل » . وديوانه المعانى ٥٩/٢ ، والتبيان ١٨١/٤٠ وذكر صاحب معاهد التنصيص ٣١٢/٣ البيت المذكور والذى يليه

ولو لم يكن فى كفّه غير روحه   لجاد بها فليتق الله سائله

ونسبهما إلى عبد الله بن الزبير من قصيدة فى مدح أسماء بن خارجة الفزارى .

(٥) ا : « ثم انظر إلى نظر رحمتك » ب : « ثم انظر إلى نظر رحمته » ع : « ثم انظر إلىّ رحمة » .

(٦) ق ، ب : « لكن » تحريف .

(٧) ب : « كى لا أغرق » ساقطة .

(٨) زادت النسخ بعد ذلك : « وإن الاستحياء بادوا » .

فيما بين الأحياء مع كونك سيد الكرام ! وروى : « تَرْزُق » . أى أنت حيّ تجرى على يديك أرزاق الناس ، فكيف يصح قوله : إن الذين تجرى على أيديهم أرزاق الناس قد ماتوا ، وأنت حى ترزقهم ! فنسب هذا القائل إلى الكذب ، ونسب أمه إلى الزنا[1] .

(١٧)

وقال أيضاً فى صباه[2] [يمدح علىَّ بن أحمد الخراسانىّ] :

١ – حُشَاشَةَ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَدْرِ أَىَّ الظَّاعِنَيْن أُشَيِّعُ ؟

يقول : إنّ الهوى ما أبقى من نفسه إلا بقيّة ، وتلك البقيّة كانت قريبةً من الزّوال ، خوف الفراق ، فلما فارقَتْنِى الأحبّة ، ودّعتنى تلك البقيّة وارتحلت بارتحالهم ، فلم أَدْر أىَّ الظّاعنَيْنِ أشيّع : أحبّتى[3] أم بقيّة روحى ؟ لأن أحدهما كصاحبه فى الكرامة عَلَىّ . وروى « أىَّ الظَّاعِنِينَ » ، بلفظ الجمع ، فيكون قد جعل حشاشة النفس معدودة فى جملة الأحبَّة ؛ لأنها محبوبة كالأحبّة .

٢ – أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجُدْنَا بأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الآمَاقِ والسِّمُ أَدْمُع

الآماق : واحدها ، مأْق ، ومُؤْق . وهو طَرَف العين مما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع فى الغالب . والسُّمُ[4] : الاسم أدمع . وأشاروا إلىّ الأحبّة عند الوداع بتسليم . ونبه بقوله : أشاروا إلىَّ أنهم لا يمكنهم إظهار السّلام بالكلام ؛ خشية

---

(١) ب : « فنسب هذا القائل ووالديه إلى الزنا . وكنى عن الزانية بالفاعلة » .

(٢) فى الواحدى ٤٢ والتبيان ٢/٢٣٥ : « . وقال أيضًا فى صباه يمدح علىّ بن أحمد الخراسانى » الديوان ٢٢ « وقال فى صباه » .

(٣) ا ، ع : « أحببى » .

(٤) السُّم : لهجات فى الاسم .

الرُّقَبَاء فجدنا نحن(١) بأرواح ، تسيل من أعيننا جواباً لهم ، وأسفًا على فراقهم ، وكانت التى تسيل أرواحاً فى الحقيقة ، وإن كان اسمها الدمع ؛ لأنها كانت [٢١ – ب] دمًا ، وخروج الدّم فيهِ خروج الروح ، وقد أوضح هذا المعنى فى موضع آخر فقال :

وَلَوْ لَمْ يكنْ مَا انْهَلّ فى الْخَدِّ مِنْ دَمِى لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ فَأَسْقَمُ(٢)

ويجوز أن يكون جعل الدمع ، بمنزلة الرُّوح(٣) ؛ لأن نزول الدمع لا يكون إلا عند شدّة الكرْب ، فلمّا اشتدّ عليه فِراقُهم كان الدمع الخارج عنده ، مثل خروج الروح شِدّة !

٣ – حَشَاىَ عَلَى جَمْرٍ ذَكِيٍّ مِنَ الْهَوَى وَعَيْنَاىَ فِى رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ

الجمر الذكىّ(٤) : الشديد التوقّد .

يقول : إن قلبى يحترق بنارٍ شديدة من الهوى ، وعينى من مشاهدة حسنها كأنها راتعة فى روضِ الحسن ، يعنى : أن من نَظَر إلَى مثل مَا أَنْظُر إليه من محاسن هذا الحبيب كان خليقاً أن يكون خليقاً .

ويجوز أن يكون أراد أن عند الوداع كان قلبى فى احتراق ؛ لما كَادَ يقع بَيْنَنَا من الفراق ، وعَيْنَىّ ترتع فى روض من الحسْن ، فى وجه الحبيب عند الوداع ، وإنما لم يقل : « ترتعان » لأن فعل العينَين واحد(٥) فى الأغْلب عند الرؤية . وروى :

(١) من ا ، ب ، ع : « نحن » .

(٢) ديوانه ١٠٤ والمعنى : هذا الذى يجرى فى الخد من عينى هو دمى ، لأنه يسيل ، وكلما سال سقطت وبليت .

(٣) فى النسخ : « الدم » مكان : « الدمع » ، والتصويب عما ذكره صاحب أبيات المعانى فقد قال : قال الشيخ : (يعنى المعرى) : هذا المعنى يتردد فى الشعر كثيرًا وتدعى الشعراء أن الدمع هو نفس الإنسان ، وقد استعمل ذلك أبو الطيب فى قوله :

أرواحنا انهملت وعشنا بعدها من بعد ما قطرت على الإقدام

(٤) ا ، ب ، ع : « الذكىّ : الشديد » بإسقاط « الجمر » .

(٥) فى النسخ : « وعينى » وقد استعمل على أربعة أوجه : أحدها على الحقيقة فى الخبر والمخبر عنه فتقول : عيناه رأتاه وأذناى سمعتاه . والثانى أن تخبر عن اثنين وتفرد الخبر كبيت أبى الطيب . فتقول –

«وعَيْنى» فعلى هذا لا يتوجه عليه السؤال .

٤ - وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِى بِنَا غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ

أوشكت بمعنى : قربت[١] .

يقول : لو حمِّلت الجبال الشديدة الصلابة الفُرْقَة التى بنا ، غداة افترقنا ، لقربت أن تُشَقَّق[٢] .

٥ - بِمَا بَيْنَ جَنْبَىَّ الَّتِى خَاضَ طَيْفُهَا إِلَىَّ الدَّيَاجِى وَالْخَلِيُّونَ هُجَّعُ

الدّياجى : جمع ديجوج . وهو الظلمة . وأصله دياجيج ، فأبدلت الجيم ياء ثم أدغمت الياء فى الياء ، ثم خفِّفَت . و « ما »[٣] : بمعنى الذى . وبين الجنبين : أراد به القلب . والنفس .

وتقديره : أفدى بما[٤] بين جنبى . أى بنفسى . وقلبى . المرأة التى خاض طيفها الظلام إلىّ . فى حال كانت عيون الخَلِيِّين عن العشق نائمة . فالواو فى قوله «والخليّون» واو الحال .

٦ - أَتَتْ زَائِرًا مَا خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا وَكَالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ

أتت : أى المرأة . «وزائرًا» أى طَيْفُهَا[٥] فقدَّر المرأة فى «أتت» . وفى «الزائر» الطيف .

= عيناى رأته . والثالث . أن تخبر عن اثنين بواحد وتفرد الخبر فتقول : عينى رأته وأذنى سمعته . والرابع أن تعبر عن اثنين بواحد فتثنى الخبر حملاً على المعنى فتقول : عينى رأتاه وأذنى سمعتاه . انظر التبيان ٢٣٦/٢ .

(١) ا . ب : «أوشكت بمعنى قربت» .

(٢) ب : «تنشق» ا . ع : «تشق» .

(٣) ق : «ثم خفضت وصارت بمعنى الذى» .

(٤) ق : «بما» ساقطة .

(٥) ق : «وزيرًا طيفها» تحريف .

ويجوز أن يكون أجرى زائراً(١) مجرى حائِض ، وحامل . على جهة النسب .

ويجوز أن يريد بذلك أنها أتتنى وأنا سائرٌ إليها لزيارتها ، فعلى هذا يكون « زائِراً » مفعول به . فكأنه قال : أتت هى زائِراً لها(١) .

وفى الأول ، نصب على الحال . يقول : أتت هذه المرأة يعنى طيفها زائراً لى ، أوكنت زائِراً لها . « ما خالط الطيب ثوبها » ومع ذلك فإن رائِحة المسك تفوح من كمها وأطرافها وثيابها .

٧ – فَشَرَّدَ إِعْظَامِى لَهَا مَا أَتَى بِهَا ... مِنَ النَّوْمِ وَالْتَاعَ الْفُؤَادُ الْمُفَجَّعُ(٢)

إعظامى : فى موضع الرفع لأنه فاعل شرّد . و « ما » مفعول به ، يعنى الذى . « والتاع » : من اللوعة ، وهى حرقة القلب .

يقول : لما أتانى خيال هذه المحبوبة فى المنام ، شرّد استعظامى لها [٢٢–١] وتعجّبى من مجيئها ، الشىء الذى أتى بها وهو النوم ، واحتراق الفؤاد(٣) المفجوع .

٨ – فَيَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْوَلَ بِتُّهَا(٤) ... وَسَمُّ الأَفَاعِى عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ !

قوله : يا ليلةً . تعجّب وإعظام ، وليس بنداءٍ فى الحقيقة ، وقوله : ما كان أطول ! أى ما كان أطول حزنها(٥) ! فَحُذِف .

يقول : لمّا شرّد إعظامى لها النوم ، واحترق الفؤاد ، طال علىَّ الليل(٦)

(١) يرى الواحدى أن « زائرًا » نعت لمحذوف تقديره : أتت خيالاً زائرًا .

(٢) فى الواحدى والتبيان يسبق البيت الذى معنا بيت آخر هو :

فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْثَنَتْ تُوسِعُ الْخُطَا ... كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرِّهَا قَبْلَ تُرْضِعُ

ولم يُشرح هذا البيت فى كلٍّ من المرجعين ، أما هذا البيت فلم يذكره الديوان ٢٣ . يعنى يتفق الشارح والديوان فى عدم ذكر هذا البيت الذى ذكره الواحدى وصاحب التبيان .

(٣) ق : « واحترق القول » .

(٤) الواحدى والتبيان والديوان : « بِتُّها » . وفى النسخ وإحدى روايات الديوان « بثّها » .

(٥) أ ، ع : « ما كان أطولها أو ما كان أطول حزنها » . المراد بقوله : « فحذف » أى حزنها .

(٦) أ : « وطال علىّ الليل » . ع : « واحترق الفؤاد لما طال علىّ الليل » .

وتكدّر . فيصف ذلك ويقول : ياليلةً ما أطولها ، وما أطول حزنها ! و «سَمّ الأفاعى» الذى هو من الأشياء أقْتَلها ، كان عذباً بالإضافة إلى ما قاسيت فيها .

٩ – تَذَلَّلْ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوى
فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لاَ يَذِلُّ وَيَخْضَعُ

يقول : تذلّل لها فى حالة القرْب والبُعد ؛ أما فى القرب فلئلاّ تعرض عنك ، وأما فى البُعد فَلِنْتظَارِ القرب بعد البعد ، فليس بعاشق من لا يذل للمعشوق ، ولا يخضع ، لأن التكبر والتعظم لا يليق بالعاشق مع المعشوق .

١٠–وَلاَ ثَوْبَ مَجْدٍ غَيْرَ ثَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ
عَلَى أَحَدٍ إلاَّ بِلُؤمٍ مُرَقَّعِ

روى : « غير » . نصبا على الاستثناء المقدم ، وروى : مرفوعاً خبرًا لقوله «لا ثوب مجد» .

يقول : كما أن الذى لا يخضع للحب خارج عن حكم العشق كذلك ثوب المجد إذا لم يكن على هذا الممدوح لا يكن إلا مرقعًا .

١١–وَإنَّ الَّذِى حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّئٍ بِهِ اللهُ يُعْطِى مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

جديلةَ طيئ : بطن من طيئ وحابى : بمعنى جبى .

يقول : وإن الذى أعطى هذه القبيلة ، بهِ الله يعطى من يشاء ويمنع [1] ، ذلك مبالغة فى وصفه بسعة القدرة ، ونفاذ الأمر ، فيعطى من يشاء ويحرم من يشاء ، وقيل : إن «حابى» على أصل بناء الفاعلية ومعناه غالب فى العطاء ، فكأنه يقول : إن الذى حابى هذه القبيلة بالعطاء وغالبهم به وهو الممدوح ، به الله يعطى من يشاء ويمنع ، إشارة إلى أنه كثير العطاء من حيث أن الله تعالى جعل له هذه السعة والقوة

---

(١) الضمير فى : « يعطى ويمنع » راجع إلى الممدوح ، وهذا ما رآه ابن جنى ، فإنه يجعل : « يعطى من يشاء» من صفة الممدوح . واحدى ٤٤ .

ما لا يحتمل الغيرة منهم[١] ، وقيل تقديره : إن الذى أعطى الله هذه القبيلة من شرف نسب هذا الممدوح منهم[٢] ، يعطيه الله تعالى من يشاء من عباده فكذلك صنع الله تعالى بهِ إذْ وضعه[٣] حيث شاء فليس لأحد أن يطلع[٤] .

١٢- بِذِى كَرَمٍ مَامَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ   عَلَى رأْسِ أَوْفَى ذِمَّةً مِنْه تَطْلُعُ

يقول على التّقدير الأول : الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع « بذى كرم » صفته ما فى البيت . وعلى الثانى : حَبَى الله هذه القبيلة « بذى كرم » ما مَرّ يومٌ ، وشمس ذلك اليوم طلعت على رأس[٥] أحد « أوْفَى ذمَّةً منه » وهى[٦] نصب على التمييز .

١٣- فَأَرْحَامُ شِعْرٍ يَتَّصِلْنَ لَدُنَّه[٧]   وَأَرْحَامُ مَالٍ مَاتَنِى تَتَقَطَّعُ

وروى : « يتصلن بجوده » . وروى : « لَدُنّهِ » الهاء فى « نَهُ » : للممدوح . وفى « به » : للكرم المذكور فى البيت الذى قبله « مَاتَنِى » : أى ما تفتْر .

يقول : إنه يجمع الشعر فى مدحه بتفريق ماله . فعلائِق [٢٢ - ب] الشعر به متصله وهى المعبّر عنها بالأرحام . وعلائِق المال منه منقطعة ، ولا تزال على الانقطاع لتفريقه إياها فى اكتساب الثناء والذكر[٨] .

١٤- فَتًى أَلْفُ جزْءٍ رأْيهُ فِى زَمَانِهِ   أَقَلُّ جُزَىْءٍ بَعْضُه الرَّأْىُ أَجْمَعُ

تقدير البيت : فتًى رأْيه فى زمانه ألف جزء ، بعضه أقلّ جزء من رأيه ، هو

---

(١) غ : « ما لم يحتمل الغيرة منهم قيل . » إلخ
(٢) ب : « وقيل تقديره . . . . الممدوح منهم » ساقط
(٣) ق : « وضعه » مكانها بياض والتكملة من سائر النسخ .
(٤) ق : « يطلع » ساقطة والتكملة من سائر النسخ .
(٥) ب : « على أحد » .   (٦) ق : « وهما » .
(٧) فى جميع النسخ : « بجوده » والتصويب من الديوان والواحدى والتبيان وشارح المعجز .
(٨) ق ، ب : « والذكر » محذوفة .

رأى الناس أجمع ! وقسّم رأى هذا الممدوح ألف جزء وجعل بعض أقلّ الجزء من ألف ، مقابلاً لآراء جميع الناس ! وكأنّه أخذه من قول أبى بكر بن النطاح[١] .

لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وهمَّتهُ الصُّغْرى أجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ[٢]

إلا أنه قلب الهمم إلى الرأى[٣] .

١٥–غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمْطِرٌ لَيْسَ يُقْشِعُ وَلاَ الْبَرْقُ فِيهِ خُلَّبًا حِينَ يَلْمَعُ

يُقْشع ويقلع : مَرْويان ، وهما بمعنًى واحد ، أى ليس يزول . وخلّبًا : نصب لأنه خبر ليس ، وهو : البرْق الذى لا مطر معه .

يقول : هو غمام يَمْطر علينا مواهب . وأيادِىَ ، ولا يفْتر عنها . ثم فضّله على الغمـام من وجهين : أحدهما . أنّ عطاءه لا ينقطع بحال ، كما تنقطع أمطار الغمام فى أحوال . والثانى . أنّ وعْده بالعطاء غير كاذب كالبرق الخلّب . أى : كالغمـام الذى يكون برقه خلّباً لا يأتى بمطر . يصِفُه بإدامة الجود والوفاء بالوعود .

١٦–إذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إلَيْهِ فَنَفْسُهُ إلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ

الشفيع المشفّع ؛ هو المقبول الشّفاعة .

يقول : إذا عرضت الحاجات وظهرت الناس إليه ، فلا يحتاجون إلى الوسائل

---

(١) شاعر غزل ، من أهل اليمامة ، انتقل إلى بغداد فى زمن الرشيد . ولمامات رثاه أبو العتاهية بقوله .

مات ابن النطاح أبو وائل بكر فأضحى الشعر قد ماتا

ترجمته فى الأغانى ١٥٣/١٧ – ١٦١ وطبقات ابن المعتز ٢١٨ و فوات الوفيات ٧٩/١ وأعلام الزركلى .

(٢) زعم صاحب معاهد التنصيص ١ / ٢٠٨ أنه لحسان بن ثابت ولم أعثر عليه فى ديوان حسان ثم قال صاحب المعاهد « وقد ذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح فى أبى دلف العجلى » .

وقد نسب إلى بكر بن النطاح فى الكامل للمبرد ٥٠٦ والمصون للعسكرى ٥٧ ولم ينسب فى إعجاز القرآن للباقلانى ٩٢ والتلخيص ١٢٥ وديوان المعانى ١/ ١٠٨ .

(٣) ع : « إلا أنه قلب الهم إلى الدهر » .

إليه فى قضائِها ، بل يكون شفيعاً إلى نفسه مقبول الشفاعة[١] ؛ لأن فيه من الكرم ما يغنى عن الوسائل .

١٧– خَبَتْ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهِجْهَا بَنَانُهُ وَأَسْمَرُ عُرْيَانٌ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ

أسمر عريان : أراد به القلم ؛ لما فى لونه من السمرة .

يقول : طُفِئَتْ نارُ حرب ، لم يهجها بنان هذا الممدوح ، وقلمه الأسمر العريان من القشر ، وأصلع : أى أملس كالرجل الذى لا شعر على رأسه وأراد بهِ : أن الحرب التى لم تصدر عنه لم تَدُم[٢] .

١٨– نَحِيفُ الشَّوَى يَعْدُو عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ[٣] وَيَحْفَى فَيَقْوى عَدْوُهُ حِينَ يُقْطَعُ

الشّوى : أراد به رأس القلم ، وأصله جلّدة الرأس . ويحْفى : أى يكلّ .

يقول : إنه نحيف دقيق الرأس يعدو على أم رأسه بخلاف سائِر العادِين ، ويكلّ ويتعب من كثرة العدو ، فإذ قطع[٤] رأسه يَقوى[٥] على العدو .

١٩– يَمُجُّ ظَلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانُهُ وَيُفْهِمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ

يمجّ : أى يلفظ مِنْ فِيه . وأراد بالظّلام : المداد . وبالنهار : القرطاس وأراد بلسانه : جلفته . وهو فاعل يمج ، وقوله : [٢٣ – ا] « ويُفْهِم عمن قال ما ليس

(١) يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى نفسه فى قضائها وحسبك أن يكون المسئول شفيعا إلى نفسه .

(٢) ق : « فلم تروم » ا : « فلم ترم » تحريفات .

يقول : كل نار حرب أوقدت بغير قلمه وأنامله فإنها منطفئة لا تطول مدتها . يعنى أن الحرب التى أوقدها هو لا تنطفئ لقوة عزمه وشدة نفسه . واحدى ٤٧ . ذكر صاحب كتاب تفسير أبيات المعانى أن أبا العلاء قال فى « خبت نار حرب » الأحسن أن يكون على معنى الدعاء ، كما يقال : لا كانت حرب لم يهجها فلان ، والأسمر العريان من القشر : القلم ، وجعله أصلع لأنه لا نبات عليه .

(٣) ا : « يمشى على أم رأسه » .

(٤) قطع بمعنى (قطّ) . (٥) ب : « تقوى » .

يسمع » يعنى . أن القلم يُفْهم الناس بقراءة ماكتب[١] ما ليس يسمعه هو .

٢٠- ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيبَةً وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ أَطْوَعُ

ذباب السيف : حدّه . والهاء فى «منه» الأوّل للقلم وفى الثّانى للحسام ، والضريبة : المكان الذى تصيبه الضّربة . فَضّل قلمه على السيف .

يقول : حد السيف أنجى فى ضريبته من حدّ قلمه ، وحدّ السيف أعصى لصاحبه ، وهذا[٢] أطوع .

وذلك أن الضّارب إذا ضرب بسيفه ثَم نبا[٣] سيفُه عن التأثير ، وإن شاء أمسكه قبل الضرب .

والقلم لا يخون صاحبه فى حالٍ ، فإذا كتب به : اقتل فلاناً لم يمكنه بعده ألاَّ يقتله ، وقد حمل إليه الكتاب ونفذ أمره فيه[٤] .

٢١- بِكَفِّ جَوَادٍ لَوْ حَكَتْهَا سَحَابَةٌ
لَمَا فَاتَها فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْضِعُ[٥]

يقول : هذا القلم الموصوف ، بكف جَوَادٍ . أى الممدوح . لو حاكتها السحابة لشملت العالم مطراً شرقاً وغرباً[٦] .

٢٢- فَصِيحٍ مَتَى يَنْطِقْ تَجِدْ كلَّ لَفْظَةٍ[٧]
أُصولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِى تَتَفَرَّعُ

---

(١) ق ، خ ، ا ، ع « ما كتب فيه » وما ذكر عن ب .

(٢) هذا : إشارة إلى القلم . (٣) ق : « بناء » تحريف .

(٤) المعنى : أن القلم أفضل من السيف ، لأن المضروب بالسيف قد ينجو إن نبا عن المضروب وعصى الضارب ، والمضروب بالقلم لا ينجو إذا كتب بالقلم قتله ، فالقلم أطول من السيف لصاحبه . واحدى والتبيان .

(٥) هذا البيت مؤخر عما بعده فى التبيان فقط .

(٦) ا ، ع : « ولم يفتها موضع فى الشرق والغرب » .

(٧) ب ، ع ، ق : « ترى كل لفظة » .

فصيحٍ : جرّ لأنه بدل من جَوَادٍ .

يقول : هو الفصيح ؛ فكلٌّ لفظة من قوله أصول البراعات[١] . فجعل كل لفظة أصولا .

٢٣–وَلَيْسَ كبحر الْمَاء يَشْتَقّ قَعْرَهُ إِلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءُ حُوتٌ وَضُفْدَعُ

يشتق : بمعنى يشق .

يقول : ليس هذا الممدوح فى سخائِه كبحرٍ يقدر الحوتُ والضفدع على شقّه إلى حيث يَفْنَى الماء ، بل هو أعمق وأنفع .

٢٤–أَبحرٌ يَضُرّ الْمُعْتَفِينَ وطَعْمُهُ زُعَاقٌ كَبَحْرٍ لاَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

الزعاق : المر الملح[٢] .

يقول مفضلاً له على البحر : إن البحر هو الذى يضرُّ قاصديه ، والطالبين المعروف منه ، وماؤه مِلْحٌ مُرّ ، وهذا الممدوح ينفع مُعْتِفيه ولا يضرهم ، وعطاؤه هنىٌّ وخُلُقه حلْو شهىٌّ .

وقوله : « لا يضر وينفع » ليس المراد به أنه لا يضر أحداً لأنه حينئذٍ لا يضر أعداءه وإنما المراد به أنه ينفع المعتفين والأولياء ولا يضرهم .

٢٥–يَتِيهُ الدَّقِيقُ الْفِكْرِ فى بُعْدِ غَوْرِهِ وَيَغْرَقُ فِى تَيَّارِهِ وَهُوَ مِصْقَعُ

تياره : أى موجه . ومسقع ومصقع : رويا جميعاً ، وهو البليغ الفصيح .

يقول مؤكداً لِتَفضيله على البحر : إن الرجل الدقيق الفكر يَتَحيَّر فى غوره ولا يدرك كُنْهَ وصْفه ، ويغرق فى فضله الفصيح البليغ . شبهه بالموج[٣] .

---

(١) ا : من : « فصيح ... البراعات » ساقط .

(٢) الزعاق من الماء : المر . ومن الطعام : الملح

(٣) عبارة ع : « ويغرق فى موجه وهو فضله » ثم حذف : « شبهه بالموج » .

٢٦- أَلاَ أَيُّهَا الْقَيْلُ الْمُقِيمُ بِمَنْبِجٍ وَهِمَّتُهُ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ تُوضِعُ

توضِع : أى تسرع فى السير .

يقول : أيها الملك المقيم بمنبج ، وهمته فوق السِّمَاكَيْن[١] تسرع فى السير ، وتجاوزهما لسرعتها .

٢٧- أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ وَأَنَّ ظُنُونى فِى مَعَالِيكَ تَظْلَعُ ؟!

وروى : معجزى . ومعاليك تظلع[٢] : أى تقصر وتعجز .

يقول : أليس بعجب أن وصفك يعجزنى عن بلوغه ؟! مع قدرته على الشعر . وأنَّ ظنونى فى معاليك تَكِلّ وتعجز ؟! مع إصابتها فى الأمور [٢٣ - ب] .

٢٨- وَأَنَّكَ فِى ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فِيكُمَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الأَرْضِ أَوْسَعُ

يقول : العجب[٣] من كونك فى ثوب ، وكون صدرك فيكما : أى فيك وفى ثوبك . مع أن صدرك أوسع من ساحة الأرض جميعاً[٤] .

٢٩- وَقَلْبُكَ فِى الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلَتْ بِنَا وَبِالْجِنِّ فِيهِ مَا دَرَتْ كَيْفَ تَرْجِعُ

التاء فى دخلت : ضمير الدنيا . وبنا : كناية عن نفسه ، وجميع الناس .

يقول : قلبك فى الدنيا ، وهو فى سعته بحيث لو دخلت الدنيا بالإنس والجن فيه لتحيّروا[٥] ولم يدروا كيف يرجعون ، لسعة صدرك وصِغر الإنس والجن عن[٦] قدره .

---

(١) السماكان : نجمان نيران . أحدهما فى الشمال وهو السماك الرامح . والآخر فى الجنوب وهو السماك الأعزل .

(٢) فى النسخ : « تطلع » بالطاء المهملة سواء فى بيت المتنبى أو فى الشرح . وهو تحريف . ويقال : ظلعت الناقة تظلع بالمنقوطة إذا مشت مشية العرجاء من يدها أو رجلها .

(٣) ا ، ع : « أتعجب » . (٤) ا ، ع : « جميعا » لا توجد .

(٥) ى : « ليتحيروا » تحريف (٦) فى النسخ : « عند » .

٣٠-أَلاَ كُلُّ سَمْحٍ غَيْرَكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ وَكُلُّ مَدِيحٍ فِى سِوَاكَ مُضَيَّعُ

غيرَك : نصب لأنه استثناء مقدم . وروى : بالجرّ صفة لسمح .

يقول : كلّ جواد ماخلاك ، بالإضافة إليك باطل . وكلّ مديح يقال فى غيرك فهو مضيَّع ، لأنه لا يعرف حقه ولا يُوجَد فيه من المعانى ما وُجد فِيكَ .

(١٨)

وقال أيضاً [يفتخر] فى صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك[١] :

١ - قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّى الْفَتَى الَّـ ـذِى ادَّخَرَتْ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ

قضاعة[٢] : بطن من تنوخ[٣] . وهم من بنى قحطان .

يقول : تعلم هذه القبيلة ، أنى فتاها الذى أعدَّته لصروف الزمان[٤] ، وأنهم يلتجئون إلىّ عند الشدائد . فأكشفها ، وهذا ادخارهُمْ له[٥] .

٢ - وَمَجْدِى يَدُلُّ بَنِى خِنْدِفٍ[٦] عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِى

---

(١) ب : « وقال أيضا فى صباه وسأله بعض التنوخيين ذلك » ق ، و ، خ : « وقد » محذوفة . الواحدى ٤٨ نص المذكور . التبيان ٤/ ٨٨ : « وقال على لسان بعض التنوخيين » . الديوان ٢٦ : « وله أيضا على لسان بعض التنوخيين وسأله ذلك » العرف الطيب ٢٨ .

(٢) أولاد قضاعة بن مالك : أبو حى من اليمن ينتهى نسبه إلى قحطان

(٣) تنوخ : قبيلة من اليمن من قضاعة ، سموا بذلك لأنهم اجتمعوا وتحالفوا وتنحوا بمقام فى الشام . أى أقاموا فيه وإلى هذه القبيلة ينتسب شارحنا أبو العلاء المعرى . انظر فى ذلك أبو العلاء المعرى لأحمد تيمور ص ٣ .

(٤) ا ، ع : « الدهر » .

(٥) ق ، خ : « وهذا ادخار له » . ا ، ب : « وهذا ادخارهم له » . ع : « وهذا معنى ادخارهم له » .

(٦) ا ، ب ، ق ، « خندق » ، والتصويب من سائر النسخ ، والواحدى ، والتبيان ، والديوان . وخندف : هى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة . التبيان ٤/ ١٨٩

خندف : أم العرب .

يقول : يدلّ شرفى العربَ كلَّهم[١] ، على أن كل كريمٍ من أهل اليمن ، لا من ربيعة ومضر ، وسائِر العرب . ويمانٍ : منسوب إلى اليمن ، يعنى : يمنىّ . يقال : رجل يمانٍ وامرأة يمانية بالتّخفيف .

٣ – أَنَا ابْنُ اللِّقَاء ، أَنَا ابْنُ السَّخَاء ، أَنَا ابْنُ الضِّرَابِ ، أَنَا ابْنُ الطِّعَان

٤ – أَنَا ابْنُ الْفَيَافِى ، أَنَا ابْنُ الْقَوَافِى ، أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ ، أَنَا ابْنُ الرِّعان

العرب يقولون[٢] : فلان ابن كذا وأبو كذا[٣] إذا كان من أهله ، وملازماً له . واللقاء : المحاربة . والرِّعان : جمع الرّعن ، وهو مقدّمة الجيش . أخذ من رعن الخيل[٤] وهو أنفه .

يقول : أنا صاحب هذه الأشياء ، فأنا ابن اللقاء فى الحروب ، وابن الضّراب ، والطّعان ، وابن السخاء ، والجود ، وابن الفيافى ، أقطعها . والقوافى ، أبدعها وأنسبها ، وابن السروج ، أركبها ، وابن الرِّعان ، أقودها إلى العدوّ أحاربهم بها[٥] .

٥ – طَوِيلُ النِّجَادِ طَوِيل الْعِمَادِ طَوِيلُ الْقَنَاةِ طَوِيلُ السِّنَان

النجاد : حمّالة السيف[٦] . يريد به . أنه طويل القامة ، والعرب تُمتَدح بطول القامة ، والعماد : عماد البيت . وكذلك كناية عن السؤدد . والقناة : الرمح . وأراد بطولها حذقه بالطّعن بها . وكذلك طول السِّنان كناية . كما قال غيره :

---

(١) ع : « فيقول يدل على شرفى العرب كلهم » .

(٢) أ ، ع : « تقول » .

(٣) أ : « وأخو » . « فلان ابن كذا وأبو كذا وأخو كذا » .

(٤) ق . ع : « رعن الخيل » وفى الواحدى . الرعان : جمع الرعن وهو الشاخص من الجبل . يقول أنا صاحب الجبال لكثرة سلوكى طرقها .

(٥) أ . ب : « واحامهم بها » : ع « أقودها إلى العدد أقاتلهم وأحاربهم بها » .

(٦) النجاد : حمائل السيف هكذا فى أ . ع .

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خُطَانا[١] إلى القوم الَّذِين نُضَارِبُ[٢]

فأمّا طول القناة ، فلا مدح فيه . [٢٤ - ا] .

٦ - حَدِيدُ الْحِفَاظِ حَدِيدُ اللِّحَاظِ[٣] حَدِيدُ الْحُسَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ

اللِّحاظ : جمع اللَّحظ والْحفاظ : المحافظة على الحزم . أو سرعة الغضب فيما يجب حفظه . والجنان : القلب . أى ذكى القلب . والحسام : السيف القاطع . يصف نفسه بحدّة هذه الأشياء منه بحيث لا يلحقه فيها[٤] خلل .

٧ - يُسَابِقُ سَيْفِى مَنَايَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِى رِهَانِ

سيفى : فاعل يسابق . ومنايا العباد : أى موتهم .

يقول : إن سيفى يسابق منايا العباد ، ويغالبها فى سبوقها إليهم ، كأنهما فى رهان لمسابقتهما ، فسيفى يطلب موتهم قبل وقت الموت ، والموت[٥] يميتهم فى وقته ، فيتسابقان فى ذلك .

٨ - يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِى هَبْوَةٍ لاَ أَرَانِى

الهبْوة : الغَبَرة .

---

(١) ق : « خطا إلى القوم » ب : « خطاها إلى القوم » والتصويب من ع ، ا والمراجع .

(٢) البيت فى ديوان قيس بن الخطيم ٨٨ بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد والرواية فيه : « خطانا إلى أعدائنا فنضارب » بكسر الباء وفقا للقصيدة كلها . وفى فصل المقال فى شرح الأمثال للبكرى منسوب إلى كعب بن مالك . وفى شرح المفضليات ٧٢ للأخنس ابن شهاب . وذكر البغدادى أنه للأخنس بن شهاب وفى الحماسة ١٤ منسوب إلى بشامة النهشلى وروايته مثل رواية قيس بن الخطيم فى الحماسة ٢٤٨ للأخنس بن شهاب وفى صبح الأعشى ٢/ ٣٨ والمثل السائر ٢/ ٣٨٢ للأخنس بن شهاب وحماسة ابن الشجرى ٤٩ منسوب إلى سهم بن مرة الحارثى .

(٣) أ ، ع : « حديد اللحاظ حديد الحفاظ » .

(٤) ب : « منها » .

(٥) ق ، ب : « والموت » ساقطة .

يقول : إن سيفى يقطع كل موضع يقع عليه . حتى يخلص إلى القلب . فكأنه يرى غوامض القلوب . مع كونها محتجبة عن العيون . فى وقت لا أرى نفسى من كثرة الغبار ، ولم أغفل عن نفسى من شدة الحرب . وكثرة الغَبَرة . **وقيل** معناه : إذا كنتُ فى هبوة الحرب ، لاَ أدرى[١] نفسى ، أى لا أبالى بها ولا أَنْظُرُ إلى ما يَحلّ بها . **وقيل** : معنى البيت ، أن سيفى يعلم ما فى القلوب من الغشّ والحسد . فلا يقع إلا على حاسد ، أو عدوٍّ جاحد ، فى الحالة التى أغفل عن نفسى فأكون كمن لا معرفة له بها .

٩ – سَأَجْعَلُهُ حَكَمًا فِي النُّفُوسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي

يقول : سأجعل سيفى حَكَمًا فى نفوس الأعداء ؛ ليسلبها ويأخذها ، ولو ناب لسانى عنه ، كفانى ، لأن حدّته كحدّة السيف .

(١٩)

وقال أيضاً فى صباه [فى الحماسة والفخر][٢] :

١ – قِفَا تَرَيَا وَدْقِي فَهَاتَا الْمَخَايِلُ وَلاَ تَخْشَيَا خُلْفًا لِمَا أَنَا قَائِلُ

المخايل : جمع مَخِيلة : وهى البرق ، ونحوه مما يستدل به على المطر ، وهاتا : إشارة إلى المخايل .

وقفا : أمر من الوقوف ، ويحتمل أن يراد به : إصراراً وعيشاً[٣] يقول

---

(١) ا ، ع : « لا أرى » .

(٢) الواحدى ٤٩ : « وقال أيضًا فى صباه » . التبيان ٣/ ١٧٤ : « وقال أيضا فى صباه » . الديوان ٢٧ : « وقال فى صباه » .

(٣) ق مكان : « إصرارًا وعيشا » بياض . ب : « أن يراد به أو عَيشا » والتكملة من ا ، ع .

لصاحبيه : قفا وعيشا ، تريا من أمرى وفعلى شأناً عظيماً ، فهذه مخايله قد ظهرت ، ولا تخشيا خُلْفاً لما أقوله ؛ لأنى صادق فى جميع ما أقوله ، ولست كالبرق الذى يصدق تارة ويكذب أخرى. ومثله للبحترى[١] :

هذا أوائِل برقٍ خلْفَه مَطَرٌ وأوّل الغيْثِ قطْرٌ ثُمّ ينْسكِبُ[٢]

٢ – رَمَانِى خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِب استه
وآخَرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الجنادِلُ

وروى : خشاس الناس . يعنى ضعيفهم[٣] ، يقع على الواحد والجمع ، وصائب : من صاب السّهمُ الهدفَ ، وأصابه ، بمعنًى فهو صائِب ومصيب .

يقول : رمانى خساس الناس ورذالهم ، دون كِرامهم . ثم جعلهم ثلاثة أقسام ، وذكر قسمين فى هذا البيت والقسم الثالث فى البيت الذى يليه . القسم الأول هو [٢٤–ب] مَنْ يرمينى من صائِب استه : يعنى أنه لا ضعيف لا يجاوز رَمْيَه إيَّاىَ استَه ، أو يريد به : أن ما يريد أن يعيِّرَنى بِهِ لا يلحقنى ، لأن الإجماع واقع عَلَى فَضْلى ، فما يقوله يدلّ به على نفسه دونى[٤] ، وذَكَرَ استه : استهانةً واستخفافاً به . وقيل : أراد من داءٍ به ، أن يصيب السلاح استَه . أى يلى دبره عند الانهزام لِفِرَارِه وجُبْنه[٥] . والقسم الثانى : أن الْجَنْدل[٦] من يده إذا رمانى به كالقطن ؛

(١) مرت ترجمته .

(٢) فى ديوان ١/ ١٧١ وروايته :

وأزرق الفجر يأتى قبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب

وكذا فى صبح الأعشى ١٤/ ٢٢٩ وفى كتاب سكردان لابن حجل المغربى على هامش المخلاه للعاملى ٥٤ كذلك .

(٣) ب : « يصف ضعيفهم »

(٤) ق ، ا ، ع : « فما يقوله يدل به على نفسه فكأنه يصيب نفسه دونى .

(٥) ا : « لغزارة جبنه » .

(٦) الجندل : الصخر العظيم ، وفى المثل : « جندلتان اصطكتا » يضرب للقرنين يتصاولان .

فى ضعف تأثيره فىّ وقلة مبالاتى بِه ، ومعناه : أن منهم من لا يجاوز رميه[١] ، ومنهم من يكون الجندل من يده كالقطن وإن جاوز .

٣ - وَمِنْ جَاهِلٍ بِى وَهُوَ يِجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عِلْمِى أَنَّهُ بِىَ جَاهِلُ

والقسم الثالث من خِساس الناس : من يرمينى من الناس . (مَنْ هو جاهل) قد اجتمع فيه ثلاثة أضرب من الجهل : جهله بقدرى ، وجهله بأنه جاهل بقدرى ، وجهله بأنى عالم بجهله وبقدرى ، فمن اجتمع فيه هذه الضروب من الجهل كيف يعرف قدرى ؟ ! .

٤ - وَيَجْهَلُ أَنِّى مَالِكَ الأَرْضِ مُعسِرٌ وَأَنِّى عَلَى ظَهْرِ السِّمَاكَيْنِ رَاجِلُ

مالك : نصب على الحال ، وكذلك «على ظهر السِّمَاكَيْن» : فى موضع نصب ، لأنه حال ، وخبر (أن) الأولى «معسر» ، وخبر الثانية «راجل» .

يقول : إن الجاهل الذى ذكرتُه يجهل أنى فى حال مِلْكى الأرض مُعْسِر ، لأن همتى أعلى من ذلك ، وهذا قليل فى جنب ما أستحقه ، وأنى فى حال كونى على ظهر السِّماكَيْن ، رَاجِلٌ عند نفسى وعظم محلِّى . يصف أن همته عالية ، لا يسعها مُلْك الأرض .

٥ - تُحقِّر عِنْدَ هِمَّتِى كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِى عَيْنِى الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ

يقول : إن لى همَّة تحقِّر عنْدى كلَّ مطلب ، وتقْصر الغاية القصوى فى عينى مع تطاولها . يعنى لا أرْضَى لنفسى كلّ مرتبة أبلغها ، بل أطلب فوقها .

٦ - وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لاَ تَزُولُ مَنَاكِبِى إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيْمِ فِىَّ زلاَزِلُ

الطود : الجبل العظيم[٢] ، ومناكبه : جوانبه .

(١) ق ، ب : «حرمه» . (٢) ا ، ع : «العظيم» لم تثبت .

يقول[١] : كنت كالجبل لا يزول ؛ لعظم حالى ، فالآن قد اضطررت إلى قبول الضَّيم فحرَّكنى الذُّل والضيم ، كما تحرك الزلازل[٢] الجبل ، ومعناه : لم يؤثر فىّ[٣] الضَّيم إلا قدر ما تؤثر الزَّلزَلة فِى الجبل .

٧ - فَقَلْقَلْتُ بَالهَمُ الَّذِى قَلْقَلَ الْحِشَا قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ

القلاقل : جمع الْقُلْقُل ، وهى الناقة الخفيفة . والعيس : الإبل التى يعلو بياضها شقرة .

يقول : لما بدت فىّ زلازل الضَّيم ، حرّكتُ الذى حرك[٤] قلبى ، الخفافَ السِّراع من الإبل والعيس[٥] ، كلهن[٦] سراع خفاف . وأراد به السفر[٧] .

٨ - إِذَا اللَّيْلُ وارَانَا أَرَتْنَا خِفَافُهَا بِقَدْحِ الْحَصَى مَالاَ تُرِينَا الْمَشَاعِلُ

[٢٥ - أ] يصف شدة سير العيس فيقول: إذا اللّيل سترنا عند السُّرى ، أرتنا أقدامُ هذه العيس ، عند وقعها على الحصى ، لشدة ضرْبها بالحصى ، أو ضرْب بعضها ببعض ، مالا ترينا المشاعل من الضوء ! يعنى أن ما ينقدح من النار عند سيرها ، كانت تزيد على نار المشاعل وضوئها[٨] .

---

(١) ب : « يعنى » بدل « يقول » .

(٢) ق ، ح : « الزلزال » .

(٣) أ : « فيه » .

(٤) أ « بالذى » ، ب « حركه »

(٥) ق ، ع : « من الإبل العيس »

(٦) قال ابن جنى : « الضمير فى كلهن للعيس لا للقلاقل » . يقول : قلاقل القلاقل . كما تقول سراع السراع . وخفاف الخفاف ، وهو أبلغ فى الوصف من أن يعود على القلاقل . انظر الواحدى ٥٠ والتبيان ١٧٥/٣ .

(٧) عاب الصاحب ابن عباد ابا الطيب بهذا البيت وقال : « ماله قلقل الله حشاه وهذه القافات الباردة » الواحدى ٥٠ والتبيان ١٧٧/٣ .

(٨) أ ، ع : « وضوئها » لا توجد.

٩ – كَأَنِّى مِنَ الوجناءِ فِى مَتْنِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بِى بِحَارًا مَالَهُنَّ سَوَاحِلُ

الوجْناء : الناقة الغليظة العظيمة الوجنتين . وقيل : هى الغليظة[1] البدن الصُّلبة . ورمت : فعل[2] الموجة . شبه المفازة التى[3] سار فيها . بالبحار . لسعتها . ولما فيها من السراب الجارى مجرى الماء .

يقول : كأنى من هذه الناقة الوجْناء فى هذه الفلاة على متن موجة ، رَمَتْ بِى الموجة بحاراً مالها سواحل ؛ لبعد هذه المفازة وسعتها .

١٠– يُخَيَّلُ لِى أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِى وَأَنِّىَ فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ

يقول : يصوِّر لى أن البلدان التى أجول فيها مسامعى وأذناى ، وأنا فى هذه مثل عذل العواذل فى أذنى ، فكما لا يستقرّ اللوم فى أذنى ، كذلك لا أستقر أنا فى بلد من البلاد . وشبه نفسه بالعذل . والبلاد شبهها بالمسامع .

١١– وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِى مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى تَسَاوَى الْمَحَايِى عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ

المحايى والمحايا : واحدها المحْيا وهو الحياة .

يقول : مَنْ طلب ما أطلب من الشرف والارتفاع ، تساوت عنده مواضع الحياة والموت ، ولا يبالى بالقتل ؛ لأن من طلب التعظيم خاطر بالعظيم[4] .

١٢– أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسُكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَسَائِلُ

يقول مخاطباً لأعدائه من الملوك وغيرهم : إن مَا أتحمّله من الشدائد وما[5] أقتحمه من المشاق ، ليس إلا طلباً لهلاككم ، فليست الحاجات إلا نفوسكم

---

(١) ق ، ح : « هذه الغليظة » .

(٢) « فعل » لا توجدنى ب ، ق ، خ .

(٣) أ : « شبه المفاوز الذى » .

(٤) ب ، ق ، خ : « من طلب العظيم خاطر بالعظيم » .

(٥) ب ، ق ، خ : « وأقتحمه »

وأرواحكم ، وليست لنا إلى سلب أرواحكم وسائِل وأسباب ، إلاّ السيوف .

١٣- فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امرئٍ رُوحُه لَهُ وَلاَ صَدَرَتْ عَنْ بَاخِلٍ وَهُوَ بَاخِلُ

يقول : إنّ هذه السيوف لا تَرِدُ روحَ امرئ إلا سلبتْها ، فلا تكون روحه له ، ولا انصرفت عن رجل بخيل يبقى بخيلاً ، يعنى أنه[1] إذا وَرَدَتْه[2] أهلكته ، فهو يجود بنفسه[3] التى هى أعز الأشياء ، والواو فى قوله «وهو باخل» واو الحال .

١٤- غُثَاثَةُ عَيْشِى أَنْ تَغِثَّ كَرَامَتِى
وَلَيْسَ بِغَثٍّ أَنْ تَغِثّ المآكِلُ[4]

الغُثَاثَة الهزال ، من غَثّ يغُثّ ويغِث[5] .

يقول : إن نقصى فى نقصان الكرامة لا فى نُقصان[6] المأكولات ، فلست أبالى بسوء المأكولات إذا كنت مبجَّلا ذا كرامة ، فكأنه يقول : إذا سمعت كرامتى فلا بأس بغثاثة المأكول[7] .

(٢٠)

وقال أيضاً فى صباه[8] [فى الحماسة والفخر] : [٢٥ - ب]

١ - ضَيْفٌ أَلَمّ برأْسِى غيرَ مُحتَشِمٍ والسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ باللِّمَمِ

غير : يجوز بالرفع على أن يكون صفة لضيف ، وبالنصب على الحال من ضمير

---

(١) : «أنه» من أ ، ع
(٢) : «إذا أوردته» هكذا فى سائر النسخ وما ذكر عن ع .
(٣) أ : «فيجود بنفسه» بدل «فهو يجود» . (٤) ب : «المكارم» تحريف .
(٥) من أ ، ع : «ويغث» . (٦) ا ، ع : «الكرامة لا فى نقصان» ساقط انتقال نظر .
(٧) أ ، ع : «المأكل» .
(٨) الواحدى ٥٢ : «وقال أيضا فى صباه» . والتبيان ٤/ ٣٤ : «وقال فى صباه» . والديوان ٨ «وقال فى صباه» العرف الطيب ٣٠ .

الضيف ، ومحتشم : أى منقبض مستحى . واللمم : جمع اللمّة من الشعر .

يصف الشّيب ويقول : إنه ضيْفٌ نزل برأسى ، وإن لم يكن نزوله نزول الضيف فى الاحتشام والاستحياء ، لأنه لم يستأذنى كاستئذان الضيف ، ثم يقول : إن السيف أحسن فعلاً بالرأس ، من الشيب باللمم [١] . وهومن قول البحترى [٢] .

وددْتُ بياضَ السَّيف يوم لقينى مكانَ بياضِ الشَّيْب [٣] حلّ بمفْرَقى [٤]

٢ - ابْعَدْ بَعِدْتَ بَيَاضًا لاَ بَيَاضَ لَهُ لأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظّلَمِ

ابْعد : أمر من بَعُد يبْعد إذا هلك وذلّ . وبَعِدْتَ : دعاء على الشيب . وبياضاً : نصب على التمييز . وقوله : لا بياض له : أى لا نور له ، ولا بياض فى الحقيقة ، وإن كان من حيث الصورة. بياضاً [٥] . ويجوز أن يكون أيضاً دعاء على الشيب ، وكأنه أراد لا رزق خيراً ، والأولى نوراً ، وإنما قال : «لا بياض له» لأنه يورث ظلمة البصر ، وتغيّر اللون ، ويفرّق بين الإنسان وبين الملاذ ، وينذر بالزّوال ويُؤْذن بالضعف والهزال ، وقوله : «لأنت أسود [٦] » إن أراد أنه أنت أشد سواداً [٧]

---

(١) عبارة ا : « باللمم » ساقطة .

(٢) عبارة ع : « ولأخذه من قول البحترى » وقد مرت ترجمته . (٣) ب : « السيف » .

(٤) ديوانه ٣/ ١٥٠٩ وفيه : «كان» بدل : « حلّ » . والوساطة ٣٦٦ . و التبيان ٤/ ٣٤ . والإبانة ٧٨ ومحاضرات الأدباء ٢/ ٣٢٤ والرواية . فيه

وددت بياض السيف يوم لقيتها كأن بياض الشيب كان بمفرق

وفى ديوان المعانى ٢/ ١٥٧ وحماسة ابن الشجرى ٢٤١ الواحدى ٥٢ .

(٥) « بياضا » ساقطة من ا .

(٦) قال صاحب أبيات المعانى : قال الشيخ : « المعرى » (أسود) فى هذا البيت لا يراد به أشد سوادًا ، لأن النحويين يزعمون أن الألوان لا تستعمل فى هذا الموضع ولا فى التعجب إلا بأشد ونحوها . ويقولون:هذا أشد حمرة من العقيق ، ولا يقولون هذا أحمر من العقيق وكذلك يقولون فى التعجب ما أشد سواده ولا يقولون ما أسوده . ولم يجعله أشد سوادًا من الظلم وإنما أراد أنه بعضها كما تقول فلان مسود من الليل أى كأنه منه . ويحمل البيت المتقدم على أنه أراد لأنت أسود من جملتها .

(٧) ب ، ق : « أسود سوادًا » .

ففيه شذوذ ، لأن الألوان لا يبنى[١] منها أفعل التفضيل[٢] . بل يقال : أشد سواداً ، فعلى هذا معناه أنت فى عينى أشد سواداً[٣] من الظلمات ، وإن لم يُرد معنى المبالغة ، فيكون تقديره لاَ أنت فى عينى مع بياضك أسود من جملة الظَّلم السود . فكأنه يقول أنت فى عينى كائن من الظلم ، ومثله قول أبى تمام الطائى :[٤]

له منظر فى العين أبْيَضَ ناصِعٌ ولكنّه فى القلْب أسْود أسْفَعُ[٥]

٣ - بِحُبِّ قاتِلَتِى والشَّيْبِ تَعذِيبى[٦] هَوَاىَ طِفْلاً وَشَيْبِى بَالِغَ الْحُلُم

تعذيبى : مبتدأ و « بِحُبِّ قَاتِلَتِى » خبر مقدم عليه و « هواى » مبتدأ وكذلك « شيبى »[٧] و « طفلا » و « بالغَ »[٨] نصب على الحال ، وهى فى موضع الخبر للابتداء . وقائم مقامه .

يقول : تعذِيبى بشيبى حبّ قاتلتى والشّيب[٩] . ثم بين وقت كل واحد منهما . فقال : « هواىَ طفلاً وشيبى بالغَ الحلم » يعنى : هَوِيتُ وأنا طفلٌ . وشبْتُ وأنا بالغَ الحلم .

ولمّا بيّن أنّه عشق طفلاً ، وشاب وقْت الحُلم جعل الحبّ والشيب عذَاباً ،

---

(١) ب . ق : « لا يثنى » .

(٢) ع : « أفعل التفصيل » وسائر النسخ : « أفضل التفضيل » .

(٣) ب ، ق : « أشد من الظلمات » .

(٤) ع : « ومثله لأبى تمام » . وقد مرت ترجمته

(٥) ديوانه ٢/ ٣٢٤– والوساطة ٢٥٠،والتبيان ١/ ٣٥٦ . ٤/ ٣٦ ، الواحدى ٥٢ ، وخاص الخاص ٢١ ، والإبانة ٢٩ ، وديوان المعانى ٢/ ١٦٠ . وابن الشجر ٢٤٢ .

(٦) ا : « تعذينى » ع : « تعديّى » روايات انظر الديوان ص ٣٠ . وانظر كذلك النص فى الواحدى ٥٣ والتبيان ٣٦/٤ وكذلك الشرح .

(٧) ا ، ب ، ع : « شيب » .

(٨) ا : « بالغا » .

(٩) فى الواحدى والتبيان يقولان : « تعديّى بهذين : بالحب والشيب » .

وغرضه بذلك حصولهما قبل وقتهما[١] .

٤ - فَمَا أَمُرُّ بِرَسْمٍ لاَ أُسَائِلُهُ   وَلاَ بِذَاتِ خِمَارٍ لاَ تُرِيقُ دَمِي

يقول : مَرَرْتُ بصيغة لاَ أمرّ . برسم[٢] : من رسوم ديار المحبوبة ، إلا وأنا أسائله عنها ، أو لا أمرّ برسم[٣] دارٍ إلاَّ يذكّرنى رسم دارها فأسائله ، ولا أمر بذات خمر من النساء[٤] إلا تذكّرنى محبوبتى ، فيريق دمى بعينى . يعنى إنها تُبكينى فيجرى من [٥]عينى الدّم ، فضلاً [٢٦ - أ] عن الدمع ! أو يريد : إنها تقتلنى وتريق دمى . على مجاز الشعراء . وقيل : إنه أراد بذلك أن قلبه يتقلّب ، ويتعلّق بكل امرأة حتّى لا يملك كفّه ودفْعَه .

٥ - تَنَفَّسَتْ عَنْ وَفَاءٍ غيرِ مُنْصَدعٍ   يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ

وروى : تَبَسَّمتْ ، والشّعب : القلب[٦] .

يقول : إن هذه المرأة تنفّست الصعداء أسفًا على فراقى ، وكان تنفسها عن وفاءٍ غير مفترق وعن شعبٍ متفرق ، غير ملتئِم ، يعنى أنها كانت على الوفاءِ مع تفرق الشمل .

٦ - قَبَّلْتُهَا وَدُمُوعِى مَزْجُ أَدْمُعِهَا   وَقَبَّلَتْنِى عَلَى خَوْفٍ فَمًا لِفَمِ[٧]

---

(١) ب ، ق : « حصولها قبل وقتها »

(٢) ا : « برسم وادٍ » ع : « برسم دار » .

(٣) ب : « من : برسم . . برسم » ساقط انتقال قطر .

(٤) ب : « من النساء » ساقط :

(٥) ق : « عن » .

(٦) لم أوفق أن أجد فى المعاجم الشعب بمعنى القلب ولعله هذا من معجم الشاعر والشارح فقط ! ! والواحدى وصاحب التبيان يفسران الشعب هنا بمعنى الفراق من قولهم : شعبته إذا فرقته. ويقال : أراد هنا بالشعب : القبيلة . وعلى ما ذكرنا فإنهما يقولان فى معنى البيت : تنفست عند فراقنا أسفا وتحسرا عن وفاء صحيح غير منشق وفراق مجتمع ويرى أنهما افترقا بالأجساد لا بالقلوب .

(٧) ب ، ق : « بفم » .

مزْج : بمعنى المزاج . وفمًا : نصب على الحال .

يقول قبلتُها عند الوداع فى حال عناق لها ، وكانت الدموع ممترجة ، وقبَّلتْنى هى أيضاً ، خوفاً من الرقباء أو خوف الفراق ، فى حال تقبيله إيّاها فى الفم ، أى فى حال التصاق الفم بالفم .

٧ – فَذُقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقَبَّلِهَا لَوْ صَابَ تُرْباً لأَحْيَا سَالِفَ الأُمَمِ

أراد بماء الحياة : ريقها .

يقول : ذقت من مقبَّل هذه المرأة ماء الحياة ، فحييت ، وكنت قدْ متّ قبل ذلك ، ولا تعجب من حياتى بهِ فإنّه لو صاب سالف الأمم لأحياها [١] فضلاً عن إحيائِه إياى ! ويجوز أن يكون صاب : من قولك صاب المطر إذا نزل ، ويكون تقديره : لو صاب على تُرْب إلا أنّه حذف «على» وأوصل الفعل إليه ومثله للمجنون [٢] .

لو أن رضَابَ ليْلَى صابَ ميْتاً لأحْيَاه وعَاشَ إلَى الْقِيامَةِ [٣]

٨ – تَرْنُو إِلَيَّ بِعَيْنِ الظَّبْىِ مُجْهِشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ [٤]

تَرْنو : أى تنظر نظراً شديداً ، والمُجْهِشة : المتَهيّئة للبكاء . والعنم : قيل : إنه دودة حمراء تكون فى الرّمْل ، تشبه بها البنان ، وقيل : نبْت . وقيل : نوع من الثمار مخروط أشبه الأشياء بالبنان اللينة المخضبة ، وقيل : شجر ليّن الأغصان . وقيل : شىء يخرج من الشجر كالثمار . وشبّه أربعة أشياء : عينها : بعين الظبى ، ودمعها : بالطل ، وخدها : بالورد ، وأصابعها : بالعنم ، ونظيره قول الشاعر :

---

(١) ا ، ع : «لو صاب فيه سالف الأمم لأحياهم» .

(٢) هو قيس بن الملوح العامرى . شاعز غزل من أهل نجد لقب بذلك لهيامه فى حب ليلى بنت سعد مات سنة ٦٨ هـ الأغانى ١/ ١٦٧ بولاق .

(٣) فوات الوفيات ٢/ ١٣٦ وخزانة الأدب ٢/ ١٧١ – ١٧٠ الأغانى ط الدار ٢/ ١ .

(٤) ب : «وتمسح الورد فوق الطل» .

قالتْ وقد رَاعَهَا بينى أَمُرْتَحِلٌ عنا ؟ فقلت : غداً أولا فبعد غدِ
فأرسلتْ لُؤلُؤًا من نرجس وسقَتْ وَرْدًا وعضَّت على العنَّابِ بالبَرَدِ[1]

٩ - رُوَيْدَ حُكْمَكَ فِينَا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ بِالنَّاسِ كُلِّهِمُ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمِ

رويدَ : اسم بمعنى فعل الأمر[2] . ونصب «حُكْمَكَ» برويْد ، و«غير» منصوب على الحال[3] ، أو على النداء .

يقول : ارفقى وكفِّى عنّا حكمَك يا غَيْرَ منصفة ، يعنى : ياظالمة . أفديك من جميع الناس من حكَم بين الحُكَّام .

١٠- أَبْدَيْتِ مِثْلَ الَّذِى أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ
وَلَمْ تُجِنِّى الَّذِى أَجْنَنْتُ[4] مِنْ أَلَمِ

يقول : أظْهرتِ من الجزع مثل ما أظهرتُ ، ولكنّك لم تَضْمِرى من حبِّى مثل ما أضمرت . ينسبها إلى النّفاق فى حبّها له .

١١- إِذًا لَبَزَّكِ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْغَرُهُ وَصِرْتِ مِثْلِى فى ثَوْبَيْنِ مِنْ سِقَمِ

---

(١) قال صاحب اليتيمة ١/ ٢٧٥ ومن عجائب تشبيهات الوأواء الدمشقى قوله :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها كم ذا ؟ أما لقتيل الحب من قود
وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت وردًا وعضت على العناب بالبرد

والبيت فى ديوان الوأواء ٨٤ وقد شك فى نسبة هذين البيتين إلى الوأواء كثير من الباحثين ، ونسبها بعضهم إلى يزيد بن معاوية . وخص كراتشكو فيسكى ناشر الديوان لأول مرة بحثا حول هذا الشك . ومع ذلك انظر خاص الخاص ١٥٠ - ١٥١ ، وديوان المعانى ١/ ٢٥٦ ، والعمدة ١/ ٢٠٠ ، ودلائل الإعجاز ٢٨١ ، ونهاية الأرب ٢/ ٢٣٤ و٧/ ٤٦ ، وفوات الوفيات ٢/ ١٨٢ والأبشيهى فى المستطرف ٢/ ٢١٨ ، وقال الأبشيهى : «إن الوأواء ضمنه شعره» والروايات مختلفة بين بعض الكتب وبعض والمثبت ما فى نسختنا .

(٢) بمعنى : امهل وارفق وانتظر .

(٣) صاحب الحال المخاطبة .

(٤) ق : «أجنيت» .

بزّك : أى سلبك . والهاء فى «أصْغَره» : ترجع إلى «الجزع» ، وإلى «الذى» فى قوله : ولم تُجنّى الذى أجْنَنْتُ . وإلى قوله : من ألم .

يقول : لو كان بك ألمٌ مثل ما بى ، يَسْلُبك أصغره ثوبَ الحسن وصِرْتِ فى ثوبيْن من السّقم . فجعل للحسْن والسّقم ثوباً .

ووجه التثنية . وهى أنه قد يعبر عن الواحد بالتثنية وإن لم يرد[١] به حقيقة التثنية ، ويحتمل أن يريد بذلك أنه يورث بها ضِعْف ما به من السّقم ، فعبر عنه بالثوبيْن . ويجوز : أن يكون أراد بالتثنية أن أصغر ما به يورث لها سقميْن : ظاهراً وباطنًا ، وقيل : إن غرضه بذلك أنّك صرتِ مثلى فى إزارٍ ورداءٍ من السّقم ؛ لأن لباس العرب[٢] إزار ورداء . بمعنى : أن الازار والرداء تمام لباس البدن . فكذلك ما يحصل له من السقم بأصغر مانال[٣] من الوجد تمام ألم البدن .

١٢- لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالآمَالِ مِنْ أَرَبِى   وَلاَ الْقَنَاعَةُ بِالإِقْلاَلِ مِنْ شِيَمِى

وروى : ولا القنوع بضنك العيش من شيمى . والقناعة أوْلى ؛ لأن القنوع فى السؤال الأكثر .

يقول : ليس التَّعلّل بالأمانى دون الوصول إلى البغية من حاجتى ، وكذلك : ليس القناعة بالفقر وضنك العيش من عادتى ، ولكنى أطلب المعالى والمفاخر .

١٣- وَمَا[٤] أظنّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرُكُنِى   حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرْقَهَا هِمَمِى

بنات الدهر : حوادثه . وهممى[٥] فاعل تسد ، وطرقَها مفعوله .

يقول : لست أحسب أنّ حوادث الزّمان تتركنى حتّى أبلغ ما أريد بلوغه ، حتّى

(١) ق : «ولم يرد» .

(٢) ق : «لا إزار العرب» تحريف .

(٣) ق ، ح : «ما ناله» .

(٤) ا ، ع : «ولا» ، وكذلك فى الديوان ، والواحدى ، والمثبت من سائر النسخ والتبيان .

(٥) ق : «وهى» .

تسد عليَ تلك الحوادث طرقَها هِمَمِى وتمنعها من الوصول إلىّ والوقوف بى [١] .

١٤-لِمُ اللَّيَالِى الَّتِى أَخْنَتْ عَلَى جِدَتِى بِرِقَّةِ الْحَالِ وَاعْذُرْنِى وَلاَ تَلُمِ

أَخْنَت : أى أهلكت . على جِدتى : أى على غِناى . ورقّة الحال : ضعف الحال .

يقول : يامن يلُومنى على ضعف حالى ورثاثة الهيئة ، لُمْ حوادثَ اللَّيالى الّتى أهلكت غناى ، واعذرنى فلاَ لَوْمَ علىّ إذْ لا ذنب لى .

وقيل : إن سائِلاً تعرّض لعطائِه . فقال له : لُمِ اللَّيَالى التى فعلت بى ذلك وأفقرتنى ، واقبل عذرى فى ردِّكَ ولا تلمْنى ؛ لأن فقْرى واختلالى ليس من قِبَلِى .

١٥-أَرَى أُنَاساً وَمَحْصُولِى عَلَى غَنَمٍ وَذِكْرَ جُودٍ ومَحْصُولِى عَلَى الْكَلِمِ

محصولى : أى حصولى .

يقول : أرى أشباحاً فى صُوَر الناس ، وهم فى الحقيقة كالْغَنَم ؛ لبعدهم من المروءة ، وأَرَى ذِكْـرَ جُودٍ فيما بين الناس الذين هم كالغنم ، وحصولى من ذلك على كَلِمٍ . يعنى : أنّ الذى حصل من جودهم الحِكَاية ، دون حقيقة الجود .

١٦-وَرَبَّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مُرُوءَتِهِ لَمْ يُثْرِ مِنْهَا كَمَا أَثْرَى مِنَ الْعَدَمِ

يقول : وأرى صاحب مال ، فقيراً من المروءة والإنسانية [٢] ، لم يثْر منه أى حظ من نفسه ، ولم[٢٧-أ]يستوف حظّها من الإنسانية والمروءة ، كما أثرى من العدم : أى الفقر . والهاء فى منه : لربّ المال ، وربّ فقير من المال ، يستوفى حظ نفسه ويجود بقدر طاقته . وروى : ورُبّ مالٍ فقيرٍ من مروّته . أى : ورب إنسان

---

(١) ا ، ب ، ع : « والوقوع بى » .

(٢) ب : من « يقول . . . المروءة » ساقط ، وعبارة ع : « يقول : أى رب مال فقير من المروءة والإنسانية » .

كثير المال . يقال : رَجَلٌ مَالٌ ، ومائِل : إذا كان كثير المال[١] ، وفقير صفة له ، والرواية الأولى أشهر من الثانية[٢] .

١٧–سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّى مِثْلَ مَضْرِبِه
وَيَنْجَلِى خَبَرِى عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ[٣]

يقول على سبيل الإيعاد : إن السيف يستصحب مِنْ نفسه مثْلى حدّه مضاء ، وينكشف خبرى عن شجاع الشجعان ، أو أسد الأسود .

١٨–لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لاَتَ مُصْطَبَرٍ
فَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لاَتَ مُقْتَحِمِ

لات : بمعنى لا ، ويجوز فى مصطبرٌ : الجرّ . لأن من العرب من يجرّ بلات[٤] . ويجوز : أن يرفع . كما يرفع بلا .

يقول : قد صبرت حتّى لم يبق موضع صبر ، أو لم يبق اصطبار ، فلم ينفعنى ذلك ، فالآن أدخل نفسى فى العظائِم ، حتّى لا يبقى موضع اقتحام ، أو حتّى لا يبقى لى اقتحام .

١٩–لأُتْرُكَنَّ وُجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ

---

(١) ب : من « يقال رجل مال . . كثير المال » ساقط . والمعنى كأنه صار هو نفسه مالا . انظر المتنبى للاستاذ محمود شاكر ص ١٢٨ .

(٢) ع : « من الثانية » ساقط .

(٣) الصمة : الحيّة الشجاع ، وبه سمى أبو دريد بن الصمة لشجاعته ، والصمم جمعه ، والمعنى : السيف سيصحب منى رجلا كحدته فى مضائه ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان التبيان ٤/ ٤٠ .

(٤) التّاء فى « لات » زائدة . وقد تزاد مع الحروف كثم وثمت ، ورب وربت . والجر به شاذ وقد جر به العرب . وقال الكلبى : « لات » بلغة اليمن بمعنى : « ليس » فهذا يشير إلى أن التاء أصلية لا زائدة . وقال الفراء : ما بعد « لات » نصب بلات لأنها فى معنى ليس . وقال الزجاج : « الرفع جائز على أنه اسم ليس والخبر مصمر » التبيان ٤/ ٤١ .

ساهمة : أى متغيرة من غبار الحرب ، لشدة التعب ، وألم الجراحة والخوف ، وغيرها .

يقول : لأتركن وجوه الخيل متغبّرة فى حالٍ يكون الحرب فيها أقوم من ساق على قدم ، فعلى هذا يكون «الحرب» و «أقوم» مرفوعين . ويجوز : نصبهما عطفاً على «وجوهَ الخيل ساهمة» . أى ولأتركن الحرب أقوم من ساق على قدم .

٢٠- وَالطَّعْنُ يَخْرُقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّمَمِ

الهاء فى يَخْرِقها ويقلقها[١] وبها : للخيل . واللّمم : الجنون .

يقول : ولأتركن وجوه الخيل ساهمةً فى الحال الّتى لم يَخْرِق الطّعن الخيل ، ويزعجها الزجر ، حتّى كأن بها ضرباً من الجنون . ويروى : يُخرقها بضم الياء أى : يورثها خرقاً وطيشاً . وروى : يَحْرِقها بالحاء أى : يهلكها من الحرْق والأوّل أولى .

٢١- قَدْ كَلَّمَتْهَا الْعَوَالى فَهِى كَالِحَةٌ كأنما الصَّابُ مَعْصُورٌ عَلَى اللُّجُمِ[٢]

الصاب : شجر مرّ[٣] وهذا تأكيداً لِمَا مضى .

يقول : أتْركُ هذه الخيل[٤] وقد جرحَتْها الرماح حتّى[٥] عبست وجوهُها ، من شدّة وقوع الأسنّة بها ، فيكون من شدة عبوسها ؛ كأنّها قد عُصِر الصّاب الذى هو شجر مر[٦] على لُجُمها .

٢٢- بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِى حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخَدَمِ

---

(١) أ ، ق : «يقلقها» ساقطة .

(٢) ع : «وهى كالحة» وفى الواحدى والتبيان «كأنما الصاب معصوب على لجم» .

(٣) ق ، ب : «مر» ساقطة .

(٤) ب : «ترك الخيل» .

(٥) ق : «حتى» ساقطة وفى ع : «حبست» بدل : «عبست» .

(٦) ع : «الشجر المر» .

يقول : ولأتركن وجوه الخيل ساهمة ، بكل سيف مجرد ، مازلت أنتظره وينتظرنى ، حتّى انتقمت له من الخدم الذين استولوا على الملك[١] وسلبتّهم المُلْك ، وأعطيت دولة الخدم من يستحقه .

وقيل : أراد بهذا المنصلت[٢] : الرجل الماضى فى الأمور ، أى أفعل ذلك بكل رجل ماضٍ فى الأمور مازال ينتظرنى ، لمحاربة الأملاك[٣] ، حتّى أعطيته دولة الخدم الذين هم ملوكُ اليوم . والأصح : أنه[٤] صفة للسيف[٢٧-ب] .

٢٣-شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً
وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فى الْحَرَمِ

شيخ : بدل من كلّ .

يقول : بكل سيف يَرَى[٥] الصّلوات الخمس نافلة ، ويستحل دم الحجاج فى مكة ، لأنه لا يخشى ولا يعقل ولا يعرف الشرع ، وإنما وصفه بكونه شيْخًا ، إما لبياضه وإما لكونه قديماً ، وذلك مدحٌ للسيف[٦] . وقيل : أراد بالشيخ : الرجل الماضى الذى يطلب المُلْك . يعنى أنه لا يبالى بالحرام والحلال ، ولا يرد التحرز الذى يوجبه الدين ، وذلك أصلح للحرب والقتال[٧] .

٢٤-وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ بِهِ أُسْدُ الكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ

(١) عنى بهم الأتراك الذين تملكوا بالعراق . الواحدى ٥٧ .

(٢) ب : « الصلت » .

(٣) الأملاك : يقصد بهم المملوكين يعنى الخدم والعبيد .

(٤) ا ، ع : « والأولى » .

(٥) ا ، ع : « يعد » .

(٦) المعنى : أن الشيخ هنا ، السيف ، وسمى السيف شيخا لقدمه : ولأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخًا لبياضه تشبيها بالشيب . وهذا هو رأى ابن القطاع فى التبيان ٤/ ٤٢ .

(٧) ع : «والقتال» ساقطة .

أسْد الكتائِب : اسم ما لم يُسمّ فاعله . وهو نُطحت . ورامتْه : أى زالت عنه . ولم يَرِمِ : أى لم يَزُل هو ، وأصله (رامت عنه[1]) فحذف حرف الجر ، وأوصل الفعل إليه ، والهاء فى «به» وفى «رامته» : للشيخ .

يقول : وكلّما ضربت تحت الغبار فى الحرب بذلك الشيخ ، صرعْتَ أُسْد الجيوش ، وشجعان الحروب ، زالت عن هذا الشيخ الأسْد وانهزمت ، ولم يَزُل هو عنها ، بل ثبتت . وروى : و«كلما بَطَحَتْ» بالباء أى صرعتْ . وروى : «نقحت» من المناقحة بالسيف . يقال : نَقَحْتَه بالسيف : إذا ضربتَه فيه فى فجأة .

٢٥– تُنْسى الْبِلاَدَ بُرُوقَ الْجَوِّ بَارِقَتِى
وَتَكْتَفِى بِالدَّمِ الْجَارِى عَنِ الدِّيَمِ

فاعل تُنْسى : بارقتى ، والبلادَ ، مفعوله الأوّل ، وبروقَ الجوّ . المفعول الثانى . والبارقة : السحابة ذات البرق . وأراد هاهنا السيف . والديم : جمع الدِّيمة وهى المطر ، يدوم أياماً .

يقول : إن سيفى يُنْسى أهل البلاد بروق السماء ، وتكتفى البلاد – أى أهلها – بالدم الجارى من سيفى عن الأمطار ، يعنى أن ما أسقيها من الدماء ينوب عن ماء السماء .

٢٦– رِدِى حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسِ وَاتَّرِكِى
حياضَ خَوْفِ الرَّدَى للشَّاءِ والنَّعَمِ[2]

وقد روى : «حياض الردى حوباء» : أى يا حوباء[3] وهى النفس

---

(١) ب : «عمن» .

(٢) روى البيت فى ا هكذا :

رِدِى رياض الردى حوباء واتركى حياض خوف الروى للشاء والغنم

(٣) ق : «حوباى» بالياء .

يقول : يا نفس رِدِى حياضَ الهلاك واغْشى غمرات الحروب واتركى حياض غير الهلاك للشاء والنَّعم . وأراد هاهنا الجبناء الضعفاء ، لأنهم بمنزلة البهائِم ! وروى : حياض خوف الردى[١] : أى اتركى الخوف من الردى . وروى : الحياض الذين هم بمنزلة الشاء والنَّعم[٢] .

٢٧-إنْ لَمْ أَذَرْكِ عَلَى الأَرْمَاحِ سَائِلَةً
فَلاَ دُعِيتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالكَرَمِ

يقول : إن لم أتركك يا نفس سائِلة على الأرماح ، مقتولة أو مجروحة ، فلا نُسِبْتُ إلى المجد والكرم . بالغ فى وصف نفسه بالمجد والكرم .

٢٨-أَيَمْلِكُ المُلْكَ والأسْيَافُ ظَامِئَةٌ والطَّيْرُ جائِعةٌ لحمٌ عَلَى وَضَمِ

الوضم : الخشبة التى يقطَّع عليها اللحم . ولحمٌ : رفع لأنه فاعل يملك . يقول : أيَمْلِكُ الْمُلْكَ هؤلاء الملوك[٣] ، الذين هم لحم على وضم ! مع أن الأسياف ظامِئة إلى دمائهم [٢٨ -أ] والطيرُ جائعة محتاجة إلى مثل هذه اللحوم .

٢٩-مَنْ لَوْ رَآنِى مَاءً مَاتَ[٤] مِنْ ظَمَأٍ
وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِى النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ

---

(١) ب : « حياض من خوف الردى » .

(٢) قال ابن القطاع : صحف هذا البيت جماعة فرووا « حياض خوف الردى » بالحاء المهملة قال لى شيخى قال لى صالح بن رشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك قلت : فكيف قلت ؟ قال : قلت خياض بالخاء المعجمة ، لأنى لو قلته بالمهملة كنت قد نقضت قولى ردى حياض الردى . فإنها هى حياض خوف الردى وكل من ورد الماء فلابد أن يخوضه إما بيد أوفم . التبيان ٤٣/٤ .

(٣) قال ابن جنى : يريد أن ملوك عصره ليس فيهم من يدفع عن نفسه . وقال الخطيب ، أيملك الملك قوم أذلاء كاللحم على الوضم وأسيافنا ظامئة إلى دمائهم . والطير جائعة ولا يشبعها منهم . التبيان ٤٤/٤ .

(٤) ب : « ما مات »

مَثَلْتُ : أى قمت وظهرت .

يقول : أيملك المُلْك من هو فى ضعفه لو رآنى ماءً وهو ظمآن لم يمكنه أن يردنى ومات عطشا ! ولو رآنى فى النوم لَزَال نومُه ، ولا يجسر أن ينام ؛ خوفاً منِّى ، ولا يستقر لعظم هيبتى فى قلبه .

٣٠– مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَدًا
وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

ومن عصى : فى موضع جر ، عطفاً على كل .

يقول : ميعاد كل سيفٍ رقيق الشفرتين غداً ، وميعاد كل من عصانى من ملوك العرب والعجم ؛ أقتلهم بهِ . وقيل : فيه إضمار تقديره هذا المذكور الذى هو لحم على وضم ، ميعاد كل سيوفى ملوك العرب والعجم .

٣١– فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِى بِهَا لَهُمْ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمِ[1]

يقول : أقصدهم بسيوفى ، فإن انقادوا إلىّ فما قصدى بهذه السيوف إليهم ، وإن تولوا عنى ، فما أرضى لهذه السيوف بهم بل أقتل سواهم[2] .

(٢١)

وقال أيضاً فى صباه وقد عذله أبو سعيد المخيمرى فى تركه لقاء الملوك[3]

١ – أبا سَعِيدٍ جنِّب العِتَابَا
٢ – فربَّ راءٍ خَطأً صَوابَا

(١) ب « فإن أجابو فما قصدى لها بهم وإن تولوا فما أرضى لهم بهم »

(٢) شرح هذا البيت : « يقول أقصدهم ــ سواهم » ساقط من ق ، ب وقد أثبتناه من ا ، ع ، خ .

(٣) فى ب : « وقال أيضا » ق : « وقال غيره » يريد غير ما سبق . والمثبت من أ ، ع ، وطلعت والواحدى ص٥٨ والتبيان ١/١٠٥ . والديوان ٣٤ والعرف الطيب ٣٣ .

راء : فاعل ، وهو العامل فى خطأ ، وفى صواب ، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل منه[١] .

يقول : يا أبا سعيد[٢] بعّد عنى عتابك فأنت مخطئ فيه ، فرُبَّ إنسانٍ يرى الخطأ صواباً ، وروى «فرب رائى خطإٍ صواباً»[٣] على الإضافة وحذف التنوين ، طلباً للخفة ، والغرض إثباته لأن الإضافة غير حقيقية ، ثم بين وجه الخطأ فى عذل أبى سعيد فقال :

٣ – فَإِنَّهُـمْ قَـدْ أَكْثَرُوا الْحُجَّابَا
٤ – وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدِّنَا الْبَوَّابَا

استوقفوا : أى طلبوا من البواب الوقوف .

يقول : إنما أترك قصدهم لأنهم أكثروا الحجّاب ليمنعونا عنهم ، وأقعدوا لردنا عنهم البواب على أبواب دورهم .

٥ – وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا
٦ – وَالذَّابِلاَتِ السُّمْرَ وَالْعِرَابَا
٧ – تَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحِجَابَا[٤]

القِرضاب : هو القاطع ، وهو صفة لحدّ السيف . والذّابلات السمر : هى الرماح . والعِراب : الخيل العربيّة .

يقول : لا أقصدهم إلا محارباً بالصّارم القاطع ، والرِّماح الذُّبْل ، والخيل العراب ؛ فإن هذه الأشياء التى ذكرتُها ترفع الحجاب فيما بيننا وبينهم .

---

(١) ب : « عمل الفعل منه » ساقط .

(٢) هو : أبو سعيد المنجى من بنى المخيمر ، قبيلة بمنبج من طيئ عن مقدمة هذه القصيدة فى النسخة ع والتبيان ١/ ١٠٥ .

(٣) ق : « فرب رائى .. صوابا » ساقط .

(٤) ب : هذا البيت ساقط . ق : مؤخر بعد شرح القطعة كلها . ع : « يمنع » بدل « ترفع » .

(٢٢)

وقال فى صباه ارتجالاً [يصف ألم الشوق والفراق][1] على لسان إنسان سأله ذلك :

١ - شَوْقِى إِلَيْكَ نَفَى لَذِيذَ هُجُوعِى
فَارقْتَنِى وَأَقامَ بَيْنَ ضُلُوعِى

يقول مخاطباً لحبيبه : شوق إليك نفى نومى ، ففارقتنى أنت ، وأقام ذلك الشوق بعدك بين ضلوعى .

٢ - أَوَمَا وَجَدْتُمْ فِى الصَّرَاةِ مُلُوحَةً
مِمَّا أُرَقْرِقُ فِى الْفُرَاتِ دُمُوعِى ؟ !

الصَّراة : نهر ببغداد ، مشتق من الفرات .

يقول لحبيبة ، وهو واحد ؛ يخاطب الجماعة تعظيماً له [٢٨ - ب] : أوَمَا وجدتم فى هذا النّهر ملوحةً ؟ من كثرة ما صَببت من دمعى فى الفرات ، الذى مادّة هذا النهر منه ؛ لأن الدمع مالح المذاق .

٣ - مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وِدَاعِكَ جَاهِدًا
حتّى اغتدَى[2] أَسَفِى عَلَى التَّوْدِيعِ

يقول : مازلت أحذر من توديعك خوف الفراق ، حتّى وقع الفراق من دون الوداع ، فصرت أأسَفُ على تَرْك التّوديع ؛ إذ كان فيه بعض السلوة . أو يكون

(١) ق عبارتها : « وقال على لسان إنسان » والتكملة من سائر النسخ والديوان ٣٤ والواحدى ٥٩ والتبيان ٢/ ٢٤٨ وطلعت والعرف الطيب ٣٣ .

(٢) فى جميع النسخ : « غدا » وما ذكرناه عن الواحدى والتبيان .

الفراق وقع مع الوداع . فيقول : أنا آسف[1] على ما حَصَلَ لِى[2] من المسرّة فى لقائك عند الوداع ، فأشتاقه وأتمنّى عوْده .

٤ – رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِى فَكَأَنَّمَا أَتْبَعْتُهُ الأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ

العزاء : الصّبر .

يقول : رحل العزاء عند ارتحالى عنك ، فكأننى أتبعته[3] أنفاسى لتشيّعه ، أو للتَّشييع لك ، ويحتمل أن يريد : أن الصبر فارقنى لفراقى لك ، وضعفت عن النَّفْس ، وانقطعت الأنفاس ، فكأنما تَبِعَتْكَ[4] مشيّعةً ومثله لأبى تمام[5] .

إن لَمْ أودّعهم فقد أتبعتُهم بمشيِّعيْنِ : تنفّسى ودمُوعى[6]

(٢٣)

وقال أيضاً فى صباه ارتجالاً [يفتخر][7] :

١ – أىَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِى ؟ أَىَّ عَظِيمٍ أَتَّقِى ؟

٢ – وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ

---

(١) ع : « أتأسف » .

(٢) ع : « محصولى » تحريف . ق : « ما حصل إلى » تحريف .

(٣) أتبعته وتبعته قال الأخفش هما بمعنى كما تقول أردفته وردفته : وقال غيره : « تبعت القوم إذا مشيت خلفهم أو مروا بك فمضيت معهم وكذلك : « أتبعتهم » وهو من باب افتعلت وأتبعت القوم – على أفعلت – إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم . التبيان ٢/ ٢٤٩

(٤) ا ، ع : « فكأنها اتبعتك » .

(٥) هو : حبيب بن أوس الطائى ، ولد بالشام ثم انحدر إلى مصر ثم صار إلى بغداد فمدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع حتى تقدم سائر شعراء عصره ، وهو من أوائل من عنوا بفنون البديع وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ .

(٦) لم أعثر على هذا البيت فى ديوانه تحقيق د. عزام.

(٧) الواحدى ٦٠ نص المذكور . التبيان ٢/ ٣٤١ . الديوان ٣٥ . العرف الطيب ٣٣ .

٣ - مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي

يقول : أىّ محل أرتقى إليه ؟ فلا مزيدَ فوق ما أنا عليه فأصير[1] إليه . وأى عظيم أخشى منه وأحذره ؟ وكلّ شيء خلقه الله تعالى وما لم يخلق بعد ، هو محتقر عند همّى ، كشعرة فى مفرق رأسى . وروى : «كشعْرَتى فى مفرق» على الإضافة ، و«مفرق» على النكرة أىْ مفْرق من المفارق .

(٢٤)

وقال أيضاً فى صباه ، مجيباً لإنسان قال له : سلمت عليك فلم ترد علىَّ السلام[2] :

١ - أَنَا عَاتِبٌ لِتَعَتُّبِكْ مُتَعَجِّبٌ لِتَعَجُّبِكْ[3]
٢ - إذ كنتُ حينَ لَقِيتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغَيُّبِكْ[4]
٣ - فَشُغِلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامَ فَكَان شُغْلِي عَنْكَ بِكْ

يقول لصاحبه وقد عاتبه على تركه ردّ السلام : أنا متغضّب لأجل غضبك، ومتعجّب بسبب ما تعجبت ! من تركى للجواب لك ؛ لأنى كنتُ حين رأيتَنى متوجِّعاً لغيْبتك ، التى كانت قبل رؤيتى إياك ، فلما رأيتَنى كنتُ مدهوشاً ، فشغلتنى دهشتى وفكرى فيك ، عن رد السلام عليك ، فكان شغلى عن رد السلام بك .

---

(١) ع : «فأصبو» .
(٢) الواحدى ٦٠ : «فلم ترد على الجواب» .
(٣) هذه الأبيات لم يذكرها صاحب التبيان .
(٤) ب «إذ كنت حيث لقيتنى متعجبا لتغيبك»

(٢٥)

وقال أيضا فى صباه[١] [فى الحماسة] :

١ - إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتُرُ الْفَقْرَ قَاعِدًا
فَقُمْ وَاطْلُبِ الشَّىءَ الَّذِى يَبْتُرُ الْعُمْرَا[٢]

يقول لنفسه ، أو لرفيقه[٣] : إذا لم تجد الشَّىء الذى يقطع الفقر وأنت قاعد ! وهو : إمّا القناعة ، وإمّا المال . فقم واطلب الشَّىء الذى يقطع العمر ، وهو السيف الذى يوصلك إلى مبتغاك فتنال ما تريد أو تُقْتَل .

(٢٦)

وقال أيضاً فى صباه[٤] [يستبطئ عطاء ممدوحه][٢٩-١] :

١ - انْصُرْ بِجُودِكَ[٥] أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا   فِى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
٢ - فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحَلٌ   وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلاً لِمَا شِيتَا

روى : أبياتاً بدل ألفاظاً . ومكبوتاً : أى مردوداً بغيظه . ونَظَرْتُك[٦] : أى

(١) الواحدى ٦٠ . التبيان ٢/ ١١٤ . الديوان ٣٥ . قال صاحب التبيان « وهو بيت مفرد وروى قوم أنهما بيتان » هذا وإن محقق الديوان لم يذكر إلا بيتا واحدا وذكر البيت المشكوك فيه فى الهامش . الديوان ٣٥ ولم يذكر الواحدى أيضا إلا البيت الأول منهما .

(٢) تزيد نسختا ا . ع بعد البيت المذكور ما يلى .

هما خلّتانِ : ثَرْوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ   لَعَلَّكَ أَنْ تَبْقَى بِوَاحِدَةٍ ذِكْرَا

ولم يرد إلا شرح البيت الذى فى الأصل كما هو واضح

(٣) ع : « أو لرفيقه » ساقطة .

(٤) الواحدى ٦٠ . التبيان ١/ ٢٢٣ . الديوان ٣٥ . العرف الطيب ٣٤ .

(٥) ما أثبت عن ع والواحدى والتبيان والديوان وشرح البيت وفى سائر النسخ « انظر لجودك »

(٦) ع : « الغيظ ونظرة بك » تحريف .

انتظرتك[١] . ومرتحل[٢] : أى ارتحالى ، أو وقْتَ ارتحالى . وانصر : من قولك نصر المطرُ الأرضَ إذ جاد عليها .

يقول : اسق بجودك ما قلت لك من الأشعار ، التى قد مدحتك بها ، فإنى قد تركت بسببها من عاداك ، مردوداً بغيظه فى الشرق والغرب ؛ لأن ما قلته يُروى أبدًا فيغيظ أعداءك ، أو لأن أعداءك طلبوا منى مدحهم ، فاخترتك عليهم ومدحتك دونهم فغظتهم بذلك ، فأجزنى على ذلك[٣] ، فقد طال انتظارى لعطائك حتى حان الارْتحال ، وهذا الوداع قد حَضَر[٤] فكن أهلا لما شئت إن أعطيتنى شكرتك وإن أحرمتنى[٥] شكوتك[٦] وهجوتك .

(٢٧)

وقال أيضاً فى صباه [يمدح بعض أمراء حمص] ولم ينشدها أحدًا[٧] :

١ - حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فَانْهَلَّتْ بَوَادِرُهُ

حاشى : أى أظهر سرّه . وروى خاشا : أى توقًا وتجنب[٨] وفاعله مضمر تقديره خاشا المحبُّ الرقيبَ ، وكذلك غيَّض المحبُّ الدمعَ ، والضمير : فى

(١) ا ، ع : بعد ، أى انتظرتك : « وإن أعطيت ومنعت من مدح أو قدح » .

(٢) ع : « مرتحلى » .

(٣) ا : « على هذا » .

(٤) ق : « قد خطر » .

(٥) أحرمتنى : أى أدخلتنى فى حرمة . اللسان .

(٦) ق : « شكوتك و » ساقطه .

(٧) ب : « وقال رحمه الله » : والمثبت من سائر النسخ والواحدى ٦١ والتبيان ١ / ١١٥ الديوان ٣٦ والعرف الطيب ٣٥ . ق : « ولم ينشدها أحدٌ» بالرفع .

(٨) خ : « أى أظهر سره » تحتها خط يفيد الضرب عليها ، وفيها أيضا : « خاشاه أى توقاه » وتجنبه .

«ضمائره» . و«خانته» [يعود] إلى الفاعل المضمر ، وهو : المحب . وفى «بوادره» : إلى الدمع .

يقول : إنّ المحبّ باعد الرقيب وتوقاه[١] كاتما سرّه فخانته ضمائره[٢] ، حيث لم يمكنه ستره لغلَبة الجزع . وغيّض هذا المحب أيضاً دمعه وحبسه ، فلم يمكنه ذلك ، فانسكبت بوادره وسوابقه من شدّة الجزع وفرط الهوى ، فظهر للرقيب ما كان يكاتمه وانهتك له ستره .

٢ - وَكَاتِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكٌ
وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لاَ تَخْفَى سَرَائِرُهُ

وروى : وكاتم الوجد . وصاحب الوجد . أيضاً .

هذا البيت تفسير للبيت الأول . يقول : كاتم الحبّ ، يوم الفراق مفتضح . وصاحب الوجد ، تَظْهَرُ سرائِره بدموعه .

٣ - لَوْلاَ ظِبَاءُ عَدِيٍّ مَا شَقِيتُ بِهِمْ
وَلاَ بِرِبْرِبِهِمْ لَوْلاَ جَآذِرُهُ

الرّبرب : القطيع من بقر الوحش . والجآذر : جمع جُؤْذَر . وهو ولد البقرة الوحشية . والمراد بالربرب والظباء : النساء . وبالجآذر : الصبايا والفتيات .

يقول : لولا نساء هذه القبيلة وجواريهم ، ماشقيت بهم ، ولا ابتليت بهواهم ، فكأنه يقول : إنّي أحب رجال عديٍّ لحبي نساءهم وجواريهم . أو رأى – من حيث الأدب – أن ينسب شقاءه إلى قوم محبوبته . وإن كان مقصوده المحبوبة . وقال ابن فورجة : يقال شقّى فلان بقوم : إذا أبغضوه ، فكأنه يقول : لولا نساء عديٍّ وجواريهم ، ما شقيت برجال هذه القبيلة ، يعني أنهم إنما أبغضوني لذلك فلولاهن ما أبغضوني .

(١) ع : «ما عدا الرقيب توقاه» .

(٢) المراد بالضمائر هنا ، جمع ضمير ، وهو ما يضمره الإنسان فى نفسه ويخفيه .

٤ - مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِى أَنْيَابِهِ شَنَبٌ
خَمْرٌ يُخَامِرُهَا(١) مِسْكٌ تُخَامِ

[٢٩ - ب] الأحور : الصافى بياض العين وسوادها ، مع سعة العين
والشنب : بَرْد ماء الأسنان ، وعذوبته . وقيل : صفاء الأسنان . وقيل : حِدَّتُها
والمُخَامِرُ : المخالط . وخمر : بدل من شنب ، فكأنّه يقول فى أنيابه خمر(٢)
ويجوز أن يكون خمر وما بعدها(٣) ، صفة لشنب . لأنّ النكرة توصف
بالجملة(٤) ، والهاء فى مخامرها : للخمرة لأنها تأنّث فى الأغلب ، وفى تخامره
للمسك . والتاء : للخمر .

يقول : كل واحد من الظباء ، حسن العينين ، فى أسنانه بياض وصفاء ، وم
بارد ، خالطته خمر ، وخالط تلك الخمرة مسك ، يصف بذلك عذوبة فم الحبيب
وشبهه بالخمر لما فيها من اللّذة ، ووصف طيب رائحتِه فشبهه بالمسك .

٥ - نُعْجٌ مَحَاجِرُهُ دُعْجٌ نَوَاظِرُهُ حُمْرٌ غَفَائِرُهُ سُودٌ غَدَائِرُ

النعجُ : البيض . والمحاجر : جمع محجر وهو ما حول العين . وقيل : ما يبد
من النقاب . والدّعج : جمع أدعج ودعجاء : وهو الشديد السواد . والنواظر :
الحدق(٥) . والغفائِر : جمع غفارة ، وهو ما يغفر الرأس من مِقْنعة ، أو وقاية :
يوقى بها الرأس من الدهن(٦) . والهاء فى كل ذلك ، ترجع إلى لفظ « الأحْور
أو لفظ « كل » .

---

(١) ع : « مخامرها » رواية . انظر الواحدى ٦١ والتبيان والديوان وشرح البيت .
(٢) ب : « فى أنيابه شنب خمر » .
(٣) ع : « بعده » .
(٤) فى سائر النسخ : « إلا أن النكرة توصف بالجملة » وما فى الأصل عن ع .
(٥) ق ، خ : « الحلوق » .
(٦) ذكر الواحدى ٦٢ أنها خرقة تكون على رأس المرأة يوقى بها الخمار من الدهن .

يقول : من كل أحور بيض محاجره ، سود نواظره ، حمر مقانعه[١] سود ضفائره .

٦ – أَعَارَنِى سُقْمُ جَفْنَيْهِ[٢] وَحَمَّلَنِى مِنَ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِى مَآزِرُهُ

أعارنى : كل واحد من الظباء . سقم عينيه : وهو الفتور الذى فى العين ، وجعله عاريةً فى بدنى ، أى أسقمنى بعينه السقيمة ، وحمّلنى ثقل ما اشتملت عليه مآزره وهو جمع المئزر[٣] ويعنى به : الأرداف والكفل .

٧ – يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِى نَفْسِى فَعَذَّبَنِى وَمَنْ فُؤَادِى عَلَى قَتْلِى يُضَافِرُهُ

المضافرة : المعاونة . ويروى : بالضاد ، والظاء .

يقول : يا من تحكَّمَ فى نفسى فعذّبنى فى هواه ، ويا من يعاونه قلبى على قتلى ، فإن قلبى يميل إليك ، ويحتمل كلّ ما وصل إليه منك . والهاء فى يضافره : تعود إلى «مَنْ»[٤] وهو مذكّر فى اللّفظ .

٨ – بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاءِ ثَانِيَةً[٥] سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلَ سَاهِرُهُ

الهاء : تعود إلى اللّيل . وكان هذا الممدوح قد عُزِل عن ولايته بلده ، ثم أعيد إليها ، وقيل : كان قد أُسِر وفُدِى فعاد إلى بلده .

يقول لمحبوبته : قد سلوت عنكَ أيها المنادى ، بعودة دولة هذا الأمير ثانية[٦] ،

---

(١) ا ، ب : «حمر مقانقه ووقاياته» .

وذكر الواحدى وصاحب التبيان قالا «جعلها حمرا لكثرة استعمال الطيب» .

(٢) ع : «سقم عينيه» .

(٣) فى النسخ : «مآذر وهو جمع الميذر» تحريف والتصويب من الواحدى . والمعجم الوسيط .

(٤) ا ، ب : «تعود على من» .

(٥) فى الديوان : «ثابتة» .

(٦) يقول صاحب التبيان ٢/ ١١٧ «وهذا نقص لأن المحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يسلوه ، أحسن إليه أم أساء ! ! » .

وقد نمت فى ليلى بعد ماكنت ساهرًا ، لحزنى لغيبته .

٩ – مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِى لاَ صَبَاحَ لَهُ
كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ

يقول : نمت فى ليلى ، من بعد ماكان ليلى علىّ طويلا ، بحيث لا صباح له . فكأنّ آخره أوّل[١] يوم القيامة من الطول . يعنى أنه بلا آخر . فكأنّه متصل بيوم القيامة ومثله قول خالد الكاتب[٢] :

رَقَدْتَ ولَمْ تَرْثَ للسَّاهِرِ وليْلُ المُحِبِّ بِلاَ آخِرِ[٣]

١٠– غَابَ الأَمِيرُ فَغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدٍ
كَادَتْ لِفَقْدِ اسْمِهِ تَبْكِى مَنَابِرُهُ

[٣٠ – ا] يقول : لما عزل هذا الأمير أو أسر[٤] فغاب الخير عن بلد ، كادت منابره تبكى لافتقادها اسمه عليها أيام الجمعة . والهاء : فى «اسمه» للأمير ، وفى «منابره» : للبلد .

١١– قَدْ اشْتَكَتْ وَحْشَةَ الأَحْيَاءِ أَرْبُعُهُ
وَخَبَّرتْ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ

الأَرْبُعُ : جمع القلة للرَّبع وهو المنزل[٥] . والكثير الرِّباع ، والرُّبوع . والهاء : فى «أربعه» و«مقابره» : للبلد .

---

(١) ا : «آخر» بدل «أول» .

(٢) هو خالد بن يزيد البغدادى شاعر غزل . أصله من خراسان ومولده بها . عاش ومات فى بغداد سنة ٢٦٢ هـ . وكان أحد كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . وكان يهجو أبا تمام . الأغانى ٢١ / ٣١ وطبقات ابن المعتز ٤٠٥ .

(٣) منسوب إليه فى دلائل الإعجاز ٣١٧ . وثمرات الأوراق ١ / ٣٥ . وطبقات ابن المعتز ٤٠٥ . والتبيان ٢ / ١١٨ .

(٤) ع : «غاب هذا الأمير لما عزل» تحريف .

(٥) فى سائر النسخ : «الربع وهى القلة أصوب» وذكر عن ع : والربع منزل ينزل فيه زمن الربيع

يقول : شكت منازلُ البلد وحشة[١] الأحياء بغيبة الأمير عن هذا البلد ، وأخبرت المقابرُ عن حزن موتاها ؛ لأنّها كانت معمورة بالخيرات عند كونه فيها ، أو لكونها كانت عليها من طلاوة هذا الممدوح[٢] ، مثل ما يكون على من فى قلبه مسره .

١٢– حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِبَابُ لَهُ أَهَلَّ لله بَادِيهِ وَحَاضِرُهُ

يقول : ما زالت الأرْبع والمقابر كذلك ، حتى ضُربت له الخيام وعُقِدت له عند دخوله البلد القباب[٣] ، فكَبَّر لذلك أهل البدو[٤] وأهل الحضر ؛ استبشاراً به ، لأن مِنْ عادة المستبشر أن يكبر ويهلِّل ، والهاء : فى « باديه » و« حاضره » : للبلد . ويجوز أن يريد به : نفس البدو والحضر ، ويكون ذلك مبالغة فى الاستبشار ، لأنهما إذا استبشرا مع كونهما جمادين ، فما ظنك بأهلها مع صحّة الاستبشار منهم[٥] .

١٣– وَجَدَّدَتْ فَرَحًا لاَ الْغَمّ[٦] يَطْرُدُهُ
وَلاَ الصَّبَابَةُ فِى قَلْبٍ تُجَاوِرُهُ[٦]

وجدَّدَتْ : يجوز أن يكون فعل العودة أو الدولة أو القِباب المعقودة ، أو فعل الأرْبُع والجماعة المذكورة ، والهاء فى « يطرده » : للفرح ، وفى « تُجاوره » : للقلب[٧] . ويجوز أن يكون راجعاً إلى الفرح .

يقول : جدَّدَت هذه الأمور فرحاً لا يطرده غمّ ؛ من قوته وتمكنه فى القلب ،

---

(١) الوحشة : الحزن يجده الإنسان فى قلبه عند وحدته عن الناس .

(٢) : « أو لأنها كانت عليها الطلاوة ولو ظل هذا الممدوح » .

(٣) التى تتخذ للريبة . الواحدى والتبيان .

(٤) ا . ع . « البيد » .

(٥) ق . ب : « بهم » .

(٦) ا « الهم » « تخاوزه » (٧) ا : « للقلب » ساقطة .

ولا يجاوره شوق وصبابة ، أى لا يصير جاراً له ، وذلك لأن العشق لا يكاد يخلو توابعه من الغم ، والفرح[1] إذا كان غالباً لم يكن هناك عِشْق .

١٤–إِذَا خَلَتْ مِنْكَ حِمْصٌ لاَ خَلَتْ أَبَدًا
فَلاَ سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِىِّ بَاكِرُهُ

الهاء فى سقاها : لحمص[2] . وفى باكره : للوسمى . وقوله : لا خلت أبداً : دعاء للبلد أو لأهلها ، وهو فى الحقيقة دعاء للممدوح بالدوام والثبات فيها ، وهو حشو مليح .

يقول : إذا خلتْ منك هذه البلدة – لا خلاها الله منك – فلا سقاها باكر الوسمى : وهو أوله أو ما يأتيه بكرة[3] ، وذلك دعاء على البلد عند خلوها منه .

١٥–دَخَلْتَهَا وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّقِدٌ وَنُورُ وَجْهِكَ بَيْنَ الْخَيْلِ بَاهِرُهُ

الهاء فى باهرهُ : ترجع إلى شعاع الشمس ، أى غالبهُ .

يقول : دخلتَ حمصاً والشمس طالعة وشعاعها متّقد وكأن نور وجهك بين العساكر غالباً لشعاع الشمس ، والغرض به تفضيله على الشمس فى الحسن والبهاء .

١٦–فِى فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ
صَرْفَ الزَّمَانِ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ

الفيْلق : العسْكر ؛ لأنه يفلق كل شىء أتى عليه [٣٠–ب]

يقول : دخلتَها بجيشٍ من حديد ؛ لكثْرة ما عليهم من الحديد ، لو رميْتَ به صرف الدهر – مع أنه لا يطيقه أحدٌ – لما دارت دوائِر صرف الزمان ،

---

(١) ق : « والفرج » .

(٢) حمص بلد بالشام ولد به الممدوح . الواحدى .

(٣) باكر الوسمى : أول مطر فى السنة . والولىّ : ثانية . الواحدى ٦٣ . وقال صاحب التبيان الوسمى : أول مطر الخريف وهو الذى يسم فى الأرض .

ولا نفذت[1] أحكامه .

١٧–تَمْضِى الْمَوَاكِبُ وَالأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ[2]
مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْمَيْمُون طَائِرُهُ

المواكب : جمع الموكب ، وهو الجماعة من الناس ، والمراد هاهنا الجيش . والهاء فى «منها» : للكواكب[3] وفى «طائره» . للمَلِك .

يقول : تَسير الجماعات والابصار شاخصة من بينها إلى المَلِك – الميمون طائره[4] – دون غيره ممّن معه من الجيش ، وذلك لما لَه من الفضل والبهاء .

١٨–قَدْ حِرْنَ فِى بَشَرٍ فِى تَاجِهِ قَمَرٌ
فِى دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظَافِرُهُ

حِرْنَ : فعل الأَبصار ، والبشر : اسم يقع على الواحد وما فوقه من الناس . وأراد هاهنا الممدوح ، والأظافر : جمع ، وأصلها الأظافير فحذف الياء ، وهو جمع أظفور بمعنى الظفر ، أو جمع أظفار ، فهى إذًا جمع الجمع لأن أظفاراً : جمع ظفر .

يقول : تحيّرت الأبصار فى بَشَرٍ فى تاجه قمرٌ ، وهو وجهه ، وفى درعه أسد . أى أنه شجاع ، كأنه أسد ، تدمَى أظافيره بدماء الصيد . شبّه وجهه بالقمر . ونفسه بالأسد ، ومثله قول مسلم[5] .

---

(١) أ . ع : «ولما نفذت».

(٢) فى الديوان : «خاشعة» .

(٣) ق : «للكواكب» مكانها بياض والتكملة من سائر النسخ .

(٤) المراد بالطائر هنا : الفأل ، لأن العرب يتفاءلون فى الخير والشر مما طار فيسمون الفأل : الطائر .

(٥) هو : صريع الغوانى مسلم بن الوليد : شاعر من شعراء الدولة العباسية . مولده ومنشؤه بالكوفة وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع وتبعه فيه جماعة أشهرهم أبو تمام يقول ابن المعتز ص ٢٣٥ هو أول من وسع البديع . لأن بشار بن برد أول من جاء به . ثم جاء مسلم فحشا به شعره ثم

كأن فى سرجه بدراً وضرغاماً[١]

١٩- حُلْوٍ خَلاَئِقُهُ شُوسٍ حَقَائِقُهُ
تُحْصِى[٢] الْحَصَى قَبْلَ أَنْ تُحْصَى مَآثِرُهُ

الشوس : جمع أشوس . وشوْسا ، وهو الذى تَصْغُر عينيه للنظر ، ويَضُمّ أجفانه ، وذلك فعل المبغض والعدوّ[٣] . والحقائق : جمع الحقيقة وهى[٤] ما يحقّ على الإنسان حفظه والذّب عنه . والمآثر : جمع المأثرة ، وهى[٥] ما يؤثر من فضل الإنسان .

يقول : تحيرت الأبصار فى بشرِ خلائقه عذبة ، وحقائقه محفوظة مرعية ، ومآثره غير متناهية كثرة ، بحيث يمكن إحصاء الحصا كلّها ، ولا يمكن إحصاء مآثره وعدّ محاسنه ومكارم أخلاقه وأفعاله[٦] .

٢٠- تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحُبَتْ
كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِنْ فِيهَا عَسَاكِرُهُ

يقول : إنّ الدنيا مع سعتها تضيق عن جيش الممدوح لكثرته ، ولو اتسعت الدّنيا اتّساع صدره ، فكانت عساكره مع كثرتها لا تظهر فيها لسعة صدره ، وهو

= جاء أبو تمام فأفرط فيه وتجاوز المقدار . نزل ابن الوليد بغداد ومدح الرشيد وانقطع إلى البرامكة واتصل بالفضل بن سهل فقلده أعمالا بجرجان توفى سنة ٢٠٨ . معاهد التنصيص ٣/ ٥٥ . النجوم الزاهرة ٢/ ١٨٦ والشعر والشعراء ٣٣٩ وطبقات ابن المعتز ٢٣٥ .

(١) ديوانه ٦٥ والمصون للعسكرى ٥٣ وفى ديوان المعانى ١/ ٢٠ و ١/ ١١٧ . وما ذكر عجز بيت صدره :

تمضى المنايا لما تمضى أسنته

(٢) فى الديوان : « يحصى » .

(٣) ما ذكره الشارح تؤيده كتب اللغة ويذكر الواحدى وصاحب التبيان أن الأشوس : هو الذى ينظر نظر المتكبر .

(٤) ب ، ع : « وهو » .

(٥) ب : « وهو » .

(٦) ق ، ب : « وأفعاله » ساقطة .

كقول أبي تمام :

وَرَحْبُ صَدرٍ لو آنّ الأرض واسعةٌ كَوُسْعِهِ لم يضقْ عن أهله بلدُ(١)

٢١-إِذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ الْمرْءِ فِي طَرَفٍ مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ(٢)

التَّغَلغل : الدّخول فى المضيق(٣) . والهاء فى مجده : للممدوح. وفى فيه : لطرف(٤) وفى خواطره : للمرء .

يقول : إذا دخل فكرُ المرء فى طرف من مجده ، غرقت جوامع خواطره فيه ، لعِظَمِه وَوُفُور مجده وشرفه ، فإذا كان طرف منه بهذه الصفة ، فكيف يتصوّر إحاطة الفكر بجميع مجده وشرفه ؟ !

٢٢-تَحْمَى السُّيوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ(٥) كَـأَنَّــهُـنَّ بَـنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ(٦)

تحمى : من الحميّة والغضب .

يقول : إن السيوف إذا كانت فى يده وأيْدى أوليائِه ، لفضل مضائه ، كأنها تَحْمَى وتغضب على أعدائِه معه ، حتى كأن السيوف بَنوهُ أو أقاربه(٧) ؛ لأنّها تغضب لغضبه ، ومثله لأبي تمام :

كأنَّها وَهِيَ فِي الأوْدَاجِ وَالِغَةٌ وفِي الْكُلَى تَجِدُ الْغَيظَ الَّذِى تَجِدُ(٨)

إلا أن بيت المتنبى أبلغ ؛ لذكره المناسبة والقرابة .

---

(١) ديوانه ١٢/٢ والوساطة ٧٧ و ٣٦٦ و ٤٠٦ والإبانة ٥٦ والواحدى ٦٤ والتبيان ١٦/١ و ١٢٠/٢ ورواية الديوان والإبانة : « لم يضق عن أهلها بلد » .

(٢) ب : « إذا تغلفل فكر المرء فى طرق من محده عرقت فيه مآثره »

(٣) التغلغل : الدخول فى الشيء .

(٤) ب : « لطرق »

(٥) ا : « أبدًا » بدل : « معه » .

(٦) ب : « عساكره » بدل « عشائره »

(٧) ق : « بنوره وأقاربه » تحريف .

(٨) ديوانه ١٧/٢ والوساطة ٢٤٨ ، وديوان المعانى ٥٦/٢ ، الواحدى ٦٤ ، والتبيان ١٢٠/٢ .

٢٣- إِذَا انْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدَعْ جَسَدًا
إِلاَّ وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ

الهاء فى باطنه وظاهره : للجسد .

يقول : إن الممدوح إذا انتضى[(١)] تلك السيوف من أغمادها عند الحرب ، لم يترك من أعدائِه جسداً إلا جعله إرْبًا إرْبًا ، حتّى تبدوا بواطن أجسادهم ، أو يشق بطنه فتظهر منه الآلات[(٢)] الباطنة ، أو يريق دمه الذى فى باطن الجسد ، فيظهر عند ما يسيل[(٣)] ، فيصير فى هذه الحالات باطن الجسد للعين ظاهراً .

٢٤- فَقَدْ تَيَقَّنَّ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ
وَقَدْ وَثِقْنَ بِأَنَّ اللهَ نَاصِرُهُ

يقول : إن السيوف تَيَقَّنَّ أن الحق فى يده ، لمّا ازدادت قوة يده ، وأيدى أوليائِه ، وقد وثقن بأن الله ينصره على أعدائِه ؛ فلهذا صرن[(٤)] مثل بنيه وعشائِره فى الحميّة[(٥)] . ومثل قول النابغة[(٦)] :

جوانح قد أيْقنّ[(٧)] أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أوّل غالب[(٨)]

---

(١) انتضاها : أى جردها من أغمادها .
(٢) خ : « آلات » .
(٣) ب : « يسيل » ساقطة .
(٤) ق : « فلهذا صرف » ساقطة .
(٥) ا : « فى الجملة » تحريف . ب : « ومثله قول النابغة ..... غالب » ساقط .
(٦) هو : زياد بن معاوية ، ينتهى نسبه إلى ذبيان ، ويكنى أبا أمامة ويعد من الطبقة الأولى المتقدمين سائر الشعراء ، مات على جاهليته ولم يدرك الإسلام . معاهد التنصيص ٣٣٣/١ ، والأغانى ١٦٢/٩ ، والشعر والشعراء ٧٠ .
(٧) ق : « جوانح قد أيقن » مكانها بياض و ا : « فلا أيقن » .
(٨) ديوانه ٥٧ والمثل السائر ٤٠٣/٢ ، والتبيان ١٢٠/٢ .

٢٥-تَرَكْنَ هَامَ بَنِى عَوْفٍ[١] وثَعْلَبَةٍ عَلَى رُءُوسٍ بِلاَ نَاسٍ مَغَافِرُهُ

الهاء فى مغافره : للهام .

يقول : إن هذه السيوف تركْن هامَ هؤلاء القوم لما قطعن رءوسهم . عليها المغافر على رءوس بلا أجساد ، وكانت الرءوس ملقاة على الأرض وعلى هاماتها المغافر ، وعبّر عن الأشخاص بالناس .

٢٦-فَخَاضَ بِالسَّيْفِ بَحْرَ الْمَوْتِ خَلْفَهُمُ
وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ زَاخِرُهُ

زَخَرَ البحرُ : إذا ارتفع موجه .

يقول : خاض هذا الممدوح بسيفه خلف هؤلاء القوم . بحر الموت : يعنى موضع القتال . واستحقر ذلك وإن كان عظيماً[٢] ، حتى صار زاخرَ ذلك البحر ومتلاطمه من هذا الممدوح إلى الكعبين ، يصف بذلك قلة مبالاته بالأمور العظام .

٢٧-حَتَّى انْتَهَى الْفَرَسُ الْجَارِى وَمَا وَقَعَتْ
فِى الأَرْضِ مِنْ جِيَفِ الْقَتْلَى حَوَافِرُه

روى : انتهى ، وانثنى .

يقول : من قتل منهم صار بحيث أن الفرس الجارى لم يضع – وقت جريه – حوافره إلاَّ على جيف القتلى ، ولاتقع حوافره على الأرض من كثرة القتلى .

٢٨-كَمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ
ومُهْجَةٍ[٣] وَلَغَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ

---

(١) ا ، ع : « بنى بكر » .

(٢) قال ابن جنى : ركب معهم أمرًا عظيمًا عليهم . صغيراً عليه وبحر الموت مثل الأمر العظيم فهو صغير عنده كبير عندهم . التبيان ١٢١/٢ الواحدى ٦٥ .

(٣) المهجة : دم القلب والبواتر : القواطع .

أصل الولغ : شرب السباع الماء بألسنتها ، ثم كثر فصار اسماً للشرب مطلقاً .

يقول : كم من دمٍ رُويت منه أسنة الممدوح ، وكم من نفس دخلت فيها سيوفه القواطع ، وشربت منها حتى رويت ، يعنى أنه سفك دماء أعدائِه فلم يبق له عدوًّا إلا قتله . [٣١ – ب] .

٢٩–وَحَائِنٍ لَعِبَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ[1]
فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ والنَّسْرُ زَائِرُهُ

الحائِن : الهالك . والهاءات : راجعة إليه .

يقول : كم من هالك لعبت به الرماح السمر فأهلكته ، حتى هجره العيش ، فزاره النسر لأكل لحمه .

٣٠–مَنْ قَالَ: لَسْتَ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمُ
فَجَهْلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَاذِرُهُ

عَاذِره : أى قابل عذره .

يقول : من لم يقل : خيرُ الناس أنت ، فهو جاهل ، والجاهل إذا قال محالاً لِجَهْله ، فإنّ جهله يعْذره عند الناس أجمعين .

٣١–أَو شَكَّ أَنَّكَ فَرْدٌ فِي زَمَانِهِمُ بِلاَ نَظِيرٍ فَفِى رُوحِى أُخَاطِرُهُ

أخاطره : أراهنه .

يقول : من شك أنك فردٌ : لا نظير لك ، فإنى أراهنه وأشارطه بروحى وروحه ، فحذف للدلالة ، وإنما رَاهنه بروحه لفرط يقينه ، أنه لا نظير له ، فَعَلم أنه يفوز بالظَّفر ، ويظفر بالخطر ؛ لأن الروح أعز الأشياء

٣٢–يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ

---

(١) معنى لعب الرماح به : تمكنها منه وقدرتها عليه .

اعوذ ، وألوذ : متقاربان فى المعنى .

يقول : يا من ألتجئ إليه فى آمالى ، ويا من أعتصم به مما أخشاه وأحذره من المكاره .

٣٣-وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُه جُودًا وَأَنَّ عَطَايَاه جَوَاهِرُهُ

الهاء فى جواهره : للبحر .

يقول : يا من خلْت أن راحته هى البحر وأن عطاياه هى[1] جواهر البحر التى[2] تخرج منه ، لأنّ[3] الجواهر لا تكون إلا من البحر .

٣٤-ارْحَمْ شَبَاب فَتًى أَوْدَتْ بجدَّتِهِ
يَدُ الْبِلَى وَذَوَى فِى السِّجن نَاضِرُه

الهاءات : كلها للفتى .

يقول : ارحم شباب فتًى أهلكت البلى جِدّته ، فأخلقته ، وذبل[4] فى السجن ماكان ناضراً منه[5]

٣٥-لاَ يَجْبرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ
وَلاَ يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُه

(١) ق ، ب : « هى » لا توجد . (٢) ب : « الذى » .

(٣) ق . « لأن » لا توجد . ع : « لأن الجوهر ليكون » والتصويب من سائر النسخ .

(٤) فى النسخ : « ودبلت » .

(٥) ارحم شباب فتى أودت بجدته يد البلى وذى فى السجن ناضره

يذكر الواحدى ٦٦ والتبيان ١٢٢/٢ أن هذا البيت منحول . وقد جاءوا به فى آخر القصيدة يعنى مؤخرًا عن البيت الذى يليه . ويذكران معناه بقولها : يريد أن البلى قد تسلط عليه حتى أذهب جدته وذهبت نضارته فى السجن . وذكر محقق الديوان ٣٨ هامش ٣ أن هذا البيت ورد فى نسخ ابن جنى وب ونسخة المعرى التى معنا ، وورد فى نسختى و . ا . من نسخ تحقيق الديوان .

وليس ببعيد أن يكون المتنبى حذف هذا البيت أنفة من التضرع . لأنه البيت الوحيد فيه ضراعة فى هذه القصيدة .

لا يهيضون : أي لا يكسرون ما تجبره[١] أنت ، ولا تجبر الناس ما تكسره أنت ، يعني : أنهم لا يقدرون على ردّ أمرك ومثله قول الآخر :

لاَ يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمَ مَا كَسرُوا ... وَلاَ يَهِيضُونَ عَظْمَ مَا[٢] جَبَرُوا[٣]

(٢٨)

وقال أيضاً يمدح شجاع بن محمد بن عبد العزيز بن الرضا المضاء الطائي المنبجي[٤] :

١ - عَزِيزٌ أَسًى مَنْ دَاؤُه الْحَدَقُ النُّجْلُ ... عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ

الأسى : جمع أسْوة ، وهي الصبر . والأسَا : مصدر أَسَوْت الجرح أَسْوًا وأسيًا[٥] .

يقول : عزيز : أي قليل الوجود صبر من داؤه ، أو مداواة من داؤه الحدق الواسعة ، وهو داء عياء[٦] . ثم قال : « به » أي بهذا الداء . مات المحبّون من قبل . ويجوز أن يكون المراد بالأسى الحزن ، وعزيز : أي شديد صعب ، يخشى عليه . وعزيزٌ : مرفوع بالابتداء وأسى خبره ، وجاز البتدا بالنكرة لأنه في [٣٢ - ا]

---

(١) ب : « ما يجبرون » والجبر : إصلاح الكسر .

(٢) ق ، خ : « عظم من جبروا » والتصويب من سائر النسخ .

(٣) ذكره ابن جني غير منسوب في الواحدي ٦٦ والتبيان ١٢٢/٢ .

(٤) ع : « وقال أيضًا » الأبيات .
ا ، ب : « وقال أيضًا يمدح شجاع بن محمد » وما ذكر عن سائر النسخ والديوان ٣٩ والواحدي ٦٦ والتبيان ١٢٢/٢ . وقد ذكر محقق الديوان أن في إحدى نسخه أنه من أهل منبج وأربابها » .

(٥) أسوت الجرح أسوا وأسيا : إذا أصلحته وهذا أحسن ما يقال في البيت . الواحدي والتبيان ١٨١/٣ ويقول الواحدي : الأسى بضم الألف : الصبر ، والأسى بفتح الألف : العلاج .

(٦) العياء : الداء الذي لا علاج له . الواحدي والتبيان .

تقدير فعل ، كأنه يقول : عزيز أسى ، « وداء عياء » خبر ابتداء محذوف كأنه قال : وهو داء عياء[١] .

٢ – فَمَنْ شَاء فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ فَمَنْظَرِي نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ

المنظر : موقع النظر عليه[٢] .

يقول : من أراد أن يجرّب هذا الدّاء فلينظر إلَيَّ ، ليبصرَ نحول جسمى فإن منظرى ، أوْحَالى[٣] نذير ومخوّف لمن ظنّ أن العشق هيّن ، وأن الحبّ يمكن الخروج منه ، والمقصد تعظيم أمر الهوى وقلة المداواة منه .

٣ – وَمَا هِيَ إِلاَّ لَحْظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ
إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ

هي : ضمير قبل الذّكْر ، والمراد به الخصلة ، أو اللّحظة المذكورة من بعد ، وروى : وما هو ، وأراد الهوى المذكور فى البيت الذى قبله . والهاء فى قلبه : ترجع إلى «مَنْ» فى قوله « من داؤه » .

يقول : لا يتولّد الهوى إلا من نظرةٍ إثْر نظرة ، فإذا حلّت تلك اللحظات المتكررة فى القلب ، رحل العقل وزال بعد نزولها ، فلا ينتفع بعد ذلك بالعقل .

٤ – جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي
فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ

يقول : جرى حب هذه المرأة فى جميع بدنى ، واستولى علىَّ بجُمْلَتِى وَجَرَى[٤] مجْرى الدم ، أى أنه امتزج بجميع بدنى كالدم الجارى فيه ، فأصبح لى

---

(١) ا ، ع : « هو عياء » .
(٢) ع : « عليه » ساقطة . ب : « إليه » .
(٣) ا : « أوحالى » ساقطة . ع : « منظرى وحالى » .
(٤) عن ا : « وجرى » .

شغْل بها ، يشغلنى[١] عن كل شغلٍ هو سواه ، وقيل معناه : أن هواها ذَلَّلنى حتّى عنها[٢] من شدّة تأثيره فى روحى وعقلى وبدنى .

هذا[٣] وروى : «فأصبح عن غير شغلى بها شغل»[٤] .

٥ – وَمِنْ جَسَدِى لَمْ يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً فَمَا فَوْقَهَا[٥] إلاَ وَفِيهَا لَهُ فِعْلُ

فما فوقها : يجوز أن يكون فى الْعِظَم[٦] وفى الشَّعر ، والهاء فى فيها : للشعرة وروى : «فيه» وأراد به : الجسم . وفى «له» للسُّقْم .

يقول : لم يترك السُّقم من جسدى شعرة وما فوقها ، فى الصِّغر[٧] أو العِظَم ، إلاّ وفيها للسّقْم تأثير وفعل ، وتأثيره فى الشعرة ؛ لأن تحت كل شعرة منفذ إلى البدن ، فيريد أن الحب وصل إلى كل مكان من جسده ، وفعل السُّقْمُ فى الشعر : الشيب . وقيل : أراد بالشعرة : أقلّ شىء من جسده .

٦ – إِذَا عَذَلُوا فِيهَا أَجبْتُ بِأَنَّةٍ حُبِيبَتَا قلْبى فُؤَادِى هَيَا جُمْلُ

---

(١) ق : « فأصبح لى شغلى بها يشغلى » . ع : « فأصبح فى شغل بها شغلى » . والمثبت ما فى سائر النسخ .

(٢) ب : « غمها » .

(٣) يسبق : « هذا » بياض قليل فى سائر النسخ . وفى ع : « وهذا مليح » .

(٤) انفرد الواحدى ٦٧ بعد شرحه للبيت الذى معنا بقوله : ويروى هنا بيتان منحولان وهما :

سبتنى بدلٍّ ذات حسن يزينها تكحّل عينيها وليس لها كحل
كأن لحظ العين فى فتكه بنا رقيب تعدَّى أو عدوٌّ له دخل

ولم يشرحها .

(٥) فى الديوان : « فما دونها » .

(٦) فما فوقها : أى فما هو أعظم منها . ويجوز أن يريد فما دونها فى الصغر . وقد ذكر فى قوله تعالى : (بعوضة فما فوقها) الوجهان . الواحدى ٦٧ .

(٧) ... « فى الظفر » تحريف .

روى : بأنّةٍ ، ورنة[1] : وهما واحد . وحُبَيِّبتا : الألف فيه بدل من الياء ، وأصله : حُبَيِّبَتى على إضافة إلى الياء ، إلا أنه أبدلها ألفاً ، تخفيفاً . كقوله تعالى : (يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ)[2] والحبيِّبة تصغير الحبيبة . وأراد به : التخصيص لا التحقير[3] . وقوله : « قلبى » أى : يا قلبى . وهو بدَل من حبيِّبتا ، و « فؤادى » بدل : من قلبى . وذلك نداء بعد نداء[4] ، وجميعها منصوب بالنداء المضاف . وهَيَا : حرف النداء . وجُمْلُ : اسم المرأة . وهو مبنى على الضم بالنداء المفرد .

يقول : إذَا لاَمُونى فى حبّها ، كان مكان جوابى لهم بأنَّةٍ حكايتَها : يا حبيبتى يا قلبى ، يا فؤادى ، يا جُمْلُ ، وفيه تنْبيه على أن الحبيب ينَزّل منزلة القلب ، فلهذا ، بيّن جواب العذّال : أنها والقلب واحد . وقيل : تقديره يا حبيبتا قلبى أدركينى ، فإنى أشتكى قلبى [٣٢ – ب] ولا أبالى بملامة من يلومنى فيها ، ولا ألتفت إليه .

٧ – كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكِ سَدَّ مَسَامِعِى
عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا عذْلُ

الهاء فى يدْخلُها : للمسامع ، وهو جمع مسْمع وهى الأذن .

يقول : كأنك قد وكّلْت بى رقيباً منك يراقبنى ، من أن ألْتفت إلى اللوَّام ، فكأنه سدّ أُذنى عن دخول الْعَذْل فيها ، فلا أسمع ما يقولون من هجرانك ، والتسلى عنك ، ومثله قول الآخر :

---

(١) ق : « وزنة » تحريف . ا ، ب : « بانة وبانة » . والتصويب من ع والمعاجم فيقال : رن رنينًا : صوت وصاح . ويقال : أن القوس ونحوها : رن وترها فى امتداد .

(٢) سورة الزمر ٥٦/٣٩ .

(٣) ق : « التخفيف إلى التحقير » تحريف . ب : « التحسين لا التحقير » . والمثبت عن ا ، ع ، وفى الواحدى « المراد بالتصغير : التقريب » ، وهو ما روى عن ابن جنى عن المتنبى . انظر الديوان ٣٩ هامش ١ .

(٤) كقولك : أخى سيدى مولاى . نداء بعد نداء .

كأنّ رقيباً منكِ يَرْعَى خَوَاطِرِى وَآخرُ يَرْعَى نَاظِرِى ولِسَانِى [١]

ويجوز أن يريد : كأن الرّقيب الذى يحفظكِ عنى سدّ أذنى عن سمع الْعَذْل [٢] فيك ، حسدًا منه على جريان ذكرك فى سمعى ؛ ذلك أنى كنتُ بعد اللّذة فى سماع ذكره ، كما قال أبو الشيص [٣] :

أَجِدُ الملاَمَةَ فى هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ [٤]

٨ – كَأَنَّ سُهَادَ الْعَيْنِ [٥] يَعْشَقُ مُقْلَتِى فَبَيْنَهُمَا فِى كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ

يقول : كان السهَّر بالليل يعشق عينى ، فَبَيْن الأرق والعين وصْلٌ عندكل هجر لنا ، يعنى : أن الأرق لا يجد الوصال [٦] إلا عند هجران الحبيب [٧] .

٩ – أُحِبُّ الَّتِى فِى الْبَدْرِ مِنْهَا مَشَابِهٌ
وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لاَ يُصَابُ لَهُ شَكْلُ

فَضَّل المحبوبةَ على البدر ، فقال : أحب الّتى فى البدر منها مَشَابهُ : وهو جمع

(١) نسب إلى محمد بن داود فى الواحدى ٦٨ والتبيان ١٨٣/٣ . والوساطة ٢١٨ .ولم ينسب فى شرح البرقوقى ٣٧٤/٣ وفى مصارع العشاق ١٩٥/٢ أنشدنا البحترى البيت .

(٢) ب : « القول » .

(٣) شاعر مطبوع سريع الخاطر ، رقيق الألفاظ من أهل الكوفة غلبه على الشهرة معاصراه : صريع الغوانى وأبو نواس . وأبو الشيص لقبه . واسمه محمد بن على الخزاعى ، ويكنى أبو جعفر وهو ابن عم دعبل الخزاعى . عمى فى أواخر عمره وتوفى سنة ١٩٦ . انظر فوات الوفيات ٢٢٥/٢ والشعر والشعراء ٣٤٦ .

(٤) ديوانه ٩٣ الوساطة ٢٠٦ وتلخيص القزوينى ٤٢٠ والإبانة ١١٤ و ٢٠٥ شرح الحماسة للقزوينى ١٣٧٣ والحماسة رقم ٥٦٤ وأشعار أولاد الخلفاء ٨٢ وطبقات ابن المعتز ٧٤ وصبح الأعشى ٣٠٦/٢ وفيه « شعفا بذكرك » والفسر لابن جنى ٥١/١ ومحاضرات الأدباء ٤٧/٢ والمثل السائر ٣٨٠/٢ ومعاهد التنصيص ٨٥/٤ والتبيان ٢٢/٣ و ٤/٤ .

(٥) ق . ب والديوان : « الليل » والمثبت كما فى سائر النسخ والواحدى والتبيان .

(٦) ا : « الوصول » .

(٧) ب : « الهجر من الحبيب » .

شِبْه ، على غير القياس . فجعل منها شَبَهٌ فى البدر ، ولم يُشْبهها البدر بكليته ثم[١] فضّل الممدوح على المحبوبة . فقال : وأشكو إلى مَنْ لا يصاب له شَكْلُ : أى مِثْل فجعل فى البدر منها شبهها[٢] ، وجعل الممدوح بلا شِبْه[٣] .

١٠-إلى وَاحِدِ الدُّنْيَا إلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ
شُجَاعِ الَّذِى لِلّهِ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ

حذف التنوين من «شجاعٍ» : طلباً للتخفيف[٤] بسكونه ، وسكون اللام من «الذى» .

يقول : أشكو إلى منْ هو واحد أهل الدّنيا الّذِى لله تعالى الفضل ثم له .

١١-إلَى الثَّمَرِ الْحُلْوِ الَّذِى طَيِّئٌ لَهُ فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهَا أَصْلُ

طيئ : قبيلة . وقحطان بن هود : أصل بعض العرب[٥] والهاء ، فى له : للثمر . وفى لها : لطيئ ، والتأنيث لأجل القبيلة . ويجوز أن يكون التأنيث راجعاً إلى الفروع ، وروى : له . والتذكير يرجع إلى اللّفظ . لأن طيئا لا تأنيث فى لفظه ، شبَّهه بالثّمر الحلو ، لأن فى الثِّمار حامضاً ومرّا ، ثم جعل أباه غصناً من شجر طيب فروعه[٦] طيئ ، وأصله قحطان بن هود[٧] .

١٢-إلَى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللهُ أُمَّةً بِغَيْرِ نَبِىٍّ بَشَّرَتْنَا بِهِ الرُّسْلُ

---

(١) ق ، ب : «ثم» ساقطة .

(٢) منها : الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس .

(٣) ا ، ع : «مثل» .

(٤) وهذا مذهب الشاعر والكوفيون جميعًا . وهو ترك صرف ما ينصرف للضرورة ، وبعض البصريين . انظر التبيان ١٨٤/٣ والديوان هامش ٤٠ .

(٥) قحطان : أبو قبائل اليمن . وعدنان : أبو قبائل العرب . يريد أن قحطان هو أصل هذا الثمر . والمراد به الممدوح . انظر التبيان .

(٦) ق : «فروطى» خطأ .

(٧) ا ، ع : بعد : «هود» «فجعله ثم ذلك الشريف» ولعلها زيادة ناسخ .

يقول : وأشكو إلى سيِّد لو بشَّر الله أمّةً بمن هو غير نَبىّ ، لبشَّرتْنا رُسُل الله تعالى بهذا الممدوح ، قبل[١] وجوده ، كما بشَّر الرسُل عن الله تعالى بنبيِّنا ﷺ . إلاّ أَن العادة[٢] لم تجر بالبشارة ، بغير الأنبياء عليهم السلام[٣] [٣٣ - ا] .

١٣- إِلَى الْقَابِضِ الأَرْوَاحَ والضَّيْغَمِ الَّذِى
تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ الْخَيْلُ والرَّجْلُ

وروى القانص الأرواحَ : وهو الصائِد ، وروى : عن وقفاتِه ووقعاته .

يقول : إلى الّذى يقبض الأرواحَ فى الحروب ، وإِلى الأسد الذى يتحدث - عن وقعاته فى الحروب - الخيلُ . أى : أصحابها ، والرَّجْل : جميع الرّاجل .

١٤- إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ تَجَمَّعَ فى تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَى شَمْلُ

شَتّ : أى تفرّق ، وتجمّع : أى اجتمع .

يقول : أشكو إلى صاحب مالٍ كلَّمَا تفرّق شملُ المالِ ببذله ، تجمّع عنده للمعالى شملُ ، فيكون تفريقه له[٤] سبباً لاجْتِمَاع المعالى عنده ، ومثله لأبى تمام :

وليس بيانٌ للعلى خُلُق امرئ[٥] وإن جَلّ إلا وهو للمال هادم[٦]

١٥- هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ
وَعَايَنْتَه لَمْ تَدْرِ أَيُّهمَا النَّصْلُ

يقول : هو كبير الهمّة ، يشبه السَّيف فى مضائِه وشدّته ، وبشاشة وجهه كصقالة السيف ، فإذا فارق السيفُ غمدَه تشكّ فيهما حتّى لا تعرف أيهما السيف وهو

(١) ق . م . ب : « وقيل » تحريف .

(٢) ق . م . ب : « لأن العادة » .

(٣) ا . ع : « عليهم السلام » ساقطة .

(٤) ق . ب : « له » ساقطة .

(٥) ا . ق . ب : « خلق امره » .

(٦) ديوانه ٣ / ١٨٠ .

كقول أبي تمام :

يمددن[1] بالبيض القواضب أيديا فَهُنَّ سواء والسيوفُ القواطِع[2]

١٦–رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ فَشَا بَيْنَ أَهْلِ الأَرْضِ لاَنْقَطَعَ النَّسْلُ

أراد بابن أم الموت : أخاه ، يعنى : أخا الموت[3] .

يقول : رأيت الممدوح أخا الموت . فلو أن بأسه – وشدّة قوته – شاع بين أهل الأرض لانقطع النسل : أى[4] نسل الخلْق ، لأنّه يفنيهم ببأسه . ولأنّهم يخافونه وَلاَ يَدْنُو ذَكَرٌ مِنْ أُنْثَى فينقطع النسل .

١٧–عَلَى سَابِحٍ مَوْجَ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ غَدَاةً كَأَنّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبْلُ[5]

على فرسٍ سابحٍ موجَ المنايا بنحره : أى نحر الفرس فى الغداة التى ترى فيها النّبل متواتراً إلى صدره كأنه وبْل : أى مطر . يعنى : أن السهام لا تؤثر فى صدر هذا الفرس ، كما لا يؤثر فيه قطر الماء ، وقيل : إن الهاء فى صدره للممدوح ، يعنى : أن فرسه يلتقى موج الموت بنحره ، وأن الممدوح يوم الحربة يلتقى السهام[6] بنحره ، فلا يبالى كأنها عنده قطر المطر .

١٨–وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ[7] لِنِزَالِهِ فَلَمْ تُغْضِ إلاّ والسِّنَانُ لَهَا[8] كُحْلُ

(١) رواية ب والتبيان : « يمدون » .

(٢) ديوانه ٥٨٩/٤ والرواية فيه « يمدون بالبيض القواطع أيديا : « وهن ... »البيت . الوساطة ٣٤٦ وروايته كرواية ديوانه والتبيان ١٨٦/٣ .

(٣) إنما جعله أخا الموت لكثرة قتله أعدائه وخص الأم دون الأب ، لأن الأم أخص بالمولود من الأب . الواحدى .

(٤) ق . ع : « النسل أى » لم تذكر .

(٥) ب : «كأن غداة النبل ذى صدره وبل » .

(٦) ق . ب مس : « يلتقى موج الموت .... يلتقى السهام » ساقط انتقال نظر .

(٧) ب : « تحدقت » .

(٨) ا . ع : « بها كحل »

حَدَّقَتْ : أي أحدقت النظر إليه[١] ، والنزال : المنازلة ، وهي المحاربة نازلاً[٢] .

يقول : وكم عيْنِ مقارِنٍ له : محارب ، أحدّت النظر إليه للمُنَازلة ، فلم تُغْض إلا وَصَار سنان الرّمح كُحْلاً لها . يعني : أنه جعل السنان لها موْضِع الكُحْل .

١٩-إذَا قِيلَ : رِفْقًا ! قَالَ : لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ
وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

رِفْقًا : نصب بفعل مضمر ، أي ارْفق رِفْقًا ، أو استعمل رِفْقاً .

يقول : إذا قيل له في الحرب : ارْفق ! قال : للحلْم موضع ، وليس هذا موضعه . وحلم المرء في غير موضعه جهل . ومنه قول الآخر[٣] :

يُنَاشِدُنِى «حَامِيمَ» والرُّمْحُ شَاجِرٌ فَهَلاَّ تَلاَ «حَامِيمَ» قَبْلَ التَّقَدُّمِ[٤]

٢٠-وَلَوْلاَ تَوَلّى نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ
عَنِ الأَرْضِ لاَنْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ

حَمْلَ حِلْمه[٥] : مفتوح لأنّه مصدر ، و « الحِمْل» في آخره بكسر الحاء لأنّه اسم .

يقول : لولا الممدوح تولى حَمْلَ حلمه عن الأرض لانهدت الأرض[٦] مِنْ

(١) خ : « أحدث إليه النظر » .

(٢) كان ينزل بعضهم عن الإبل للمضاربة بالسيف والمعانقة للصراع وبهذا فسّر : « فدعوا نزالِ فكنت أول نازِلِ » هذا هو الأصل ثم سمى القتال : « نزالاً » والمقاتلة : « منازلة » وإن لم يكن هناك نزول . الواحدى والتبيان .

(٣) ق ، ب : « بعضهم » .

(٤) نسب في تحرير التحبير ٤٥٦ إلى شريح بن أوفى العبسي قاتل محمد بن طلحة السجاد . وغير منسوب في التبيان ٢٧٣/٣ والرواية فيه : « يذكرنى حاميم » وشرح البرقوقي ٤٨٥/٣ . وانظر اللسان « حمم » وفيه : « يذكرنى » بدل « يناشدنى » وكذلك في مجموعة المعاني ١٥٧ وفيه : « والريح ساحر » .

(٥) ا : « حمل وحلمة » . (٦) ق : « لا نهدت الأرض » ساقط انتقال نظر .

ثقل حلمه ، وأثقلها الحِمْل ، فجعل الحِلْم أعظم من الأرض ؛ وهو مبالغة عظيمة .

٢١–تَبَاعَدتِ الآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا ، إلاَّ إلَى بَابِهِ[١] السُّبْلُ

الهاء فى « بها » : للآمال ، وفى « بَابه » : للمدوح .

يقول : لم يبق فى الدّنيا جوادٌ يُقْصد بالأمل سوى هذا الممدوح ، فبعدت الآمال عن كل مقصد ، وضاق بالأمل السبل من جميع الجوانب ، إلا بابه ، فهو المقصود إليه فى الحوائج والآمال .

٢٢–وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمينَ عَنِ السُّرى فَأَسْمَعَهُم : هبُّوا[٢] فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ

النَّدى : رفع لأنه فاعل نادى ، والسُّرى : سيْرُ الليل .

يقول : نادى العطاء بالذين ناموا عن السُّرى ، لعدم الأسخياء الكرام ، وغَلَبة البخلاء اللئام ، ونَبَّهَهُمْ .

بقوله[٣] : هبّوا فقد هلك البُخْل ، لوجود هذا الرّجل ، الذى أصاب بالجود مقتل البخل . ويجوز أن يكون وصل عطاؤه[٤] إلى الناس ، من دون أن يسافروا لأجله ، فكأنه ناداهم ونبههم[٥] لوصوله إليهم فى أوطانهم .

٢٣–وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إنْجَازُ وَعْدٍ وَلاَ مَطْلُ

يقول : إن عطاياه اعترضت دون وعده وسبقته ، فلا يحتاج إلى إنجاز وعد ،

(١) فى الواحدى والتبيان : « بابك » .

(٢) ق ، خ ، ب : « وأسمعهم هبو » . ا ، ع : « فأسمعهم هبوا » .

(٣) ق : « يقول » .

(٤) ا ، ع : « عطاؤه وصل » .

(٥) وسمّعهم بوضوح .

ولا مَطَل ولا مدافعة ، لأن هذه الأشياء لا تكون إلا بعد الوعد .

٢٤–فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ
وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ

الهاء فى تحديدها ، وإحصائِها : للعطايا ، وكان الوجه أن يقول : وأيسر من إحصائِها إحصاء القطر ، إلا أنه حذف المضاف وأَقَامَ[1] المضاف إليه مقامه .

يقول : ردّ فائِتٍ أقرب من تحديد عطاياه ، وتحديد منحه . وعدّ قطر[2] المطر ، وحبوب الرمل : أهون من إحصاء نعمه ؛ فكما لا تقدر النّاس على هذين ، كذلك تحديد عطاياه ، وتعديد مننه غير مقدور عليه[3] ، بل ذلك[4] دخل فى المقدور .

٢٥–وَمَا تَنْقِمُ الأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا لأَخْمَصِهِ فِى كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ

تنْقم : تعيب ، و « ما » : للسؤال . و « من » فى قوله : « ممن » هو الممدوح : والهاء فى وجوهها : للأيام . وفى أخمصه : للممدوح والأُخْمص ؛ باطن القدم .

يقول : وما تنكر الأيام ، وتعيب من رجل ، وجوه الأيام نَعْلٌ[5] لأَخْمَصِهِ فى كل نائِبة ومحنة ، يعنى أن الأيام تابعة له ومطيعة ، وهو يعلوها حتّى يطأ وجوهَهَا ، فتكون بمنزلة النعل لأخمصه . أى باطن قدمه .

٢٦–وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

عزَّه : أى غلبه [٣٤ – ا] .

---

(١) ق ، خ : « وأضاف ... » .

(٢) ا ، ع : « أقطار » .

(٣) ا ، ع : « مقدور لهم » .

(٤) إشارة إلى القطر والرمل .

(٥) ق ، ح : « فعل » تحريف .

يقول : لم يتعذر عليه مراد طلبه ، وإن كان ذلك صعباً شديداً ، إلا أن يريد[١] أن يأتى بمثْل له ، فإنه يتعذر عليه وجوده[٢] لأنّه لا مِثْل له .

٢٧–كَفَى ثُعَلاً فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمُ وَدَهْرٌ لأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ

الرواية الصحيحة نَصْب « دهرًا » عطفاً على « ثُعَل »[٣] وقوله : « بأنّك منهم » رفع : لأنه فاعل « كفى » و « أهلُ » رفع : بخبر ابتداء محذوف . كأنه قال : هو أهلٌ لأن أمسيت من أهله ، فارتفع أهلٌ وصْفًا لدهر ، وارتفع دهرٌ بفعل مضمر ، تقديره : ليفخر دهرٌ أهلٌ ، لأن أمسيت من أهله .

يقول : كونك منهم ، كَفَاهم فَخْر كَوْنك أهلا له[٤] وهذا وما قبله إفراط فى المدح .

٢٨–وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لاَ تَخْلُو

طُوبَى له : أى خير له[٥] ، وقيل : أصله من الْياء . وهو من طَيَبَ .

يقول : ويلٌ لمن طلب منك غفلة ؛ فإنه إذا طلب ذلك قتلتَه ، وهو لا يظفر بك ، وطوبى لعين منك لا تخلو ساعة ، فإنها تكون فى الراحة وترتع فى روض محاسنك[٦] .

---

(١) ق . ب . « إلا أنه مريد » تحريف .

(٢) ق . ب : « الرفع » .

(٣) ثعل . بطن من طيئ وهم قبيلة الممدوح . الواحدى والتبيان .

(٤) كفاهم الفخر على سائر العرب لكونك منهم . وكذلك الدهر كفاه الفخر على الأزمنة التى قبله وبعده لكونك من أهله . هذا ما قالاه الواحدى وصاحب التبيان فى هذا البيت وانفرد الواحدى بقوله أهل (الأخير فى البيت) معناه مستحق ومستأهل .

(٥) الطوبى : الخير أو الحسنى وبكلٍّ فسر قوله تعالى : (طوبى لهم) . وهى كل مستطاب فى الجنة .

(٦) لم يذكر الواحدى شرحًا لهذا البيت وإنما جمعه مع الذى يليه ٢٩ . « فما بفقير » وشرح الثانى منهما فقط .

٢٩-فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرْقَكَ[١] فَاقَةً وَلاَ فى بِلاَدٍ أَنْتَ صَيِّبُها مَحْلُ

يقول : ليس لفقير أبصر بَرْقَكَ ونظر جودَك فاقة ، وليس فى بلادٍ أنت قطرها قحطٌ ولا جدْب .

(٢٩)

وقال أيضاً يمدحه[٢] :

١ - الْيَوْمَ عَهْدُكُمُ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ؟ هَيْهَاتَ ! لَيْسَ لِيَوْمِ عَهْدِكُمُ غَدُ

وروى : «اليوم وعدكم» وكذلك فى الثانى ؛ لأنهما متقاربان فى المعنى .

يقول : اليوم لقاؤكم ، وهو آخر اليوم الذى اجتمعنا فيه ، فعرِّفونى أين الموعد للقاء الثانى ؟ ثم قال : هَيْهات : أى ما أبعد ما أطلب ! ليس ليوم وعْدِكُمُ غدٌ أبْلغ إليه . وقيل معناه : اليوم ميعادكم الذى وعدْتمونى فأنْجِزوا لِى وعْدِى ، وهو وعد الملاقاة والوصل[٣] ثم قال : هيهات ! ليس ليوم وعدكم غدٌ . أى أموت وقت فراقكم ، فلا أعيش إلى غَدِ ذلك اليوم[٤] . ومثله قول الشاعر[٥] :

قَالَتْ أَسِيرُ غدًا فقلتُ لهَا هدّد ببيْنك مَنْ يعيشُ غَدَاه

والأصل فى البيت قول أبى تمام .

قالوا الرَّحيل غدًا لا شَكَّ قلتُ لهم الآن أيقنْت أن اسم الحِمَامِ غَدُ[٦]

---

(١) شام البرق : تطلع إليه وإلى سحابه اين يمطر . التبيان .

(٢) ا : « وقال أيضًا يمدحه » وهو ما أثبتناه وكذا فى الديوان . ع . ب : « وقال أيضًا » . ق : « وقال أيضًا يمدح شجاع بن محمد » . الواحدى ٧٢ والتبيان ١/٣٢٧ : « وقال أيضًا يمدح شجاع بن محمد الطائى المنجى » . الديوان ٤٢ « وقال يمدحه » .

(٣) ا : « للوصل » . (٤) يريد يوم وداعهم . الواحدى والتبيان .

(٥) ق : « بعضهم » .

(٦) ديوانه ٢/١٠ وروايته « اليوم أيقنت . . . » .

٢ – المَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَبًا مِنْ بَيْنِكُمْ وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمُ لاَ تَبْعَدُوا

روى مِخْلَبًا : وهو للسَّبع كالظّفر للإنسان ، ويروى مَخْلَبًا ؛ وهو مصدر خَلَبَ يَخْلُبُ : إذا أخدع ، خِلاَبةً ومخلَبًا ، أو يكون مصدراً من خَلِبَ : إذا اختطف . وروى « لا تبعُدوا » : من البعد[1] فى المسافة . ولا تبعَدوا : من الهلاك[2] .

يقول : الموت أقرب إلىّ من فراقكم[3] ، لأنى أموت قبل أن تَبِينُوا عنّى ، خوفًا من فراقكم ، ومهما فارقتمونى كَانَ الْعَيْشُ أَبْعد منكم ، لأنه[٣٤ – ب] يُعْدِمَ البتّه ، فهو أبعد منكم ، لأنه لا يرجى عوده ، وإذَا بعدْتم كنتم موجودين . ثم قال : لا تبعدوا . يعنى لأَنَّ بِبُعْدكم تبعد الحياة[4] منّى ، وقيل : إنه دعاء للأحْباب بألا يهلكوا ، بلْ يبقوا سالمين ، وبأن يقربوا منه . وهو تفسير البيت الأول .

٣ – إنَّ الّتِى سَفَكَتْ دَمِى بِجُفُونِهَا لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَمِى الّذى تَتَقَلّدُ

تتقلّد : من قولك تقلّد فلانٌ دم فلانٍ إذا باء بإثمه .

يقول : المرأة التى سفكَتْ دمى بجفونها الحسنة ، لم تعلم أن الذى تتقلده وتبوء به هُوَ دمى . يعنى : أنها قتلتنى بجفونها الملاح ، وأنها لم تعلم أنى قتيلها[5] بتلك الجفون .

٤ – قَالَتْ وَقَدْ رَأَتْ اصْفِرَارِى : مَنْ بِهِ ؟ وَتَنَهَّدَتْ فَأَجَبْتُهَا : الْمُتَنَهِّدُ

---

(١) والبين والفراق . واحدى .

(٢) بَعِدَ يبعد : أى هلك ومنه قوله تعالى : (ألا بُعْدًا لمدين كما بَعدت ثمود) .

(٣) ق . خ : « الموت أقرب إلى فراقكم » .

(٤) ع : « لا تبعدوا كأن ببعدكم تبعد الحياة » . (٥) ق . خ : « أنى أقتلها » تحريف .

مَنْ به : أى فعل به ، أو مَنْ المطالب به . وتنهَّدت : أى تنفَّست . وقيل : تنهَّدت المرأة ، إذا رفعت صدرها وثديها .

يقول : إن هذه المرأة لما رأَتْ مَا بِى من الاصْفِرار قالت مستفهمة : من فعل به ذلك ؟ من المطالب بهِ ؟ وتنفّست عند ذلك ترحّماً لى ، لِمَا شاهدتْ من حالى فأجبْتُها : المتنهّد . أى قلت : الذى فعل بى ذلك هو المتنفِّس . وإنما لم يقل : المتنهّدة ؛ لأنّه ردّه على معنى الإنسان أو الشخص ، ومعناه أن الذى حصّل بى مِنْكِ دون[١] غيرك ، أى أنت فعلت ذلك[٢] .

٥ – فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بَيَاضَهَا
لَوْنِى كَمَا صَبَغَ اللُّجَيْنَ الْعَسْجَدُ

اللّجين : الفضة ، والعسجد : الذهب . هذا البيت يفسَّر على وجوه : أحدها : أنها مضت عنّى لمّا قلْت لها فى البيت الذى قبله[٣] ، وقد صبغ الحياء والخجل[٤] بياضَها ، يعنى أنها لما استحيَتْ ممّا قلتُ لها احمر لونُها ومضت ، ثم عَدَل عن ذلك إلى وصف نفسه فقال : لَوْنِى كما صبغ الفضةَ الذّهبُ . أى اصفر وجهى . وقال بعضهم : معناه أن الحياءَ صبغ لونَها أحمر ، ثم لحقها الخوفُ فى الوقت من الرقباءِ أن يَرُوها ، فاصفرّ لونُها لذلك الفزع بعد الخجل ، فيكون تقديره : صبغ الحياء بياضها لونًا[٥] كلونى ؛ لأنّ الحياء إذا كان مع الخوف يصْفر الوجه . وقيل : أيضاً لأن[٦] الحياء يجلب اللَّوْنَيْن معاً ؛ لأن المُسْتَحِى يحمرّ أوّلاً ثم إذا فَكَّر فيما حصل منه[٧] الحياء ، يصفر لونه . فيصير كصاحب الخوف ، فكأنه

---

(١) ق . خ : « عنك » .
(٢) ا . خ : « أى أنت فعلت ذلك » لا توجد .
(٣) ع : « ما فى البيت الذى قبله » .
(٤) ق . ب : « والخجل » لا توجد .
(٥) ق . خ : « بياضها كلونى » .
(٦) ا . ع : « إن » بدل . « لأن » .
(٧) ق . ح : « من الحياء » .

ذكر الحالة الثانية فبين أنها خجلت واستمر بها الخجل والحياء حتّى اصفر لوْنُها ، فصار كلونى الذى هو كلَوْن الذهب الممتزج بالفضة .

٦ – فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَمَرِ الدُّجَى
مُـتَـأَوِّدًا غُصْـنٌ بِـهِ يَـتَـأَوَّدُ

قَرْن الشمس : أول ما يبدو منها ، وهو يضرب إلى الصُّفْرة . وذلك يدلّ على استحالة لونها أصفر ، وأراد بهِ الصّبغ الذى حصل فى وجه المرأة الذى هو كالقمر . وأراد : أن وجهها بمنزلة قرن الشمس ، وقمر الدُّجى[1] . وقصد تشبيهه بهما جميعاً ، وقوله : متأوِّدًا : أى متمايلا[2] [٣٥ – ا] وأراد بالغُصْن : قامتَها . ونصب متأوّدًا على الحال . يعنى : رأيت شخصاً متمايلاً . يتأَوَّدُ به غصن : وهو قدّ المرأة والهاء فى به : ترجع إلى قرن الشمس . فمعناه : رأيت مُتَمَأوّدًا يتأود[3] به غصن .

٧ – عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا سَلْبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ
٨ – وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ وَذَوَابِلٌ وَتَوَعّدٌ وَتَهَدّدُ[4]

العدويّة : منسوبة إلى بنى عدىّ . والبدْويّة : منسوبةٌ إلى البدْو[5] . والسلْب : الاختطاف .

---

(١) قال المعرى فى إحدى رواياته : « يعنى بقمر الدجى القمر الذى يطل بالليل كأنه رآها بليل فقال له ذلك » تفسير أبيات المعانى .

(٢) ق : « متأودًا : أى مقابلاً » تحريف . ا . « متاودا . أى مشابهًا ومتمايلاً » . ب : « متأود أى مشابهًا مقابلاً » . والتصويب عن ع وعن الواحدى والتبيان .

(٣) ق : « تأودا يتاود » تحريف .

(٤) ا : « وتهدد وتوعد » .

(٥) بدوية : منسوبة إلى بدا . وهو بمعنى البدو والبادية والنسبة إلى البدو : بدْوىّ : « بجزم الدال » وإلى البادية : بادىّ وبدوى : « بفتح الدال » والبداوة : « بفتح الباء وكسرها » الإقامة فى البادية . الواحدى والتبيان .

والهواجل: جمع الهوجل، وهو الأرض المطمئنة[١]، والصواهل: جمع الصاهل[٢] من صهيل الفرس، وهو صوته. والمناصل: جمع المُنْصل، وهو السّيف، والذوابل: جمع الذّابل وهو الرمح[٣].

يقول: إن هذه المرأة من أبناء الكرام ومِنْ دُونِ الْوصول إليها هذه الأشياء.

٩ - أَبْلَتْ مَوَدَّتَهَا اللَّيَالِي بَعْدَنَا وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهُوَ مُقَيَّدُ

يقول: أخلقت اللّيالى وتَطَاوُلها مودَّتها بَعْدى وبَعْدها، ومشى على ذلك الدهر فأفسدها بمشْيه عليها وهو مقيَّد، وذلك لأنه إذا كان مقيَّداً كان أثقل وَطْئًا لاعتماده على الرِّجْلَين، وقِصَر خَطْوِهِ، فيحطم الشيء إذا مشى عليه. وهى مبالغة مليحة وصنعة فى الشعر حسنة.

١٠ - أَبْرَحْتَ يَا مَرَضَ الْجُفُونِ بِمُمْرَضٍ مَرِضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعِيدَ الْعُوَّدُ

أبرحت: أى جاوزت الحدّ. يخاطب مرض الجفون. أو يكون المرض[٤] بمعنى المريض، فكأنه يقول: يا مرض الجفون الذى فى عَيْنَيْها[٥]. أو يا مريض الجفون، تجاوزت الحد، بمُمْرَضٍ يعنى: بهِ نفسه، حتّى مرض الطبيبُ له، ومرض عُوَّادُه، فعَادهم الناس، وإنما مَرِضوا رحْمةً لَهُ واغْتِماماً لشدّة حاله ورقَّة عليه[٦] لمّا رأوا مَا بِه من الهُزال.

يقول: أمْرض الأطباءَ حزنهُم لقصورهم عن شفائِه لعظم دائه[٧].

(١) ق: «الأرض الطين». ع: «المطمئنة». وفى سائر النسخ «المطمئن».

(٢) ق: «جمع من صهيل الفرس». ب: «جمع صهيل من صهيل الفرس».

(٣) ما ذكر عن ا. ع وفى سائر النسخ «الذوابل: الرماح».

(٤) ق. ب: «المرض» لا توجد.

(٥) قال أبو العلاء فى إحدى رواياته: «قال للمحبوب: يا مرض الجفون. لأن كل من نظر إليه مرضت جفونه. لأنه يحملها على البكاء والسهر. أبيات المعانى.

(٦) ق. ب: «ورقة عليه». ع: «ورقوا عليه».

(٧) عبارة ع: «وعنه قال: أمرض الأطباء حزنهم بقصورهم عن شفائه. والعوّد: حزنهم لعظم دائه».

١١–فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ الرِّضَا   وَلِكُلِّ رَكْبٍ عِيسُهُمْ وَالْفَدْفَدُ

الهاء فى « فله » : للمُمَرِّض[١] ، وعنى به نفسه .

يقول : بنو عبد العزيز بن الرضا : الذين هم الممدوحين[٢] يكفونى لأنى ألجأ إليهم فى أحوالى وأجعلهم سببًا لإدراك آمالى ، وكذلك[٣] أيضاً ركب هؤلاء ، فلهم عيسهم ؛ لأن عطايا الأرض التى هى من ملكهم ، يريد أنهم ملوك الدنيا ، وأنه لا مقصود من الناس غيرهم .

وقيل إن معناه : إن هؤلاء لى ولغيرى[٤] ، ممن لا يقصدهم ، ليس إلا العيس التى يركبونها والمفاوز التى يقطعونها ، إذ لا يحصلون بقصدهم غَيْرَهُ إلا على الطلب . وأنا قد ظفرت بالمطلوب بقصدى إياهم .

١٢–مَنْ فِى الأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ – وَلاَ تَقُلْ
مَنْ فِيكَ شَأْمُ – سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ ؟

مَنْ : للاستفهام ، والمراد : الإنكار ، وقوله : شأم : أى يا شأمَ[٥] ، ومعناه : مَنْ فى الأنام من الكرام سوى شجاعٍ ، ولا تقل من فيكِ يا شأم . يعنى : أنه المقصود فى الدنيا للخلْق ، فهو واحد الناس فى الناس ، لا واحد الشأم وبعض من الدنيا[٦] .

---

(١) ع : « للممرض » وفى سائر النسخ : « للمرض » .

(٢) ق ، ب : « الممدوحين » وزادت ا : « يكفونى لأنى » .

(٣) ق ، ب : « ولذلك »

(٤) ح : « إلى هؤلاء ولغيرى » . ع ، ق : « لى هولاى ولغيرهم » تحريف .

(٥) الشام : فيه لغات ثلاث : الأولى بفتح أوله وسكون همزته ، والثانية : بفتح الهمزة ، والثالثة : بغير الهمز ويذكر ويؤنث . وحدُّها من الفرات إلى العريش طولاً وعرضًا من جبل طيئٍ إلى بحر الروم : ومن من أمهات المدن منبج وحلب وحماه ودمشق وبيت المقدس ، وفى سواحلها عكّا وصور وعسقلان . مراصد الإطلاع ٧٧٥/٢ .

(٦) أى لا تخصها بهذا الكلام فإنه ليس أوحد فقط بل هو أوحد جميع الخلق . الواحدى ٧٥ والتبيان ٣١/١ .

١٣–أَعْطَى فَقُلْتُ : لِجُودِهِ مَا يُقْتَنَى وَسَطَا فَقُلْتُ : لِسَيْفِهِ مَا يُولَدُ

[٣٥ – ب] يُقْتَنَى : أى يدَّخر . وسطا : من السَّطوة ، وهى القهر ، والغلبة ، والحملة فى الحربُ «وَمَا»[١] بمعنى : الذى . يقول : بالغ الممدوح فى الإعطاء حتّى قلتُ : إن ما يقْتنيه[٢] النَّاسُ من الأموال لجُوده ليفرّقها ، وبالغَ فى سطواته حتى قلتُ : إن لِسَيْفه كلّ ما يُولد .

١٤–وَتَحَيَّرتْ فِيهِ الصِّفَاتُ لأَنَّهَا أَلْفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبْعُدُ

يقول : صارت صفات الواصفين متحيرة فيه لأنها (يعنى الصفات) وجدت طرائِق[٣] هذا الممدوح بعيدة عليها ، ثم وصف بعض طرائقه فقال :

١٥–فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ كُلًى مَفْرِيَّةٌ يَذْمُمْنَ مِنْهُ مَا الأَسِنَّةُ تَحْمَدُ

الكُلَى : جمع الكُلْية . والْمَفرية[٤] : المقطوعة . ويَذْمُمْن : فعل الكلى وتَحْمد : فعل الأسنّة .

يقول : إن من طرائِق الممدوح أنه شجاع ، وله فى كلّ موْضع حرب كُلَى مقطوعة للقتلى ، تَذُمّ الكُلَى المفريَة مِنْ فِعْلِه ، ما تحمد أسنة الرّماح . وذلك الشيء هو الكُلىَ .

١٦–نِقَمٌ عَلَى نِقَمِ الزَّمَانِ تَصُبُّهَا نِعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لاَ تُجْحَدُ

نقم الزمان : نوائِبه .

---

(١) ق ، ح : «وتما» تحريف .

(٢) ق ، خ : «إن ما يعطيه» . ب : «يعظمه» تحريف . ا : «يقتنيه» وهو المثبت وتؤيد ذلك سائر الشروح .

(٣) ق ، ب ، خ : «متحيرة لأنها وجدت طرائق» .

(٤) فرى الشيء فريا : شقّه أو فتّه . بهذا فسر الواحدى والتبيان وهو ما فى اللسان : فرى .

يقول : هذا الممدوح نقمة مصبوبة على نقم الزمان . وهى فى الحقيقة نِعَم على النِّعم التى أنعم بها على الناس . يعنى : إن الممدوح يدفع[1] نوائِب الزمان . فهو نعمة عليها وتلك نعمة على الناس ، لأنهم يأمنون بها نوائِب الدهر وهى نعمة متتابعة ، مترادفة ولا يمكن أحد أن يجحدها لكثرتها وشهرتها[2] .

١٧–فِى شَأْنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ

يقول : فى كل واحد من هذه الأربعة من الممدوح عجب لمن تأمّله ! فَفِى شأنه : أعجب عِظَمًا ، وكبر همّة ، وفى لسانه : فصاحة ، وفى بنانه : كتابة وسخاء ، وضرباً وطعناً ، وفى جنانه : قوة ونجدة وذكاء وشجاعة . وعلما وفطنة وغير ذلك .

١٨–أَسَدٌ ، دَمُ الأَسَدِ الْهِزَبْرِ خِضَابُهُ
مَوْتٌ ، فَرِيصُ الْمَوْتِ مِنْهُ يُرْعَدُ[3]

الهِزَبْر : من صفات الأسد ، ويريد به المبالغة فى الشدّة . والفريص : بالفاء جمع فريصة ، وهى لحمة تحت الكتف .

يقول : هو أسد عادته قتل الأسود ، فدم الأسَد القوىّ خِضَابه الذى يتخضب بهِ عند قتله إياه ، وهو أيضاً موت ، لإفنائِه الأعداء . وترعد منه : أى الموت يفزع منه[4] .

١٩–مَا مَنْبِجٌ مُذْ غِبْتَ إِلاَّ مُقْلَةٌ سَهِدَتْ وَوَجْهُكَ نَوْمُهَا وَالإِثْمِدُ

---

(١) ا . ع : « يدفع » .

(٢) المعنى عند الواحدى وصاحب التبيان : نقم على نقم الزمان . يصبها الممدوح على الأعداء . وهى فى أوليائه نعم لا تجحد . لأنها مالم تكسح الأعداء ، لم تعد الأولياء . وقال ابن جنى نعم على أوليائه ، ونقم على أعدائه .

(٣) فى الديوان : « ترعد » .

(٤) ق . ب : « أى تفزع منه » .

الإثمد : ما يجعل فى العين مما ينفع[(١)] .

يقول : ما هذه البلدة بفراقك إلا كمُقْلة سهرت شوقاً إليك فغاب عنها نومها وكُحْلُها ، فلمّا عُدْت إليها نامت فرحاً بقدومك ؛ فعاد إليها نومها وكحلها ووجدت روحاً وسكوناً[(٢)] .

٢٠-فَاللَّيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضٌ والصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنْهَا أَسْوَدُ

يقول : إن الليل بقدومك هذه البلدة صار ضياء ، كما كان ضَوء النهار ظلاماً [٣٦-ا] عند غيبتك عنها ، وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي تمام :

وَكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبح فيها بأبيضٍ
فَأَمْسَتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا بِأَسْوَدِ[(٣)]

٢١-مَا زِلْتَ تَدْنُو وَهِيَ تَعْلُو عِزَّةً حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الفَرْقَدُ

كل تاء تأنيث فى البيت ، وفيما قبله ، وفيما بعده : كناية عن منبج ، لأجل البقعة ، والبلدة .

يقول : ما زلْت تقرب منها وهى ترتفع تشرُّفًا بك ، واعتزازاً بمكانك ، حتى علت السماءَ فتوارى الفرقدُ فى ترابها[(٤)] وبُقْعَتِها .

٢٢-أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ

يريد[(٥)] أن علوّها لِمكَانِ المْدوح فيها .

فقال : إنّ هذه الأرض بلدة شريفة . سواها من الأرضين مثلها ، لوكان مثْلك موجودًا فيها .

---

(١) ق ، ب من : « الإثمد .... ينفع » ساقط .

(٢) فى ا ، ع : « ووجدت روحًا وسكونًا » زيادة .

(٣) ديوانه ٢٩/٢ والوساطة ٢٢٢ . والتبيان ٣٣٤/١ وروايته « وأضحت وليس الليل فيها بأسود » وكذلك فى الواحدى ٧٦ .

(٤) ا ، ع : « فى ثراها وتراب قدمها » (٥) ع : « يبين » بدل « يريد » .

٢٣–أَبْدَى الْعُدَاةُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ   فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ

بك : أى بسببك .

يقول : إنهم أظهروا السرور بك ، وبقدومكَ ، وفى قلوبهم من كراهة ذلك (من الخوف والغم) ما أقامهم وأقعدهم ، فأضمروا الْعداوةَ فى الباطن ، وإن كانوا على تودُّدٍ فى الظّاهر وعندهم من الغم المقيم المقعد .

٢٤–قَطَّعْتَهُمْ حَسَدًا أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ   فَتَقَطَّعُوا حَسَدًا لِمَنْ لاَ يَحْسُدُ

قطّعتَهم : مبالغة فى القطع .

يقول : جعلت الْعُداة قطعاً ؛ غيظاً وحسداً عليك ، حتى أراهم حسدُهم ما بهم من التقطّع والذلّة والنَّقص والمرض وتغير اللون[1] ، فتقطعوا حسداً لما فيك من الفضل ، وأنت لا تَحْسُد أحداً لأنك قد[2] جمعت الفضائل الكلّية ، والحسد من دَأب[3] الناقصين ، فأنت تُحْسَد ولا تَحْسد أحداً .

٢٥–حَتَّى انْثَنَوْا وَلَوْ أَنَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ   فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الْجَلْمَدُ

انْثَنَوْا : أى رجعوا . والجلْمد : الحجر الصُّلب .

يقول : تقطّعوا حسداً حتى[4] رجعوا ، وفى قلوبهم من الحرّ حسداً وكمداً ؛ ما لو كان ذلك الحرّ فى قلب هَاجِرة النّهار[5] ، لذاب بحرارتها الحجر الصُّلب ، وجعل للهاجرة قلباً لمّا ذكر قلوبَهم لازْدِواج الكلام .

٢٦–نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ   لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ : هَذَا السيدُ

(١) ا . ع : « وتغير اللون والشحناء » والمذكور عن سائر النسخ .
(٢) : « قد » عن ا . ع .
(٣) ق . ع . ب : « من ذات الناقصين » .
(٤) ق . ب : « حسدا على » .
(٥) فسر صاحب التبيان : الهاجرة : بالأرض الشديدة من حرارة الشمس .

العلج : أصله حمار الوحش ، وجمعه عُلوج . والمراد به : الكفّار من أهل الروم .

يقول : لما رأوْك الحسّادُ دهشُوا ، وأظلمت الدنيا عليهم فزعاً منك ، واستصغروا مَنْ حولهم من العساكر ، استعظاماً لك من هيبتك ، حتى أنهم لم يروا مَنْ حولهم من الخيل والحشم لاشتغالهم برؤيتك ، ولأنك فقتَهم حسناً وقيل لهم [٣٦ – ب] : هذا السيد .

٢٧– بَقِيَت جُمُوعُهُمُ كأَنَّكَ كُلُّهَا ... وَبقِيتَ بَينَهُمُ كأَنَّكَ مُفْرَدُ

يقول : لقيت جموعَ أولئك كأنكَ بوحْدتك[1] جملتهم[2] ، لموازَنَتِك إيَاهم ، وبَقِيتَ أنت بينهم مفرداً ، لا نظير لك . وهذا تأكيد للمصراع الأول .

٢٨– لَهْفَانَ يَسْتَوْبِى بِكَ الْغَضَبُ الْوَرَى ... لَوْ لَم يُنَهْنِهْكَ الحِجَا والسُّؤْدُدُ

لَهْفان : نصب على الحال من الغضب ، وقيل بقيت لهفان ، ويَسْتَوْبى : من الْوَبَاء ، وأصله الهمز فأبدله ضرورة[3] ، ومعناه : يُفْنِى ويُهْلك ، والغضب : فاعل يستوبى ، والْوَرَى [مفعوله] ويجوز : أن يكون يستوْبى : أى يوبى الغضب الذى بك . والباء [فى بك زائدة] والورى : فاعله ، والغضب مفعوله .

يقول : غضبك يكاد يهْلك الناس ، لو لم يَكُفُّكَ العقل والسؤدَد ، فبقيتَ لهفان بين الغضب المهلك ، وبين العقل والسؤدد .

٢٩– كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا ... فَالأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الأَوْحَدُ

---

(١) ب : « بوحدتهم » .

(٢) عبارة ع : « كأنهم بك بوحدتك جملتهم » .

(٣) يستوبى : يستفعل من الوباء وأصله الهمز ، لكنه أبدل من الهمزة ياء ضرورة ، وليس تخفيفاً قياسيًا . والوجه يستوبئ بالهمز . الواحدى والتبيان .

أى كن فى أى مكان شئت . فليس لنا ، ولا لركابِنَا مسرى إلاّ إليْكَ ؛ لأن الأرض واحدة ، وأنت مالكها . وإنك أنت أوحد ، لا نظير لك وَلاَ شبيه .

٣٠-وَصُنِ الْحُسَامَ وَلاَ تُذِلْهُ فَإِنَّهُ يَشْكُو يَمِينَكَ والْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ

لا تُذِلْه : أى لا تذلّه ، فخفف .

يقول : صن سيفك واغْمِدْه ولا تذلّه فتفنيه من كثرة استعماله فإنه يفنى الحسام[١] وتشكو يمينُك ، من كثرة[٢] ضرب الجماجم : وهى عظام الرءوس تشهد له بذلك . ومن حق السيف عليك أن تصونه ولا تهينَه وهذا نظير قوله :

شِمْ ما انتضَيْتَ فقدْ تركتَ ذُبَابَهُ قِطعاً وَقَدْ تركَ العِبَادَ جُذَاذَا[٣]

٣١-يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ[٤] مِنْ غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا[٤] هُوَ مُغْمَدُ

النجيع : دم الجوف . وقيل : الدّم الطرىّ .

يقول : قد جفّ الدّم على حُسَامِكَ وهو مجرد عن غمده ، لكنّه من الدم اليابس عليه كأنه مُغْمد .

٣٢-رَيَّانَ لَوْ قَذَفَ الَّذِى أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهَجَاتِ بَحْرٌ مُزْبِدُ

ريان: ضد عطشان، وهو[٥] نصب على الحال . والمهجة : دم القلب .

يقول : هذا السيف ريَّان من الدماء ؛ لكثرة ما أسقيتَه من دماء القتلى ، فَلَو رَمَى[٦] ما أسقيته من الدِّماء لجرى منها بحرٌ ، يعلوه الزّبد لغزارته .

---

(١) ق . ب : « فإنه يفنى الحسام » لا توجد .

(٢) ع : « لكثرة » .

(٣) ديو المتنبى ٦٣ والتبيان ٨٢/٢ .

(٤) ق . ب : « وهو مجرد ... وكأنما هو مغمد » والمثبت كما هو فى سائر النسخ والديوان .

(٥) : « ضد عطشان وهو » عن أ ، ع .

(٦) تزيد ق فقط : « فلورمى ما أسقيته من دماء القتلى فلورمى » وهذه الزيادة انتقال نظر من رمى الأولى إلى رمى الثانية .

٣٣- مَا شَارَكَتْهُ مَنِيَّةٌ فِى مُهْجَةٍ إِلاَّ وَشَفْرَتُهُ عَلَى يَدِهَا يَدُ

التذكير الذى فى البيت : للحسام ، والتأنيث : للمنية . وشفرة السيف : حدّه .

يقول : ما شاركت المنيّة هذا السيف فى نفس من الأنفس ، إلا وحدّه على يد المنيَّةِ يَدٌ فتكون يده فوق يدها . ومثله لأبى تمام قوله :

مطلٌّ عَلَى الآجال حتى كأنّه لصرف المنايا فى النُّفُوسِ مُشَارِكُ[١]

غير أن المتنبى فضّل السيف على المنيّة ، وأبو تمام سوّى بينهما .

وقيل : إنما شاركته المنيّة فَزَعًا منْهُ ، لأنّ السيّف يَدٌ على يدها ، يمنعها ويعوقها .

٣٤- إنَّ الرَّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا حُلَفَاء طَيٍّ غَوَّرُوا أَوْ أَنْجَدُوا

حلفاء : جمع حليف ، وهو الجار المحالف على الولاية ، وطيٌّ : أراد طيئاً[٢] فخفف .

يقول : إن المُصِيبَات ، والعطيّات ، والرِّماح حلفاء طيىء[٣] ، غير مفارقة عنهم ، أينما حلُّوا نجدًا أو غوراً ، سهْلاً أو جَبَلاً .

٣٥- صِحْ : يَالَ جَلْهُمَةَ . تَذَرْكَ ، وَإِنَّمَا أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنَّدُ

جلْهُمَة : قبيلة المدوح . والأشفار : يريد بها الأهداب هاهنا .

يقول : نادِ أيها الممدوح وقل : يالَ جلْهُمة ، تُذْرَك ، وقد أحاطوا بك برماحهم وسيوفهم ، حتى كأنّ أشفار عينك سيف ورمح ، لكثرة سيوفهم ورماحهم .

---

(١) ديوانه ٢/٤٦٢ .

(٢) ب ، ق : « طيبا » تحريف .

(٣) فى طيئ : ثلاث لغات : ١ - طيئ كطيِّع . ٢ - طيئ كطيْع . ٣- وطيٌّ على قلب الهمزة وإدغامها فى الياء ، ومن صرفه أراد الحى ومن لم يصرفه أراد القبيلة وهو طيئ بن أدد بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن حمير . التبيان ١/٣٣٨ .

وفيه معنى آخر : وهو أنك إذَا صِحْتَ[١] بهم جاءوك واجتمعوا عندك ، وهابوك ، حتّى كأن أشفار عيْنك إذا نظرت إليهم ، ذَابلٌ ومهنّدُ ؛ لهيبتك فى قلوبهم ولطاعتهم لك .

٣٦–مِنْ كُلِّ أَكْبَرَ مِنْ جِبَالِ تِهامَةٍ قَلْبًا وَمِنْ جَوْدِ الْغَوادِى أَجْوَدُ

الجَوْد : المطر الشديد ، والْغَوادى : جمع غادية ، وهى السحابة التى تنشأ غداة .

يقول : إن كلّ رجل منهم أكبر من جبال[٢] تهامة[٣] وأسخى من السّحاب التى تأتى غدوة . وهذا يمكن أن يكون متعلقاً بقوله : « أشفار عَيْنك ذابلٌ ومهنّد » من كل رجلٍ أكبر من جبال تِهامة . ويمكن أن يكون للقسمة والتبعيض ، كما يقال : رأيتُ من الناس ذاهبٌ . أى مَنْ هو ذاهب .

٣٧–يَلْقَاكَ مُرْتَدِيًا بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطُّلَى وَالأَكْبُدُ

أحمر : صفة لمحذوف ، يعنى : بسيف أحمر من دم .

يقول : الذى هو أكبر من جبال تهامة قلْباً ، يراك متقلّداً بسيف أحمر ، مِمّا عليه من دماء الأعداء ، صبغت خضرتَه وصقالَه دماءُ الأعناقِ والأكباد ، وسترها فيأتيك بهِ .

٣٨–حَتَّى[٤] يُشَارُ إِلَيْكَ ذَا مَوْلاَهُمُ وَهُمُ الْمَوَالِى وَالْخَلِيقَةُ أَعْبُدُ

يقول[٥] : حتّى يطاعون[٦] لك منقادون لأمرك ، ويشار إليك فيقال :

---

(١) ق ، ب : « متى صحت » . (٢) فى نسخة ق : « رجال » وهو تحريف .

(٣) يريد بذلك قوة قلبه وشدته انظر شرح البيت الذى يليه والواحدى ٧٩ والتبيان ٣٣٩/١ .

(٤) ا : « حَيٌّ » وهى رواية ابن جنّى وابن فورجة يريد جلهمة حيٌّ . انظر الواحدى ٧٩ .

(٥) فى ا قبل ذلك : « حَيٌّ » : أى قبيلة . والمولى : السيد . والموالى : السادة » وهى . رواية ابن جنّى .

(٦) ق ، ب : « حتّى يطاعون لك » ع : « يطعيون لك » .

ذَا مولاهم أى سيدهم وهم[١] مع ذلك سادات الناس كلّهم ، فأَنْت سيدهم ، والخلق عبيدهم ، فأنت سيِّد السادات .

٣٩- أنّى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمٌ وَأَبُوكَ - وَالثَّقلاَنِ أَنْتَ - مُحَمَّدُ

تقديره : كيف يكون آدم أبو البريّة ، وأبوك محمد ، وأنت الثقلان .

يريد : إذا كنت أنت الثقلين ، وأبوك محمد ، فأبو البرية إذًا أبوك ! لا آدم !

والثقلان : الجن والإنس . ومثله قول الآخر :

وَلَيسَ عَلَى اللهِ بمستنكَرٍ أَنْ يجمع العَالَم فى وَاحِدِ[٢]

٤٠- يَفْنَى الْكَلاَمُ وَلاَ يُحِيطُ بِفَضْلِكُم أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بمَا لاَ يَنْفَدُ[٣] ؟

أيحيط، استفهام : والمراد به الجحد[٤] . و«يَفْنَى» و«ينْفَد» بمعنى ، فلذلك وضع أحدهما موضع الآخر .

يقول : يفنى كلام الشعراء فى مدحكم فلا يحيط بفضلكم ؛ لأنّ للكلام نهاية وليس لفضلكم نهاية ، فكيف يحيط المتناهى بما لا يتناهى ؟ ! .

(٣٠)

وقال فى أبى دلف وكان قد حبسه [الوالى][٥] لشىء بلغه عنه ، وأبو دلفٍ هذا سجّانٌ [٣٧-ب] حُبِس المتنبي عنده مدّة سنتين[٦] [وقد أهدى إليه هدية وهو فى السجن] :

---

(١) ا ، ق : «ومع ذلك» .

(٢) البيت لأبى نواس فى ديوانه ٧٥ وروايته : «وليس لله بمستنكر» وقد سبق تخريج هذا البيت .

(٣) فى ب هذا البيت «يفنى الكلام ... البيت» ساقط .

(٤) ق : «والمراد الجحد» .

(٥) يرى الأستاذ شاكر أن الوالى آنذاك هو محمد بن طغج الأخشيد والى الشام وأن الشىء الذى قبض على المتنبى من أجله لم يكن النبوة ، وإنما كان الخروج على السلطان . المتنبى ١٠٩/١ .

(٦) خ : «وقال فى أبى دلف فى صباه رحمهما الله» الأبيات . ع : «وقال فى أبى دلف فى صباه» الأبيات . ب : «وقال فى أبى دلف» . الواحدى ٧٩ «وقال فى أبى دلف بن كنداج وقد نعا هدى =

١ - أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّواءِ وَالتَّلَفِ والسِّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلَفِ

أَهْوِن : أى ما أهوَنَ طُولَ الثواء ، وهذا إن بناه من الإهانة فهو من الشاذ . كقولهم : ما أَعْطَاه للمال . لأن ما زاد على الثّلاثة لا يُبْنى منه فعل التعجّب ، إلا بلفظ ثلاثى ، فكأنه يقول : ما أشد الإهانة بطول الثواء والتلف .

وإن كان من هَانَ يَهُونُ فهو صحيح يدل عليه ما بعده من الأبيات ، وكان قد حُبِسَ فى السجن ، وكان يتعهّده رجلٌ يعرف بابن كنداج[1] كنية أبى دلف ، يأتيه بالطعام وغيْره ، فشُغل عنه يوماً ، فكتب إليه بهذه الأبيات[2]

يقول مخاطباً لأبى دلف : ما أيْسر طول الثّواء والهلاك علىّ ، والسّجن والقيد كُلّ ذلك هيّن علىّ وهذا[3] يدل على أنه كان محبوساً .

٢ - غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِى وَالْجوعُ يُرضِى الأُسُودَ بِالْجِيَفِ

يقول : قبلت برّك بى عن غير اختيار بل بالاضطرار[4] الواقع ، كما أن الأسد إذا جاع ، ولم يظفر بفريسةٍ ، يأكل الجيَف اضطراراً ! كذلك حالى ، فى قَبُول برّك .

٣ - كُنْ أَيُّهَا السِّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ

= الحبس » . التبيان ٢/٢٨٠ « وقال فى أبى دلف وقد توعده فى الحبس بالبقاء » . الديوان ٤٥ « وقال ايضًا وقد أهدى إليه أبو دلف هدية وهو معتقل بحمص : وكان بلغه عنه قبل ذلك أنه ثلبه عند السلطان الذى اعتقله فقال وكتب بها من السجن »

وفى ثنايا شرح الواحدى ٨٠ يقول « وأبو دلف هذا كان صديق المتنبى برّه وهو فى سجن الوالى الذى كتب إليه أبا خدَّد الله ورد الخدود » . وسجن فى قرية يقال لها : « كوتكين » من أعمال حمص ، وبقى المتنبى فى السجن من أواخر سنة ٣٢١ أو أوائل سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٢٣ ثم أطلق .

(١) ا ، ب ، ق : « كداح » تحريف ع : « كنداح » تحريف والتصويب عن الديوان ونُسَخِهِ والواحدى والتبيان . (٢) ا ، ع : « الأبيات » لا توجد .

(٣) ا ، ع تزيد : « علىّ وهذا » . (٤) ا : « لاضطرارًا » تحريف . ع : « للاضطرار » .

التّوْطين : جعْل النفس وطناً .

يقول للسّجن : كن كيف شئت علىّ ، فإنِّى قد وطّنتُ نفسى للموت ، توطين المعترف بالشىء ، الرّاضى بهِ ، المقرّ بالموت ، الذى سكن إليه . وقيل : المعترف الصابر . يعنى : وطنت للموت نَفْسِى نفسَ[1] رجلٍ صابرٍ على الشّدائِد .

٤ - لَوْ كَانَ سُكْنَاىَ فِيكَ مَنْقَصَةٌ لَمْ تَكُنِ الدُّرّ سَاكِنَ الصَّدَفِ

يقول : لَوْ كان كوْنى فى السّجن[2] توجب منقصة وذلاًّ لكان كَوْن[3] الدّر – مع جَوْدته وعلوّ قدره – فى الصّدف الذى هو أخَسّ حيوان البحر يوجب له النّقص . فكمَا لا تُؤثِّر خسّة الصدف فى قدر الدرّ ، كذلك حالى فى السجن . وهذا تسلية لنفسه[4] .

(٣١)

وكان قوم فى صباه قد وشوْا به إلى السلطان وكذبوا عليه[5] وقالوا : قد انقاد له خلقٌ من العرب ، وقد عزم على أخذ بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله وضيق عليه ، فكتب إليه يمدحه[6] :

---

(١) هذه عبارة ع وفى سائر النسخ : « وطنت للموت نفس رجل صابر » .

(٢) تزيد ا ، ع بعد : « السجن » « مع علوك ورذالة السجن » وكأنى به يخاطب أبا دلف بهذه العبارة والمثبت ما فى سائر النسخ .

(٣) ع : « سكون » .

(٤) ع زيادة : « وهذا تسلية لنفسه » .

(٥) يرى الأستاذ محمود شاكر فى كتابه المتنبى ١٠٧/١ أن أبا الطيب كتبها إلى محمد بن طغج الإخشيد التركى والى الشام وكان ذلك فى آخر سنة ٣٢١ أو أوائل سنة ٣٢٢هـ .

(٦) ب ، ق ، ح : لم تذكر أى مقدمة بل ذكرت الأبيات مباشرة « أياخدد الله » الأبيات . ع : « وكان قوم فى صباه قد وشوا به إلى السلطان وكذبوه » الأبيات . الواحدى ٨٠ : « وقال فى صباه وقد مشى به قوم إلى السلطان حتى حبسه فكتب إليه وهو فى السجن يمدحه ويبرأ إليه مما رمى به » . التبيان ٣٤١/١ : « ووشى به قوم إلى السلطان فحبسه فكتب إليه من الحبس » . الديوان ٤٦ : « وله أيضًا وقد امتنع عن عمل الشعر بمصر . سأله جماعة من أهل الأدب بها ، إثبات بعض ماكان أسقطه من شعره=

١ – أَيَا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الْخُدُودِ وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدودِ

أيا : يحتمل أن يكون حرف نداء ، والمنادى محذوف ، وتقديره : أيا قومُ . ويحتمل أن يكون افْتتاح الكلام . مثل « أما » و « ألاَ » وخَدَّدَ : أى شقق . وقَدّ : أى قطّع ، وأصله القطْع طولاً . والقدود : جمع القدّ ، وهو القامة .

قال يدعو على ورد الخدود والقدود الحسنة ، وفيه وجهان :

أحدهما : أن يكون على عادة العرب ، فى أنهم إذا استحسنوا شيئاً وتعجَّبُوا منه دَعَوْا عليه ! نحو قولهم : « قاتل اللهُ فُلانًا مَا أَفْصَحه ! » .

والثانى : أن يحْمل على حقيقة الدعاء عليها[1] . فيقول : شقق الله ورد الخدود[2] وقطّع قُدودَ الْحسان قُدوداً ، فإنى قد لقيت منها بلاءً[3] وجهداً ، وقاسيت منها مشقة ، ويدلّ عليه قوله « فهن أسلن دما مقلَتى »[4] ومثله لجميل[5] :

رَمَى اللهُ فى عَيْنَى بثينةَ بِالْقَذَى وفى الغرّ منْ أَنْيَابِهَا بالْقَوادِحِ[6]

٢ – فَهُنَّ أَسَلْنَ دَمًا مُقْلَتِى[7] وَعَذَّبْنَ قَلْبِى بِطُولِ الصُّدُودِ

= رغبة فيه فأجاب إلى ذلك . فمِمَّا أثبت قوله فى صباه وقد وشى به قوم إلى السلطان . وكذبوا عليه . بأن قومًا من العرب انقادوا إليه . وقد عزم على أخذ بلدك حتّى أوحشوه منه . فاعتقله وضيق عليه . فدحه وأنفذها إليه ولم ينشده إياها » وما أثبتناه عن ا .

(١) ق . خ : « أن يحتمل على الحقيقة الدعاء عليه » .

(٢) ع تزيد بعد : « الخدود » : « قبحًا » .

(٣) عبارة ع : « فإنى قد لاقيت منها مشقة وقاسيت منها بلاء » .

(٤) « دما مقلتى » عن ع .

(٥) هو : جميل بن عبد الله بن معمر . قال أبو عمرو بن العلاء : هو أغزل نظرائه (خاص الخاص ١٠٧) أغانى ٨/٩٠ ومختار الأغانى ٢/٢٣٣ .

(٦) الشطر الثانى ساقط من ق ، ب ، خ ، وفى ا ، ع روايته : « وبالغر من أنيابها بفؤاد » . والتصويب من مختار الأغانى ٢/٢٤٨ والواحدى ٨٠ والتبيان ١/٣٤١ .

(٧) فى الديوان : « مهجتى » بدل : « مقلتى »

يقول : [٣٨ - ا] هن أسلْنَ مِنْ مقلتى دمًا ؛ من بكائى عليهن ، وعذَّبْن قلبى بطولِ إعراضهنّ عنّى . وروى «مهجتى» أى قتلننى وسفكن دمى .

٣ - وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ فَتًى مُدْنِفٍ وَكَمْ لِلنَّوى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدِ

المدنف : الذى طال مرضه[١] . يعتذر من قوله «فهن أسلْن دماً» .

فيقول : ما أنا بأول عاشقٍ قُتِل شهيدًا ، فكم للهوى من فتًى قد دَنِفَ وصار إلى شرف الْموت ، وَكَمْ للنّوى من قتيلٍ شهيدٍ مثْلِى ، قد قتله الحب ، كما قَتَلَنى شهيدا .

٤ - فَوَاحَسْرَتَا مَا أَمَرَّ الْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكُبُودِ

يقول : واحسرتا على نفْسى من مفارقة الأحباب ، فما أمَرّ الفراق وأشدّ مرارته ! وما أشد عَلَق نيرانِ الْفراق بالكُبود ! وجمع الكبود ذهاباً إلى العموم ، فكأنّه قال : ما أعلق نيرانه بكُبُود العشاق . وروى : «وأحرق نيرانه بالكبود» .

٥ - وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْعَاشِقِينَ وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبّ الْعَمِيدِ!

قوله وأغْرَى : تعجّب من غَرِىَ بالشىء إذا ولع بهِ[٢] . والصبابة : رِقّة الهوى . والعميد : المصاب عمود قلبه .

يقول[٣] : ما أوْلع الصبابة والشوق بالعشّاق ، وما أقتلها لِلْمُحِبّ المصاب قلبه ! يتعجب من ولع الهوى وقتله للعشّاق .

٦ - وَأَلْهَجَ نَفْسِى لِغَيْرِ الْخَنَا بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى والنُّهُودِ

(١) ا : «طويل المرض» . ع : «الطويل المرضى» .

(٢) فى جميع النسخ : «وقع به» تحريف . والتصويب من المعاجم وبقية شرح البيت .

(٣) ب من : «يقول ما أولع الصبابة . . . يقول ما أولع نفسى» ساقط انتقال نظر من يقول الأولى إلى يقول الثانية .

ألهج : أى أعرض ، وأولع [١] . واللَّمَى : حُمْرة الشفة تضرب إلى السّواد . والنهود : نتوء الثدى [٢] .

يقول : ما أولع نفسى بحب النّساء ، لمىٍّ الشّفاة ، نواهد الثدى ، الموصوفات بالحسن والجمال ، لا الخنَا [٣] : الذى هو داعية الزِّنَا ، لكن لأجل النظر فقط .

٧ – فكَانَتْ وَكُنَّ فِدَاءَ الأَمِيرِ وَلاَ زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِى مَزِيدِ

أى كانت نَفْسِى المذكورة [٤] ، وذاتُ اللّمَى والنهود فداءَ الأمير الممدوح . على وجه الدعاء ، ثم ذكرَ دعاءً [٥] آخر فقال : ولازال الأمير من الله تعالى فى زيادة تامة من النعمة [٦] .

٨ – لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ

الُوعود : جمع الوعْد ، وهو مصدر وَعَدَ . فيكون بمعنى : الوعْد [٧] .

يقول : حَالَ الأميرُ بسيفه دون الْوَعِيد [٧] ، فيقتل قبل أن يوعِد . وحالتْ

(١) ألهج بالأمر : لهج به . ولهج بالأمر لهجًا : أولع به . هذا ولم أهتد فى المعاجم إلى أن ألهج بمعنى أعرض ونسخة خ قد وضعت تحت : « أعرض » خطًّا يفيد الضرب عليها .

(٢) ق ، ا ، ب : « النهود : الثدى » وما أثبت عن ع .

(٣) الخنا : الفحش . وكلامٌ خنٍ وكلمة خنية . وقد خنى عليه بالكسر وأخنى عليه فى منطقه : إذا فحش قال أبو ذؤيب الهذلى :

فلا تخنوا علىَّ ولاتشطوا بقول الفخر إن الفخر حوب

التبيان ١/٣٤٢

(٤) عبارة ع : « يقول : فكانت نفسى التى تقدم ذكرها » .

(٥) ب : « ثم ذكر دعاء » ساقط انتقال نظر .

(٦) « تامة من النعمة » عن أ ، ع .

(٧) الوعود : جمع وعد . وأوعد : فى الشر لاغير . ووعد : فى الخير والشر . قال تعالى : (بشرٍّ من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا) وقال الشاعر :

وإنى إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

التبيان ١/٣٤٣

عطاياه دون الوعْد ؛ فيعطى قبل أن تَعِد . فالأوّل : يدل على فضل قوّته ، والثانى : على فضل سخائِه وجوده .

٩ - فَأَنْجُمُ أَمْوَالِهِ فِى النُّحُوسِ وَأَنْجُمُ سُؤَّالِهِ فى السُّعودِ

أنْجُم أمواله منحوسةٌ لتفريقه إياها ، وأنْجم سؤّاله مَسْعودة لاستغنائِهم بما يبذله لهم من الأموال ويفرقه بينهم[1] .

١٠- وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ

يقول : لوْكان الخوف على الممدوح مِنْ[٣٨-ب] أعدائِه وحْدهم ، لكنتُ فى أمنٍ دونهم ، فبشّرته بدوام الحياة غير إنما أخاف عليه مِنْ غير أعدائه ، وهو الله تعالى ، ذو القضاء المبْرم فى جميع الناس[2] . والغرض هو الاستخفاف بأعدائِه . وروى : «عين أعدائِه» يعنى : أن يصيبوه بعيونهم السيّئة .

١١- رَمَى (حَلَبًا) بِنَوَاصِى الْخُيُولِ وسُمْرٍ يُرِقْنَ دَمًا فى الصَّعِيدِ

الصَّعيد : التراب الخالص . وقيل : هو ظاهر الأرض .

يقول : رَمَى حلَبًا[3] بوجوه خيْله ، لمّا حاربها برماح له ، تُريق دماء أعدائِه فى الصّعيد : أى التراب[4] .

١٢- وَبِيضٍ مُسَافِرَةٍ مَا يُقِمْـ ـنَ لاَ فِى الرِّقَابِ وَلاَ فى الْغُمُودِ

يقول : رَمَاها بسيُوفٍ مسافرةٍ ، غير مستقرّة فى رقابِ الأعداء ولا فى غُمودِها ؛ لأنها تتقدّم من رقَاب إلى رقَاب ، ومن قَتيل إلى قتيل ، فليس لها قرار ؛

(١) ع : «فيهم» .

(٢) قال الواحدى وصاحب التبيان : «وإنما أخاف عليه من الدهر وحوادثه التى لا يسلم منها أحد» .

(٣) المدينة المشهورة فى سوريا . «الشام» . معجم البلدان .

(٤) : «التراب» ساقطة أ ، ع .

لكثرة ما تستعمل فى الضرب فكأنها مسافرة غير مقيمة[١] فى غمد أو عنق[٢] .

١٣- يَقُدْنَ الفَنَاءَ غَدَاةَ اللِّقَاءِ إلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ

يقدن : فِعْل السّيوف[٣] التى لا تقيم فى غمد ، أو عنق . يقول : يقدن أى يَسُقْن الْفَنَاء غداة اللِّقاء للحرب ، إلى كلّ جيْش كثير العدد ؛ فهذا فعْلهنّ وسفرهُنّ .

١٤- فَوَلَّى بأَشْيَاعِهِ (الْخَرْشَنِىُّ) كَشَاءٍ أَحَسَّ بِزَأْرِ الأُسُودِ

الخرْشنىّ : هو والى حلب ، وخرْشنة[٤] هو الحصن فى بلاد الروم .

يقول : ولّى الخرشَنِىُّ - الذى حاربه الأميرُ - بأصحابه وأشياعه ، كانهزام الشّاة عند ما تحس بصوتِ الأسد .

١٥- يُرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفْقَ الْبُنُودِ

يقول : انهزموا عنه ، وخافوه ، حتى ظنوا صوتَ الرِّياح أنه صهيل خيوله وخفق أعلامه ، وأنهم إذا رأَوْا شيئاً ظنَوه رَجُلاً ومثله قول جرير[٥] :

(١) ق ، ب : « فكأنها غير حقيقة » .

(٢) قال الواحدى ٨٢ : يريد كثرة انتقالها من الرقاب إلى الغمود ، ومن الغمود إلى الرقاب ودلت لكثرة حروبه وغرواته ، فليست لها إقامة فى شىء مما ذكره ، فهذا جعلها مسافرة ، وليس يريد بمسافرتها مسافرة الممدوح ، وأنها معه فى أسفاره لانه نفى إقامتها فى الرقاب وفى الغمود ، فمسافرتها تكون بين الرقاب وبين الغمود كما يقال : فلان مسافر أبدًا ما يقيم بمرو ولا نيسابور ، فذكر البلدتين دليل على أنه مسافر بينهما ، وليس يريد انتقالها من رقبة إلى رقبة كما قال ابن جنى وغيره .

(٣) يقول الواحدى ويتابعه صاحب التبيان : « يقدن : إخبار عما ذكر من الخيول والرماح والسيوف لأن هذه الأشياء سبب فناء أعدائه » .

(٤) خرشنة : بلدة من بلاد الروم ، معجم البلدان . ويقول الأستاذ محمود شاكر فى كتابه المتنبى ١٠٧/١ هى جبل ببلاد الروم يقال له خرشنة . والخرشنى : ملك الروم لأنهم ينسبون ملوك الروم إلى جبل ببلادهم يقال له خرشنة .

(٥) ا ، ب ، ق : « قول الحريرى » تحريف ع : « لحرير » تحريف وهو : جرير بن عطية الخطفى ، ولد باليمامة ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة ثم تناقس الفرزدق فى التهاجى والسباب لعوامل سياسية واجتماعية ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٠هـ .

مازلت تَحْسِبُ كُلَّ شَىءٍ بَعْدَهُم خَيْلاً تكرّ عليهم وَرِجَالا[١]

والأصل فى ذلك قوله تعالى : (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوّ)[٢] .

١٦- فَمَنْ كَالأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الأَمِيـ ـرِ أَمْ مَنْ كَآبائِه[٣] والْجُدُودِ ؟

من : استفهام . ومعناه النفى .

يقول : ليس أحد مثل الأمير وليس أحد كأبيه وأجداده ، وهو أيضاً كريم من جهة الأمهات[٤] .

١٧- سَعَوْا لِلْمَعَالِى وَهُمْ صِبْيَةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فى الْمُهُودِ

يقول : إن الممدوح وأباءه وأجداده قد سعوْا فى طلب[٥] المعالى فى حال صباهم ، وسادوا غيرَهم ، وجادوا بأموالهم ، وهم أطفال فى المهود ، والغرض المبالغة فى سُؤْدُدُهم وكرمهم . وروى : « وشادوا » أىْ بَنَوْا المجْدَ ورَفَعُوه[٦] .

١٨- أَمَالِكَ رِقِّى وَمَنْ شَأْنُهُ هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيدِ

الواو فى قوله : « ومن شأنه » ، واو الحال . ويجوز : أن يكون واو العطف ،

---

(١) ديوانه ٥٣ وروايته « تكر عليكم » والحيوان ٢٤٠/٥ وروايته « تشد عليكم » والوساطة ٢٦٣ وروايته توافق الرواية التى معنا ، والتبيان ٣٤٥/١ و١٦٩/٣ ، والبرقوقى ٣٦٠/٣ وفى ديوان المعانى ١٩٤/١ .

(٢) سورة المنافقون ٤/٦٣ .

(٣) فى جميع النسخ : « كأبيه » وما ذكرناه عن سائر الشراح والنصوص .

(٤) ويؤخذ هذا من قوله : « ابن بنت الأمير » فجده لأمه كان أميرًا ولذا نسب إليه . التبيان ٣٤٥/١ .

(٥) ع : « سعوا لاقتناء » . ا : « قد سعوا »

(٦) ق ، خ : « وشادوا بنا المجد » وإلى هنا ينهى الشارح وما صوب عن ا ، ع . ويروى المعنى الواحدى وصاحب التبيان فيقولان : ورثو السيادة عن آبائهم فحكم لهم بالجود والسيادة وهم أطفال على ما عهد من أجدادهم وآبائهم .

و «مَنْ» فى موضع [٣٩–ا] النّصب . وتقديره إذًا يكون : يا مالك رقّى[١] ويا مَنْ شأنه هبات الفضة وإعتاق[٢] العبيد .

١٩– دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّى كَحَبْلِ الْوَرِيدِ

حبْل الوريد : عرق فى العنق ، يتصل بالقلب .

يقول : دعوْتُك لمّا انقطع الرّجاء من الحياة ، وقرب الموت منى ، كقرب حبل الوريد .

٢٠– دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِى الْبِلَى وَأَوْهَنَ رِجْلَىَّ ثِقْلُ الْحَدِيدِ

بَرانى : أى أنحلنى ، وقطعنى . والبِلَى : مصدر بَلِيَ الشَّىءُ . وروى : «لِثِقْلِ الحديد» .

يقول : دعوتك عند الشدة[٣] ، وعظم أثر القيد بِرجْلى !

٢١– وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِى النِّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فى الْقُيُودِ

يقول : قد كان مشى رجلَىّ قبْل ذلك فى النعال ، وصار الآن مشيهما فى القيود ! فلا عهد لى بالقيود قبل هذه الحالة !

٢٢– وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فى مَحْفِلٍ فَهَا أَنَا فى مَحفِلٍ مِنْ قُرُودِ
٢٣– لُصُوصٌ أَطَاعُوا أَبَا مِرَّةٍ بِتَرْكِ الرُّكُوعِ وَتَرْكِ السُّجُودِ
٢٤– كَأَنِّى قُرِنْتُ بِهِمْ فى الْجَحِـ ـيمِ أَرَى كُلَّ يَوْمٍ وُجُوهَ الْيَهُودِ[٤]

---

(١) فى النسخ : «إذا أكون يا مالك فى رق» والتصويب من التبيان .

(٢) ع : «اعتاق» وفى سائر النسخ «عتق» . (٣) ا ، ع : «شدة الحال» .

(٤) لصوص أطاعوا أبا مرة بترك الركوع وترك السجود
كأنى قرنت بهم فى الجحـ ـيم أرى كل يوم وجوه اليهود

لم يذكرا هذين البيتين فى الواحدى ولا التبيان ولا الديوان وبعض النسخ مثل ق ، ب . وقد اعتمدنا فى إثباتهما على أنهما ذكر فى ا ، ع ، خ .

يقول : كنت إلَى الآن فى محفِل من كرام النّاسِ ، وأنا الآن فى محفِل من القرود ! وأراد بهم الأوباش وأصحاب الأهواء[١] ثم بين فقال : هم لصوص[٢] وأطاعوا إبليس بترك الصلاة . وأبو مرة : كنية إبليس[٣] .

٢٥-تَعجَّلَ فىَّ وُجُوبُ الْحُدودِ وَحَدِّىَ قَبْلَ وُجُوبِ السُّجُودِ !

وروى تعجّلُ : فيكون متعديًا ، أصله تتعجل أيها الأمير ، فعلى هذا « وجوب » يكون منصوباً ، والأَوْلى تعجلَ بفتح اللام على الفعل الماضى اللازم ويجوز رفع « وجوب » الصلاة علىّ وحدّى . قال ابن جنّى : إنه لم يكن صغيراً لكن صغر نفسه عند الأمير [ألا ترى أن من كان صبيًّا لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف][٤] والظاهر بخلاف[٥] ذلك ، وما بعده يدلّ على أنه كان صغيراً ، ومثله لابن الرومى[٦] :

أمْ لذنْبٍ ينوبُ عنّى فلمْ يأْنِ اكْتِساب الذنُوبِ للأطْفالِ

٢٦-وَقِيلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِينَ بَيْنَ وِلاَدِى وَبَيْنَ الْقُعُودِ

عدوتَ : أى ظلمت

يقول : قيل عدوت على العالمين بما نويت ، وأنا بين أولادى وقعودى ومن كان طفلاً مثلى . فكيف يصح منه مانسب إليه ؟ !

٢٧-فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الكَلاَمِ وَقَدْرُ الشَّهَادةِ قَدْرُ الشُّهُودِ ؟ !

(١) خ : « أصحاب الأهواء » مكانها بياض . (٢) ق ، ا : « فقال لصوص أطاعوا » .

(٣) فى ا ، خ : « وأبو مرة كنية إبليس » وساقطة من سائر النسخ .

(٤) من « ألا ترى .... والخلاف » زيادة فى ا ، ع وهذه العبارة تكملة لقول ابن جنى .

(٥) ا ، ح : « بخالف » .

(٦) هو : أبو الحسن على بن العباس بن جريج الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب ، يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها فى أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه ولا يبقى فيه بقية ، ومعانيه غريبة جيدة ولد سنة ٢٢١ وتوفى سنة ٢٨٣ . انظر وفيات الأعيان ٣ ، معاهد التنصيص ١٠٨/١ . ولم أعثر على بيته فى مراجعنا.

يقول : مالك تقبل على الكذب وهذه الشهادة كشاهديها فى الحقارة ، فكما لا قدر للشهود لحقارتهم فكذلك شهادتهم[١] .

٢٨-فَلاَ تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحينَ[٢] وَلاَ تَعْبَأَنَّ بِمَحْكِ الْيَهُودِ

بِمَحْكِ اليهود : أى العداوة وشدّة الحاجة . وروى : بِمَحْلِ[٣] اليهود : وهو السِّعاية .

يقول : لا تسمع من الكاذبين كذبهم علىّ ، ولا تبال بعداوة اليهود وسعايتهم بى ، فإن شهادة اليهود على المسلمين غير مقبولة ؛ لما بينهم من العداوة ، والظاهر أنهم كانوا يهوداً . وقال ابن جنى : إنهم لم يكونوا يهوداً ولكن كنى عنهم باليهود لذلّتهم وحقارتهم وقلّتهم ، وظاهر البيت يدل على خلاف ذلك[٤] .

٢٩-وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى : أَرَدتُ وَدَعْوَى : فَعَلْتُ بِشأْوٍ بعيدِ

يقول : إنّ القوم إنّما شهدوا علىّ ، بأنّى أردتُ أن أهجوك وأخرج عليك ، ولم يشهدوا أنى فَعَلْتُ ذلك ، ولا نستحق الحَبْس والحدّ على العزْم والنيّة ما لم يُفْعل ، فكن فارقاً بين الواقع والمستقبل بمفرق بعيد ، فإن بين الأمرين بونًا بعيدا[٥] .

---

(١) فى خ الحق البيت ٢٥ « تعجل » بالأبيات ٢٤ وما قبلها ثم أتى بالشرح وفى ع ا آخر البيت ٢٥ إلى ما يعد قوله : « أبو مرة كنية إبليس » إلى غير ذلك من سهو النساخ ثم استدراكهم .

(٢) ع ، أ : « من الكاذبين » .

(٣) ق : « بمهك » تحريف .

(٤) يقول الأستاذ محمود شاكر : « تأويل ذلك أن العباسيين وكثيرًا غيرهم حتى من العلويين أنفسهم : « كبنى حمدان » كانوا لا يعترفون بنسبة الفاطميين ويزعمون أن جدهم كان يهوديًا وأسلم ليدخل على الإسلام فاسد العقائد نكاية ، وآسدهم على ذلك أن الدعوة الفاطمية كانت دعوة سرية لها أصول خاصة ودرجات مرتبة من درجة التلمذة إلى درجة داعى الدعاة ولكل درجة من الدرجات تعليم خاص ومرتبة معروفة مقيدة » . المتنبى ١٠٨/١

(٥) التصويب عن ع وفى سائر النسخ : « فإن الأمرين بشأو وبعيد » .

٣٠-وَفِى جُودِ كَفَّيْكَ مَا جُدْتَ لِى بِنَفْسِى وَلَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثَمُودِ

يقول : لوكان مازعموا ! فإنّ فى جود كفّيْك لى رجاءٌ أن تعفو عنى ، وتجودَ بنفسِى وتترك قتلها ، عَلَى عِظَم ذنْبى ، ولوكنتُ فى ذنبٍ عظيم . أشقى ثمود : الّذى عقر ناقةَ صالح عليه السلام . واسمه قدار بن سالف[١] .

(٣٢)

وقال [إجابة] لمُعاذ الصيدوانى وهو يعذله[٢] [على تهوّره] :

١ - أَيَا عَبْدَ الإِلٰه معاذُ إِنِّى خَفِىٌّ عَنْكَ فِى الْهَيْجَا مَقَامِى

هو : أبو عبد الله مُعاذ الصيدوانىّ[٣] ، وضم معاذ على نكرة الندا[٤] كأنه يقول : أيا عبدَ الله[٥] . يا معاذُ . وكان معاذ هذا يلومه على تعرضه للحروب فى الأسفار . فقال له : إنّه خَفِىَ عنك مقامى فى الحروب واستقلالى بها ، وارتقائى إلى معالى الأمور .

---

(١) المذكور كما فى ق وفى سائر النسخ : « قدار بن سالم » والتصويب عن القرطبى ٢٤١/٧ ، ٧٨/٢ .

(٢) ق ، أ ، ب : « وقال لمعاذ الصيداوى وهو يعذله » ع : « وقال أيضًا » الأبيات . الواحدى ٨٤ : « وقال لمعاذ وهو يعذله على تقدمه فى الحرب » . التبيان ٤٤/٤ « وقال وقد عذله معاذ فى إقدامه فى الحرب » . الديوان ٤٩ : « وقال لمعاذ الصيدوانى وهو يعذله » .

(٣) هو أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى ، ذكر أن أبا الطيب قدم عليه اللاذقية سنة ٣٢٦هـ وأبو عبد الله هذا الذى قال : إنه لقِى المتنبى باللاذقية وبايعه بالنبوة وأخذ بيعته لأهله أيضًا . وانظر هذا الحديث للأستاذ محمود شاكر ٧٨/١ على نكر من الأستاذ شاكر .

(٤) ق : « على نكره والنداء » محمود شاكر المتنبى ٧٨/١ ، التبيان ٤٤/٤ . وفى سائر النسخ « على نكرة النداء » .

(٥) فى الواحدى والتبيان والديوان ونسخه ع : « أبا عبد الله » وفى نص البيت أيضًا فى هذه المراجع « أبا عبد الله » ولعل ما أثبتناه هو ما يتفق والشرح .

٢ - ذَكَرْتَ جَسِيمَ مَا طَلَبِى وَأَنَّا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهَجِ الْجِسَامِ

يقول : ذكرتَ عظيم ما أطلبه من الأمور ، وأنّا نخاطر فى جسيم ما تطلبه ، بالمهج والأرواح العظام ، ولم تَعْرِف أنّا لانبال باللوم والملام[1] .

٣ - أَمِثْلِى تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ من مُلاَقَاةِ الْحِمَامِ ؟

يقول : أمثلى تتناول النكبات منه ، وتؤثر فيه ! وهل أجزع من ملاقاة الموت ؟ حتى تعذلنى على بذل نفسى .

٤ - وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصًا لَخَضَّبَ شعْر مفْرِقِهِ حُسَامِى

يقول : لا أبالى بنكباتِ الزَّمَان ، فإنه لو برز إلىّ وكان شخصاً لضربته بسيفى ، وخضّبتُ شعر وسطَ رأسه بدمه . والمفرق : وسط الرأس[2] .

٥ - وَمَا بَلَغَتْ مَشِيَّتَها اللَّيَالِى وَلاَ سَارَتْ وَفِى يَدِهَا زِمَامِى

اليد والزمام : استعارة .

يقول : ما بلغت أنى أطيعها . ولا يمكنها أن تؤثر فىّ .

٦ - إِذَا امْتَلأَتْ عُيونُ الْخَيْلِ مِنِّى فَوَيْلٌ فِى التَّيقُّظِ[3] وَالْمَنَامِ

يقول : إذا رأتنى الخيل . يعنى : أهلها . وأراد هاهنا مُحِبّها أى الفِرْسَان مِلْءَ[4] أعينها ، فويْلٌ لهم فى حَالَتِى التَّيقُّظِ والمنام ؛ لأنهم إذا رأوا خيالى فى المنام ، يذْهب نومُهم خوفاً منى ، وإذا تعرَّضْتُ لهم فى اليقظة أقتلهم وأصله من قول الشاعر[5] [٤٠ - ا] :

---

(١) ا سقط هذا البيت مع شرحه . ع : « والملام » لا توجد .

(٢) ا ، ع : « المفرق وسط الرأس » لم تذكر . (٣) ا ، ع « للتيقظ » .

(٤) ق : « محبها أى الفرسان ملء » ساقط .

(٥) ا : « أستأصلهم والأصيل فيه قول الشاعر » .

على عدوّك يابن عمّ محمدٍ[١] — رَصَدَان ضوء الصُّبح والإظلامُ[٢]
فإذا تَنَبَّه رُعْتَه وإذا هدَى سلَّت عليْه سُيُوفَكَ الأَحلامُ[٣]

(٣٣)

وقال لِرَجلٍ بلَغَه عن قوم كَلامًا [فيه][٤] :

١ – أَنَا عَيْنُ الْمُسَوَّدِ الْجَحْجَاحِ هَيَّجَتْنِى كِلَابُكُمْ بِالنُّبَاحِ

يُقَال : هذا عينُ الشىء . أى نفسه ، وخالصه . والمسود : هو المُتَّفَق على سيادته . والْجَحْجَاح : السيد . وروى : « هيَّجتِنِى » : أى حرّكتنى ، وأغضبتنى . و« هجّنتنى : نسبتنى إلى الهجنة والعار .

يقول : أنا عيْن المدعو سيدًا ، غيرَ أن كلابكم : أى خِسَاسَكم من الشّعراء وغيرهم نسبتنى إلى الهجْنَة أو حركتنى وأغضبتنى[٥] بالنباح ، أى بأشعارهم أو بكذبهم علىّ وتعيّرهم لى فكأنه جعلهم كلاباً[٦] .

٢ – أَيَكُونُ الْهِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحِ

(١) عن ع : « وعلى عدوك يابن عم محمد » وناقص فى سائر النسخ .

(٢) ا ، ب : هذا البيت ساقط ، والشاهد فى البيت الذى يليه .

(٣) نسب هذا البيت إلى أشجع السلمى فى خاص الخاص ١١٢ . والتبيان ٣٦٤/١ ، والوساطة ٢٥٣ ، وشرح البرقوق ٤١٦ ، والإبانة ٤٥ . ومواسم الأدب ٢٠٦ ، وطبقات ابن المعتز ٢٥١ ، ومعاهد التنصيص وروايته : « فإذا تنبه رعته وإذا غفا » ، وديوان المعانى ١٤٥/١ . وفى التبيان ٤٤/٤ نسب إلى مسلم ، وذكره الشارح ٢ / ١٨٩ منسوبا إلى علىّ بن جبله !

(٤) ق ، ع ، ح : « وقال » الأبيات والمثبت عن سائر النسخ ، والواحدى ٨٥ ، والديوان ٤٩ . والتبيان ٢٤٢/١ . وقال فى صباه لرجل بلغه عن قوم كلامًا .

(٥) : « وأغضبتنى » عن ا ، ع .

(٦) ق ، ب : « فلا جعلهم كلابًا » . عبارة ع : « فلما جعلهم كلابًا جعل كلامهم وأشعارهم نباحًا » .

الهجان : الكريم ، الخالص . والهجين : ضدّه . والصراح : الخالص .

يقول : أنا هِجَانٌ كريم ، والهجانُ هجانٌ أبدًا ، وإنْ دُعى هجينًا ، والخالِصُ خالصٌ ، وإن نُسب إلى ضدّه ، ويحتمل أن يكون غير الكريم فى معنى الهجين ، فيكون صفةً للطاعنين فيه . ومعناه : أنّ مَنْ يكون غير كريم فلا يكون كريماً وإن دُعِيَ كريمًا . يعنى : أعداءه ، ومن يكون خالصاً[1] فلا يكون غير خالص . وأراد به نفسَه .

٣ - جَهِلُونِى وَإِنْ عَمِرْتُ قَلِيلاً نَسَبَتْنِى لَهُمْ رُءُوسُ الرِّمَاحِ

يقول : جهلوا قدرى ونسبى ، ولو عشت قليلاً عرَّفَت إليهم نَفْسِى حتّى تنسبنى إليهم رءوس الرماح فيعرفوننى بطعنى لهم بها[2] .

(٣٤)

وَقَالَ أَيْضًا ارْتِجَالاً وَقَدْ سُئِلَ الشُّرْب [ففضل معاطاة الحراب على معاطاة الشراب][3] :

١ - أَلَذُّ مِنَ الْمُدَامِ الْخَنْدَرِيسِ وَأَحْلَى مِنْ مُعَاطَاةِ الكُئُوسِ

المُدَام : الخمر . سُمِّى به لأنها أُدِيمُ فى الدَّن . والخَنْدريس : هى الخمر العتيقة من أعوام .

٢ - مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالى وَإِقْحَامِى خَمِيسًا فِى خَمِيسِ

الصّفائح : جمع الصّفيحة ، وهى السيف العريض . والعوالى : رءوس الرماح . والخميس : العسكر .

---

(١) ق ، ب : « ومن خالصه » تحريف. (٢) ا ، ع : « برماحى » .

(٣) فى الواحدى ٨٩ : « وقال ارتجالاً وقد سأله أبو ضبيس الشرب » . التبيان ١٩١/١ « وسأله أبو ضبيس الشرب فقال مرتجلاً » . الديوان ٥٠ : « وقال أيضًا وهو سئل الشرب » .

يقول : ألَذ من شرب الخمر العتيقة ومناولة الكئوس ، مناولة السيوف والرماح ، وسقى الدِّماء من الجراح ، وإدخال جيش فى جيش ، كل ذلك ألذّ وأحلى عندى من شرب الخمر العتيقة[١].

٣ - فَمَوْتِى فِى الْوَغَى عَيْشِى لأَنِّى رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِى أَرَبِ النُّفُوسِ

لَمّا فضل الحرْب على الشُّرب بيَّن علّة التَّفضيل.

فقال : موْتى فى الحرب عيْش فى الحقيقة لبقاء الذكر الجميل ؛ لأنى رأيت العيش وكماله فى حاجات النفوس ، وحاجتى حصول عيش الأبد ، وذلك فى الموت لبقاء الذكر الجميل بعدى.

ويجوز أن يريد أن الحرب فى سبيل الله حياة لى لكونى من الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله فكنت حيًّا[٢] بما أنا فيه من الثواب.

قال ابن جنى : قلت له كيف ذلك ؟ فقال الآية : (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهم يُرْزَقون)[٣]. [٤٠ - ب]

٤ - وَلَوْ سُقِّيتُهَا بِيَدَىْ نَدِيمٍ أُسَرّ بِهِ لَكَانَ أَبَا ضَبِيسِ

نصب أبا ضبيس[٤] ؛ لأنه خبر كان ، واسمه : ضمير النديم وهو صديقه الذى دعاه إلى الشرْب. وقيل : إنه كان صاحب المجلس والدعوة.

يقول : لو سقيت الخمر بيدَىْ نديمٍ لى فيه سرور وأنس لكان ذلك النديم أبا ضبيس يعنى[٥] لكنت لاَ أشْرب إلاَّ من يده.

(١) ا ، ع « ألذ وأحلى من شرب الخمر ».
(٢) ق ، ب : « فى سبيل الله بما أنا فيه ».
(٣) سورة آل عمران ١٦٩/٣ ولم تزد : (عند ربهم يرزقون) إلا ا ، ع.
(٤) فى سائر النسخ : « أبا خبيس »
(٥) « يعنى » عن ا ، ع.

(٣٥)

وقال له بعضُ الكلابيِّين : أَشْرَبُ هذا الكأس سروراً بك فأجابه ارتجالاً[١] :

١ – إِذَا مَا شرِبْتَ الْخَمْرَ صِرْفاً مُهَنَّأً   شَرِبْنَا الَّذِى مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ

يقول : إذا شرِبْتَ الخمر صرفاً أى غير ممزوج مُهَنَّأً بشربه . شربتُ أنا الماء الذى شرب الكرمُ من مثله .

وقيل : إن الكرم إذا غرس صب فى مغرسه الدم فيقْوى بذلك .

يقول : إذا شربتَ أنت الخمر شربتُ أنا الدم الذى شرب الكرم منه ، ويدل عليه ما بعده وهو[٢] :

٢ – أَلاَ حَبَّذَا قَوْمٌ نَدَامَا هُمُ الْقَنَا   يُسَقُّونَهَا رِيًّا وَسَاقِيهُمُ الْعَزْمُ

يقول حبذا قوم[٣] ، نَدَاماهُمْ الرِّماح ، يسقون رماحهم دماء أعدائِهم ريا : أى قدر ما تروى بِهِ ويكون ساقيهم[٤] العزم .

[طربه لصليل السيوف لا لقرع الكئوس] .

(٣٦)

وقال أيضاً ارتجالا[٥] :

١ – لأَحِبَّتِى أَنْ يَمْلَئُوا بِالصَّافِيَاتِ الأَكْوُبَا

---

(١) ب : « وقال » الأبيات . الواحدى ٨٩ . وقال له بعض الكلابين أشرب هذه الكأس سرورًا بك فأجابه . التبيان ٤٦/٤ « وقال له بعض بنى كلاب أشرب هذا الكأس سرورًا بك فقال ارتجالاً » . الديوان ٥١ : « وقال له بعض الكلابيين بوادى بطنان : أشرب هذا الكأس سرورًا بك فأجابه » .

(٢) عبارة ع : « والبيت الثانى يدل عليه وهو قوله » .

(٣) ا ، ع : « ألا حبذا » .

(٤) ا ، ع : « ساق هذا القوم » .

(٥) ب : «وقال يرحمه الله» . ع : «وقال أيضًا» . الواحدى ٨٧ : «وقال ارتجالاً فى صباه»=

٢ - وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَبْذُلُوا وَعَلَىَّ أَلاَّ أَشْرَبَا
٣ - حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تُ الْمُسْمِعَاتِ فَأَطْرَبَا

الأكواب : جمع الكوب ، وهو الإبريق بلا عروة .

يقول : لأحبّائى أن يملئوا كئوسهم خمراً ، ويعرضوها علىّ ، ولكن علىّ ألا أشربُهَا حتى تصير السّيوف القاطعات المغنّيات فى العظام ، فإذا سمعت هذا الغناء فأشربُ وأطرب عند ذلك ! ويجوز فى الباترات[1] : الرفع ، على أن تجعل يكون فعلاً حقيقياً ، وإن جعلته ناقصاً يجب رفع الباترات ، ونصب « المسمعات » خبراً لها .

(٣٧)

وقال أيضاً [يصف مجلساً] لابن عبد الوهاب وقد جلس ابْنُه ليلاً إلى جانب المصباح[2] :

١ - أَمَا تَرَى ما أراه أَيُّهَا الْمَلِكُ كَأَنَّنَا فى سَمَاءٍ مَالَهَا حُبُكُ

أى ما أراه أيها الملك كائنا فى مجلسك ، فى سماءٍ ليس لها طرائق ، ولما شبّه مجلسه بالسماء بيَّن بعد ذلك[3] وجه التشبيه فقال :

٢ - الْفَرْقَدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ وَأَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكُ

الهاء : فى صاحبه للفرقد . وهما فرْقَدان .

= التبيان ١٠٦/١ : « وقال ارتجالاً لبعض الكلابيين وهم على شراب » . الديوان ٥١ : « وقال أيضا ارتجالاً » .

(١) ا ، ع : « الباترات المسمعات » .

(٢) ا ، ب : « وقال أيضا » . الواحدى ٨٧ : « وقال لابن عبد الوهاب . وقد جلس ابنه إلى جانبه المصباح » . التبيان ٣٧٦/٢ : « وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه عند المصباح » . الديوان ٥١ « وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه ليلاً إلى جانب المصباح » .

(٣) ق ، ب : « أيها الملك » و« بعد ذلك » ساقط .

يقول : ابنك أحد الفرقدين ، والمصباح الفرقد الثانى ، وأنت بدر الدجى ؛ لِمَا لك من الفضل ، والمجلس هو الفلك الذى يحوز هذه الأشياء . شبّه ابنه بأحد الفرقدين والمصباح بالثانى ، والأب بالبدر ، والمجلس بالفلك فجمع فيه أربع تشبيهات . ومثله للمخزومى[(١)] :

كَـأَنّ سعيـدًا وأبنـاءه نُجُومٌ وَبَدْرٌ إِذَا مَا اتّسق[(٢)]

(٣٨)

[يفتخر بشعر على أبى بكر الطائى وكان قد نام ساعة إنشاده] قال : ونَام أبو بكر الطائى وأبو الطيب ينشده فأنْبهَهُ[(٣)] :

١ – إنّ الْقَوافِى لَمْ تُنِمْكَ وَإنَّمَا مَحَقَتْكَ حتّى صِرْتَ مَالاَ يُوجَدُ

أى أنها لم تُنِمْكَ بل أهْلَكتْكَ[(٤)] حتىّ صرتَ غيْرَ موجود ! والغرض أنه لوكان من المميِّزين لم ينمْ من شعره .

٢ – فَكَأَنَّ أُذْنَكَ فُوكَ حِينَ سَمِعْتَهَا
وَكَأَنَّهَا مِمَّا سَكِرْتَ المُرْقِد

المرقِد : الدواء المنوِّم ، وقوله « مما سكرت » فى معنى المصدر ، كأنه قال : من سُكْرِكَ .

يقول : كأن أذْنك حين سمعتَ القوافى ، فُوك . وكأن ما أنشدته لك[(٥)] من

---

(١) ا ، ع : « لأبى سعيد المخزومى »

(٢) فى جميع النسخ : « كان سعيدٌ وأبناؤه » .

(٣) ما ذكر عن ق وفى سائر النسخ : « وقال أيضًا » الأبيات . الواحدى/٨٧ وقال وقد نام أبو بكر الطائى وأبو الطيب ينشده فانتبه » . التبيان ٣٤٨/١ « وقال وقد نام أبو بكر الطائى وهو ينشد » . الديوان/٥٢ : « قال وقد نام أبو بكر الطائى الدمشقى الشاعر وهو ينشده فأنبهه وقال » .

(٤) عبارة ع : « يقول إن القوافى لم تنمك وإنما محقتك أى ذهبتك فأهلكتك » .

(٥) ق : « ما انشدم » تحريف .

الشعر ، هو الدواء المرقد ، فشربته وسكرت ، لأن نومك من القوافى ، لا من الخمرة وروى «لما سكرت» .

(٣٩)

وقال [يتغزّل] أيضاً[١] :

١ - كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةً
ثُمَّ اسْتَوَى فيك[٢] إِسْرَارِى وإِعْلاَنِى

يقول : كتمت حبَّكَ حتى كتمتُه منكَ تكْرمة لَك ، إذْ فى إظهاره فضيحةُ المحبوب ، أوْ تكرمة لِنَفْسِه[٣] من الأستكانة للنّساء ، ثم أطلق كتمانه ، فظهر بما دلّ عليه من الأمارات ، كالبكاء والنحول وغير ذلك ، فاستوى فيه إسرارى وإعلانى ؛ لأن السرَّ فى الظهورِ كالعَلانية . ويجوز أن يكون المراد به أنهما استويا فى الكتمان ، والمقصد[٤] أنه لم يظهر قط ، بل بقى كما كان من الإسرار[٥] .

٢ - كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ عَنْ جَسَدِى
فَصَارَ سُقْمِى بِهِ فى جِسْمِ كِتْمَانى

الهاء فى كأنّه : ضمير الكِتْمان ، ودلّ عليه قوله : كتمتُ . ويجوز أن يكون

(١) فى جميع النسخ . «وقال أيضًا» . الواحدى ٨٧ : «وقال أيضًا فى صباه» . التبيان ٤/١٩٢ : «وقال أيضًا» . الديوان ٥٢ : «وقال أيضًا» .

(٢) ق ، ب : «فيه» . (٣) ق : «وتكرمة» ثم بياض لكلمة ناقصة «لنفسه» .

(٤) ب : «والقصد» .

(٥) يقول صاحب التبيان : «كتمت حتى عن محبوبى ، حتى غلب الأمر فاستوى إعلانى وإسرارى» .

وذكرها صاحب تفسير أبيات المعانى أن الشيخ : (يعنى المعرى) يقول : إنه كتم حبه حتى عن محبوبه ثم غلبه الأمر فاستوى إسراره وإعلانه ، والهاء فى كأنه عائدة على الحب ، فصار السقم الذى كان بى فى جسم كتمانى ، أى أن كتمانى ذاب وضعف حتى صار يشبهنى فى السقم فأنا أخفى على الناظر» .

راجعاً إلى الحبّ، أى زاد حبى حتى أسقم كتمانى ؛ فضعف عن حمل الكتمان. والكناية فى به : ترجع إلى الحبّ.

يقول على المعنى الأول : كأن الكتمان زاد فى جسدى ، حتى فاض عنه وظهر ، فصار سقمى بسبب الحب الذى كان فى جسمى كتمان[1] . يعنى : أن جسمى كان سقيمًا ، فلمّا ظهر الحب زال عنى السقم إلى جسم الكتمان ، فصار الكتمان سقيماً ؛ لأن إفشاء السر سقم الكتمان.

وعلى الثانى : أن الكتمان زاد حتى[2] فَضَل عن جسدى ، فصار سقمى بسبب الحب ، منكتماً فى جسم كتمان.

كأنه يقول : كان الكتمان فى جسمى ، فصار الآن جسمى فى الكتمان ، فلكون جسمى فى جسم الكتمان صار سقمى فيه ، وكَانَ الكتمان ظرْفاً لى ، بعد ما كنتُ ظرْفاً له.

(٤٠)

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسى[3] :

١ – هَذِى بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسًا ثُمَّ انْصَرَفْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسًا !

يجوز أن يريد باهذى[4] فحذف حرفَ النّداء للضرورة ، ويجوز أن يكون إشارة

---

(١) ق ، ب : « الذى كان فى جسم الكتمان » . (٢) « حتى » عن ا ، ع .

(٣) المثبت عن ق ، ح ، ع : « وقال أيضًا » . ا ، ب : « وقال » . الواحدى ٩٣ : « وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسى » . التبيان ١٩٣/٢ : « وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسى » . الديوان ٥٢ « وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسى » .

وابتداء من هذه القصيدة يتفق الشارح والديوان والواحدى فى ترتيب القصائد تمامًا بعد الخلاف اليسير فى ترتيب بعض المقطوعات عند الواحدى ، وما قبل هذه القصيدة من الديوان يعد جزءًا من أحد عشر جزءًا من شعره كله .

(٤) المثبت كما فى ع وما فى سائر النسخ : « يريد يا هذه » .

إلى المرّة[١] الواحدة من «برزْت» ، فتكون هذه موضوعة موضع المصْدر ، كأنه يقول : هذه البرزة برزت لَنَا[٢] . والرَّسيس حنين الحمى وهيجانها[٣] ، والنسيس : العطش[٤] . وقيل : هو الاختلاج . وقيل : هو بقيّة المرض . وقيل : بقية النَّفس .

يقول للمحبوبة : يا هذه : برزت لنا هذه البرْزة الحسنة فهيَّجْتِ لنا الهوى وحرارة[٤١ - ب] القلوب ثم انصرفت عنّا ولم تشف بقيّة نفوسنا الّتى أبقيْت لنا ، وبقيّة مرضنا الذى هيجت لنا ببروزك وما شفيت اختلاج عيوننا[٥] ولا سكنت لنا عطشا .

٢ - وَجَعَلْتِ حَظِّى مِنْكِ حَظِّى فى الكَرَى
وَتَرَكْتِنِى لِلْفَرْقَدَيْنِ جَلِيسَا

هذا تفسيره[٦] على وجوه :

أحدها : جعلتِ حظِّى من رؤيتكِ وَصْلَكِ فى النّوم ، فكما[٧] لاحظَّ لى منك ، لاحظ لى من النّوم .

والثانى : جعلتِ حظِّى منْكِ فى النوم . يعنى : لا أراك إلا فى النوم .

والثالث : جعلتِ حظِّى منكِ بلا حقيقة ولا حاصل لى ، كحظِّى من الأحْلام التى أراها فى النوم !

ثم قال : وتركْتِنى جليس الفرقديْن[٨] ، ولاَ أنام من طول الفكر .

---

(١) فى النسخ : «إشارة إلى المرأة» تحريف يوضحه سائر شرح البيت .

(٢) ق : «برزة لنا» فى ع «برزت لنا» وقد سقطت من ب .

(٣) ذكر الواحدى وصاحب التبيان أن الرسيس والرس : مس الحمى وأولها .

(٤) ب : «العطف» تحريف .

(٥) ق ، خ ، ب : «ثم انصرف ولم تشف» . «هيجت وما شفيت» .

(٦) ا ، ع : «يفسر» .

(٧) ع : «وكما» وفى سائر النسخ «فكما» .

(٨) الفرقدان : نجمان لا يفترقان ويضرب بهما المثل فى الاجتماع .

٣- قَطَّعْتِ ذَيَّاكِ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ وَأَدَرْتِ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ كُئُوسَا

ذَيَّاك : تصغير ذاك . يقول : كنَّا فى خمار مع قربك ، بما كنا نُقَاسى من بخْلكِ بالوصل ، فالآن أزلْتِ ذلك الخمار بسكْرة الفراق ، فكنا نستعظم ذلك الخمار ، فصار ماكنا نستعظمه صغيراً فى جنب سكرة الفراق !

وصغّر الخمارَ بقوله : ذيَّاك لأنه صغير فى مقابلة السكر ، ولهذا قال : وأدرْتِ من خمر الفراق كئوساً . فحدث عنها هذه السكرة . أوْ صغّره ليبين أن مدّة قربها قصُرت بالإضافة إلى مدة الفراق ، أوْ يكون أراد به التعظيم كقول لبيد[1] :

وكلّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُل بيْنَهم دُوَيْهِة تصفرّ منْها الأَنامِلُ[2]

٤- إنْ كُنْتِ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِى تَكْفِى مَزَادَكُمُ وَتُرْوِى الْعِيسَا

المزاد : الوعاء[3] الذى يجعل فيه الزّاد ، وأراد به هاهنا سقاء[4] الماء ، لأنه من الزّاد .

يقول : إن كنتِ مرتحلة فلا تأخذى الماء فإن دموعى تكفى مزادكم[5] وتروى إبلكم من كثرة ما أصبُّ من[6] دموعى . وقيل : إنه من كَفَأْتُ الإناء : إذا قلبْته . أى أن مدامعى تقلب مزادكم وتريق الماء ، لأن دموعى[7] تقوم مقام المزاد فلا تحتاجون إليه[8] .

---

(١) هو : لبيد بن ربيعة . أحد الشعراء الفرسان الأشراف فى الجاهلية ، من عالية نجد ، أدرك الإسلام ووفد على النبى ﷺ ويعد من الصحابة ، سكن الكوفة ، وعاش عمرًا طويلاً ، وهو من أصحاب المعلقات توفى سنة ٤١ هـ . ترجمته فى خزانة الأدب ٣٣٧/١ - ٣٣٩ و ١٧١/٤ -١٧٦ والشعر والشعراء ٢٣١ - ٢٣٤ ورغبة الآمل ١٩٤-١٩٦ .

(٢) ديوانه ١٣٢ والمعانى الكبير ١٢٠٦ والوساطة ٤٥٨ والتبيان٣٥٤/١ و ١٨٢/٣ و ديوان المعانى ١١٨/١ .

(٣) المزاد : جمع مزادة وهى أوعية الماء الذى يتزود به فى السفر . الواحدى والتبيان

(٤) ق : « سقى » . (٥) ق ، خ : « من أذكم » تحريف .

(٦) ق ، خ : « من لكثرة ما أصيب منها » .

(٧) ا ، ع من : « تقلب ... دموعى » زيادة . (٨) ق : « إليه » ساقطة .

٥ – حَاشَى لِمِثْلِكِ أَنْ تكُونَ بَخيلَةً وَلِمِثْلِ وَجْهِكِ أَنْ يَكُونَ عَبُوسَا

٦ – وَلِمِثْلِ وَصْلِكِ أَنْ يَكُونَ مُمَنَّعًا وَلِمِثْلِ نَيْلِكِ أَنْ يكُونَ خَسِيسَا

كان الوجه أن يقول : حاشى لمِثْلك أن يكون بخيلاً ؛ لأن لفظ «مثل» مذكّر ، إلا أنّه حمل على المعنى[1] .

يقول : معاذ الله أن تكونى بَخيلة بالتّقْبيل عند الوداع ، ولمثل وجْهكِ أن يكون عابساً فى تلك الحال ، كأنه أراد بهذه العبارات اللّطيفة ، أن يقول : ودِّعينى وقَبِّلينى ولا تعبّسى وجهكِ ، وحاشاك أن تكونى مانِعَةً من الوصْل ، وأن يكون نيْلك خسيساً حقيراً . وكنى عن إكثار النيل و بذْل الوصل من غيرمنع بأحسن عبارة[2] .

٧ – خَوْدٌ جَنَتْ بَيْنِى وَبَيْنَ عَوَاذِلِى حَرْبًا وَغَادَرَتِ الْفُؤَادَ وَطِيسَا

الخَوْدُ : النّاعمة . والوطيس : معركة الحرب . وقيل : هو تنّور[3] من حديد .

يقول : هى ناعمة [٤٢ – ا] وقد أوْقعت حرباً بينى وبين عواذلى فى حبها ؛ لأنهنّ يلُمْنَنى وأعصيهن ، فحدثت مقاتلة فؤادى معركة الحرب بينى وبين عواذلى . وقيل : أراد أنها لما أوقعت بيننا القتال وتركت فؤادى موقداً بالنار بما فيه من حرارة التوقد والوجد والعشق فصار كالتنور .

٨ – بَيْضَاءُ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلُّهَا تِيهًا وَيَمْنَعُهَا الحياءُ تَمِيسًا

روى « يمنعها التكلّم » فيكون التكلّم منصوبًا بيمنع . وروى « تكلّمَ » فيكون فعل مضارع ، والأصل : تتكلّم . فحذف إحدى التاءين تخفيفاً . ومعناه : أن تتكلّم ، غير أنه حذف (أن) فى اللّفظ ، وهو منوىّ فى المعنى[4] . فنصب ،

(١) لأنها إن كانت مؤنثة فمثلها أيضًا مؤنث .

(٢) ا ، ع عبارتها : «كأنه يحثها على إكثار النيل وبذل الوصل من غير منع » .

(٣) ع : « تنور » وفى سائر النسخ « التنور » .

(٤) يعنى حذف : « أن » وأبقى عملها كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضرَ الوغَى

بنصب أحضر والشاهد فيه حذف أنْ وإبقاء عملها .

وكذلك فى «تميس» فلهذا نصب .

يقول : إنها بيضاء ناعمة يمنعها دَلُّهَا أن تتكلم من تِيهِها وتكبّرها[١] .

٩ - لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاء دَائِى عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَىَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا

يقول : لمّا وجدتُ لدائى (الذى هو الهوى) الدواء عند المحبوبة (وهو الوصل) هَانَتْ عِنْدِى صفات جالنيوس[٢] فى طبّه[٣] . ومثله للأخوص[٤] :

وكنتُ إذَا سَقِمْتُ بأرض سُعدى شِفَائى مِنْ سقامى أَنْ أَراها[٥]

١٠-أَبْقَى زُرَيْقٌ لِلثُّغُورِ مُحمّداً أَبْقَى نَفِيسٌ لِلنَّفِيسِ نَفِيسًا

يقول : أبقى أبو زريق ابنَه محمداً للثغور ، أبقى نفيسٌ : وهو الثغر . نفيساً : وهو محمد[٦] .

١١-إِنْ حَلَّ فَارَقَتِ الْخَزَائِنُ مَالَهُ أَوْ سَارَ فَارَقَتِ الْجُسُومُ الرُّوسَا

---

(١) دلها : دلالها . وتميس : تتثنى . والمعنى فيما يراه الواحدى وصاحب التبيان : هى ذات حياء فحياؤها يمنعها من التثنى ، ودلالها يمنعها من الكلام .

(٢) الحكيم والفيلسوف اليونانى ، إمام الأطباء فى عصره ومؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان ، وكان بعد المسيح بنحو مائتى سنة وبعد بقراط بنحو ستمائة سنة . تاريخ الحكماء للزوزنى ص ١٣٣ .

(٣) عبارة ا : «هانت علىّ ما وصفه جالينوس الطبيب فى صفات الأودية» .

(٤) الأخوص بالخاء المعجمة كما فى جميع النسخ . هو : زيد بن عمر بن عتاب التميمى . ذكره ابن الكلبى شاعر فارس توفى سنة ٥٠ تقريباً . الأغانى ١٥/٣ ،خزانة ٩٩/٣ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١٠/١ .

(٥) ق : «إزارها» بدل «أن أراها» .

(٦) ع عبارتها : «يقول : أبو زريق أبقى ، وكان أسيرًا للثغور أبقى نفيس وهو الثغر ، نفيسًا وهو محمد» تحريفات وذكر صاحب التبيان والواحدى المعنى : هذا الممدوح محمد بن زريق لمامات أبوه وكان واليًا على الثغور أبقاه ، ومعنى قوله أبقى : أى ترك زريق محمدًا ، وأبوه نفيس وهو نفيس والثغور حفظها بنفيس ، لأنه يذب عن المسلمين ويجاهد الكفار فلا شىء أشرف من الجهاد .

روى الرُّوسا : بالألف واللام غير مهموزة ، وروى رءوساً من غير ألف ولام ، فيكون مهموزاً ، وهو الأصل ، والأَوْلى التّخفيف.

يقول : إن حلّ هذا الممدوح بموضعٍ أو بمقرٍّ غِرَّةً فارقتْ خزائِنَه : أى مالُه . لتفريقه إياه على السُّؤالِ وغيرهم . وإذا سار فارقت جسومُ أعدائِه رءوسَها ؛ لقتله إيّاهم ، فلا يسير إلا للمقاتلة . فوصفه بالسخاء والشجاعة .

١٢-مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ وَرَضِيتَ أَوْحَشَ مَاكَرِهْتَ أَنِيسَا

يقول : هو ملك ، إذا عادَيْت أيها الإنسان نفسَك ، تُعَادِهِ ! وكذلك إذا رضيتَ أن يكون أنيسُك أوحشَ ما تكرهه ، يعنى : إن لَمْ يقتلك ويقتصر على الحبس ، كنت راضياً بذلك ؛ والسجن أوحش ما كرهه الإنسان . وقيل : أراد به الموت ؛ لأنه أوحش ما كرهه الإنسان[1] .

١٣-الخَائِضَ الْغَمَرَاتِ غَيْرَ مُدَافِعٍ والشِّمَّرِىّ الْمِطْعَنَ الدِّعِّيسَا

الخائِض وما بعده : نصب على المدح . كأنه قال : أعنى أو أذكر أو أمدح . والشِّمَّرى : المشمّر[2] . وقيل : هو فى هذا الموضع « فارس شَمَر » وهو فارس[3] معروف . والدِّعّيس : الطَّعّان الذى يطعن فى موضعٍ مرَّتَيْن .

يقول : هو ملك يخوض الشدائِد ، ولا يدافع عنها ، وهو الطَّعّان الحاذق بالطعن والفارس المشمّر الخفيف فى الحرب . [٤٢ - ب] .

١٤-كَشَّفْتُ جَمْهَرَةَ الْعِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ إِلاَّ مَسُودًا جَنْبَهُ مَرْءُوسَا

جمْهَرَةَ العباد : جماعتهم . وقيل : أكثرهم . والمَسُود : الذى ساده غيره .

---

(١) يرى الواحدى والتبيان أن المعنى : إن عاديته فقد عاديت نفسك ورضيت أوحش الأشياء وهو الموت أنيسًا ، أى أنه يقتلك كما يقتل أعداءه .

(٢) ا ، ع : « المعشمر » تحريف : ق : « المعشم » تحريف .

(٣) ع : « فرس » .

والمرءوس : الذى رَأَسَهُ غَيْره[١] . وقوله : جَنْبَهُ . نصب على الظَّرف . يعنى : فى جنبه . وبالإضافة إليه .

يقول : فتشت جماعات العباد ، فلم أجد بينهم – بالإضافة إلى الممدوح – إلا مسوَّدًا أو مرءوساً ، فكل رئيس فى جنبه مرءوس ، وكل سيِّد مَسُود ؛ لأنه سيِّد السادات ، ورئيسِ الرءوساء .

١٥–بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً فِى آيَةٍ   تَنْفِى الظُّنُونُ وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا

يقول : إنه إنسان ، بلغ الغاية من المكرمات ، حتى صار فيها آيةً معجزة ، بحيث تنفى تلك الآية والدلالة الظنون[٢] ، فلا تحيط به الظُّنون وتُفْسد قياس من يُقاس إليه من الناس ، فلا يمكن قياس أحد إليه .

وقيل : إن الظنون من الظِّنة : وهى التهمة . والمعنى : أنه لما صار آية فى المكرمات ، تنكّر الناس فيه ، أنه بشر ! لمَّا رأوْه بهذه الصفة ، فنفى هذه التهمة عنهم ، وهى أن يتّهم بما لا يليق بهِ ، كما نسب إلى السيد المسيح ، فهو ينفى ذلك عن نفسه ويفسده قياس الناس فى ذلك .

١٦–وَبِهِ يُضَنُّ عَلَى الْبَرِيَّةِ لاَ بِهَا   وَعَلَيْهِ مِنْهَا لاَ عَلَيْهَا يُوسَى

التّذكير : للممدوح . والتأنيث : للبريّة . ويوسى : من آسَيْتُ على الشىء . أى حزِنْتُ عليه . وتقديره : وبهِ يضنّ بالبريّة عليْه ، وعليْه يُوسَى من البرِّية ، ولا يوسى عليها منه .

يقول يُضَن : أى[٣] يُبْخل به على الخلق ، ولا يُبْخَل بالخلق عليه ، أى يُجْعل الناس فِداء له ، ولا يُجْعل فداء لهم . ويقال : إنه خير من البريّة كلهم ، وهم دونه ، والشىء يبخل بهِ ولا يبذل بما دونه ، أو يوحش البرية فى رضاه ،

(١) ق ، ب : « المرءوس أيضًا الذى ترأس بغيره » .

(٢) ب : « بحيث تنفى تلك الظنون » . ا ، ق : « بحيث تنفى تلك الآية الظنون » . والمثبت عن ع .

(٣) « يضن أى » زيادة عن ا ، ع .

ولا يوحش هو لرضى البرية .

أو يقال : يتهم البرية به[١] فلا يوثق بالبرية ، ولا يتهم هو من البرية . وقوله : « وعليه منها » أى عليه يوسى أى يحزن ، « ومنها » أى من البريّة إذا هلَك أو أصابه مكروه ، لا عليها يحزن إذا هلكت . والمعنى : أنه يُبْخل به على البريّة ، ولا يُبْخل بهم عليه ؛ لأنهم لا يسدُّون مسده . ويجوز أن يريد يُحْزن عليه لكوْنه من البرية ، ولأنه أشرف منها ، فإذا عُدَّ منها فقد يخرجه ، فيحزن عليه لذلك ، ولا يحزن على البرية لكوْنه[٢] منها ، وإنّه يرفعها ويشرفها ، فكونه منها يضعه ويرفعها[٣] فيحزن عليه ولا يحزن عليها بسببه .

١٧- لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسَا

١٨- أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفُهُ فِى يَوْمِ مَعْرَكَةٍ لأَعْيَا عِيسَى

يقول : لو استعمل ذو القرنين[٤] رأْىَ هذا الممدوح ، وكان له مثْل الظلمات[٥] ، لكانت[٦] بنور رأيه شموساً . وأضاءت له ؛ لأنّ رأيه أضْوأ من الشمس . وعازر : هو الذى أحياه الله تعالى على يد المسيح[٧] أو أصاب رأسَه سيفُه ومات ، لأعيا عيسى أن يحييه ويشق عليه إحياءه بعد موته[٨] .

١٩- أَوْ كَانَ لُجَّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِه مَا انْشَقَّ حتّى جَازَ فِيهِ مُوسَى

(١) « به » زيادة عن ا ، ع . (٢) ق : « لكونها » تحريف .

(٣) « فيرفعها » ق ، ب .

(٤) هو الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا (٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م) تتلمذ على أرسطو وأخضع الثورات التى قامت بعد موت أبيه وفى سنة ٣٣٢ قصد مصر فاستسلم واليها الفارسى وقدم القرابين للآلهة المصرية ورسم فرعونًا فى منف وأسس مدينة الاسكندرية . مات وعمره ٣٣ سنة . يعتبر من أعظم القواد وأبرز الشخصيات فى التاريخ .

(٥) الظلمات : قيل : هى بحار . وقيل مظلمة عند منتهى البحر . التبيان .

(٦) ا ، ع : « لصارت » .

(٧) عبارة ا ، ع : « بيد عيسى عليه السلام » .

(٨) من « أو أصاب .... بعد موته » ساقط ق ، ب .

أى : لوكان لُجُّ[١] البحرِ الذى انشّق لموسى عليه السلام ، مثلَ يمين هذا الممدوح ، ما انشق حتى جاز فيه موسى[٢] بمن معه .[٤٣ - ا]

٢٠-أَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ ضَوْءُ جَبِينِه عُبِدَتْ فَكَانَ[٣] الْعَالَمُونَ مَجُوسَا

يقول : لوكان للنّار نورُ جبين هذا الممدوح ، لعبدها أهل الدنيا كلهُّم ! وصاروا بأجمعهم مجوساً[٤] ! والغرض وصفه بالحسن والبهاء .

٢١-لَمَّا سَمِعْتُ بِهِ سَمِعْتُ بِوَاحِدٍ وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَمِيسَا

يقول . لمّا سمعتُ بذكْره ، سمعت بواحدٍ من الناس ، فلمَّا رأيتُه رأيتُ عَسْكراً[٥] عظيماً ، وإن كان فى نفسهِ واحد ، لقيامه مقام الجماعة .

٢٢-وَلَحَظْتُ أَنْمُلَهُ فَسِلْنَ مَوَاهِبًا وَلَمَسْتُ مُنْصُلَهُ فَسَالَ نُفُوسَا

يقول : لمّا رأيت أناملَه وجدتُها تسيل منها المواهب ، ولمّا لمسْتُ سيفَه وجدْته يسيلُ منه الدِّماء !

٢٣-يَامَنْ نَلُوذُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ أَبَدًا وَنَطْرُدُ بِاسْمِهِ إِبْلِيسَا

المعنى : يا من نَلْجأ إلى ظله[٦] إذا جار علَيْنا الزّمان ، وإذا تعرّض لنا إبليس

---

(١) لُجّ البحر : معظمه ، ووسطه ، وعرضه : التبيان واللسان . والمعنى لوكان البحر مثل كفه فى الجود والعطاء والقوة لما انشق لموسى .

(٢) « موسى » عن ع وساقطة من سائر النسخ .

(٣) فى الواحدى والتبيان : « فصار » .

(٤) مجوس : كلمة فارسية الأصل . وهم قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار ، وتطلق على أتباع الديانة الزرادشتية وقد انقرضت أوكادت بعد استيلاء المسلمين على فارس ، وإن تركت آثارًا فى الحركة الفكرية الإسلامية . انظر فى ذلك فجر الإسلام ١٠٠ وما بعدها . والموسوعة العربية ولسان العرب والمعرب للجواليقى ٣٦٨ .

(٥) العسكر : هو الجيش مجتمعا وهو الخميس .

(٦) عبارة ب : « يامن نلجأ إليه أى إلى ظله » .

طردْناه باسمه ؛ لأن اسمه محمد ، وبهِ يطرد إبليس . قيل : إنه أراد أنه فى هيئة بمثابة أن يطرد به إبليس ، مع كثرة ضرره بالناس ، وقيل : أراد بإبليس ، كل من تتأذى به الأنفس فهو إبليس[١] .

٢٤– صَدَقَ الْمُخَبِّرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصْفُهُ   مَنْ بِالْعِرَاقِ يَرَاكَ فِى طَرَسُوسَا

يقول : صدَق المخبر الذى أخبرنى عنك . ثم وصفه بقوله : دونك ، أى وصْف ذلك المخبر دون ما أنت عليه وأنت فوق ما وصفه[٢] . ثم قال : من بالعراق يراك فى طَرَسُوسا[٣] التى أنت فيها[٤] فكأنهم فى فضلك وشهرتك رأوك وشاهدوك ، وأراد بذلك بُعْدُ صيته وذكره ، لا يستقر بل تسير به الركبان ، أو يكون كناية عن وصول عطاياه إلى البلدان . وقول الحَكَمى أبلغ وأحسن من هذا ؛ وهو :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فى القُلُوبِ مِثَالُهُ   فَكَأنّه لَمْ يَخلُ مِنْهُ مَكَانُ[٥]

لأنه عمّ جميع الأماكن ، والمتنبى اقتصر على العراق وطرسوس[٦] .

٢٥– بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سَائِرٌ   يَشْنَا الْمَقِيلَ ويكْرَهُ التَّعْرِيسا

أصله : يشنأ بالهمز[٧] ، فخفّف ، وأبدل منه الألف . والمقيل : من القَيْلُولة ، أو مكانها . والتعريس : يكون فى وجه الصبح .

يقول : إن طرسوس بلدٌ أقمت بهِ وذكرك سائرٌ ليلاً ونهاراً ، لا مَقِيل له بالنهار ، ولا تعريس له بالليل .

---

(١) فى النسخ : « أراد إبليس كل من تتأذى به الأنفس إبليس » .

(٢) فى النسخ : « فوق ما أوصفه » .

(٣) طرسوسا : بفتح أوله وثانيه ، مدينة بثغور الشام : (أنذاك) بين أنطاكية وحلب وبها قبر المأمون .

(٤) ق : « أى أنت فيها » .

(٥) ديوانه ٤٠٥ ، والوساطة ٢٠٥ ، والإبانة ٧٥ ، والواحدى ٩٧ ، والتبيان ٢/ ٢٠٠ .

(٦) ع : « طرسوس » ساقطة .

(٧) يشنأ : يبغض .

٢٦–فَإِذَا طَلَبْتَ فَرِيسَةً فَارَقْتَهُ وَإِذَا خَدَرْتَ تَخِذْتَهُ عِرِّيسا

خدر الأسد : إذا غاب فى الأَجَمَة . والعرِّيس والعرِّيسة : مأوى الأسد .

يقول : إذا غزوت فارقْتَ هذا البلد ، كما يفارق[1] الليث عرّيسه ، وإذَا عُدْت إلى البلد[2] اتخذته مأواك ؛ لمّا شبَّهه بالأسد جعل مأواه عِرِّيسا .

٢٧–إِنِّى نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقِدْ كَثُرَ الْمُدَلِّسُ فَاحْذَرِ التَّدْلِيسَا

يقول : إنى نثرت عليك من شِعْرى درًّا ، فانتقِدْهُ وميِّزه من شعر غيرى ، واحذر من المدلِّس[3] : الخائن . أن يدلّس عليكَ بشعرٍ يقيمه مقام شعرى ، أو يحطّ هذا الشعر عندك من منزلته ، فقد كثُر المدلِّسون[3] المتشاعرون[4] [٤٣ – ب] .

٢٨–حَجَّبْتُهَا عَنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَّةٍ وَجَلَوْتُهَا لَكَ فاجْتَلَيتَ عَرُوسَا

التأنيث فى حجّبتها : للقصيدة ، وإن لم يصرح بها[5] فقد صرح بمفهومها ، أو يكون راجعاً إلى قوله : عروسًا ؛ لأنه شبّه هذه القصيدة بالعروس .

يقول : منعتُها عن أهل أنطاكِيّة[6] ، وحملْتها إليك مجلوّة ، حتى اجْتليتَها عروسًا . يعنى : إنى مدحتُكَ دونهم ، لأنك خيرهم[7] ، وكلامى خيرُ الكلام ، فلا يليق إلا بك .

---

(١) ق ، ب : « فارق » .

(٢) ق . ب : « إليه » .

(٣) دلس البائع : كتم عيب السلعه عن المشترى ، ودلس المحدث : تعمد الخطأ أو الخلط . انظر اللسان والتبيان ٢/ ٢٠١ .

(٤) من ا ، ع : « المتشاعرون » .

(٥) ب : « وإن لم يصرح بها » ساقطة . عبارة ا ، ع : « وإن لم يصرح بها فقد صرح بالدّر وأراد به القصيدة » .

(٦) كانت : « آنذاك » قصبة العواصم من بلاد الشام ومن أعيان البلاد وأمهاتها ، وبها كانت مملكة الروم . معجم البلدان .

(٧) يريد أن يعرض ببعض أكابر أنطاكية . التبيان .

٢٩- خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَأْوِى الْخَرَابَ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا

يقول : أنا خير الشعراء ، فلا أمدح إلا خيرَ النّاس . وغيْرِى من الشّعراء يقصد غيرَك ، فأنا كالطّائر الذى سكن القصور ، وأولئك كالطّيور الّتى تأوى الخرابَ ، والنَّواويس[١] . شبّه الممدوحَ بالقصر ، ومُلْكَ أنطاكية بالْخَرَابات والنَّواويس[٢] .

٣٠- لَوْ جَادَتِ[٣] الدُّنْيَا فَدَتْكَ بِأَهْلِهَا أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسَا

يقول : لوكانت الدنيا ممن يجود ، لفدتك بأهْلها . أوكانت ممن تجاهد ، لكتبتْ أنها موقوفة[٤] عليك ، حبيساً فى سبيل الله تعالى ؛ لتنصر الدِّين وتذلّ المشركين . وروى : «كَتَبَتْ عليك حبيسا» ، أى لو أمكنها أن تخلدكَ[٥] لخلّدتْك أبدا ، ولكتبت ذلك عليك .

(٤١)

وقال يمدح محمّد بن زريق أيضاً[٦] :

١ - مُحَمَّدَ بْنَ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدًا إِذَا فَقَدْنَاكَ يُعْطِى قَبْلَ أَنْ يَعِدَا

يقول : يا محمّدَ بن زريق . ما نَرَى أحدًا سواك يعطى قبل الوعد ، دون المطل

(١) النواويس : جمع الناووس – ليس بعربى – وهى مقابر النصارى ، وقيل مقابر المجوس . التبيان ٢/٢٠٢ المعجم الوسيط .

(٢) والمعنى : أنت خير الناس ، وكلامى خير الكلام ، فأنت أولى به .

(٣) فى الديوان : « قادت » .

(٤) ب : « أنها عليك حبيسا » .

(٥) ق ، ب : « أن تخذرك فخذلتك » تحريف .

(٦) المثبت عن ق ، خ . ب : « وقال أيضا » . ع : « وقال أيضا » . الواحدى ٩٨ « وقال أيضا » . التبيان ١/ ٣٤٨ « وقال يمدح محمد بن زريق » . الديوان ٥٥ : « وقال يمدحه » .

المكدِّر للعطايا . يعنى أنه ليس أحد سواه[١] .

٢ - وَقَدْ قَصَدْتُك وَالتَّرحَالُ مُقْتَرِبٌ والدَّارُ شَاسِعَةٌ والزَّادُ قَدْ نَفِدَا

قصد بقوله : « والتّرحال مقترب » ، استعجال العطاء[٢] وبقوله « والدار شاسعة » : الاستكثار[٢] منه ؛ لأن القليل لا يكفيه ، لبعد داره ، وبقوله : « والزاد قد نفِد » ، أى أنه لا مادة للزّاد إلا من جهة أخرى ، والغرض منه الاستكثار ، أو يكون قصد أن يبيّن أن الضرورة قد دعته إلى هذا السؤال ولوْلاها لكان لاَ يَسْأل[٣] .

٣ - فَخَلِّ كَفَّكَ تَهْمِي وَاثْنِ وَابِلَهَا إِذَا اكْتَفَيْتُ وَإِلاَّ أَغْرَقَ الْبَلَدَا

تَهْمِى : فى موضع الحال ، وليس بجواب . يقول : خل يدَكَ تصبّ وتهمى[٤] واصرف وابلها : أى مطرها (الجود) عنى إذا اكتفيتُ وإن لم تصرفه أغْرَق[٥] الوابلُ البلدَ . وروى : « إن اكتفيتَ » يخاطب الممدوح يقول : هاتِها واثنِ وابلَها إن اكتفيتَ بها دون الوابل ، ولمّا تعرض فى البيت الأول للاستكثار ، بيّن هاهنا أن القليل من عطاياه كثير وأنّ غَرَضَه يحصل بالقليل من عطاياه .

(٤٢)

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحترى[٦] :

١ - بَكَيْتُ يَارَبْعَ حَتَّى كِدْتُ أُبْكِيكَا وَجُدْتُ بِى وَبِدَمْعِى فِى مَغَانِيكَا

(١) ا ، ع : « يعنى أنه ليس أحد سواه » زيادة .

(٢) ا ، ع : « إلى استعجال العطاء » « إلى الاستكثار منه » .

(٣) ا ، ع بعد : لا يسأل : « ولا يأبه به » زيادة .

(٤) ق : « يديك تنضب » ، ب : « تنهمل » بدل : « تهمى » .

(٥) ق ، ب « وإلا تفعل غرق » .

(٦) ا ، ب : « عبيد الله بن يحيى البحترى » ساقط والمثبت عن ق ، ع والواحدى ٩٩ والتبيان ٢ / ٣٧٧ والديوان ٥٥ .

المغانى : جمع المغْنَى ، وهو المنزل ، من قولهم[١] : غنى بالمكان .

يقول : قد بكيت يا منزل الأحباب حتى كدت أحملك[٢] على البكاء رقة لى ، وجدتُ بى وبدمعى فى منازلكِ ، أى هلكتُ وجدتُ بروحى ، كما أفنيت دمعى بعد مفارقة الراحلين عنك . [٤٤ - ا]

٢ - فَعِمْ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجْتَ لِى شَجَنًا
وَارْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحَيُّوكَا

صباحاً : نصب على الظرف ، أى فى صباح ، وعِمْ من قولهم : وعم يَعِم بمعنى نعم ينعم أى[٣] أنعم صباحاً .

يقول : أيها الربع أَنْعِمْ صباحاً ، (على وجه الدّعاء ، كرامة لمن نزل به[٤]) ، فقد هيّجت أحزانى ، وارْدُدْ علينا سلامَنَا ، فإنا مسلِّمون عليك بقولنا : أنعم صباحاً[٥] .

٣ - بِأَىِّ حُكْمِ زَمَانٍ صِرْتَ مُتَّخِذًا رِئْمَ الْفَلاَ بَدَلاً مِنْ رِئْمِ أَهْلِيكَا

يقول : بأىِّ حُكْم زمانٍ استبْدَلت ظِبَاءَ الفَلاَ بدلاً من الْجَوَارِى التى كنّ فيك ، مثل ظباءِ خالصة البياض[٦] وهذا على عادتهم فى نسب الحوادث إلى الزمان . ومثله للبرقعى[٧] :

تبدّل الربع من أسماء غزلانا وأقفرت من سُلَيْمى أرض حُلْوانَا

٤ - أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا انْبَعَثْنَ لَنَا إِلاَّ ابْتَعَثْنَ دَمًا بِاللَّحْظِ مَسْفُوكَا

(١) ق ، ب : « من قول » وفى جميع النسخ : « عنى » بالمهملة والتصويب من اللسان من قولهم غنى بالمكان أى استغنى .

(٢) فى سائر النسخ « حتى أحملك » والمثبت عن ع .

(٣) « نعم ينعم أى » عن ا ، ع . (٤) ا ، ع : « كرامة إن كان نزل به » .

(٥) ب بعد ذلك : « يقول : يا أيها الربع أنعم صباحا على وجه الدعاء » .

(٦) فى جميع النسخ : « مثل ظباء الخواص للبياض » والتصويب من الواحدى والتبيان .

(٧) ا ، ع : « ومثله فى هذا المعنى قول البرقعى » .

أيام : نصب على الظرف ، أو على إضمار فعل . كأنه يقول : أذكر أيّامًا .

يقول : أذكرُ تلك الأيام التي كانت فيك شموس من الحبايب ، لم يظهرْن لنا إلا أخرَجْن[١] بلحظهنّ ونظرهنّ ، أو بعيونهن ، دماءً من العشّاق . وقوله : «مسفوكاً» أى مصبوباً .

٥ – وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ وَالأَطْلاَلُ مُشْرِقَةٌ كَأَنَّ نُورَ عُبَيْدِ اللهِ يَعْلُوكَا

يقول : أذكرُ أيّامًا ، هَذَا حالها ، وهو أنّ العيش كان ناعِمًا لذيذًا ، والأطْلال مضيئة بالشموس ، فكأنّ نور عبيد الله يعلوكا .

٦ – نَجَا امْرُؤٌ يَا ابْنَ يَحْيى كُنْتَ بُغْيَتَهُ
وَخَابَ رَكْبُ رِكَابٍ لَمْ يَؤُمُّوكَا

روى : «جاز» مكان «خاب» أى هَلَك ، والركب : جمع الراكب ، والرِّكابُ : الإبل . وروى : «الرحال» وهي الإبل[٢] واحدها راحلة .

يقول : آمن الفقرَ[٣] من كنت طلبْته ومأموله ، وخسر رَاكبوا إبلٍ وهلكوا إذَا لم يقصدوك . يعني : لو قصدوك لأغنيتهم عن طول الأسفار وكفيتهم مؤن المشقات[٤] .

٧ – أَحْيَيْتَ لِلشُّعَرَاءِ الشِّعْرَ فَامْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَا

يقول : أحيَيْتَ[٥] شعر الشعراء بما أظهرت من المكارم والخصال ، وبما أعطيتهم من الأموال ، حتى هديتهم إلى الشعر ، فمدحوا ممدوحَهم بما فيكَ من المحاسن والخصال البديعة ، فلمّا رأوا فيك هذه المعالي[٦] تعلموا المدح وقولَ الشِّعر.

(١) ق ، ب : «أجرحن» . (٢) «وروى : «الرحال وهي الإبل» عن ع .

(٣) عبارة ع : «نجا من الفقر» .

(٤) ا ، ع : «مؤن المشقات» ساقطة .

(٥) ب : «أحببت» .

(٦) ع : «المعاني» .

٨ – وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَاقْتَدَرُوا   عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِى مِنْ مَعَانِيكَا[١]

يقول بياناً لما قبله : إنهم لمّا مدحوا النّاس بأوصافك تنبّه الممدوحون لمثل صنائعك ، فكأنَّ الشعراء هم الذين علّموهم منك المجد واقتدر الشعراء على دقيق المعانى من معانيك التى خصصت بها دون غيرك . ومثله للآخر : [٤٤ – ب]

ما رأينا من فَضْل جود ابْن يَحْيى   صيَّر النّاسَ كلَّهم شعراءُ[٢]

علَّم المفحمين أن ينْطقوا الأشْـ   ـعارَ فيهِ وَالْبَاخلين السَّخاءُ

٩ – فَكُنْ كَمَا أَنْتَ[٣] يَامَنْ لاَشَبِيه لَهُ   أَوْكَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلْقٌ[٤] يُدَانِيكَا

يقول : كن كما أنت يا من لا نظير له ، أوكن كيف شئت من النقصان عما أنت عليه ، فما خلق يدانيك ، بحال من الأحوال ، ولا يشبهك بخصلة من الخصال ، فكل فعالك حميدة[٥] .

١٠ – شُكْرُ الْعُفَاةِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِى   إِلَى نَدَاكَ[٦] طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكَا[٧]

---

(١) ع فيها شرح هذا البيت قد كتب قبله أى قبل أن يذكر البيت ثم كتب شرح البيت الذى يليه عقب هذا البيت . ثم ذكر البيت رقم ١٠ فى الهامش من أحد المعلقين وذلك كله فى ع .

(٢) فى الحيوان ٣/١١٧ نسب إلى مدنى مر بباب الفضل بن يحيى والشعراء مجتمعون حول الباب . وجاء فى كتاب الورقة ٤ أن البيت يتيم منفرد . وفى محاضرات الأدباء ١/ ٣٨٣ منسوب إلى نصيب الأصغر ، وقال : « أجمعو على جودته وأنه لا عيب فيه إلا أنه منفرد » وفى شرح التبريزى لأبى تمام ٣/ ٢٠٩ والرواية فيما ذكرنا :

ما لقينا من جود فضل ابن يحيى   ترك الناس كلهم شعراء

(٣) ب ، الواحدى : « كما شئت » .

(٤) ب : « شىء » .

(٥) : « فكل فعالك حميدة » ساقطة من ا ، وفى ب : « جميلة » مكان : « حميدة » وهذه العبارة فى ع بخط يخالف خط الأصل .

(٦) فى الواحدى : « يديك » مكان « نداك » .

(٧) ترتيب الأبيات عند صاحب التبيان مختلف فهو يقدم البيت رقم ١١ هنا على البيت رقم ١٠ .

أوْجدنى : أى هدانى ، وأرشدنى . والمفعول الأوّل : الياء ، والثّانى طريق العرف .

يقول : شكر السؤّال لما أعطيتهم من النّوال أوجدلى[1] سبيلاً مسلوكاً إلى معروفك فقصدتك . وروى : «إلى يَدَيْك» يعنى أوجدلى[1] شكرهم ، طريق المعروف مسلوكاً إلى يديك فسلكته .

١١– وعُظْمُ قَدْرِكَ فِى الآفاقِ أَوْهَمَنِى أَنِّى بِقِلَّةِ مَا أَثْنَيْتُ أَهْجُوكَا

يقول : علوّ محلّك[2] فى العالم أوهمنى أنّى بهذا القدر من المدح والثناء أهجوك ! يعنى : أنك تستحق فوق ما مدحتك به وأثنيت عليك . فكأنى هجوتك .

١٢– كَفَى بِأَنَّكَ مِنْ قَحْطَانَ فِى شَرَفٍ وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلٌّ مِنْ مَوَالِيكَا

يقول : كفى قحطان[3] شرفاً أنك منهم . فتكون الرواية على هذا : كفى بأنك فى قحطان من شرفٍ ، ويحتمل كفاكَ شرفاً بكوْنك من قحطان ، مع شرفٍ لك طارف أضفتَه إليه . والرواية على هذا : «كفى بأنك من قحطان فى شرف» وإن فخرتَ ، وجدْتَ كلَّ قحطان أوكلَّ الناس من مواليك وخدمك ؛ لأنَّ إحسانك يعمهم ومنّك يشملهم ، فكلهم مواليك[4] .

١٣– وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِى مِثْلَ شَانِيكَا

(١) ق . فى الموضعين : «أوحدنى» بدل «أوجدلى»

(٢) فى جميع النسخ : «وعلى محلك» تحريف .

(٣) قحطان : من أقدم البلاد العربية ، تقع ديارها ما بين نجران وعسير وجنوبى نجد . معجم القبائل ٣/ ٣٣٩ .

(٤) عبارة ا : «لأن إحسانك يعمهم منك ويشملهم»

يقول : لو تناهيْتُ فى النّقصان ، تناهِيكَ فى الرجحان ، لفنَيْتُ وعدمتُ . فرآنى الناسُ مثل عدوّك ، لأنه لم يبق من أعدائك أحد ، فكنتُ مثلهم فى الفناء ، وقد أحسن فى إضافة النّقص إلى نفسه والزيادة إلى الممدوح . وقيل : لو نقصتُ من المدح ، كما زدتَ على الناس من الكرم ، لرأوْنى فى ذلك مثل عدوك ، الذى يحسن ذكرك . يعنى وإن لم أبلغ الغاية فى محاسنك لم أقصر عما دَقّ[1] عليه ، كيلا أكون مثل شانيك[2] .

١٤-لَبَّىْ نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعَنِى   يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِى وَأَفْدِيكَا

لَبَّىْ : من قولهم لَبَّيك[3] بمعنى : لزومٌ لك بعد لُزوم ، وإنما ثنوّه على التوْكيد ، ونصبوه على المصدر ، وأضافوه إلى كاف المواجهة ، وأضافه هاهنا إلى النداء .

يقول : إجابةً لنداك بعد إجابة ، فقد نَادَى إلىّ نَدَاك ، فأسمعنى صوته ، يفديك أصحابى ونفسى من رجل بين الرِّجال[4] . يعنى أن سخاءه دعاه إلى معروفه فأجابه[5] وروى : « لَبَّىْ نِداك » والأوّل أوْلى . [٤٥ - ا]

١٥-مَازِلْتَ تُتْبِعُ مَاتُولِى يدًا بيدٍ   حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِى مِنْ أَيَادِيكَا

يقول : مازلتَ تُنْعِم يدًا بيدٍ أى : نعمةَ يد بيد ، حتّى ظننتُ حياتى من جملة نعمك علىّ ، لكثرة ما أنعمتَ فلم أميّز ما هو : أعطاء دهر ، أم غيره[6] ؟!

---

(١) فى ع : « عما قدرت » مكان « عما دق » .

(٢) بعد ذلك تزيد ع ، آ : « ومثله : لو كان ينقص يزداد إذا نال السماء » .
وهذا بيت لأبى عيينة صوابه :

لو كما تنقص تزداد إذا نلت السماء

وما أثبتناه عن سائر النسخ ويغلب على الظن أن هذه الزيادة من أحد المعلقين .

(٣) لبّ بالمكان لبًّا : أقام به ولزمه ويقال لبيك : لزومًا لطاعتك .

(٤) ق ، ب : « من أجل من الرحال » تحريف اللسان . وقد أثبت نص البيت .

(٥) ا . ع : « فأجابه وقصده » .   (٦) ع : « عطاء أم غيره » .

١٦- فَإِنْ تَقُلْ (هَا) فَعَادَاتٌ عُرِفْتَ بِهَا
أَوْ (لاَ) فَإِنَّكَ لاَ يَسْخُوا (بِلاَ) فُوكَا

يقول : إن قلتَ (خُذْ) كان ذلك من عادتك التى عُرِفْتَ بها . وإنْ أردت أن تقول (لا) فلم تَجِدْ فوك يسخو بها أبداً[1] فلا يمكنك أن تقول ذلك .

(٤٣)

وقال أيضاً يمدحه[2] :

١ - أرِيقُكَ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ
بِفِيَّ بَرُودٌ وَهُوَ فِي كَبِدِي جَمْرُ ؟!

يقول : أهذا ريقك ! أم ماء المطر ؟ لعذوبته وصفائه . أم الخمرة ؛ لما فيه من اللذّة والتفريح . فقد جمع ريقُك الحرارة والبرودة . فهو فى فمى بارد وفى كبدى حار ؛ من حيث ألتذ به عند لهوى . لكنه يهيِّج العشْقَ فى قلبى وكبدى فهو كالخمر . فمن حيث[3] برودته شبهه بماء الغمام ومن حيث الحرارة شبهه بالجَمْر وأتى بلفظ الاستفهام مبالغة فى التشبيه .

٢ - أَذَا الْغُصْنُ أَمْ ذَا الدِّعْصُ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ ؟
وَذَيَّا الَّذِى قَبَّلْتُه الْبَرْقُ أَمْ ثَغْرُ ؟!

يقول : أهذا قدّكِ أم الغصن ؟! وهذا كفلكِ أم الدِّعص[4] ؟ وهما حالان ثَمَّ

---

(١) ع : « فلم يحذفوك أبدا » تحريف .

(٢) فى جميع النسخ والديوان ٥٦ : « وقال أيضا يمدحه » الواحدى ١٠١ . « وقال يمدح عبد الله ابن يحيى البحترى » . التبيان ٢/ ١٢٣ : « وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحترى المنبجى » .

(٣) عبارة ا ، ع : « من حيث ألتذ به عند لهوى وخمر من حيث » . وسقطت من سائر النسخ انتقال نظر من حيث الأولى إلى حيث الثانية .

(٤) الدعص : الكثيب من الرمل . الواحدى والتبيان واللسان .

بيِّنةٌ من الزُّجَل «أم أنت فتنة» كلفتُ بها كما جمعت هذه الأشياء المختلفة، وهذا الذى قبّلته برْقٌ لامع أم سنٌّ[1]؟! وشبه الثّغر بالبرق، من حيث: أن الشّفة كالسحاب، فإذا ابتسمت يبدو البرق من السحاب. وروى: «بل أنت فتنة»، والتّصغير فى ذيًّا: إشارة إلى صغر أسنانها، وإما لأنه محبوب عندهم. كقولهم: يا بُنَيَّ. وهذا فى التقسيم كقول الآخر:

أقِطَع الدُّجى أَمْ شعركِ الفاحِم الجعْدِ
أبدْر الدّجى أمْ لاح من وجهك السعد؟![2]

٣ - رَأَتْ وجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِى
فَقُلْنَ نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ

يقول: رأت العواذلُ وجْهَهَا بليْل، فبهِتْن وقلْن: نرى شمساً طالعة قبل طلوع الفجر! فأقررن بحسنها، وكففن عن عذْلى وعذرْنَنِى فى حبّها، بعدما كن يَعْذلْننى، ولأن الحسن للمحبوبة شَغَل العواذل عن العذل، وكأنه مشتق من قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)[3] يعنى: أنهن إذا رأين يوسف عليه السلام بهِتْن حتى تركن عذل امرأة العزيز. والواو فى قوله: «وما طلع» واو الحال.

٤ - رَأَيْنَ الَّتِى لِلسّحْرِ فى لَحَظَاتِهَا سُيُوفٌ ظُبَاهَا مِنْ دَمِى أَبَدًا حُمْرُ

يقول: هؤلاء العواذل، رأيْن المرأة التى فى لحظاتها للسّحر سيوفٌ، ظُباها حمرٌ أبداً من دمى لأنها تَقْتُلِنى بها.

٥ - تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِى حَرَكَاتِهَا
فَلَيْسَ لِرَائى وَجْهِهَا لَمْ يَمُتْ عُذْرُ

---

(١) ع: «أم ثغر». (٢) ع: فقط زادت بعد البيت المثبت البيت التالى:

أرفاتنا غصن بثديك مركبا لطيفان أو هذان ثديان ياهند

(٣) سورة يوسف ١٢/٣١.

يقول : سكون الحسن تناهى فى حركاتها [٤٥ - ب] يعنى : أنها إذا[١] تحركت سكن الحسن فى حركاتها ، فتكون حركاتُها مَسْكنًا للحسن ، فلا يفارق الحسن حركاتِها ، فمن رآها فى حسنها وجمالها ولم يمت ، فليس له عذر فى حكم العشق !

٦ - إِلَيْكَ ابْنَ يَحْيَى ابْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ
بِىَ الْبِيدَ عَنْسٌ لَحْمُهَا والدَّمُ الشَّعْرْ

العَنْس : الناقة الصُّلبة القوية .

يقول : تجاوزت بى إليك فى المَفاوز ناقةٌ قويةٌ ، لحمها ودمها الشِّعر[٢] الذى مدحتُكَ بهِ فكنتَ أُحيِّيها بإنشادى لها مَدْحَكم ، صيانةً لها من الهزال ، لمّا علمتُ أنها إذا وصلَتْ إليك وصلَتْ إلى مُرادِهَا .

٧ - نَضَحْتُ بِذِكْرَاكُم حَرَارَةَ قَلْبِهَا
فَسَارَتْ وَطُولُ الأَرْضِ فى عَيْنِهَا شبر[٣]

النضح : الرش .

يقول : رششت على الناقة فبرَّدْتُ بمدحكم والشِّعر فِيكُمْ[٤] حرارةَ قلْبها ، فنشطت وأسرعتْ فى السَّيْر واستقْصرت تلْك المفاوِز البعيدة ، حتّى كأنّ طول الأرض فى عنها شبر[٣] ، لاشتياقها إليك .

٨ - إِلَى لَيْثِ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفُهُ
وَبَحْرِ نَدًى فِى مَوْجِهِ يَغْرَقُ الْبَحْرْ

---

(١) ق : « إذا » ساقطة .

(٢) يقول الواحدى : « وروى الخوارزمى بفتح الشين . والمعنى : أنها هزلت فلم يبق منها غير الشعر . والرواية الصحيحة بكسر الشين ، لأنه لاشعر للإبل وإنما لها الوبر » .

(٣) ق : « بشر » مكان « شبر » ولعلها رواية .

(٤) ع المثبت وفى سائر النسخ : « فبردت واستقر فيكم » تحريف .

يقال : أَلْحمتُ فلاناً عِرْض فلانٍ ، إذا جعلته يتناوله . وأراد هاهنا : تمكين السيّف من لحم اللّيْث .

يقول : سارت هذه النّاقة إلى لَيْثِ حَرْبٍ ، يُلْحِمُ سيفه الأسَدَ ، أى يمكّن سيْفَه من لحم الأسد ، وإلى بحر سخاء ، يغرق البحرَ فى موجِه ، ففضّله بذلك على البحر[١] .

٩ - وَإِنْ كَانَ يُبْقِى جُودُهُ مِنْ تَلِيدِهِ
شَبِيهًا بِمَا يُبْقِى مِنَ الْعَاشِقِ الْهَجْرُ

يقول : إنه بحرٌ إن كان يُبْقِى جوده من ماله شىء ، يُبْقِى مقدار ما يُبْقِى من العاشق الهجرُ ، لأنّه لا يبقى منه إلا القليل ، فكذلك هذا الممدوح لا يُبْقِى من ماله إلا ذلك القدْر[١] .

١٠-فَتًى كُلَّ يَوْمٍ يَحْتَوِى نَفْسَ مَالِهِ
رِمَاحُ الْمَعَالِى لا الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرُ

الردينية : الرماح المنسوبة إلى ردينة[٢] ، وهى امرأة كانت تعمل الرماح ، وزوجها : السَّمْهر ، وكان هو كذلك يعمل الرماح وإليه تنسب السَّمْهَرِيّة[٣] .

يقول : يسلب أموالَه كلّ يوم رماحُ المعالى ، لا الرِّماح الحقيقيّة : التى هى الردينية السُّمر . يعنى : أنه فرّقها على سؤّاله وعُفَاتِه .

١١-تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ فَنَائِلُهَا قَطْرٌ ونائِلُهُ غَمْرٌ

التأنيث : للسحاب لأنه أراد بهِ الجماعة .

---

(١) فى جميع النسخ بعد : « إلا ذلك القدر » فى آخر شرح البيت رقم ٩ « ففضله بذلك على البحر » ولما كنت أعتقد أن هذه الجمله من تمام شرح البيت رقم ٨ فقد نقلتها إليه .

(٢) ق : « الردينة : الرماح المنسوبة إلى ردينية » تحريف .

(٣) ا ، ع : « وإليه تنسب السمهرية » ساقطة .

يقول : بَعيدٌ ما بين السحاب وبينه ؛ لأن نائِل السحاب قطرٌ[1] ، ونائِله غمر كثير .

١٢–وَلَوْ تَنْزِل الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ   لأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا وأَكْثَرُهَا نَزْرُ

يقول : لوكان أمر الدنيا إليه ، لوهبهَا ، وصار أكثرها فى جنب هباته قليلاً ؛ لأن كفّه لاَ نِهَايةَ لها ، فكل كثير عندها قليل .

١٣–أَرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَهَا عُظْمُ قَدْرِهِ   فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ

يعنى : عِظَمُ قدْره أراه صغيراً قدْرَ الدُّنيا ، فليس لِشىءٍ عظيمِ الْقَدْرِ قَدْرٌ عنده[2] لِعَظَم قَدْره وعلوّ همته . [٤٦ – ا] .

١٤–مَتَى مَايُشِرْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ   تَخِرَّ لَهُ الشِّعْرَى وَيَنْكَسِف الْبَدْرُ

تخرّ : جزم لأنه جزاء الشرط ، وهو : «متى ما يشر» وفتحه لاجتماع الساكنين ، و «ينكسف» نصب عطفًا عليه .

يقول : إن الممدوح متى نظر إلى السماء وأشار بوجهه إليها خرت له الشِّعرى[3] وانكسف البدْر : إما لهيبته ، وإما خجلا من نوره ، وخصّ الشعرى لأن قوْماً عبدوها . فبيّن أنها مع ذلك تسجد له ، وخصّ البدر لكثرة ضوئه ولأنّه كان معبودًا للقوم .

١٥–تَرَى الْقَمَرَ الأَرْضِىَّ وَالْمَلِكَ الَّذِى
لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ اللهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ

تَرَى : يجوز أن يكون فعل الشِّعرى[4] ، وأراد : ترى أيها المخاطب القمر

---

(١) فى النسخ : « قطرة » .   (٢) ع : « فليس بشىء عظيم القدر قدره عنده » .

(٣) ق ، ب : « الشعرى العبور » .

(٤) قال الواحدى والتبيان : يجوز أن يكون بدلا من جواب الشرط فيكون مجزوما ويكتب بغيرياء ويجوز أن يكون استئنافا للمخاطب .

الأرْضىّ ، وهو المَلِك الذى له المجْد والذكْرُ بعد الله عزّ وجلّ .

١٦–كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
يُؤَرِّقُهُ فِيمَا يُشَرِّفُهُ الْفِكْرُ

يقول : هو كثير السهاد ، ثم قال : من غير علة ، لصنعته فى الشعر . ولمَا بين فى قوله : يؤرقه الفكر فيما يكسبه الشرف[١] ، فلهذا يسهد كثيراً .

١٧–لَهُ مِنَنٌ تُفْنِى الثَّنَاء كَأَنَّمَا
بِهِ أَقْسَمَتْ أَلاَّ يُؤَدَّى لَهَا شُكْرُ

الكناية فى به : للممدوح .

يقول : له نعم تفنى الثناء[٢] للعجز عن الإحاطة بها ، كأنما أقسمت المنن بهذا للممدوح ألا يؤدى لها الشكر[٣] .

١٨–أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلاَّ لأَهْلِهِ
وَمَا لاِمْرِئٍ لَمْ يُمْسِ من بُحْتُرٍ فَخْرُ

يقول : يا أبا أحمد ، أنت أهل الفخر ، فما الفخر إلا لأهْله ، وما لرجلٍ من غير قبيلتك[٤] فخر ، وأنت منهم ، فكأن الفخر جميعه لك .

١٩–هُمُ النَّاسُ إِلاَّ أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ
يُغَنِّى بِهِمْ حَضْرٌ وَيَحْدُو بِهِمْ سَفْرُ

يقول : هم من الناس لأنهم مخلوقون مثْلهم ، ثم بيّن أنهم لبعد صيْتهم يُغَنِّى بذكْرهم الحاضرون ، ويَحْدُو بهِ المسافرون .

---

(١) المثبت عن ع وفى سائر النسخ : « ولما فى قوله : يؤرقه الفكر فيما بلك للشرف » .

(٢) ق ، ب : « يقول : نعم يفنى الثناء » .

(٣) ق ، ب : « كأنها أقسمت المنن بها للممدوح ألا يؤدى له شكر » .

(٤) ا ، ع : « من غير بنى بحتر » .

٢٠-بِمَنْ أَضْرِبُ الأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أَقِيسُه
إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالدَّهْرُ؟!

يقول : لا نظير لك ، فمن يضرب المثل فى شأنك ؟ أم من نقيسه إليك ؟ وأهل الدهر والدهر دونك !

(٤٤)

وقال يمدح أخاه أبا عبادة عبيد الله بن يحيى البحترى[١] :

١- مَا الشَّوْقُ مُقْتَنِعًا مِنِّى بِذَا الكَمَدِ حَتَّى أَكُونَ بِلاَ قَلْبٍ وَلاَ كَبِدِ

الكمد : الحزن .

يقول : إن الشوق لا يقنع منى بهذا الحزن الشديد ، حتّى يجعلُنِى بلا قلْبٍ ولا كبدٍ[٢] ، فأموت[٣] .

٢ - وَلاَ الدِّيَارُ الَّتِى كَانَ الْحَبِيبُ بِهَا
تَشْكُو إِلَىَّ وَلاَ أَشْكُو إِلَى أَحَدِ

هذا البيت يفسَّر على وجوه :

أحدها : أن يكون عطفاً على قوله : «ما الشوق» ومعناه : أن الشوق كما لا يرضى منى بما أقاسى من الحزن ، كذلك الدّار التى كان الحبيب بها ، لا ترضى منى بهذا الكمد . وتمَّمَ الكلاَم عند قوله : «كَانَ الحبيبُ بها» . ثم ابتدأ وقال :

---

(١) ا ، ع : «وقال يمدح أخاه عبادة بن يحيى» . الواحدى ١٠٤ : «وقال يمدح أخاه أبا عبادة عبيد الله بن يحيى البحترى» التبيان ١/ ٣٤٩ : «وقال يمدح أبا عبادة عبيد الله بن يحيى البحترى» الديوان ٥٨ : «وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى» . ق ، ب : «وقال يمدح محمد بن ذريق الطرسوسى» والمثبت هو ما فى سائر النسخ والواحدى والتبيان والديوان .

(٢) «حتى جعلنى بلا كبد ولا قلب» فى ا ، ع .

(٣) يذكر الواحدى والتبيان «حتى يحرق قلبى ويوله عقلى فأصير مجنونا ذاهب العقل» .

تشكو إليّ : أى هذه الديار تشكو إلىّ وحشة الفراق لجهلها[١] ، وأنا لا أشكو إلى أحد لجلادتى ولكتمانى الأسرار ، ولأنى عاقل .

والثانى : [٤٦ - ب] أن الديار ماشكَتْ لأنها قد دَرَسَتْ فضعُفتْ عن الشكوى ، لانمحاء آثارها ، كما ضعفتُ أنا عن الشكوى ، لسقوط القوة ، وإن الديار ما شكت إلىَّ لأنها ليْست بناطقه فتُعْرِبُ عن شِكَايَتِها .

والثالث : أنّ دمعى حَالَ دون تأمّلى آثار البِلَى فى الدِّيار ؛ فلهذا لم تشْكُ[٢] إِلَى أحد ، ولو تأمَّلْتُها تشكو إلىَّ وحْشَتَها ، وسوءَ إثارة الزمان عليها ، ثمَّ لا أشكو[٣] إلى أحد . أى كانت الديار خالية ، ليس فيها مَنْ أشكو إليه .

٣ - مَازَالَ كُلُّ هَزِيمِ الْوَدْقِ يُنْحِلُهَا وَالسُّقْمُ[٤] يُنْحِلُنِى حَتّى حَكَتْ جَسَدِى

الهزيم : مطر الجود الّذِى لَهُ صوت[٥] . من الهزيمة وهو الصوت . وقيل هو : من الهزيمة . كأنّه المطر الّذِى يَلِى بعضُه بعضاً . والودق[٦] : المطر الشديد .

يقول مازال كل مطر جود شديد القطر[٧] يُصيبُ الدِّيار ، فيَعْفوا رُسُومها ، فذلك نحولها ، وما زال السّقم ينْحلنى بإذهاب لَحْمِى[٨] حتّى حكتِ الدِّيار جسدى . وهذا البيت[٩] يؤكد المعنى الثانى ، الذى ذكرناه فى البيت .

٤ - وَكُلَّمَا فَاضَ دَمْعِى غَاضَ مُصْطَبَرِى
كَأَنَّ مَاسَالَ مِنْ جَفْنَىَّ مِنْ جَلَدِى[١٠]

---

(١) ا ، ع : « تشكو إلى وحشتها لفراق أهلها » . (٢) ق ، ب : « لم يشك » .
(٣) ق ، ا ، ب : « وسوء إثارة الزمان عليها ثم لا أشكو » .
(٤) فى الديوان : « والشوق » مكان : « والسقم » رواية .
(٥) ب ، ق : « الذى ليس له صوت » .
(٦) ا : « القطر » مكان : « الودق » والمعنى واحد .
(٧) ق ، ب : « القطر » ساقطة . (٨) ل ، ف « الحمى » تحريف .
(٩) ق ، ب : « وهكذا البيت » .
(١٠) ع : «كأن ما فاض من عينى من جلدى » .

يقول : كلّمَا سال دمْعِي نقصَ اضْطباري ، وظهر جزَعي ، كأنَّ الذى سَالَ مِنَ الدَّمْع من عيْنَيَّ سائِل من جِلْدى . ومنه قول الآخر :

فَلَيْسَ الَّذِى يَجْرِى مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا
وَلَـكِنَّـهُ نَفْسٌ تَـذُوبُ فَتَـقْـطُرُ[١]

٥ – فَأَيْنَ مِنْ زَفَرَاتِى مَنْ كَلِفْتُ بِهِ
وَأَيْنَ مِنْكَ ابْنَ يَحْيَى صَوْلَةُ الأَسَدِ

هذا له معنيان :

أحدهما : أين من زَفَرَاتِى (وهى الأنفاس) زَفَراتُ مَنْ كَلِفْتُ به ؟ أى أن زفراته لا تبلغ زفراتى ! وقوله : أين منك ؟ أى : من صوْلَتِك . يا ابن يحيى ، صَوْلَةُ الأسد ؟ أى : أن صولته دون صَوْلَتِكَ .

والثانى : أين مَنْ كلفت به مِنْ زفراتى ؟ أى : أنه غافلٌ عنْها ، خالٍ منها . وأيْن منكَ صولَةُ الأسد ؟ أى : لا يبْلغ صَوْلتك ، ولا يؤثّر فيك شيئاً[٢] .

٦ – لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا
وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِى كَثْرَةُ الْعَدَدِ

يقول : لمّا وزنْتُ الدّنيا وأهلَها بك ، فَمِلْتَ بهم ، أى كنتَ أرجح منْهم ، فَقَلَّ عندى كَثْرةُ العدد ، لأن الاعتبار فى الوزن بالفضل والمعنى[٣] لاَ بالعَدَد والذَّوات . ومثله للبحترى[٤] :

---

(١) نسب لبشار بن برد فى التبيان ٢/ ٢٣٥ وروايته : « ولكنها نفس تذوب » وفى الإبانة ١٦٧ نسب إلى الجهمى . ولم ينسب فى التبيان ٤/ ٨ والوساطه ٣٩٧ وروايته : « ولكنها روحى » وكذلك فى شرح البرقوق ٢/ ٤١١ ومعاهد التنصيص ٣/ ٢٦ .

(٢) ا ، ع : « لا تبلغك صولته ولا تؤثر فيك شيئا » .

(٣) « والمعنى » زياده عن ا ، ع .

(٤) هو : أبو عبيدة الوليد بن عبيد بن يحى الطائى ، ويكنى أبا عبادة شاعر فصيح حسن =

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ
إِلَى الْفَضْلِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ[1]

٧ – مَا دَارَ فِى خَلَدِ الأَيَّامِ لِى فَرَحٌ
أَبَا عُبَادَةَ ! حَتَّى دُرْتَ فِى خَلَدِى

خَلَد الأيام : استعارةلطيفة ، ولمّا ذكر الخَلَد : وهو القلب . قال : ما دار فى قلب الأيام لِى سرورٌ حتى دُرْتَ فى قلبى . يعنى : ما سُرِرْتُ منذ سمعتُ ذكركَ فى زمانى هذا ، حتى قصدْتُكَ فسررت برؤيتك .

٨ – مَلْكٌ إِذَا امْتَلأَتْ مَالاً[2] خَزَائِنُهُ أَذَاقَهَا طَعْمَ ثُكْلِ الأُمِّ لِلْوَلَدِ

يقول : هو مَلِكٌ إذا امتلأت خزائنه من المال ، أذاقها بِتَفْرِيق مَالِهَا ، طَعْمَ ثَكْلِ الأم لِوَلدِهَا .

٩ – مَاضِى الْجَنَانِ يُرِيهِ الحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ
بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدِ

[٤٧ – ا] الجنان : القلب . ومضاؤه : ذكاؤه ، وحدّته ، وشجاعته . والحزم : رفع على أنه فاعل يريه[3] ، وينصب على أنه مفعوله الثانى ، والفاعل الجنان .

= المذهب والمشرب وله تصرف فى فنون الشعر سوى الهجاء ، ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان ومات سنة ٢٨٤ هـ معاهد التنصيص ١/ ٢٣٤

(١) ديوانه ١/ ٦٢٥ الوساطة ٣٦٢ وروايته : « إلى المجد حتى عد » وكذلك فى الواحدى ١٠٩ والتبيان ٢/ ٣٥٠ .

(٢) المثبت عن ع والديوان والواحدى والتبيان . وفى سائر النسخ : « منه » مكان : « مالا » .

(٣) ق ، ب ، ا : « فاعل يريد » تحريف .

يقول : إنه يرى بقلبه الأشياء قبل ما تراه[١] العيْن بعدَ غدٍ[٢] .

١٠- مَاذَا الْبَهَاءُ وَلاَ ذَا النُّورِ مِنْ بَشَرٍ
وَلاَ السَّمَاحُ الَّذِى فِيهِ سَمَاحُ يَدِ

يقول : ليس هذا البهاء والنورِ اللّذين فيه ، من بشرٍ ، بل هو من مَلَك ، ولا السخاء الذى فيه سخاءُ يدِ أحدٍ ، بل هو سخاء أيدٍ كثيرة .

وقيل معناه : ولا السخاء الذى فيه سخاء يَدٍ وإنما هو سخاء سحابٍ ، أو سخاء بَحْرٍ .

١١- أَىُّ الأَكُفِّ تُبَارِى الْغَيْثَ مَا اتَّفَقَا
حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعُدِ

يقول : أىّ كَفٍّ من بيْن الأكفّ تُعَارِض الْغَيْثَ وتكاثِرُه ، مَادَامَا مُتَّفِقَتين فى الحال . الكف فى الإعطاء والغيث فى إحياء إدامة الإنْداء ، حتّى إذا افترقا ، عادت الكفّ إلى الإعطاء ، ولم يعد الغيث إلى الإنداء ، وليس هكذا كفٌّ إلا كف هذا الممدوح[٣] .

١٢- قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مُضَرٍ
حَتَّى تَبَحْتَرَ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْ أُدَدِ

مُضَر : ابن نِزار بن معدّ بن عدنان[٤] . وأُدَدِ : ابن طابخة بن إلياس بن يعرب ابن قحطان[٥] . وبحتر : الذى هو[٦] الممدوح من قحطان .

---

(١) ق ، ب : « قبل كونها ماتراه العين بعد غد » تحريف أ ، ع : « قبل كونها مالاتراه العين بعده » تحريف والتصويب من الواحدى والتبيان .

(٢) المراد بهذا كله صحة الحدس وجودة الظن ، لأنه يفطن بالكائنات قبل حدوثها .

(٣) عبارة ق ، ب : « ولم يعد الغيث إلى الإنداء هكذا كف هذا الممدوح » .

(٤) أبو العرب . (٥) أبو اليمن .

(٦) ق مكان : « الذى هو » بياض والتكمله من سائر النسخ .

يقول : كنتُ أظنّ قبل هذا ، أنّ الشّرف كلّه من مُضَر ، حتى رأيته ببحتر ، فنسب نفسه إليها لكون الممدوح منها ، فهو الآن من أَدَدِ الذى هو من قحطان.
قيل : تبحتر[1] أى : أقام ببحتر فلما أقام فيها علمت أنه من أَدَدِ.

١٣-قَوْمٌ إذَا مَطَرَتْ مَوْتًا سُيُوفُهُمُ
حَسِبْتَها سُحُبًا جَادتْ عَلَى بَلَدِ

فاعل « مطرت » : سيوفُهم ، ومفعوله : « موتًا » والهاء فى « حسبتَها » : للسيوف ، وفى « جادت » : للسحب.

يقول : هم قوم إذا قاتلوا ، مَطرتْ سيُوفُهم موتًا ؛ لكثرة ما يقتلون بها ، فيظن سيوفَهم سحاباً مطرتْ مطرًا جُودًا على بَلَدٍ.

١٤-لَمْ أُجْرِ غَايَةَ فِكْرِى مِنْكَ فى صِفَةٍ
إلاَّ وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الأَبَدِ

يقول : ما أجريْتُ غايةَ فكْرى فى صفةٍ منك ، إلا وجدْتُ غاية تلك الصّفة غاية الأبد ، وليس للأبد نهاية.

(٤٥)

وقال يمدح محمد مساورَ بن محمد الرومىّ[2] :

١ - جَلَلاً كَمَا بى فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ أَغِذَاءِ ذَا الرَّشَإِ الأَغَنِّ الشِّيحُ

(١) ع ، ا ، من قوله : « حتى رأيته .... قيل تبحترَ » ساقط.

(٢) المثبت هو ما فى ق ، ب والواحدى ١٠٧ والتبيان ١/ ٢٤٣ والديوان ٥٩ . ا : « وقال يمدح » الأبيات. ع « وقال أيضا يمدحه ».

ومساور بن محمد الرومى : كان واليًا على حلب سنة ٣٢٩ هـ ومن هنا يرجح الأستاذان شاكر ١/ ١١٨ وعزام فى كتابه : ذكرى أبى الطيب ٥٢ أن هذه القصيدة قالها أبو الطيب بعد خروجه من السجن سنة ٣٢٣ وبعد عودته إلى الشام سنة ٣٢٦ .

الجلل : الأمر العظيم هاهنا[١] ، وهو أيضاً الأمر الهيّن[٢] ونصبَ بخبر « فَلْيَكُ » . و « التَّبْرِيحُ » : اسمه وهو الشدّة . والرِّشأ : ولد الظّبية ، والأغنّ : الذى يُخْرِج صوتَه من الخيشوم . والشِّيح : نبت معروف[٣] ، وهو من نبات نجد ، وهو ينعم المواشى إذا رعتْه وقوله : « فليك » أصله (فليكن) فحذف النون لسكونها وسكون التاء[٤] الأولى من التبريح ، تشبهاً للنون بحروف اللين ؛ لما فيه من الغُنّة[٥] .

يقول : ليكون التبريح والشدة عظيماً كما بى ، فتم الكلام هاهنا ، ثم استأنف فى المصرع [الثانى] متعجباً من المشبه بهِ فقال[٦] : [٤٧ – ب] أغذاء ذا الرشأ الأغنّ الشّيح ؟! أى فرط شَبَهِهِ بالظّبى شككْتُ فيه : أنّه ظبى فى الحقيقة أم لا ؟ وقد طعن فى[٧] ذلك .

وقيل : إن أحد المصراعين ينافى الآخر ولا مطعن فيه لأن المصراعين بمنزلة[٨] البيتين ، فكما يجوز أن يكون أحد البيتين منقطعاً عن الآخر ، فكذلك المصراعان ، وقدْ وَرَدَ مثال ذلك فى الأشعار[٩] .

(١) الجلل : من الأضداد يقع على الكبير والصغير . ويريد به هاهنا الأمر العظيم . الواحدى واللسان .

(٢) فى النسخ : « الهنى » والتصويب من اللسان .

(٣) الشيح : يجمع على أشياح وهو نبت سهلى . وهو من الأمرار . له رائحة طيبة وطعم مر . وهو مرعى للخيل والنعم ومنابته القيعان والرياض . معجم أسماء النبات ٥٨ .

(٤) المثبت عن ع والواحدى وفى سائر النسخ . « فحذف النون لسكون الياء الأولى من التبريح » تحريف .

(٥) يريد بـ : « الغنة » هنا : الصوت الذى يخرج من الخيشوم ويعدها صاحب التبيان من حروف المد . انظر اللسان والتبيان .

(٦) « فقال » عن ا ، ع .

(٧) فى سائر النسخ : « وقد طعن فيه فى ذلك » والمثبت كما فى ع .

(٨) من قوله « أحد المصراعين ينافى ... لأن المصراعين بمنزلة » ساقط من سائر النسخ انتقال نظر ومثبت فى ا ، ع .

(٩) قال أصحاب المعانى : مثل هذا قد يفعله الشاعر فى النسيب خاصة ؛ ليدل به على وله وشغله عن تقويم خطابه كما قال جران العود :

يوم ارتحلت برحلى قبلى برذعَتى ... والعقل متله والقلب مشغول
ثم انصرفت إلى نضوى لأبعثه ... إثر الحدوج الغوادى وهو معقول =

وقد قيل فى وجه اتصال المصراعين وجهان :

أحدهما : أنه بيّن فى المصراع الأول حالَهُ فى شدّة التبريح وبالغ فيه ، ثم بيّن فى المصراع الثانى : أن من فعل به[1] تبريح الهوى هو الرشأ الأغنّ المنعم الذى رُبِّى بالشيح .

والثانى : أن معناه : إن كان فى الدنيا تبريحاً ، فليكن عظيماً مثل ما بى . ثم قال : أتظنون أن من فعل بى هو الرشأ الذى غذاؤه الشيح ؟ ما هو إلا الرشأ الذى غذاؤه قلوب العاشقين وأبدانهم ، فياله من رشأ أغنّ ! وقد كان ما قاله المتنبى على زعم بعضهم :

جللا كما بى فليك[2] التبريح أوْلاَ فتبريح الْهَوى تَرْويحُ
لله مِن رَشَأ أَغَنَّ مُهفْهَفٍ أَغِذَاء ذَا الرَّشأ الأغنّ الشِّيحُ

ومعناه على هذا : ليكن[3] التبريح عظيماً كما بى . وإلاَّ فإنه تَرْويحٌ إذا لم يكن مثل تبريحى ، ثم قال : للهِ من رشأ ، ومعناه عجباً من الرشأ الذى فى صوته غُنَّة ! مُهَفْهَفٍ : أى دقيق الخصر[4] . غذاؤه الشِّيح : الذى ينعم به أمثاله . فكأنه قال : كُلّ مَا حصل بى من التَّبريح . فمن الرّشأ الذى صفته هذه .

٢ – لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ وَجَرَّدَتْ[5] صَنَمًا مِنَ الأَصْنَامِ لَوْلاَ الرُّوحُ

يقول : لعبتْ الخمرُ بمشْية هذا الرشأ ، حتى صار مثل شارب الخمر .

= يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أنه معقول فكان يبعثه ليقوم . وفى كلامه ما هو أدل على ولهه مما ذكر من حاله وهو قوله : ارتحلت ثم انصرفت إلى نضوى كيف ارتحل ولم يأته ، وإن كان أتاه فكيف ؟ قال ثم انصرفت إليه . انظر الواحدى١٠٨ والوساطة ٤٤٢ .

(١) فى سائر النسخ : « أن فعل فيه » تحريف والتصويب عن : ع ، ا .

(٢) ق : « فيك » تحريف .

(٣) ق : « ليكون » تحريف .

(٤) المهفهف : الضامر البطن الدقيق الخصر . اللسان .

(٥) ق ، ب : « وغادرت » مكان : « وجردت » وكذلك فى الواحدى .

وجَرَّدَتْ : أى عرّته عن ثيابه[١] . وصنَمًا : نصب لوقوع جَرَّدَتْ عليه ، فكأنه يقول : جردت الشمولُ صنمًا من الأصنامِ ، لولا أن فيه الرّوح ، لكان صنمًا . وقيل : جرّدته فى الحسن صنَمًا ، فنصب على الحال . وإنما لم يقل : (وثنًا) لأنه غير مُصَوَّر بخلاف الصّنم[٢] .

٣ – مَا بَالُهُ لاَحَظْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُؤَادِىَ الْمَجْرُوحُ ؟!

تضرّجت : أىْ احمرّت .

يقول : ما بال هذا الرشأ لاحظْتُه فاحمرّتْ وجناتُه ؟! وقلبى هو المجروح بالنَّظر إليه ! فكان ينبغى أن يحمر قلبى .

٤ – وَرَمَى ، وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ فَصَابَنِى سَهْمٌ يُعَذِّبُ والسِّهَامُ تُرِيحُ

رمت يداه : على لغة من يقول : «أكلونى البراغيث» . و«ما» للنفى وسهم[٣] : رفع بصابنى .

يقول : رمى هذا الرشأ سهمًا وهو النظر – ولم ترمِ يداه – فصابنى ، سهمٌ يعذِّب طولَ الأبد ، بخلاف السهام المريحة القاتلة[٤] .

٥ – قُرْبَ الْمَزَارُ وَلاَ مَزَارَ وَإِنَّمَا يَغْدُو الْجِنَانُ فَنَلْتَقِى وَيَرُوحُ[٥]

المَزَارُ الأوّل : موضع الزّيارة . والثانى : المصدر ، ويحتمل أن يكونا مصدرين .

يقول : قرب المزار بَيْنَنَا بالفكْر والقلْب ، ولا زيارة فى الحقيقة ، وإنما يغْدو

---

(١) ق : «وجرته غرفه عن ثيابه» تحريف .

(٢) الواحدى والتبيان لم يفرقا بين الصنم والوثن وإنما قال صاحب التبيان : الصنم : واحد لأصنام ويقال : إنه معرب شمن وهو الوثن . وقد ورد هذا فى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ١٠٩ .

(٣) ق : «سهام» تحريف .

(٤) ق . ب : «السهام القاتلة»

(٥) ع : «وتروح» .

القلْب ويروحُ ، إلى [٤٨ – ا] القلْب فنلتقى نحن بالتقائِهمـا ، فالتقاؤنا بالأرواح لا بالأشباح .

٦ – وَفَشَتْ سَرَائِرُنَا إلَيْك وشَفَّنَا[1] تَعْرِيضُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ

يقول : كنا قد عرَّضْنَا بحبك فَشَفَّنَا أى أضْعَفَنَا تعريضنا به فَضَعُفَتْ أسرارُنَا لذلك التصريح ، فأظهر هُزَالَنَا ونُحُولنَا ما بِنَا ، فصار التّعريض تصريحاً .

وقيل : إن ألوانَنَا تغيّرت ، ودموعَنَا انْهمَلَتْ فصار تعريضُنَا تصريحاً .

وقيل : أراد لمّا شفَّنَا التّعريضُ وجَهَر بنا ، فلم نُطِقْ كتمانَ الحبّ ، أسررنَا إلى التصريح فانْهتَك السِّتْر .

٧ – لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِى أَسًى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ

الحَمُول : بالفتح الإبل ، وبالضم الأحمال . وأراد هاهنا الهوادج بما فيها .

يقول : لما تقطَّعت الحُمُول[2] عن عينى تقطّعت نفسى حُزْنا . ثم شبّه الحمول بالطلوح وهى جمع الطلح[3] شجر عظيم[4] ، لأنهم يشبهون الإبل ، وأحمالها بالنخيل ، وسائرِ الأشجار الرفيعة . ويجوز تشبيهها بالطلح لنحولها ودقّها[5] .

٨ – وَجَلاَ الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا
حَسَنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِيْنَ قَبِيحُ

الضمير فى جُلِيْن : للمحاسن .

يقول : أظهر الوداع من الحبيب محاسن ، وكان الحسن الصَّبر ، وقد أظهرن

(١) ا ، ع : « فشفنا » .

(٢) المراد بتقطعت الحمول : أى سبق بعضها بعضا . المعرى عن تفسير أبيات المعانى فى حرف الحاء .

(٣) ق : « وهى جمع الطلح شجر عظيم » ومكانها بياض و « شجر عظيم » ساقطة من خ والمثبت عن ا ، ع يقول الواحدى : والعرب تشبه الإبل وعليها الهوادج والأحمال بالأشجار .

(٤) قال الخوارزمى : « الطلح : شجر أسفله رقيق وأعلاه كالقبة فشبه الحمول بذلك » الواحدى ١٠٩ .

(٥) ا : « ويبسها » مكان : « ودقها » ع : « ودقها » ساقطة .

قبيحاً ؛ لظهور هذه المحاسن ، أَوْ لما تَعْقبه من الفراق . ومثله قول الشاعر :

والصَّبر يَحْسُن فى الْمَوَاطِن كلِّهَا إلاَّ عليْكَ فإنه لا يُحمَدُ[١]

٩ - قَيدٌ مُسَلِّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ وَحَشًا يَذُوبُ وَمَدْمَعٌ مَسْفُوحُ

وقد روى أيضاً « فيدٌ مُسَالمَةٌ » أى مُصَالحة ؛ من حيث أنّه أشار بها للوداع .
والشاخص : هو الذّاهب المتحيّر . والمسفوح : المصبوب[٢] وأراد به المدْمع[٣] الحال فيه ، لأن محلّه غير مسفوح ، ويجوز أن يكون أراده « ومدمع مسفوح » منْه :
يصف[٤] حال الوداع فيقول : كان لكلّ واحدٍ منا ، يد مسلّمة للتوْديع خوف الرقباء ، وطَرْف طافحٌ متحيّر ، وحشًا ذائِب ؛ أسفاً على الفراق ، ودمع مسفوح .

١٠ - يَجِدُ الْحَمامُ وَلَوْ[٥] كَوَجْدِى لاَنْبَرى شَجرُ الأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنُوحُ

انْبَرَى : أى انْبَعَثَ وَأَخذَ .
يقول : لوْ حزن الحَمَامُ مثل حزْنى لناح شجر الأراك[٦] الذى عليه ، مع الحَمَام عند نوْحِها[٧] .

---

(١) فى الوساطة ٢٩٠ نسب إلى العقبى وروايته .

والصبر يحسن فى المواقف كلها إلا عليك فإنه مذموم

وهو هكذا فى نسختى أ ، ع ، والمستطرف ٢٢٥/٢ كذلك وفى شرح التلخيص ٤١٧ غير منسوب وكذلك فى تأهيل العريب ٣١٢ وروايته : « فإنه لا يحمد » ومعاهد التنصيص ٦١/٤ « مذموم » والتبيان ٢٤٧/١ ومحاضرات الأدباء ٥٨/٢ .

(٢) ع : « مسفوح : أى مصبوب » .

(٣) ب : « وأراد به الممدوح المدمع » . ق : « وأراد به المدمع لأن محله » .

(٤) فى سائر النسخ : « يصعب » تحريف والتصويب عن ع .

(٥) ق ، ب : « فلو » .

(٦) قال أبو حنيفة الدينورى . هو أفضل ما استيك بفروعه وأطيب مارعته الماشية . معجم أسماء النبات

(٧) الحمام . قال الجوهرى يقع على الذكر والأنثى . لأن الهاء إنما دخلته على أنه وحد=

١١- وَأَمَقَّ لَوْ خَدَتِ[1] الشَّمَالُ بِرَاكِبٍ فِى عَرْضِهِ لَأَنَاخَ وَهِىَ طَلِيحُ

الأَمَقّ : الطويل . وأراد به هاهنا : المفازة الواسعة . والطَّليح : النَّاقة المعيبة . وخَدَتْ[1] : أى حدت وجرت ، وأناخ : فعْل الراكب .

يقول : رب مَهْمَهٍ[2] طويلٍ لو جرت فى عَرْضِه الرِّيح الشَّمال براكب عليها ، لأناخ الرّاكب ، وهى : يعنى الشَّمال معيبة[3] فإذا كان المركوب رِيحاً هذا حالها[4] فى العَرْض ، فما ظنك بسائِر المركوبات بالطّول ؟ لأنّ عَرْض كلّ شيىء دون طوله .

وروى : فى عُرْضه . أى جانبه[5] .

١٢- نَازَعْتُهُ قُلُصَ الرِّكَابِ وَرَكْبُهَا خَوْفَ الْهَلَاكِ حُدَاهُمُ التَّسْبِيحُ

[٤٨ – ب] الهاء فى نازعته : للأمقّ ، ومعناه : جاذَبْتُه[6] ، لأنَّهُ أرادَ أن يهلك الرِّكاب ، وأردْتُ أن أنجو بها ، وحُدَاهم : ممدود[7] إلا أنه قصر للضرورة .

يقول : نازعت هذا الأمقَّ أبكار الإبل ، فى حالة كان حِدَاء الراكبينَ فيها من خوف الهلاك والضلال[8] التسبيح للهِ تعالى ، وخوفَ الهلاك : نصب لأنه مفعولٌ لَهُ[9] .

= من جنس لا للتأنيث . والحمام : عند العرب . ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى والقطا وأشباه ذلك . وعند العامة : الدواجن فقط . انظر : حياة الحيوان .

(١) فى النسخ : « لوحدت » بالحاء المهملة وما ذكر عن الديوان والواحدى والتبيان .

(٢) المهمة : المفازة البعيدة أو البلد المقفر وتجمع على مهامه.

(٣) فى سائر النسخ : « معيب » ما ذكر عن ع . وفى الواحدى والتبيان : « مُعيِيَه » .

(٤) ع : « فإذا كان المربوب مرنخا هذه حالها » تحريف .

(٥) ا : « فى عُرْضه أى فى جانب من جوانبه » وفى سائر النسخ عراضه . وجاء فى اللسان . العُرض : الجانب .

(٦) ع : « الهاء فى نازعته ومعناه : مجادبته » .

(٧) فى جميع النسخ : « وحداهم محدود » تحريف .

(٨) ق ، ب : « الضلال » ساقطه .

(٩) ق ، ب : « نصب لأنه مفعول » .

١٣- لَوْلاَ الأَمِيرُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ   مَا جُشِّمَتْ خَطَرًا وَرُدَّ نَصِيحُ

التاء فى جشّمت : لقُلص الركاب .

يقول : لولا الممدوح ما جشَّمْتُ قُلُصَ الرِّكاب الأبكار ، أمرًا مَهُولاً ، وما ردَّ النّاصح الذى ينْهَى عَنْ رُكُوبِ[١] ، مثلَ هذه المهْلكة .

١٤- وَمَتَى وَنَتْ وَأَبُو الْمُظَفَّرِ أَمُّها   فَأَتَاحَ لِى وَلَهَا الْحِمَامُ مُتِيحُ

يقول : متى فترت[٢] هذه القلص ، ومقصودها الممدوح ، فأتاح لى : أى قدّر لى ولها ، الحمام: أى الموت[٣] متيح[٤] : وهو الله تعالى .

١٥- شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بُرُوقَهُ   وَحَرًى يَجُودَ وَمَا مَرَتْهُ الرِّيحُ

يقول : هو السحاب شِمْنَا بروقه فى حال ما لم يحجب السماء ، بخلاف سائر السُّحب ، إذ المعهود[٥] من البرْق أَن يَحْجب السَّماء بالغيْم ، وهو حقيق بأن يجود[٦] من غير أن تمرّ به الرياح ، أى تحلبه[٧] كما تحلب السحاب وتقديره : شمنا[٨] بروقه وما حجب السماء .

---

(١) ا : « يهن عن سكون » . ق ، ب : « ينهر عن سكون » . والتصويب عن الواحدى والتبيان .

(٢) ق ، ب : « قرت » .

(٣) ق ، ب : « أى الموت » ساقطة .

(٤) والمعنى : أن الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .

(٥) ق ، ب يقول : « شمنا برقة فى حال مالم تحجب سحاب بخلاف سائر السحب والملحوظ ...» .

(٦) قال أبو العلاء : هو حرى بذاك أى جدير به وحرى أن يجود فحذف (أن) للضرورة . ويستعمل للمذكر والمؤنث على جهة واحدة . تفسير أبيات المعانى .

(٧) فى سائر النسخ : « تجلبه » بدل « تحلبه » والمذكور عن ع ويؤيده الواحدى والتبيان لأنهما فسرا مرته : استحلبته .

(٨) تقول شمت البرق : إذا نظرت إلى سحابه أين يمطر . والمعنى : يقول : شمنا بروقه أى رجونا عطاءه ولم تحجب السماء بروقه لأنه ليس بغيم فى الحقيقة . يفضله على السحاب لأن السحاب يستر حسن السماء ولايدر إلا إذا استدرته الريح . الواحدى والتبيان

١٦– مَرْجُوُّ مَنْفَعَةٍ مَخُوفُ أَذِيَّةٍ   مَغْبُوقُ كَأْسِ مَحَامِدٍ مَصْبُوحُ

يقول : هُوَ مَرْجُوّ مَحَامِدٍ يسيِّرها[١] إلى أوليائه ، ومَخُوفُ أذيّه يَحلُّها بأعدائه ، وقد صبّح كأس المحامد وغَبّق[٢] ، فهو محمود أبداً .

١٧– حَنِقٌ عَلَى بِدَرِ اللُّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ   بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسِيءِ صَفُوحُ

يقول : إنه حَنِقٌ على بِدَر الفضّة[٣] ، لكثرة تفريقه إيَّاها من غير ذنب وإساءة منها ، وهو مع ذلك يعفو عن المسيء المذْنب .

١٨– لَوْ فَرَّقَ الكَرَمَ الْمُفَرِّقَ مَالَهُ   فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحُ

فاعل فَرَّقَ ضمير[٤] الممدوح ، والكرمَ مفعوله ، والمفرِّقَ : صفة الكرم . وماله : نصب بالمفرِّق ، الذى هو الفاعل[٥] من فرّق . وروى : « لو فُرِّقَ الكرمُ المفرِّقُ مالَهْ » على ما لم يسم فاعله فيرْفَعُ ما بعده إلا « مَالَهُ » فإنّه منصوب .

يقول : لو أنه فرق كرمَه ، الذى يفرّق مالَه على الناس لم يكن فى الزمان بخيل . يعنى : أنه يعمّ الناسَ بره حتى لا يبخل أحدٌ بشيء من المال .

١٩– أَلْغَتْ مَسَامِعُهُ الْمَلاَمَ وَغَادَرَتْ   سِمَةً عَلَى أَنْفِ اللِّئَامِ تَلُوحُ

ألغت : أى « ألقت » وقد روى ذلك أيضاً . وقيل معناه : جعلت الملامَ لغْواً أى باطلاً . فمعناه : أبطلت .

يقول : إن مسامعه أبطلت ملام اللائمين له ، على إعطائه وغادَرتْ الملامَ سِمَةَ لائحة « على أنوف اللِّئام » . وروى « على أنف اللئام » . يعنى أنه لوى به أنوفهم[٦] .

---

(١) ع « يقول : مرجو منفعة يسد بها » .

(٢) المغبوق . الذى يسقى بالعشى . والمصبوح : الذى يسقى بالصباح والمعنى : أنه يحمد فى كل وقت .

(٣) فى اللسان : البدرة بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٤) ب . ق « ضمير » ساقطة . (٥) ع : « اسم الفاعل » والمثبت ما فى سائر النسخ

(٦) ب . ف من « وروى . أنوفهم » ساقط .

٢٠- هَذَا الَّذِى خَلَتِ الْقُرونُ وَذِكْرُهُ ... وَحَدِيثُهُ فِى كُتْبِهَا مَشْرُوحُ

التأنيث فى كتْبها : للقرون .

يقول : هذا الممدوح هو الذى ذِكْره فى كتبِ القرون الماضية . مشروح منزَّلٌ منزلةَ الأنبياء ، مِنْ تَقَدُّمِ البشارة بهم ، وكان الوجه أن يقول : وذكره وحديثه[1] مشروحان ، ولكن لمَّا كان معناهما واحد ، اقتصر على واحد[2] .[٤٩-أ]

٢١- أَلْبَابُنَا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ ... وَسَحَابُنَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحُ

مبهورة : أى مغلوبةٌ مدهوشة .

يقول : عقولنا بجماله مغلوبة مدهوشة ، والسحّاب بعطائِه مفضوح لقصور نيله من نيله[3] .

٢٢- يَغْشَى الطِّعَانَ فَلاَ يَرُدُّ قَنَاتَه ... مَكْسُورَةً وَمِنَ الكُمَاةِ صَحِيحُ

الواو فى قوله : «ومن الكماة» للحال .

يقول : إنه يَرِد للمطاعنة فلا يُرَدّ رمحَه مكسورًا إلا بعد ألاَّ يبقى من الشجعان صحيح[4] .

٢٣- وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدِّمَاءِ مَجَاسِدٌ ... وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحُ

المجاسد : جمع مجْسَدة ، وهو الثوب الذى يلى الجسد ، وهو أيضاً الثوب المصبوغ بالجسَادِ : وهو الزعفران . يقول يغشى الطعان وتراب الأرض قد غُشِّىَ بثيابٍ من الدماء ، وعلى الجوّ من الغبار مُسُوحٌ[5] سود .

---

(١) ق ، ب : «وكان له أن يقول مشروحان» .

(٢) ب ، ق : «اقتصر عليه» .

(٣) ق ، ب : «لوفور نيله عن نيله» .

(٤) يقول الواحدى : «وقوله : «مكسورة» حشو أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح . لأنه لا فائدة فى أن ترد القناة من الحرب مكسورة ولو ردها صحيحة لم يلحقه نقص» .

(٥) المسوح : جمع مسح وهو ما يعمل من الشعر الأسود . التبيان واللسان .

فشبّه التراب المختلط بالدم : بالثياب المصبوغة بالزعفران . وشبّه الغبار الكثيف : بالمسوح السّود .

٢٤- يَخْطُو القَتِيلَ إلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ رَبُّ الْجَوادِ وَخَلْفَهُ المَبْطُوحُ

يقول رَبّ الجواد : وهو الممدوح ، يخطو من قتيل إلى قتيل آخر أمامه وخلفه مبطوح ، حِينَ طعنه فتخطّاه[1] .

٢٥- فمَقِيلُ حُبِّ مُحِبِّهِ فَرِحٌ بِه ومَقِيلُ غَيْظِ عَدُوِّهِ مَقْرُوحُ

يقول : قلب محبه وهو مقيل الحب ، فرد به غيظ عدوه ، أى قلب عدوه بالغيظ الذى فيه مجروح[2] .

٢٦- يُخْفِى الْعدَاوةَ وهْىَ غيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بمَا أَسَرَّ تَبُوحُ[3]

يُخْفِى : فعل العدو .

يقول : يُخْفِى عدوُّه العداوةَ عنه ؛ لخوفه منه ، وهى لا تَخْفَى عليه لذكائِه ، وفطنته . وقوله : « نظر العدو بما أسر تبوح » يحتمل أن يريد بهِ : نظر العدو إليه نظرًا شزْرًا[4] ، يظهر ما أسرّه فى قلبه من العداوة . فيكون المصدر مضافاً إلى فاعله . ويحتمل أن يريد : أنه إن نَظَر إلى العدو يبوح بسرّه ؛ لأنه إذا نظر إليه يعرف ما فى قلبه ، ويكون المصدر مضافاً إلى المفعول .

٢٧- يَا ابْنَ الَّذِى مَاضَمَّ بُرْدٌ كَابْنِهِ شَرَفًا وَلاَ كَالْجَدِّ ضَمَّ ضَرِيحُ

(١) وذكر الواحدى وتابعه صاحب التبيان معنى آخر فقالا . « قد امتلأت المعركة من القتلى . فالفارس على الفرس الجواد يخطو من قتيل إلى قتيل ويخلف وراءه فارسًا مبطوحًا : أى مطروحا على وجهه » وقد حذفت : « أمامه » من خ .

(٢) هذا البيت ٢٥ بتمامه « فمقيل حب محبه » البيت . مع شرحه لم يذكرا إلا فى نسخه ع فقط ويغلب على ظنى أن الشارح لم يتعرض له . وإنما هو من أحد المعلقين ثم أدخل فى صلب النسخة ! !

(٣) عن ق . ب : « تبوح » وفى ع . أ « يبوح »

(٤) أى بمؤخر عينه وذلك أكثر ما يكون فى حال الإعراض أو الغضب . اللسان .

يقول : يا ابن الذى لم يضم البُرْدُ مثلَه شرفاً وحياءً ، والابْنُ : هو الممدوح ، ولا ضمّ القبرُ كجدّه ميتاً .

٢٨-نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى
هَوْلٍ إِذَا اخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحُ

المسيح : العَرَق .

يقول نفديك : من رجلٍ يشبه السَّيْلَ إذَا سئِل السّخاءَ ، وهو هَوْل ، إذا اختلطا دَمٌ وعَرَقٌ فى القتال . وفى قوله : اختلطا دم ومسيح : أورد [ألف] الاثنين قبل الذكر ، أورده مورد قولهم[1] : أكلونى البراغيث .

٢٩-لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ
أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللُّوحُ

يقول : لو كنتَ بحراً كنت بلاَ شَطٍّ ونهاية ، أوكنتَ غيثاً ضاق عنك الهواء لكثرته[2] . والأوجه أن يقول : لم يك له وضاق عنه[3] ولكنه أسنده إلى «كنْتَ» .

٣٠-وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلاَدِ وَأَهْلِهَا مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحُ
٣١-عَجْزٌ بِحُرٍّ فَاقَةٌ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الإِلَـهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ

البيت الأول : معناه ظاهر[4] . [٤٥ - ب]

يقول بعدهُ : عَجْزٌ بالحُرّ الذى به فقر مع أن قدّامه[5] رزق الله تعالى . وبابك المفتوح بالسّخاء .

---

(١) المذكور عن ع وفى سائر النسخ . « أورد الاثنين قبل مورد قولهم » ومعنى هذا أن قوله « اختلطا » جرى فيه على لغه : أكلونى البراغيث . (٢) فى سائر النسخ : « الهوى لكثرة موجه » والمثبت عن ع .

(٣) « وضاق عنه » زيادة عن ع .

(٤) وهو : لو كنت غيثًا لخشيت منك الطوفان الذى أنذر به نوح قومه .

(٥) قدامه : تفسير لقوله : « وراءه » وهى من الأضداد قال تعالى : (وكان وراءهم ملك) أى قدامهم . التبيان .

٣٢- إِنَّ الْقَرِيضَ شَجٍ بِعِطْفِى عَائِذٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَمْدُوحُ

٣٣- وَذَكِيُّ رَائِحَةِ الرِّيَاضِ كَلاَمُهَا تَبْغِى الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ

شجى يشجى فهو شجٍ : إذا اغتص به . وعطف الشيء : جانبه .

يقول : إن الشّعر يلتجئ إلىَّ عائذٌ بِعطْفِى وجَانِبى ؛ مخافةَ أن أمدح به غيرك من الناس ، لرغبته فى محاسنك وزهده فيمن سواك ، لأنهم لا يستحقونه .

الذكى : الرائحة الشديدة .

يقول : إن شعرى كره أن أمدح به غيرك لأنه قد رأى الرياض تشكر المطر . ففوحها طيب كلامها وثنائها على المطر فتشكر على قدر إمكانها ، فأرادنى أن أمدحك به فأؤدى شكرك[1] .

٣٤- جُهْدُ المقلِّ فكَيْفَ بابْنِ كَرِيمَةٍ تُولِيهِ خَيْراً واللِّسانُ فَصِيح

يقول : إذَا شكرت الرِّياض للمطر ، بالرِّيح الذكىّ ، وذلك جهد المقلّ ، فكيف ظنك بابن حرة توليه بِرًّا جزيلاً وإحساناً جميلاً ، وله لسانَ فصيح ، فاعذره إذا ترك الثَّنَاء عليْكَ[2] .

(٤٦)

وَقَال أيضاً يمدحه[3] :

١ - أمُسَاوِرٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا ؟ أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَقْدُمُ الأُسْتَاذَا ؟

(١) فى ق هذا الشرح مؤخر إلى ما بعد شرح البيت ٣٤ « جهد المقل فكيف بابن كريمة » البيت ولعله سهو من الناسخ أراد أن يستدركه فأتى به فى هذا المكان .

(٢) فى الواحدى وتابعه التبيان : « فكيف ظنك بابن كريمة يعنى نفسه تحسن إليه وله لسان فصيح وقدرة على الثناء أى أنه لا يترك شكرك والثناء » .

(٣) ع : « وقال يمدح مساور بن محمد الرومى » الواحدى ١١٣ : « وقال أيضا يمدح=

يقْدُم : أى يتقدّم . والأستاذ : قيل هو الممدوح الذى هو مساور . أو قرن الشمس[١] أيضاً اشتَبَهَ بقَرْنِ الشَّمْس[٢] حتى إنه يحتاج إلى الاستفهام أنه هو . أم قرن الشمس ؟ وقرن الشمس أوّل مايبدو منها ، ويكون « ليث غاب » على هذا : هَيْبَتَهُ الّتى تسبق إلى قلوب الناس دون نفس مساور ، لأن الشىء لا يتقدم نفسه فكأنه قال : إن هَيْبَتَه[٣] التى تسبق ليث غاب ، تَقْدُم مساوراً وقيل : إن الأستاذ[٤] غير مساور ، الذى هو الممدوح . وقيل : هو كافورٌ الإخشيدى وكان مساور فى حجَّابه أو قوَّاده[٥] . فيكون على هذا شبَّه الأستاذ بالشمس . وشبّه مساورًا بقرنها[٦] ، ثم جعله أيضاً ليث غاب[٧] يتقدم الأستاذ فى سيره . أو فى موكبه[٨] . وقيل : إن الأستاذ ليس هو رجلاً بعيْنه ، وإنما المقصود : أن مساورًا فى شجاعته يسبق أستاذَه ، ودون أستاذِه يعْجز عنْه .

٢ — شِمْ مَا انْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ ذُبَابَهُ قِطَعًا وَقَدْ تَرَكَ العِبَادَ جُذَاذَا

= مساو بن محمد الرومى » . التبيان ٢ ، ٨٢ : « وقال يمدح مساور بن محمد الرومى » . الديوان ٦٣ « وقال أيضا » .

ويرى الأستاذ محمود شاكر أن هذه القصيدة قيلت سنة ٣٢٩ والمتنبى عند بدر بن عمار فى طبرية ويرجح أن المتنبى كتبها فى طبرية وأرسلها إلى مساور وهو بحلب . ثم لما جمع المتنبى شعره على ما نرى فى نسخه من تواريخ قصائد القسم الأول . ضم القصيدة التى معنا هذه إلى القصيدة الأولى « حملاكمى فبت التبريح » التى قالها سنة ٣٢٦ وقد فعل المتنبى ذلك مرارًا حتى فى القسم المؤرخ . انظر المتنبى ١١٩ ١٢٠

(١) ق : « الذى هو مساو أو قرن الشمس أيضا » بياض .

(٢) ق : « الشمس » ساقطة .

(٣) ع : « هيئة » .

(٤) الأستاذ : هو الوزير فى بعض لغة أهل الشام . التبيان والواحدى .

(٥) يقول الأستاذ عبد الوهاب عزام « سير الأخشيد حيننا يقوده كافور وفيه مساور بن محمد الرومى الممدوح . ومن هنا يعلم أن مساور كان من جند كافور . قبل أن يكون واليا على حلب . عن ذكرى أبى الطيب ٥٠ ٥٢ .

(٦) ع : « بقرن الشمس » .

(٧) ق « غابة » . (٨) ع : « فى مسيره فى موكبه » .

يقول : أغمد ما انتضيْتَه يعنى : السيّف . فقد تركت حدَّه قِطَعًا من كثرة ماضربْتَ به[١] ، وقد ترك السيّفُ عبادَ الله قطَعًا .

٣ - هَبْكَ بْنَ يَزْدَادٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ[٢]
أَتُرى الْوَرَى أَضْحَوْا بَنِى يَزْدَاذَا

هب : أى اجعل[٣] .

يقول : هب أنك كسرتَ ابْن يزداد[٤] وأصحابه ، أتُرى أن الناس كلهم بنو يزداد ، فتقتلهم وتحطّمهم ، كما قتلت خصْمَك ! كأنّه قد كان جاوزَ عن قتل أعدائه إلى قتل غيرهم .

٤ - غَادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ بِحَيْثُ لَقِيتَهُمْ أَقْفَاءَهُمْ وَكُبُودَهُمْ أَفْلاَذَا

يقول : غادرت أى[٥] تركتَ وجوهَهم عندما لقيتَهم أقْفَاءَهم : أى طمست آثارها حتى لم تُبَيَّن[٦] وجوهَهم [٥٠ - ا) من أقفائِهم . وقيل : أراد أنّك هزمْتَهم فقامت أقفاؤُهم فى استقبالهم مقامَ وجُوهِهم ، وتركْت أكْبادهم متقطّعة .

٥ - فِى مَوْقِفٍ وَقَفَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمُ فِى ضَنْكِهِ وَاسْتَحْوَذَ اسْتِحْوَاذَا

يقول : فعلتَ ذلك بهم ، فى موْقفٍ وقف الموتُ عليهم فى مَضِيق ذلك الموقف ، أى فى موقف صعب ، وغلبت عليهم غلْبَة عظيمة .

٦ - جَمَدَتْ نُفُوسُهُمُ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُولاَذَا

التأنيث : للنفوس . وجمدت نُفُوسهم : يجوز أن يريد جمدت دماؤهم فلمّا

(١) ع : « من ضربت به » . (٢) ع : « ورهطه » بدل : « وصحبه » .
(٣) « هب أى أجعل » وردت فى ق آخر شرح البيت .
(٤) محمد بن يزداد الشهرزورى والى حلب من قبل ابن رائق وكان محمد بن مساور ضمن الجيش الذى ذهب لمحاربته : انظر ذكرى أبى الطيب ٥٠
(٥) « غادرت أى » عن ع . ا . (٦) ع : « تتبين »

جئتها أجريتَها وأذبتَهَا ، ثم أسقيتَها الفولاذَا[1] لأنّه كان ظامِئاً إليْها .

٧ – لَمَّا رأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا فِى جَوْشَنٍ وَأَخَا أَبِيكَ مُعَاذَا

يقول : لما رآك ابن يزداد وأصحابه ، رأوْا برُؤْيتك أباكَ وعمّك ، لأنك أشبهتّهما فِعْلا ونجدة ، فكأنّهما[2] كانا فى جوشن[3] واحد ، وقيل رأوْهُمَا[4] فى جَوْشَنِك ، وذلك جامعٌ لمدحه ومدح أبيه وعمه ، لأنّه نسبهما إلى الشّجاعة .

٨ – أَعْجَلْتَ أَلْسُنَهُمْ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ لاَ فَارِسٌ إلاَّ ذَا

يقول : لمّا رأوك أرادوا أن يقولُوا : ليس فى العالَم فارسٌ إلاّ هذَا ، فأعجلْتَهُم عن قول ذلك بضرب رقابهم قبلها[5] .

٩ – غِرٌّ طَلَعْتَ عَلَيْهِ طَلْعَةَ عَارِضٍ[6] مَطَرَ الْمَنَايَا وَابِلاً وَرَذَاذَا

مَطَرَ المنايا : يجوز أن يكون منصوباً بتقدير فعْل ، فكأنه يقول : وأمطرْتَ عليهم مَطَرَ المنايا . والوجه عندى غير ذلك وهو : أن يكون « مَطَرَ الْمَنَايَا » فعلاً ماضياً وفاعله ضمير عارض : تقديره طلعْتَ عليهم طلْعة عارض أَمْطَرَ ذلك العارضُ عليهم المَنَايَا .

يقول : إن ابن يزداد كأنه لم يجرّب الأمور ؛ فطلعتَ عليهم طلعة سحاب ماطرٍ ، غير أن مطره كانَ المْوت . وَوَابِلاَ : أى عظيماً ، وَرَذَاذَا : أى صغيراً ، شبّه الدّم السائِل من ضرْبةِ السَّيْف بالْوابِل ، ومن الطعن فيهم بالرّذاذ .

١٠ – فَغَدَا أسِيرًا قَدْ بَلَلْتَ ثِيَابَهُ بِدَمٍ وَبَلّ بِبَوْلِهِ الأَفْخَاذَا

---

(١) الفولاذ : جيد الحديد ، ويريد به سيفه . (٢) ق : « فكأنما » .
(٣) الجوشن : الدرع . فارسى معرب وهو مثل الزرد يلبس على الظهر . الألفاظ الفارسية المعربة ٤٩
(٤) ق ، ب : « أرادهما » .
(٥) عن ا ، ع : « قبلها » .
(٦) ب : « طلعة فارس » .

يقول : غدا ابْنُ يزْداد ، أسيرًا جريحًا ، قد بلَلْتَ ثيابَه مِنْ دمه ، وبلَّ هو أفخاذَه ببوله ، خوْفاً منك وفزعاً[١] .

١١- سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشْرَفِيَّةُ طُرْقَهُ فَانْصَاعَ لاَحَلَبًا وَلاَ بَغْدَاذَا

المشْرفيّة[٢] : السيوف المنسوبة إلى اليمن وتُعْمل فيها . وانصاع : أى انصرف وانْثَنى . يُقَال : صُعْتُه فانصاع .

يقول : سَدَّتْ عليه السّيوف طُرْقَه ؛ لأنّك أسرتَه فبقِى حائِراً لمْ يصل إلى حلب وَلاَ إلى بغداد .

١٢- طَلَبَ الإِمَارَةَ فِى الثُّغُورِ ونَشْؤُهُ مَا بَيْنَ كرَخايَا إلَى كَلْوَاذَا

هاتان قريتان من رُسْتاق[٣] بغداد .

يقول : إنه طلب إمارة الثّغور ، ونَشْؤُه بين هذين الموضعين[٤] ، والسَّواد لا تصلح للإمارة .

١٣- فكَأَنَّهُ حَسِبَ الأَسِنَّةَ حُلْوَةً أَوْ ظَنَّهَا الْبَرْنِىَّ وَالأَزَاذَا[٥]

البرنى والأزاذ : نوعا [ن] من التّمر .

يقول : حسب مِنْ جَهْله أن الأسنة حُلْوة ، أو ظنها هذيْن النّوعين من التمر ، ولم يعلم أن طعْمها بالخلاف[٦] .

(١) ع : « وفزعا منك » .

(٢) المشرفية : السيوف المنسوبة إلى مشارف اليمن ، وهى قرى هناك تعمل بها السيوف . الواحدى والتبيان .

(٣) الرُّستاق : السواد والقرى . الألفاظ الفارسية المعربة ٧١ ومعرب الجواليقى ٢٠٦ .

(٤) وهما كرخايا وكلواذى : من أعمال بغداد . انظر معجم البلدان .

(٥) ع : « الأراذا » تصحيف .

(٦) ا ، ع : « بخلاف ذلك » .

١٤- لَمْ يَلْقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَا
جَعَلَ الطِّعَانَ مِنَ الطِّعَانِ مَلاَذَا

يقول : إنّ ابن يزداد لَمْ يلْقَ قبلك رجلاً إذا تردّدَتِ الرّماح واختلفت . جعل المطاعَنَة ملاذًا مِنَ المُطَاعَنةِ . ومعناه : أنه يتحصن بالمطاعنة من أذى خصْمه . فكأنه هرب من الطّعان إلى الطعان . فى حال ما يلتجئ غيره إلى العساكر والحصون .

١٥- مَنْ لاَ تُوَافِقُهُ الْحَيَاةُ وَطِيبُهَا حَتَّى يُوَافِقَ عَزْمُهُ الإِنْفَاذَا

يقول : لم يلق ابن يزداد قبْلك أحداً لا توافقه الحياة وطيبها . أى لا تطيب له الحياة ، حتى يمضى عزمه فيما يقصده .

١٦- مُتَعَوِّدًا لِبْسَ الدُّرُوعِ يَخَالُهَا فِى الْبَرْدِ خَزًّا وَالْهَوَاجِرِ لاَذَا

اللاّذ[1] : ثوبٌ رقيق كالكتان . أو أرق منه .

يقول : لم يلْق ابنُ يزداد قبلك متعوِّدًا لبس الدّروع فى الصّيف والشتاء حتى يخالها – التذاذاً بها واعتياداً لِلبْسها – أنها فى البرد : خزّ[2] . وفى الصّيف : كتان . أو ثوب رقيق .

١٧- أَعْجِبْ بِأَخْذِكَهُ . وَأَعْجَبُ مِنْكُمَا أَلاَّ تكونَ لِمِثْلِهِ أَخَّاذَا !

يقول : مَا أعْجَبَ أخذك له . وأسرك إيّاه ! وأعجب منكَ ومنْهُ ألاّ تكون أخّاذًا[3] لمثله مع فضْل قوّتك !

---

(١) اللاذ : معرب : « لاد » فارسى . وهو الثوب من الحرير الأحمر . انظر الألفاظ الفارسية ١٤٢ ويذكر الواحدى أنه من الكتان يلاذ به من الحر .

(٢) الخز : من الثياب ما ينسج من صوف وحرير ، وقيل إنه فارسى معرب . انظر معرب جواليقى ١٨٤ والألفاظ الفارسية ٥٤ واللسان .

(٣) فى سائر النسخ « آخذا » وما ذكر عن ا .

(٤٧)

وقال يرثى محمَّدَ بن إسحاق التنوخىّ(١)

١ – إنِّى لأَعْلَمُ واللَّبيبُ خَبِيرُ أنَّ الْحَيَاةَ وَإنْ حَرَصْتُ غُرورُ

٢ – وَرَأَيْتُ كُلاًّ مَا يعلِّلُ نَفْسَه بتَعِلَّة وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ

يقول : إنى أعلم أن الحياة غرور ، وإنْ حرِصْت عليها ، وملت إليها ، وإنما أعلم ذلك لأنى عاقل ، والعاقل يعلم ذلك لا محالة .

٣ – أَمُجَاوِرَ الدِّيمَاس رَهْنَ قَرَارَةٍ فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ

الدِّيماس : حفرة القبر ، وقيل : هو اسم لحبْس الحَجّاج ، كان لا يدخله أحدٌ ويخرج منْه ! وقوله : رَهْنَ قرارةٍ : منصوب على الحال ، أو على البدل من « مجاورَ الديماس »(٢) ، والقرارة : أراد بها أرض القبْر ، والهاء فى « فيها » ترجع إلى القرارة .

يقول : يا ساكن القبر قد أنارَ الأَرضَ نُورُ وَجْهكَ(٣) .

٤ – مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِى الثَّرَى
أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِى التُّرَابِ تَغُورُ

٥ – مَا كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى
رَضْوَى عَلَى أَيْدِى الرِّجَالِ يَسِيرُ(٤)

---

(١) ع . ب : « وقال أيضاً » . الواحدى ١١٩ والتبيان ٢/١٢٨ والديوان ٦٤ والعرف الطيب ٦٦ والمتنبى كان بأنطاكية واللاذقية وكان التنوخيون ينزلونها من قديم وقد نبتت بين صاحبنا وبين رجال من تنوخ هناك نابتة من المودة ، فمدحهم ورثاهم ودفع عنهم ورمى دونهم وأقام بينهم مكرما . انظر المتنبى للأستاذ محمود شاكر ١/ ٢٤ وذكرى أبو الطيب للدكتور عبد الوهاب عزام ٦٧

(٢) ق : « مجاورة الديماس » .

(٣) عبارة ق . ح : « قد أنارت الأرض بنور وجهك »

(٤) فى سائر النسخ : « يسير » وفى ا : « تسير » وهى كذلك فى الواحدى والتبيان والديوان .

يقول : ماكنت أظن أن النجوم تغور فى الثرى ، أى تغيب ، حتى رأيتُ تواريكَ فى القبْر ، وماكنتُ أرجو قبل رؤيتك على النّعش ، أنّ الجبَل يَسيرُ على أيدى الرِّجَال .

٦- خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكٍ خَلْفَهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ

يقول : خرجوا به إلى القبر ، والباكين كل له غِشْيَانٌ كَغِشْيانِ موسى[١] عليه السلام ، يومَ دُكَّ الطّور[٢] ، [٥٠ - ا] أى أزيل وسوّى به الأرض ، وهو من قوله تعالى (وَخَرَّ موسَى صَعِقًا)[٣] .

٧- وَالشَّمْسُ فِى كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ وَالأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ

مَرضُ الشمس[٤] : عبارة عن قلّة ضوئها ، وعن كسوفها ، وكأنّ[٥] الشمس فى تلك الحالة مرتجّة فى وسط السماء ، والأرض مضْطَربة . تكاد الأرض تمور أى[٦] تزلزل وتدور ، وإنما قال فى وسط السماء ؛ لأن الشمس فى تلك الحالة تكون أضوأ ما تكون .

٨- وَحَفِيفُ أَجْنِحَةِ الْمَلاَئِكِ حَوْلَهُ وَعُيُونُ أَهْلِ اللاَّذِقِيَّةِ صُورُ

صور : جمع أصْور ، وصور : أى مائلة .

يقول : حضرت الملائكة جنازته ، فكأن حوله أصوات أجنحتهم عند سيرهم مع الجنازة ، وعيون أهل هذه البلدة مائلة نحو جنازته تحسراً عليه وعلى مفارقته[٧] .

---

(١) عبارة ا : « وكل لهم غثيان كغثيان موسى » تحريف . وعباره :ع « وكل له غشيان كغشيان موسى » وهو المثبت وعبارة ق ، ب : «كل له عينان كعيني موسى» تحريف.

(٢) الطور : الجبل الذى كلم الله موسى عليه . (٣) سورة الأعراف ٧/ ١٤٣ .

(٤) ق ق ، ب : « مرض السماء » .

(٥) فى النسخ : « وكانت » .

(٦) ق ، ب : « الأرض تمور أى » ساقطة .

(٧) ا ، ع بعد : « على مفارقته » « ومتعجبة من صورة مثله » زيادة .

٩ - حَتَّى أَتَوْا جَدَثًا كَأَنَّ ضَرِيحَهُ فِى قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ

يقول : حتى أتو بهِ قبرًا ، كأنَّ ضريحه حُفِرَ فى قلب كُلِّ موحِّدٍ ، يعنى أن موْته صَعْب علىَ الْموحِّدين ؛ فكأنهم حفروا قبرهَ فِى قُلوبهم ؛ لِعظَم تأْثيرهِ فيهم . وقيل : أراد أنه ليس يغيب ذكره عن قلوب الموحدين[1] فكأنه دوّن فيها ، ويجوز أن يريد بِتَشْبِيه قبره بقلوب الموحّدين : إشارة إلى حصول النّور فيه لما دفنه فيه كالنور الذى يكون فى قلب المؤمن الموحد .

١٠ - بِمُزَوَّدٍ كَفَنَ الْبِلَى مِنْ مُلْكِهِ مُغْفٍ وَإِثْمِدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ

مزوّد : صفة لمحذوف . أى برجلٍ مزّود .

يقول : أَتَوْا الْقَبْرَ برجلٍ مُزَوّد عن جميع ما يملكه . كفنًا يَبْلَى وهو مغف : أى مغضٍ عينَيه . وإثمد عينيه : أى كحلهما . الكافور[2] : أى إنه لم يحمل من ماله لنفسه إلا الكحل والكفن والحنوط .

١١ - فِيهِ السَّمَاحَةُ وَالْفَصَاحَةُ والتُّقَى وَالْبَأْسُ أَجْمَعُ وَالْحِجَا والْخيرُ

أى فى الجدث . أو فى الْمَرثِىّ . والخير هنا : الكرم[3] . والحجا : العقل فكأنه يقول : إن هذه المعانى دفنت بدفْنه .

١٢ - كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

انطوى : كناية عن موته . والمنشور : عن حياته .

يقول : كفل له الثَّنَاء أَوْ الذكْر بردّ حياتِه ، فكأنه حىّ بعد الدفن والموت ، يعنى : أن ذكره الجميل باقٍ بعده ، فكأنه لم يمت ؛ لقيام ذكره له مقام الحياة ومثله لآخر :

---

(١) ب ، ق : « أراد أنهم ليس يغيب ذكره عن قلوبهم » .

(٢) عباره ق ، ب : « وهو مغض عينه وإثمد عينه الكافور » ثم جاء فى آخر شرح البيت بهذه العباره : « والكحل هو الكافور » .

(٣) عبارة ع . « فيه : أى فى الحديث أو فى المرثى الشريفة ، والخير الكرم » .

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إلَيْه حَيَاتَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ[١]

١٣- فَكَأَنَّمَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ

يقول : إن ذِكْره الباقى بعده ، أحياه فكأن ذكْره ، المسيح[٢] عليه السلام ، وكأنّ شخصه المقبور ، عازر . وهو : الذى أحياه الله تعالى على يد السيد المسيح .

(٤٨)

وَاستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالاً[٣] :

١ - غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهُنَّ بُحُورُ وَخَبَتْ مَكَايِدُهُ وَهُنَّ سَعِيرُ

[٥١ – ب] يقولَ : كانت أنامله فى الجود كالبحور ، فغار ماؤها ، وكانت مكايده فى الحرب سعيراً ، فخبت وطفئت .

٢ - يُبْكَى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ فِى اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ

قراره : يرفع وينصب ؛ الرفع باستقر ، والنصب على الظرفية .

يقول : يُبكى عليه ، ومن الواجب ألاَّ يبكى عليه ؛ لأنه لم يستقر قراره حتّى أتاه من الكرامةِ والثّواب ، وصافحتْه الحورُ ، ويجوز أن يكون على الاستفهام والتّوبيخ ، أى نبكى وهو لم يستقر قراره حتى صافحته الحور .

---

(١) نسب إلى التيمى فى الحماسة ٣/ ٦ ومجموعة المعانى لمؤلف مجهول ١١٩ وفى الإبانه ٣٩ نسب إلى أبى القوافى الأسدى وفى التبيان ٢/ ١٣٢ نسب إلى أبى منصور النميرى وكذا فى البرقوق ٢/ ٨٢ وروايته : « ردت صنائعه عليه حياته » ولم ينسب فى أمالى اليريدى المقدمة وتأهيل الغريب ٣١١ وعيون الأخبار ٣/ ٦٧ وديوان المعانى ٢/ ١٧٤ .

(٢) ع ، أ : « عيسى » بدل : « المسيح » .

(٣) الواحدى ١١٨ والتبيان٢/ ١٣٢ والعرف الطيب ٦٧ وبعض نسخ الديوان ٦٥ : « واستزاده بنوعم الميت فقال » غاضت .... وانظر عقب شرح البيت رقم ١٣ من القصيدة رقم ٤٨ وقد خالف محقق الديوان هذا الترتيب فجعل كل ذلك قصيدة واحدة .

٣ - صَبْرًا بَنِى إسْحَاقَ عَنْهُ تَكَرُّمًا إنَّ الْعَظِيمَ عَلَى العظيمِ صَبُورُ

نصب صبراً : على المصدر أى اصْبرُوا صَبْرا[١] ، وتكرّمًا : نصب لأنه مفعول له .

يقول : اصْبرُوا وترفقوا[٢] عن الجزع عن هذا الميّت ؛ لأن قدركم عظيم ؛ والمفجوع به عظيم ، والمصيبة بمثله عظيمة ، والعظيم يصبر على العظيم ، فاصبروا فإنكم عظماء .

٤ - فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرُ

يقول : لكل مصاب نظير غيركم فإنه لا نظير لكم[٣] ، ولكلٍّ مفقود غير هذا الميّت نظير ، فإنه لا نظير له . أى ليس فى الأحياء مثلكم ولا فى الأموات مثله !

وقيل : إن هذا أمر عام فلكم أمثال وله نظير ؛ لأن المفجوعين والمفقودين كثير .

٥ - أَيَّامَ قَائِمَ سَيْفِهِ فى كَفِّهِ الْـ ـيُمْنَى وَبَاعُ الْمَوْتِ عَنْهُ قَصِيرُ

أيام : نصب بقوله « لكل مفقود سواه نظير » أيام[٤] .

يقول : لكلٍّ مفقود نظير أيّام . وقيل : تقديره اذْكُرْ ، أَوْ اذكُرُوا أَيَّامَ .

يقول : كَانَ قائِم سيفه أيام حياته فى يمناه[٥] إشارة إلى شجاعته ، وكَانَ باع الموت مع طوله واقتداره ، قصير عنه !

٦ - وَلَطَالَمَا انْهَمَلَتْ بِمَاءٍ أَحْمَرٍ فِى شَفْرَتَيْهِ جَمَاجِمٌ وَنُحُورُ

فاعل انهملتْ : جماجم ونحور .

يقول : لَطَالَمَا انهملت جماجمٌ ونحورٌ ، بماءٍ أحمر ، وهو الدم . فى شفرتَيْه : أى شفرَتىْ سيْفه .

---

(١) ع : « اصبر صبرا » .

(٢) ع : « اصبروا ترفعا » .

(٣) ق : « فإنكم لا نظير لكم » .

(٤) ق ، ب : « أيام نصب ... أيام » ساقط .

(٥) ع : « فى كفه اليمنى » .

٧ - فَأُعِيذُ إِخْوَتَهُ بِرَبِّ مُحَمَّدٍ أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورُ

يقول : أُعِيذُ إخوةَ الميّت ، بربِّ محمد ، وهو الميت ، أَنْ يحزَنُوا عليه ، وهو مسرورٌ : أى بما أتاه الله من الثّواب والكرامة ، وأسباب المسرّة . ويجوز أن يكون محمد الأول النبى صلى الله عليه وسلم ، والثانى الميت [١] .

٨ - أَوْ يَرْغَبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُفْرَةٍ حَيَّاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ

يقول : وأُعيذهم أن يرْغبوا فى قصور الدّنيا عن دار الآخرة ، وأن ينْسوا[٢] ما يلزمهم من الأعمال الصالحة ، فكنّى عن الآخرة بحفرة هذا الميت ، الذى حيّاه فيها منكر ونكير ، فكأنه يحثّهم على الاستعداد للموت . وقيل : أراد أعيذهم أن يتركوا[٣] زيارة قبر هذا الميت ، الذى حيّاه فيه منكر ونكير ، ويلزموا قصورهم المنيفة .

٩ - نَفَرٌ إِذَا غَابَتْ غُمُودُ سُيُوفِهِمْ عَنْهَا فَآجَالُ الْعُداةِ[٤] حُضُورُ

يقول : هم نفرٌ ، إذا سَلُّوا سيوفَهم ، ففارقت غمودها حضرت آجال العباد ، وقتلوا من شاءوا .

١٠ - وَإِذَا لَقُوا جَيْشًا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تُنُوفَةٍ مَحْشُورُ

الضمير فى لَقُوْا : يعود إلى النّفر ، والتّنُوفة : الفاختة[٥] . وتيقن فعلُ الجيْش .

---

(١) عبارة ا ، ع : «كأنه قال : أعيذهم برب محمد ﷺ أن يحزنوا على الميت» .

(٢) عبارة ع : «يقول وأعيذهم فى الدنيا عن الآخرة وأن يهملو» يعنى فيها سقْط .

(٣) ق : «وقيل أراد ألا يتركوا» .

(٤) ع : «فآجال العباد» .

(٥) ق ، ب : «العاجة» ع ، ا : «الفاحة» تحريفات ولعلها . الفاختة : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق . انظر حياة الحيوان

والهاء فى «أنه» للجيش . ووحّد «محشور» لهذا المعنى[١] .

يقول : إنهم إذا لَقَوْا جيشًا فى الحرب تيقَّن ذلك الجيش أنهم مقتولون فتأكلهم طيور الفاختة . فيحشرهم الله تعالى يوم القيامة مِنْ بطونها[٢] .

١١-لَمْ تُثْن[٣] فِى طَلَبٍ أَعِنَّةُ خَيْلِهِمْ إِلاَّ وَعُمْرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورُ

يقول : إنهم لا يثْنون أعنّة خيلهم فى طلب عدوّهم ، إلا أدركوه ، وجعلوا عمره مبتوراً : أى مقطوعاً .

١٢-يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّةٍ إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْبِعَادِ يَزُورُ

عَنْ نِيَّةٍ : أى بُعْدٍ .

يقول : إنِّى قصدتُ دارهم البعيدة ، على بعد المسافة ؛ لحبِّى لهم ، وقد تبيّن ذلك . ويجوز أن يريد بقوله عن نِيَّةٍ : أى عن قَصْدٍ منِّى إلَيْهم ، ونيَّةٍ منِّى على زيارتهم ؛ لحبِّى إياهم ، ولم يكن ذلك اتّفاقًا[٤] ، أو على سبيل الاجتياز بهمْ . ثم قال : «إن المحب على البعَاد يزور» وهذا كقول القائِل وهو :

«من عالج الشوق لم يستبعد الدار»[٥]

وقريب منه قول الآخر :

---

(١) عبارة ع : «وتيقن : فعل الجيش . ووحده ورد إلى اللفظ . والهاء . فى «أنه» للجيش أيضا ووحد محشورا بهذا المعنى» .

(٢) فى جميع النسخ : «فى بطونها» وما ذكر عن الواحدى والتبيان .

(٣) ا ، ع : «لم يثن» .

(٤) ق ، ب : «عن اتفاقا» تحريف .

(٥) فى ديوان أبى نواس ١٧٣ عجز بيت صدره .

قالت لقد أبعد المسرى فقلت لها من عالج ....

وذكر صاحب الوساطة ٣١٥ أنه للعباس بن الأحنف وصدره :

يقرب الشوق دارًا وهى نازحة من عالج ....

وهو فى محاضرات الأدباء ٢/ ٣٥ كذلك أيضا ولم ينسب فى مواسم الأدب ٢٠٥ .

وما كنت زوَّراً ولكن ذا الهوى … إذَا لَمْ يزر لأبُدَّ أن سيزور[١]

ومثله قولهم :

« إنَّ المُحِبَّ إذَا لَمْ يُسْتَزَرْ زَارَا »[٢]

١٣– وَقَنِعْتُ بِاللُّقْيَا وَأَوَّلِ نَظْرَةٍ … إنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ

يقول : رضيت برؤيتهم ، بل بأوّل نظرةٍ وَلَمْ أُطلْ المُقَامَ للنظر ، لأن القليلَ من المحبِّ كثير فأنا محبٌّ لهم .

إن من قوله : « غاضت أنامله »[٣] إلى قوله : « ولطالما انهملت بماء أحمر »[٤] زيادة قالها ارتجالاً ، بعد أن قال القصيدة فألحقت فى هذا الموضع .

(٤٩)

وسأله بنو عم الميّت أن ينفى الشَّمَاتَة عنهم فقال ارتجالاً :

١ – أَلآلِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ … إلاَّ حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرُ

---

(١) نسب للأحوص فى زهر الآداب ٢/ ٥٧ ومختار الأغانى ٤/ ٥٢٩ وروايته .

وما كانت دوّارًا ولكن ذا الهوى … إذا لم يزر لابد أن سيرور

ونسب للأحوص أيضا فى الكوكب الثاقب مخطوط ٣٣٥ تاريخ تيمور وروايته :

ماكنت زوّارا ولكن ذا الهوى … إذا لم يزر يوما فسوف يزور

وفى هامش اكب : وماكنت زوارًا ولكنما الهوى … إذا لم يزر لا بد لى أن أزوره

ق ، ح : وماكنت زوارًا ولكن الهوى … إذا لم يزر لا بد أن يتزورا

ع : وماكنت تروارا ولكن ذا الهوى … إذ لم يزر لابد أن يتزورا »

(٢) فى خاص الخاص ١١٧ عجز بيت للعباس بن الأحنف صدره

تزوركم لانكافئكم بجوتكم … إن المحب إذا لم يستزر زارا

وروايته فى ق ، ب ، ح إن المحب إذ تزره زارا »

(٣) البيت رقم ١ من المقطوعة ٤٨ .

(٤) البيت رقم ٦ من المقطوعة ٤٨ .

الهمزة : للاستفهام ، ومعناه الجحد .

يقول : مَا لآل إبراهيم (وهم بنو عم الميّت) بعدْ موت هذا الرجل إلا الحنين الدّائم ، وهو الشّوْق إليه ، وكذلك الزّفير الدائِم والبكاء أسفاً عليه ، وإنما قال ذلك : لأن بعضهم قالوا[1] : إنهم شمتوا به ، فنفى عنهم ذلك .

٢ – مَا شَكَّ خَابِرُ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَنّ العَزَاءَ عَلَيْهِمُ مَحْظُورُ

يقول : مَا شَكَّ مَن اختَبَر أمْرهم وتأمّله ، من بعْدِ المتوفى – أن الصبر عليهم ممنوع حرام ؛ لما هم فيه من الغم والجزع والقلق والهلع[2] .

٣ – تُدْمِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وتَنْقَضِي سَاعَاتُ لَيْلِهُمُ وَهُنَّ دُهُورُ

فاعل تدمى : الدّموع ، ومفعوله : خدودهم ، والواو فى قوله «وهن» واو الحال .

يقول : إنّهم من كثرة ما جَرَتْ دموعُهم على خدودهم [٥٢ – ب] قرحت[3] خدودهم حتى صارت تُدمى ، وإنهم من كثرة سهرهم بالليل ، صارت ساعات اللّيل عندهم بمنزلة الدهور . وقيل : أراد ، إنهم يبكون الدم مكان الدمع[4] .

٤ – أَبْنَاءُ عَمٍّ كُلُّ ذَنْبٍ لامْرِئٍ إلاَّ السِّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورُ

يقول : هم أبناء عمٍّ واحد ، فكل ذنْب لديْهم مغفور ، إلا السّعاية بينهم ، فإن من حقّهم ألاّ يغفروها ، وأن يُعَاقِبوا مَنْ سعى بينهم بالعداوة .

٥ – طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وِدَادِهِمْ وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ

يقول : إنّ الوشاة تعرّضوا ليفسدوا ما بينهم من صفاء الودّ[5] ، كما أن الذّباب

---

(١) ق ، ب : « قال » مكان : « قالوا » . (٢) « والقلق والهلع » ساقطة من ا ، ع .

(٣) فى النسخ : « فرجت » (٤) « الدم » ساقطة من ق . (٥) ع : « الوداد » .

يطير عَلَى الطَّعام لإفساده ، ولم تؤثر وشايتهم فى ودادهم ، إلا قدر ما أثّر الذباب فى إفساد الطعام ، إذا طار عليه . وهذا إشارة إلى قلّة الوشاة وحقارتهم ، وقيل أراد بقوله : طار الوشاة ، أى ذهبوا وهلكوا[1] .

٦ – وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً   جُودِى بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْذِيرُ

أبو الحسين : أخ الميّت . وقيل : هو المرثى .

يقول : إنى منحته مودّة عظيمة ، ولوجدت بها لعدوّه لكان تبذيرًا وكنتُ مبذِّرًا مسرفاً ؛ وذلك لنقصان عدوّه فلا يستحق مودّتى ، أو لكثرة حقوقه وعظم مِنَنِه لدىّ ، لو أحببتُ غيره كحبه[2] ، لكنت واضعاً للمودة فى غير موضعها[3] .

٧ – مَلِكٌ تَكَوَّنَ[4] كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا   يَجْرِى بِفَضْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ

يقول : إنّه مَلِك تكوّن على مشيئته ، اختيارٌ كيف شاء ، حتى كأنّ المقادير تجرى على مُراده ، فلم يجر عليه شيئاً يكرهه .

(٥٠)

وقال أيضاً فى نَفْىِ الشَّماتة عنهم[5] :

١ – لِأَىِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ[6] نُعَاتِبُ ؟   وَأَىَّ رَزَايَاهُ بِوِتْرٍ نُطَالِبُ ؟

---

(١) ق : « ذهبوا أو هلكو » .

(٢) ع : « كحبى له » .

(٣) ق ، ب : « للمودة غير موضعها » .

(٤) فى الواحدى والتبيان : « ملك تصوّر » ورواية الشارح توافق رواية الديوان .

(٥) ع : « وقال أيضا » . والمذكور هو ما فى سائر النسخ والواحدى ١٢١ والديوان ٦٧ وفى التبيان ١/١٠٦ . « وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخى وينفى الشماتة عن بنى عمه » وفى العرف الطيب ٦٩ «وقال وقد سألوه زيادة فى نفى الشماتة .

(٦) فى جميع النسخ : « فيك » والتصويب عن الديوان والواحدى والتبيان .

اللاّم في «لأيّ»: يجوز أن تجعل زائده، لتقديم المفعول كقوله تعالى: (لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُون)[1] وإن كان لا يُقَال: عَبَرْت للرّؤيا، ويجوز أن تجعل: لام الغَرَض. فكأنه قال: لأيّ أفعال الدّهْرِ في هذا نعاتب الدهرَ.

يقول: من كثرة نوائِب الدهر لانَدْرى ما الذى نعاتب منها، لكثْرة الرّزايا فلا ندرى أيّها نطالب بالوتر[2] فيه، ويجوز أن يريد في «الدّهر»، ويجوز أن يريد فيه «موته» أو في هذا الفعل[3].

٢ - مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ وَقَدْ كَانَ يُعْطِي الصَّبْرَ والصَّبْرُ عَازِبُ

يقول: مضى بالموت من فقدنا صبْرنا بمصيبته، فقد كانت حياته لعظم صبره، يعطينا الصبّر إذا بعد عنا الصبر. والمعنى أنه كان يشجعنا[4] على الحرب ويعلّمنا الثّبات.

٣ - يَزُورُ الأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسِنَّتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ

يقول: إنه كان يزور الأعداء في سماءِ العجاجة، وكانت أسنّته في جانِبَيْ هذه السماء كواكب[5]. شبه الغبار المتراكم بالسماء، وأسنّة الممدوح التي تلمع من خلاَلِ ذلك الغبار، بالكواكب اللامعة[6] من السماء ومثله للآخر:

نَسَجت حَوَافِرُهَا سماءً فَوْقَها جَعَلَتْ أَسِنَّتَنَا نُجُومَ سَمَائِها[7]

(١) سورة يوسف ١٢/ ٤٣.

(٢) الوتر والتِّرة: العداوة.

(٣) عبارة ع: «ويجوز أن يريد في الدهر. ويجوز أن يريد في موته أو في هذا الفعل».

(٤) ق، ب: «شجيعًا».

(٥) ق، ب: «وكانت أسنته في جانبي هذه العجاجة والسماء كواكب».

(٦) ع: «والتي تلمع».

(٧) غير منسوب في الوساطة ٣١٣ وروايته «نسجت حوافرها سماء فوقنا» والتبيان ١/ ١٠٧ ومعاهد التنصيص ٢/ ٢١ وشرح البرقوقي ١/ ١٢٣.

٤ - فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيوفُ كأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ

فتُسفر : فعْل العجاجة ، وعنه : أى عن المرثى . والواو فى قوله : «والسيوف» للحال . والمضارب : جمع المضرب ، وهو حدّ السيف . والضرائب : جمع الضّريبة وهو الشىء المضْروب بالسيف .

يقول : كانت تنجلى هذه العجاجة عن هذا المرثى ، ومضارب السيوف كلها منكسرة ؛ من كثرة ما قتل بها الأعداء ، فكأنها لانْفِلاَلها مواضع الضرب .

٥ - طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالْغُمُودُ مَشَارِقٌ لَهُنَّ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ

طلعْن : فعل السيوف . وشموساً : نصب على التمييز . شبَّهَهَا بالسيوف لمّا انتضيَتْ من أغمادها .

يقول : مطالع هذه الشموس ، الأغماد لظهورها منها ، ومغاربها ، هاماتِ الرِّجال ؛ لأنها تغيَّبَتْ فيها فهنّ يطلعْن من مطالعها ، وهى الأغماد ، ويغربْن فى مغاربها ، وهى الهامات .

٦ - مَصَائِبُ شَتَّى جُمِّعَتْ فِى مُصِيبَةٍ
وَلَمْ يَكْفِهَا حَتَّى قَفَتْهَا مَصَائِبُ

يقول : ليست هذه مصيبةً واحدةً ، بل هى مصائِب متفرّقة ، جُمِعت فى مصيبةٍ واحدة ؛ لأنه كان يموّت خلقاً كثيراً ، فماتوا بموته ، ولم يكفها ذلك حتى تبعتْها مصائِب أخر ، وهى أقوال العداة : إنّا شامتون بموته[1] ، فإن هذه مصيبة انضمت إليها[2] .

٧ - رَثَى ابْنَ أَبِينَا غَيْرُ ذِى رَحِمٍ لَهُ
فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الأَقَارِبُ

(١) ق ، ب : «شامتون به» .

(٢) ع : «انضمت إليها» مكانها : «انضمت إلى هذه المصيبة» ثم زاد ونظيره :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

ولعلها زياده أدخلت فى النص ويرشح ذلك انفراد ع بهذه الزيادة .

رَثَى : أى رَحِم ، ورق . وغيرُ : فاعله ، ومفعوله : ابنَ أبينا .

يقول : رثى هذا الميت ، الذى هو ابن أبينا ، مَنْ هو غير ذِى رحم لنا ، بل هو بعيد عنْه وعنّا[1] ، وباعدنا هذا الرّاثى عن هذا المرْثى ، ونحن أقاربه وبنو عمه .

٨ - وَعَرَّضَ أَنَّا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلاَّ فَزَارَتْ عَارِضَيْهِ الْقَوَاضِبُ

العارضان : جانبا اللّحية : وهما العِذَارَان .

يقول : عرّض الراثى[2] أنّا شامتون بموته ، إلا أنه كذب ، وزارت السيوف عارضيْه .

٩ - أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ بَيْنَ بَنِى أَبٍ لِنَجْلِ يَهُودِىٍّ تَدِبّ الْعَقَارِبُ؟!

تدبّ العقارب : كناية عن النميمة .

يقول : أليس من العجائب أنْ تدب عقارب وَلَدِ يَهُودىّ ، بيْن بنى أبٍ ! ووصفه بأنّه ابن يهودىّ لذلّته وحقارته . وقيل : أراد بأنَّ اليهود اشتهر عنهم مكاتمة عداوة المسلمين ، والمشى بينهم بالسّعايات .

١٠ - أَلاَ إِنَّمَا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلاً عَلَى أَنْ لَيْسَ للهِ غَالِبُ

يقول : كانت وفاة محمد ، المرْثىّ فى عزّته ومنعته ومجده ، دليلاً على أن الله تعالى لا يغلبه أحد . ومثله لأبى تمام :

كَفَى فَقَتْلُ محمَّدٍ لِىَ شَاهِدٌ[3] أَنَّ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلُ

---

(١) ع : « وبل أجنبى عنه وعنا » .

(٢) ا ، ب ، ق : « عرض المرثى » .

(٣) ع : « كفى بقتل محمد لى شاهدا » وهى كذلك فى التبيان ١/ ١٠٩ . ديوانه ٤/ ١٠١ والوساطة ٢١٩ وروايته : « كفى فقتل محمد لك شاهد » والتبيان ١/ ١٠٩

(٥١)

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي[١] [٥٣ - ب]

١ - هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى الْحَزَائِقُ
وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ

هو : إضمار للبين ، ولم يجر له ذكر ، وذلك لتعظيم الأمر[٢] ومثله قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)[٣] وتأنّى أى تثبّت ، وأصله : تَتَأَنَّى . والحَزَائق : جمع الحزنقة[٤] وهى الجماعة .

يقول : هو البين المتناهى الذى كنا نحاذره ، حتى أن الجماعات لا تقف وتثبت ، وحتى أنت ياقلبى مِنْ وجد مِمّن أفارقه فى أحبابى . يعنى : أن البين بلغ حدًّا إذ ارتحل القلب فارتحل مع ما ارتحل .

٢ - وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وُقُوفُنَا فَرِيقَىْ هَوًى مِنَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ

وقوفنا[٥] : فاعل زاد . وقوله : فريقىْ هوًى : نصب على الحال من النون

(١) سعى التنوخيون لدى ابن طغج فى إطلاق المتنبى من سجنه فخرج من السجن ولحق بهم فى اللاذقية وأقام عندهم وفى جوارهم ، وكانت صلته وثيقة بأبناء إسحاق التنوخى (محمد والحسين) فلما مات محمد رثاه وقد تقدم رثاؤه انظر رقم ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ وأخلص بعد موت محمد الوفاء والمودة لأخيه الحسين ابن إسحاق. انظر المتنبى ١ / ١١٨ مع المتنبى للدكتور طه حسين ٨٣ : ع « وقال أيضا » والمذكور هو كما فى سائر النسخ والواحدى ١٢٢ والتبيان ٢ / ٣٤١ والديوان ٦٨ . والعرف الطيب ٧٠ « وقال يمدح أخاه الحسين بن إسحاق التنوخى » .

(٢) النحويون يسمون هذا (الإضمار على شريطة التفسير) راجع الواحدى والتبيان .

(٣) سورة الإخلاص ١١٢ .

(٤) رواية الواحدى والتبيان فى البيت « حتى ما تأنّى الحزائق » ويفسران : الحزائق : جمع حزيقة وهى الجماعة وهى كذلك فى اللسان .

(٥) يسبق هذا فى ا . ع هذه العبارة : « البيت إظهار الحزن » . ولعلها زيادة معلق . وقد جاء فى ب و ق : « وقفنا » فاعل زاد تحريف .

والألف فى قوله «وقوفنا»[(١)] . يقال : شاقنى الشىء ، والمشوق : هو العاشق الذى شاقه غيره ، والشائِق : هو المعشوق ؛ لأنه الحامل على الاشتياق فهو شائق ، وأنا مشوق .

يقول : وقفت أنا والحبيب للتوديع ومن جملة ما عمنا أنّا وقفنا فى حالٍ ما كنّا عليه ، ونحن فرقتان : أحدهما محبّ مشوق والآخر محبوب يشوق صاحبه ، بعد فراقه .

٣ - وَقَدْ صَارَتِ الأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكَا
وَصَارَ بَهَارًا فِى الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ

البَهَار : جمع بهارة ، وهى شىء أصفر ، من الرّياحين[(٢)]. والشقائِق : هى التى تدعى شقايق النعمان[(٣)] ، وهى حمر . وروى : «قَرْحًا» منونا[(٤)] على الاسم ، وقَرْحَى غير منوّنةٍ ، صفة الأجفان ، والمعنى واحد .

يقول : قد صارت الأجفان قريحة من البكاء غداة التّوديع لخوف الفراق ، «وصار بَهَارًا أصْفَرَ فى الخدود الشقائِق» ، ومثله لابن المعتز[(٥)] قوله :

---

(١) ا ، ع أورت هذه العبارة : «من النون والألف فى قوله وقوفنا» بعد : «شاقنى الشىء» والتصويب من الواحدى والتبيان .

(٢) نبت طيب الرائحة يقال له : «العرار» أيضا له فقاحة صفراء تبت أيام الربيع . انظر معجم أسماء النبات ٢٥ .

(٣) زهر أحمر . قال الجوهرى : «وإنما أضيف إلى النعمان بن المنذر لأنه حمى أرضًا كثر فيها ذلك» .

(٤) ق . ب : «فرحا منويا» تحريف . «وقرحًا منونا» رواية ابن جنى عن المتنبى على أنها جمع قرحة الواحدى .

(٥) هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد . خليفة يوم وليلة . ولد فى بغداد وأولع بالأدب . فكان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم . ولد سنة ٢٤٩ . وقتل سنة ٢٩٦ ترجمته فى أغانى الدار ١٠/ ٣٧٤ وابن خلكان ١/ ٢٥٨ وتاريخ بغداد ١٠/ ٩٥ والنجوم الزاهرة ٣/ ١٦٤ وشذرات الذهب ٢/ ٢٢١ ومعاهد التنصيص ١/ ١٤٦ .

لَمْ تُشْنِ شَيْئًا ولكِنَّهَا بَدَّلَتْ التُّفَاحَ بالْيَاسِمِينِ[١]

٤ - عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ : اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ
وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ ، وَقَالٍ وَوَامِقُ

وروى : « مَضَى الدهر » أىْ على هذا . وذلك ، إشارة إلى ما تقدم ثم فسره فقال : اجتماعٌ وفرقةٌ . يعنى : أن الناس يجتمعون تارةً ويتفرّقون أخرى ، وواحدٌ يموت وآخر يولد وواحدٌ مُبْغِض وآخر عاشق[٢] . وقيل : أن معناه أن بنى آدم[٣] على اجتماع بعد فرقة ، وميت بعد مولود ، ومبغض بعد عاشق[٤] ، ومثله للأعشى[٥] .

شَبَابٌ وَشِيبٌ ، وافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ فلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كيف تردّدَا[٦]

٥ - تَغَيَّرَ حَالِى وَاللَّيَالِى بِحَالِهَا وَشِبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَانِقُ

تَغَيَّرَ : فعل ماض . وروى : تَغَيَّرُ[٧] : وهو فعل مضارع ، وأصله تَتَغَيَّر ، لأن الحال مؤنث فحذف أحد التاءين . والأوّل أَوْلى . والغُرَانق : هو الشّاب الناعم[٨] ، وجمعه : غَرَانِيق .

---

(١) لم أعثر عليه فى ديوانه .

(٢) ع عبارتها : « وآخر يموت وآخر يولد . وآخر مبغض وآخر عاشق » .

(٣) ا ، ع ، خ : « بنى الدنيا » .

(٤) ع : « وامق » مكان : « عاشق » .

(٥) إذا أطلق فالمعنى به هو : ميمون بن قيس بن سلاء وكان يكنى أبا بصير . أحد الأعلاء من شعراء الجاهلية وفحولها وعاصر النبى ﷺ ولم يسلم . ترجمته فى الشعر والشعراء ٢/ ٢ والأغانى ٨/ ٨٦ ومعاهد التنصيص ١/ ١٩٦ ولباب الآداب ٣٤٠ .

(٦) ديوانه ١٣٥ قصيدة ١٧ والواحدى ١٢٣ .

(٧) ق ، ب : « بالعين » بدل : « تغير » . تصحيف

(٨) الغرانيق : أصله نبات لين . شبه الناعم به لنضارته .

يقول : إن الليالى قد أثّرت فىّ وغيّرتنى ، وهى بحالها ، وشِبْتُ أنا والزمان لا يتغيّر[١] عن حاله وجِدّته .

٦ – سَلِ الْبِيدَ : أَيْنَ الجِنُّ مِنَّا بِجَوْزِهَا ؟
وَعَنْ ذِى الْمَهَارِى : أَيْنَ مِنْهَا النَّقَانِقُ ؟

البِيد : جمع البيداء ، والهاء فى «بجَوْزها» : أى بوَاسطها . والْمَهَارِى : جمع المَهْرِية . وهى الإبل المنسوبة [٥٤ – ا] إلى مَهَرة بن حَيْدان[٢] ، وهى قبيلة . والنقانق : جمع النِّقْنَق ، وهو ذكر النعام .

يقول : سل المفاوز : هل الجن تقطع وسطها كما نقطعها نحن[٣] ! وسلْها : أيضاً عن حال إبلنا فى سرعة سيرْها ، هل تقطها النّعام كما تقطها إبلُنا ؟ لأنّ النّعام موصوفة بسرعة السّير .

٧ – وَلَيْلٍ دَجُوجِىٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا مُحَيَّاكَ فِيهِ فاهْتَدَيْنَا السَّمَالِقُ

السّمالق : جمع السَّمْلَق ، وهى الأرض البعيدة الأطراف ، وفاعل جلت : السمالق ، وجلت[٤] : أى أظهرت .

يقول : وكم ليْلة مظلمة ؟ كأنما أظهرت لنا المفاوز وجهَك المضىء حتى اهتدينا بضوئه .

٨ – فَمَا زَالَ لَوْلاَ نُورُ وَجْهِكَ جُنْحُهُ
وَلاَ جَابَهَا الرَّكْبَانُ لَوْلاَ الأَيَانِقُ

---

(١) ا . ع : «والزمان شاب لا يتغير» إلخ .

(٢) فى ب ، ع : «خندان» والصواب ما ذكرناه وهم بنو مَهَرة بن حيدان من قضاعة قبيلة من اليمن بين حضرموت وعمان . التبيان والواحدى ويقال مهارى بفتح الراء ومهار بكسرها .

(٣) ق ، ب : «الجن» بدل «نحن» تحريف .

(٤) ا ، ع : «وجلت لنا محياك فيها فاهتدينا» .

جُنْحُه : جوانبه ، وهو فاعل زال ، والهاء فى جابها : للسَّمالق أو للبيد . والأيانق[١] : جمع الأَيْنق : وهو جمع الناقة[٢] .

يقول : لولا نور وجهك ما زَالَ ظلامُ اللّيل[٣] ، ولولا النُّوق ؛ لما قطع الركبان تلك السمالق ؛ لبعْدها وصعوبتها .

٩ - وَهَزٌّ أَطَارَ النَّوْمَ حَتَّى كَأَنَّنِى
مِنَ السُّكْرِ فِى الْغَرَزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ

الهزّ : تَحْريك الإبل ركبانَها فى السّير . وهو عطف على الأيانق ، وقيل : عطف على قوله : «وليل دجوجىّ» فكأنه قال : ورُب هزٍّ[٤] والأوّل أوْلى.

والمعنى لولا الأيانق ولولا هزّها الذى طيّر النومَ عنِّى ، لما قطعْنا هذه المفاوز ، حتّى كأننى من السُّكْر : أى من النعاس فى الغَرَزَيْن : وهما ؛ ركَابان للبعير من الخشب . وثوبُ شارق : أى مقطّع محرّق . تعباً وضعفاً واسترخاءً[٥] .

١٠ - شَدَوْا بِابْنِ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ
ذَفَارِيها كِيرَانُهَا وَالنَّمَارِقُ

شَدَوْا : أى غنوا وأحْدُوا . والذِّفْرَى : العظم الناشزُ خلْف الأذن . وقيل : الذِّفْرَى مِنَ الْقَفَا[٦] هو الموضع الذى يَعْرَقُ من البعير . وتقديره شَدَوْا بالمَمْدوح ، ابن إسحاق ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه .

يقول : حَدَى[٧] الحداةُ باسم الممدوح ، بصوتٍ كالغناء فسمعَتْ الإبلُ

---

(١) الأيانق : جمع ناقة . التبيان .
(٢) ق ، ب : «وهو الناقة» .
(٣) ع : «مازال ظلام هذا الليل» .
(٤) ق ، ب : «ويهتز» تحريف .
(٥) يعنى تحريك الإبل ركبانها فى سرعة سيرها يمنع النوم حتى يصير الإنسان من غلبة النوم كالثوب الخلق تعبًا وضعفًا واسترخاء . انظر الواحدى .
(٦) ق : «القفا» ساقطة .
(٧) فى النسخ : «حدوا الحداة» .

حدْوهم[١] فعرفتْ ، ورفعت رُءُوسَها ، حتى أدركت ذفاريها الرحالَ[٢] والوسائِلَ .

١١- بِمَنْ تَقْشَعِرُّ الأَرْضُ خَوْفًا إذَا مَشَى
عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الجِبَالُ الشَّوَاهِقُ

تقشعرّ : أى تضطرب ، وكذا ، ترتجّ الجبال : يعنى حَدوْا[٣] بمن إذا مشَى على الأرضِ اضطربت خوفاً[٤] ، وإذا عَلاَ الجبالَ الشاهِقَةَ اضطربت هَيْبَةً مِنْه[٥] .

١٢- فَتًى كَالسَّحَابِ الْجَوْنِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى
يُرَجَّى الْحَيَا مِنْهَا ويَخْشَى[٦] الصَّوَاعِقُ

الجَون : الأسود . الحيا : المطر .

يقول : إن هذا الرّجل هو كالسّحاب الأسْود الّذى فيه المطر ، فهو ترجّى منه الأمطار ، ويخشى منه الصّواعق . أى أنه مرجوّ مخوف[٧] .

١٣- وَلكِنَّهَا تَمْضِي وَهَذَا مُخَيِّمٌ وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرَ صَادِقُ

[٥٤ - ب] يقول : إن السحاب[٨] قد تغيب . وهذا مقيمٌ أبداً . وقد

---

(١) ا : « حديهم » . ع : « حداهم » .

(٢) ق ، ب : « الرجال » تحريف . لأن كيرانها : جمع كور وهو الرحل بالمهملة . والنمارق : جمع نمرقة وقيل نمرق وهى الوسادة تكون تحت الراكب وغيره .

(٣) ق ، ب : « حدوا » ساقطة .

(٤) ا . ع : « اقشعرت منه » بدل : « اضطربت خوفا » .

(٥) عبارة ا . ع : « وإذا علا جبلا اضطرب من تحته هيبة منه »

(٦) ع . ا : « منه ويخشى » .

(٧) زادت ا ، ع بعد ذلك : « وروى كالسحاب الجون وهو جمع جون والسحاب جمع سحابة ولذلك قال منه وتخشى وترجى » .

(٨) ق ، ب : « أى إنها » مكان : « يقول إن السحاب » .

تكذب السحاب فلا تُمْطر وهذا صادق الدَّهْرَ فلا يَخيب رَاجيه .

١٤- تَخَلَّى عَنِ[1] الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ
مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالْمَشَارِقُ

يقول : اعتزل عن الدّنيا استحقاراً لها ، وتعفَّفَ فما ازْدَادَ إلا جلالة وعظماً[2] فلم يَخْلُ من ذكرِهِ المشرِق والمغْرِب[3] .

١٥- غَدَا الْهُنْدُوَانِيَّاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ الْمَخَانِقُ

المدارى جمع : المدارى والمدارة[4] وهى شىء يفرق به الشَّعر ، وهو المُشْط[5] وقد يكون من الذهب ، والفضّة والحديد والعاج والخشب .

يقول غَدَا السُّيوفَ الهنديّة بالهام والأعناق . فبعضها مدارى يعملها فى الهام ، وبعضها مخانق للزومها فى الأعناق وقطعها إياها .

١٦- تُشَقَّقُ مِنْهُنَّ الْجُيُوبَ إِذَا غَزَا وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللِّحَى وَالْمَفَارِقُ

يقول : تُشَقَّقُ مِنْ هَذِهِ السيوف الجيوبَ . إذا غَزَا الممدوح أعداءه ، وتخضَب منها مفارق الرأس واللحى . إذا ضرب أعداءه بها .

١٧- يُجَنَّبُهَا مَنْ حَتْفُهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقُ

التأنيث : للسيوف . والتذكير : لمَنْ .

يقول يُجنب هذه السيوف مَنْ غفل هلاكُهُ عنه . ويصْلَى بها من صارت نفسه طالِقَةً منه .

(١) فى الواحدى والتبيان والديوان والعرف الطيب «من» بدل : «عن» .

(٢) ب . ق «عظما» ساقطه .

(٣) عبارة ع : «استحقارًا منه إياها ويعفها فما زاد .. المشارق ولا المغرب» .

(٤) فى ع . «المدرى والمدارة» وفى سائر النسخ . «المدارة» فقط .

(٥) ا . ع : «وهو المشط» ساقطة .

١٨- يُحَاجَى بِه : مَا نَاطِقٌ وَهْوَ سَاكِتٌ ؟
يُرَى سَاكِتًا والسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ

يُحَاجَى : أى يغالط ، والأحجية : المعمّاة .

معناه : يحاجَى بهذا الرجل فيقال : ما نَاطِقٌ سَاكِتٌ ؟ فجواب المجيب : هذا الرّجل ؛ لأنه يُرَى ساكتًا إذا أمسك عن الكلام . وفى الحرب ، السيف ينطق[1] عنه بقتل أعدائه ، فيقوم فعل السيف مقام لفظه .

١٩ - نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِى
وَلَا عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا اللَّهُ خَالِقُ

يقول : إنّما نكرْتك لما رأيتُ محاسنًا خارجة عن المعتاد ، حتى تعجّبتُ منك ، ثمّ عاودت نفسى فقلت[2] : ولا عجب من صنع الله تعالى . ويجوز أن يريد : إنى لمّا سمعت بوصفك نكرتك فلمّا عاينتك رأيت مصداق ما سمعت فَزالَ التعجّب عنّى[3] .

٢٠ -كَأَنَّكَ فِى الْإِعْطاء لِلْمَالِ مُبْغِضٌ
وَفِى كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ

يقول : كأنّك مبغضٌ مَالَكَ ؛ لكثرة تفريقه للناس ، وكأنّك عاشقٌ للموت فى كل حرب ، لملازمتك دواعيها وأسبابها .

٢١- أَلَا قَلَّمَا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَا لَهَا وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ

يَبْقَى : فعل الْقَنا ، والسوابق . والهاء فى « بها » و « لها » : ترجع إليها أيضا . وتقديره أَلَا قَلّ ما تَبْقَىَ القنا والسوابق على ما بَدَا لَهَا ، وحلّ بها من جهتك . من

---

(١) عبارة ع : « إذا أمسك عن الكلام فى الحرب والسيف ينطق » .

(٢) ع : « محالسنا » بدل : « محاسنا » و « لما » بدل « ثم » « وقلت » بدل « فقلت » .

(٣) ع : « فراد التعجب » .

مدافعة[١] الطعن بالقنا ، وإجراء الخيل السوابق .

وقيل : إن قوله : « تبقَى » ترجع إلى « الحرب » يقول : ما تبقى الحرب على ما بدا لها منك ؛ [١٥٥ – ا] لأنك إذا حضرتَها هزمت الأعداء[٢] فلا تبقى حرب . وقوله : وحل بها ... إلى آخره : حال . أى فى تلك الحال .

٢٢ –خَفِ اللّهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالِ بِبُرْقُعٍ
فَإِنْ لُحْتَ ذَابَتْ فى الخُدُورِ الْعَوَاتِقُ

العواتق : جمع العاتق ، وهى المرأة الحسناء .

يقول : اتّق الله واستر جمالك ببرقع ، فإنك إن ظهرت لذوات الخدور من النساء ، الجوارى الأبكار ، ذبن وجْدًا بك ، وشوقًا إليك . وروى « حَاضَتْ » فى موضع « ذابت » أى إذا رأينك حِضْن[٣] ؛ لأنه يقال : إن الشّهوة إذا غلبت على النساء حِضْن . ويجوز أن يريد بذلك : أن الحسان من النساء بالإضافة إلى جمالك ، بمنزلة من حاضت ، فى باب سقوط درجتها عن صواحبها .

٢٣–سَيُحْيِى بِكَ السُّمَّارُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ
وَيَحْدُو بِكَ السُّفَّارُ مَا ذَرَّ شَارِقٌ[٤]

حذف مفعول سَيُحيى وهو اللّيل لدلالة الكلام عليه ، وكذلك يَحدُو بك السُّفّار : وهى الإبل .

يقول : إن المحدِّثين بالليل يحيون الليالى بذكرك وحديثك ، والمسافرون يحدون[٥] إبلهم بك ما طلع نجم وما طلعت الشمس ، والأوْلى أنهم يسمرون

(١) ق ، ب : « موافقة » بدل « مدافعة » .

(٢) ع : « أعداءك » .

(٣) ع عبارتها : « أى إنهن يحضن إذا رأينك » .

(٤) هذا البيت وشرحه فى التبيان فقط مؤخر عن الذى يليه

(٥) ق : « يحدون » ساقطة.

ويحدون بشعرى الإبل فيك[١] .

٢٤- فَمَا تَرْزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ
وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ

٢٥- وَلَا تَفْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقٌ
وَلَا تَرْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ

يقول : إن الأقدار موافقةٌ لك ، فترْزُق مَنْ ترزُق ، وتَحْرِمُ مَنْ تحرمه أنت ، ولا تنقض الأيام ما تُبْرِمه أنت ، ولا تبرم ما نقضته أنت .

٢٦- لَكَ الْخَيْرُ . غَيْرِى رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى
وَغَيْرِى بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ

يقول : دام لك الخير ، وهذا دعاء له ، ثم عاد إلى ذكر نفسه وقال : غيرى من النّاس طلب الغنى من غيرك ، والتحق بغير بلدتك ، فأما أنا فلا أفضّل سواك عَلَيْك[٢] .

٢٧- هِىَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيَتك الْمُنَى
وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وأَنْتَ الْخَلَائِقُ

يقول : إن اللّاذقية هى الغرض الأ بعد الذى لا غاية بعده ، ومنيَى رؤيتك ، والدنيا كلها منزلك ، وإن كان مسكنك اللاذقية ، وأنت جميع الخلق ، بما فيك من فضائِل الناس كلِّهم ، وهذا كقوله أيضا :

إِلَّا رَأَيْتَ الْعِبَادَ فى رَجُل[٣]

---

(١) عبارة ع : « والأولى أن يريد أنهم يسمرون ويحدون » إلخ .

(٢) ع : « عليك » ساقطة .

(٣) هذا عجز بيت للمتنبى صدره :

هــديــة مــارأيت مــهــديها إلا رأيت ....

(٥٢)

وَهُجِيَ الْحُسَيْنُ بن إسحاق على لسان أبي الطيب ، فكتب إليه يعاتبه[١]
[فأجابه]

١ – أتنكِرُ يَا ابْنَ إسحاق إخَائِي ... وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ إنَائي

يقول معاتباً له أتنكر ؟ ! : أى تجحد مُؤاخاتى لك ، بعد ما عرفتَها منى ، وتحسب ماء غيرى من إنائى ، وهو مثَل يعنى : تحسب ماهجيتَ به من شعر غيرى أنه من شعرى فلا تميِّز بين شعرى وشعر غيرى[٢] ؟!

٢ – أأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عِلْمِي ... بِأَنَّكَ خَيْرُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ

الهُجر : الكلام القبيح . [٥٥ – ب]

يقول : أقول فيك فحشًا ، بعد ما علمتُ أنَّك خير من فى الأرض وتحت السماء ، وروى : أأنطق فيك هجوًا .

٣ – وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا ... وَأَمْضَى فِي الأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ

وأكره : عطف على قوله : «خير من تحت السماء» .

يقول : أقول فيك فحشًا بعد علمى بأنّك أكره من حد السيف طعمًا وأمضى من القضاء فى الأمور ! !

---

(١) ع : « وقال أيضا » . فى الواحدى ١٢٧ « وبلغ محمد ابن إسحاق أن أبا الطيب هجاه ، وإنما هجى على لسانه فعاتبه محمد بن إسحاق فقال » :

« ولعله يريد الحسين بن إسحاق فإنه لم يمدح محمد بن إسحاق ولكن رثاه . وفى القصيدة التى معنا يصرح باسم الحسين . وفى التبيان ١/ ٩ : « وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخى وكان قوم قد هجوه ونحلوا الهجاء أبا الطيب ، فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه وكذا فى العرف الطيب ٧٣ » . وفى الديوان ٧ « وهجى على لسانه فكتب إليه يعاتبه فأجابه أبو الطيب » .

(٢) عبارة ع « وهو مثل منه تحسب شعر غيرى مما هجيت به أنه من شعرى » .

٤ - وَمَا أَرْبَتْ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِّى فَكَيْفَ مَلِلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ؟!

يقول : مازاد سنِّى على عشرين سنة ، فكيف مللْتُ من طول حياتى حتى أهجوك فتقتلنى ؛ لأنى إذا هجوتك لاَ آمنُ على نفسى من الهلاك .

٥ - وَمَا اسْتَغْرَقْتُ وَصْفَكَ فِى مَدِيحِى فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهِجَاءِ

يقول : لم استوفِ مدحى فيك بعد . وما أدركت الغاية فكيف أنقص منه شيئاً بالهجاء[1] ؟

٦ - وَهَبْنِى قُلْتُ : هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ
أَيَعْمَى الْعَالِمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ !

معناه : هب أنى قلت : إنّ هذا النهارَ ليلٌ ! أيعمى العالمون عن ضياءِ هذا النهار ؟ !

وهذا مَثَلٌ ضربَه فى أنه هجاه . وذكره مغايرة ليتقبله الناس بمشاهدتهم فضله . وقالوا : إنه كالنهار الذى لا يُخْفَى ضوءُ الشمس فيه . ولقالوا[2] : إنى عابثٌ فى ذلك .

٧ - تُطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرْءٌ جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمُ فِدَائِى

اصله : أتطيع . فحذف ألف الاستفهام . وقوله : جعلت فداءهُ . أخرجه مخرج الدّعاء . « وهم » : يحتمل أن يكون عطفاً على التاء من جعلت . الذى هو ضمير المرفوع . فيكون قد عطفه على ضمير المرفوع المتّصل من غير توكيد بالمنفصل . وكان حقه أن يقول : جعلتُ أنا فداءه وهم فدائى . غير أن هاهنا حسن ذلك لوقوع فداءه بين المعطوف والمعطوف عليه . ويحتمل أن يكون : « وهم فدائى » جملة منفصلة عن الجملة الأولى ، فيكون « هم » مبتدأ وفداء خبره فتكون الواو عطفت جملة على جملة . أو يكون للحال .

---

(١) عبارة ع : فكيف أنقص بالهجاء منه شيئا . (٢) ع : وقالوا مكان ولقالوا .

المعنى : أتطيع الحاسدين الذين كَذَبوا عليّ . وتسمع كلامهم فيّ ؟ وأنت الرّجل ! جعلت أنا فداءه والحساد[١] فدائى . يعنى : جعلت فداءه لأفضاله علىّ . فهم فدائى لفضْلى عليهم .

ويجوز أن يُتم الكلام عند قوله : «وأنت مرء» يعنى أنت رجل مستحق أن توصف[٢] بالرجولية فلا ينبغى أن تسمع كلام الحاسدين فىّ[٣] ، ثم ابتدأ بالدعاء له وعلى الحاسدين . ويجوز أن يكون بعضه متصلاً ببعض .

٨ – وَهَاجِى نَفْسهُ مَنْ لَمْ يُميِّز كَلاَمِى مِنْ كَلاَمِهِمُ الْهُرَاءِ

يعنى : إنما الهاجى نفسه ، من لم يميّز كلامى – من جزالتِه وحسن موقعه – من كلام حُسَّادى ، الفاسد الساقط ، الذى لا معنى له . لأن تركه[٤] الفرق بين كلامى ، وكلامهم ، ينبّئ عن[٥٦–ا] الجهل . والجهل[٥] ذمّ مذموم . فكأنه هجا نفسه[٦] .

٩ – وإنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِى فَتَعْدِلَ بِى أَقَلَّ مِنَ الْهبَاءِ

يقول : إن من العجائِب أن ترانى ، وتعرف فضلى وعقلى . ثم تَجْعَلنى عَدِيلاً إلى[٧] من هو أقل من الهبَاء[٨] . يعنى : أنه لاوزن له ولا خطر .

١٠ – وَتُنْكِرُ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْت أَوْلاَدِ الزِّنَاءِ

---

(١) «والحسدة» فى ع .

(٢) ع : «بأن توصف» .

(٣) ق ، ب : «عنى» .

(٤) عن ع : «تركه» .

(٥) ق ، ب : «الجهل والجاهل» .

(٦) ع . «هجا به نفسه» .

(٧) ع : «ثم تعدل بى : تجعله عديلا لى» .

(٨) الهباء : شيء يلوح مثل الذر فى شعاع الشمس . التبيان . وقال ابن جنى : الهباء : الغبار . الفسر ١/ ٦٦ .

يقول : أتنكر موت حُسَادِى إذا رَأَوْنِى ؟ ! وأنا سهيل اليمانى الذى بطلوعى تموت أولاد الزناء .

وذلك أن العرب تزعم أن مانتج من أمْهَارِ الخيل ، إذا ضرب الفحلُ أمَّه من دون إذن صاحبه فإنه[1] يموت إذا طلع سهيل ، فكذلك تموت الحسّاد بسببى .

(٥٣)

وقال يمدحه[2] (أى الحسين بن إسحاق التنوخى) :

١ – مَلاَمُ النَّوَى فِى ظلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ
لَعلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِى بِى مِنَ السُّقْمِ[3]

الهاء فى « ظلمها » للنوى لأنها مؤنثة ، ويجوز أن يكون للمرأة وإن لم يجر لها ذكر[4] وفى بها : للنوى خاصّة .

يقول : لَومى البعد بتبْعيد هذه المرأة عنى ، واختصاصه بها غاية الظلم له ، فلعل بهِ من السّقم والعشْق مثل ما بى فتعشّق هذه المرأة الذى ذهب بها ، كما أعشقها أنا . وبيّن ذلك بقوله[5] :

٢ – فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّى لِقَاءكُم
وَلَوْ لَمْ تُرِدْكم لَمْ تَكُنْ فِيكُمُ خَصْمِى

(١) ب ، ق : « بأن » بدل « فإنه » .

(٢) ع : « وقال أيضا » . واحدى ١٢٨ : « وقال أيضا يمدح الحسين بن إسحاق التنوخى » . التبيان ٤/٤٧ : « وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخى » . الديوان ٧١ : « وقال يمدحه » العرف الطيب ٧٤ : « وقال أيضا يمدحه » .

(٣) « لعل الذى به مثل ما بى من السقم » عبارة ع .

(٤) ق ، ب ، ا : « وإن لم يجر لها ذكر » مهملة .

(٥) ع : « فيما يليه » .

يقول : لوْ لَمْ ، تَغرِ النَّوى عليَّ لم تقتض عليَّ رؤيتكم ، ولو لم تكن مريدةً لكم ؛ لم تكن النّوى خِصْمًا لِي بسببكم .

٣ – أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظَّبْيَةُ الَّتِى بِغَيْرِ وَلِىٍّ كَانَ نائِلُهَا الْوَسْمِى ؟

الوسمىّ : أول المطر ، والولىّ : الذى يليه .

يقول : أتُنْعِم علىَّ هذه المحبوبة التى كالظَّبْيَة بالعوْدة الثانية إلى الوصال ، التى كان إعطاؤها مرة واحدة لاثانى لها ؟ فكان وصلها كالوسمىّ الذى لا يتْبعها الولىّ . فجعل الوسمىَّ مثلا للأول[1] ، والولىَّ مثَلا للعودة .

٤ – تَرَشَّفتُ فَاهَا سُحْرَةً فكَأَنَّنِى تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْم

إنما خص السّحرة ، لأنَّهُ وقْتَ تغيّر الأفواه ونكهاتِها ، والظَّلْم : ماء الأسنان ، وبريقها .

يقول : مصصْتُ فاها وقت السّحر ، فكأنى مصصت حَرَّ الوجد من أسنان بوارد[2] . يعنى : لمّا استعذبْتُ ازْدَدْتُ عشقاً ، فازْدَادَ بذلك وجْدى ، وحصل حرّ الوجد فى قلبى ، والبرودة فى فمى ، كما قال فى موضع آخر وهو :

بِفِيَّ بُرُودٌ وَهْوَ فِي كَبِدِى جَمْرٌ[3] !

٥ – فَتَاةٌ تَسَاوَى عِقْدُهَا وَكَلاَمُهَا وَمَبْسِمُهَا الدُّرِّىُّ فِى الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ

يقول : تشابهت منها ثلاثة أشياء وهى : عقدها المنتظم من الدرّ ، وكلامها الشّبيه بالدّر ، وثغرها الذى تبسمت عنه كالدّر[4] فهى مشابهته فى حسنها ونظامها

(١) ق ، ب ، ا : « فجعل الوسمى مثل للأولى » .

(٢) ع : « بارد » بدل : « بوارد » .

(٣) هذا عجز بيت للمتنبى صدره . أريقك ـ م ماء الغمامة أم خمر .

(٤) ب ، ق : « تبسمت منه كالدر » .

وهو أبلغ من قول البحترى[١] :

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تُبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا
وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهْ[٢]

لأنه زاد عَلَيْه ذِكر العقد[٣] .

٦ -وَنَكْهتَهَا وَالمَنْدَلِيّ وَقَرْقَفٌ مُعَتَّقَةٌ صَهْبَاءُ فِي الرِّيحِ والطَّعْمِ

[٥٦ - ب] المندلىّ : أراد به العُود[٤] . والقَرْقَف : الخمر . والصَّهباء : البيضاء المشربة حمرة ، وهى صفة الخمر.

يقول : هذه الثلاثة أيضاً متشابهة وهى الرائحة : فمنها العود الذى يبخّر به ، ومنها الخمرة الصافية[٥] فهى متشابهة فى الريح والطعم فللعود نكْهَتَها ، وللخمر طعمها ، ورائحة فيها .

٧ - جَفَتْنِى كَأَنِّى لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا
وَأَطْعَنُهُمْ وَالشُّهْبُ فِى صُورَةِ[٦] الدُّهْمِ

الشهب : الخيل البيض . والدهم : السُّود .

يقول جفتنى هذه المرأة كأنى لست أَنْطَق قومها نظْمًا ونثْرًا ، وكأنى لست أطْعَنَهم إذًا إلاَّ على خيل دهم وشهب ، وعذار قد اسودت فكأنها دُهْم ، فكأنّه يقول : لست ذليلاً فى قومها مذموماً جباناً حتى تجفونى .

(١) ق ، ب : « وهو من قول البحترى » .

(٢) ع : « عند ابتسامه . . . المتساقط » تحريف . انظر ديوان البحترى ٢/ ١٢٣٠ ومعاهد التنصيص ٣/ ٤ : « تجلوه » والواحدى ١٣٩ والتبيان ٤/ ٤٩ زهر الآداب ١/ ٢٠٥ وروايته : « تجلوه عند ابتسامها » .

(٣) من : « لأنه ... العقد » زيادة عن ع .

(٤) هو العود الذى نسب إلى مندل : موضع بالهند . التبيان .

(٥) ع : « وهى لريحة فها والعود يبخر به والخمرة الخمر الصافية » .

(٦) ع ، ا : « فى صور » رواية .

٨ – يُحَاذِرُنِى حَتْفِى كَأَنِّىَ حَتْفُهُ   وَتَنْكِزُنِى الأَفْعَى ، فَيَقْتُلُهَا سُمِّى

النكزة[١] : الغرزة بشىء مثل الإبرة . يقال : نكزتْهُ الأفعى[٢] : إذا غرزته ولم تعضّه[٣]

يقول : يخاف من موتى حتى كأنّى موتٌ للموتِ ! وتنكُزنى الأفعى فتموت ! فكأنى قَتَلْتُها بسمِّى ، حتى كأنى دونها ، وكلّ ذلك إشارة إلى قوته وشجاعته .

٩ – طِوَالُ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِى   وَبِيضُ السُّرَيْجِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِى

الرُّدينيات : الرماح[٤] والسريجيات[٥] : السيوف . ويقصفها : يكسرها .

يقول : إن الرماح والسيوف[٦] لا تؤثر فىّ أبداً ، ولحمى ودمى يؤثّران فيها ، ويكسرانها ويقطعانها . وقيل : أراد : أنّى عزيزٌ فى قومى . فمن أراد قتلى كَثُرَ الضَّرب والطعن عليه ، فى طلب ثأرى ، حتى تكسر الرماح والسيوف عليه[٧] .

١٠–بَرَتْنِى السُّرَى بَرْىَ الْمُدَى فَرَدَدْنَنِى
أَخَفَّ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفَسِى جِرْمِى

السرى : مؤنّثة ، وقد جعلها جمْعاً للسُّرْيَة ؛ فلذلك قال : رَدَدْنَنِى ، والأَوْلَى فى «أخفّ» الرّفع ؛ لأنه وما بعده جملة من مبتدأ وخبر ، فهو وإن وقع موقع الحال فلا يتغيّر الإعراب من حيث الصورة ، ويجوز فيه النّصب على بعض الوجوه .

يقول : أنحفتْنى السُّرى حتى قطَّعتْنى كقطْع السكاكين فتركتنى خفيفاً غاية

(١) ع : «النكزة» ق : «التنكز» .

(٢) ا ، ع : «الحية» بدل «الأفعى» والأفعى نوع من الحيات .

(٣) قال أبو زيد : نكزته الحية أى لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنابها قيل : نشطته . التبيان .

(٤) الرماح المنسوبة إلى ردينة امرأة سمهر كانا يقومان الرماح بخط هجر

(٥) السيوف المنسوبة إلى قين اسمه : سريج .

(٦) ب ، ق : «والسيوف» مهملة .

(٧) ع : «عليه» مهملة .

الخفّة ، حتى كأنى على المركوب أخف جِرْماً من نَفَسِي ؛ لأنه من أخفّ الأشياء[١] .

١١- وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءِ جَوٍّ لأنني إِذَا نَظَرَتْ عَيْنَايَ شَاءَهُمَا عِلْمِي

زرقاء جوٍّ[٢] : هى زرقاء اليمامة ، وكانت موصوفة بحدّة البصر وقد روى شأْوَاهُمَا عِلْمِي : وهى تثنية الشأو ، وهو الغاية . أى غايتها علمى والتثنية للعينين[٣] أى سَابَقَهُمَا وهو فاعل مِنْ شَاءَ إِذَا سبق وروى سأواهما علمى[٤] يقول ردّنى السّرى[٥] خفيفاً بصيراً أَبْصَرُ من هذه المرأة ؛ لأنها أبصرت بعينيها ، وأنا أبصر بالقلب والعلْم . علمى يَسْبِقُ نظرَ عيْنى فقبل إبصار العينين تبصر عينى كما هو عليه .

١٢- كَأَنِّي دَحَوْتُ الأَرْضَ مِنْ خِبْرَتِي بِهَا
كَأَنِّي بَنَى الإِسْكَنْدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي

يقول : كأنّنى من خبْرتى ، ومعرفتى بالأرض ، دحوْت[٦] الأرض لكثرة ترددى بها ، وكأن[٥٧-ا] الإسكندر[٧] بنى سدّ يأجوج ومأجوج[٨] من

---

(١) ق ، ب : « أخف الأشياء » .

(٢) جو : قصبة اليمامة . الواحدى والتبيان . وزرقاء اسم امرأة من أهل جو كانت شديدة البصر .

(٣) ب ، ق : « والثنية للعينين » مهملة .

(٤) ق ، ب : « وروى سأواهما » مهملة ، وقد ذكرها الواحدى وقال : « والسأوة : الهمة أى همة عينىّ أن تريا ما عرفت » .

(٥) فى سائر النسخ : « رددنى السير » والمذكور عن ع

(٦) الدحو : البسط .

(٧) هو الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣) ق م . تتلمذ على ارسطو واخضع الثورات التى قامت بعد موت أبيه فيليب الثانى ملك مقدونيا ، قدم القرابين للآلهة المصرية ، ورسم فرعونا فى منف ، وأسس مدينة الإسكندرية ومات وعمره ٣٣ سنة وقد أحرز فتوحات لم يحرزها قائد قبله .

(٨) وردا فى التوراة والقرآن فى سورتى الكهف والأنبياء لها شان فى القصص الإسرائيلى والإسلامى ، ويراد بهما فى الأغلب شعوب همجية تسكن السهول الشمالية الشرقية للعالم القديم تدفقت منها جماعات إلى الجنوب كان لها خطرها الأمر الذى دفع ذا القرنين إلى بناء سده الحديدى كى يمنع تدفقهم ، ويقال : إنه يراد بهم أهل الصين ، وكان يحيط بها قديما سور له فتحة من الجنوب انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٧٦ .

عزمى[١] ؛ لقوته ، ورفعته ، ومضائه فى الأمور .

١٣- لأَلْقَى ابْنَ إسحَاقَ الذى دَقَّ فَهْمُه
فأبدع حتّى جَلَّ مِنْ دِقةِ الفهم[٢]

أى كأنّ الإسكندر بنى السد من عزمى الذى صمّمْته على قصد ابن إسحق وكأنى دحوت الأرض من خبرتى بها لألقى ابن إسحاق[٣] الذى دقّ فهمه وعظم إبداعه حتى ارتفع أن يوصف بدقّة الفهم . وهو المراد بقوله : حتّى جلّ عن دقة الفهم . وقيل : برتنى السرى برْىَ المدى لألقى هذا الرجل .

١٤- وَأَسْمَعَ مِنْ أَلْفَاظِهِ اللُّغَةَ الَّتِى يَلَذُّ بِهَا سَمْعِى ولَوْ ضُمِّنَتْ شَتْمِى

يقول : لألْقى ابن إسحاق ، وأسمع من ألفاظه ، وعباراته الشريفة ، اللغة التى استلذّها ، وإن كانت متضمَّنة شتمى ! .

١٥- يَمِينُ بَنِى قَحْطَانَ رَأْسُ قُضَاعَةٍ
وَعِرْنِينُهَا بَدْرُ النُّجوم بَنِى فَهْمِ

العِرْنين : مقدم الأنف وأعلاه ، وبَنِى فهم : بدل من النجوم .

يقول : إنه يمين بنى قحطان كلّهم ، ورأس قضاعة : التى هى قبيلة من قحطان ، وعرنين قضاعة أيضاً ، وهو بدر بنى فهم : الذين هم رهطه الأدنون[٤] فجعلهم نجوماً وجعله بدرا .

---

(١) ماذكر عن ع وفى سائر النسخ . « وكان الإسكندر الذى بنى سد يأجوج ومأجوج بناه من عزمى » .

(٢) هنا موضع البيت رقم ١٣ فى ع وفى سائر النسخ أخر عن الشّرح الذى يليه وضم رقم ١٣ ، ١٤ معا

(٣) ق ، ب : « وكأنى .... ابن إسحاق » ساقط انتقال نظر من ابن إسحاق الأولى إلى ابن إسحاق الثانية .

(٤) ق ، ب : « الأدنون » مهملة .

١٦-إِذَا بيَّت الأَعْدَاء كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ
صَرِيرَ الْعَوَالِى قَبْلَ قَعْقَعَةِ اللُّجْمِ

يقول : إذا جاء أعدؤُه ليلاً سمعوا صرير الرّماح فى عظامهم قبل استماعهم إلى صلصلة اللّجُم ، يعنى : أنهم لا يشعرون حتى تصير الحال هذه . وقيل : إنه يبادر إلى أخذ الرمح ، وإن لم يجد فسحة لإسْراج فرسه وإلجامه[1] ركب بغير سرْج ولجام .

١٧-مُذِلُّ الأعِزَّاءِ الْمُعِزُّ وَإِنْ يَئِنْ
بِهِ يُتْمُهُمْ فَالْمُوتِمُ الْجَابِرُ الْيُتْمِ

روى : « وإن يئن » « وإن يحن »[2] ومعناه واحد . وتقديره : مذلّ الأعزاء معزّ الأولياء .

يقول : هو يذل أعداءه وإن كانوا أعزّاء ، ويعز أولياءه المستجيرين به وإن كانوا من أعدائِه الذين أيْتم أولادَهم ، فالذين يؤتمهم يَجْبُر يتيمهم ويرضيهم ، ويقوم لهم مقام الآباء فى النّفقة عليهم والإحسان إليهم .

١٨-وَإِنْ تُمْسِ دَاءً فِى الْقُلُوبِ قَنَاتُهُ
فَمُمْسِكُهَا مِنْهُ الشِّفَاءُ مِنَ الْعُدْمِ

وروى : فممسِكها بكسر السين ، وروى : بفتحها ، فالأول يريد به الممدوح والثانى يده ، لأنها الموضع الذى يمسكه به[3] ، ويجوز أن يريد بهِ المصدر : أى إمساكها .

---

(١) « وإلجامه » فى ع فقط ومهملة فى سائر النسخ .

(٢) فى جميع النسخ : « روى : وإن بان وإن يحن » تحريف والتصويب من الواحدى والتبيان ، من قولهم : آن الشيء يئين أينًا أى حان . انظر الواحدى والتبيان .

(٣) مثل : المدخل والمخرج ، موضع الإدخال والإخراج .

يقول : إن أمست قناته داءً فى قلوبهم ، لطعنه إياهم بها فالذى يمسك القناة عنهم هى يده ، شفاؤهم من الفقر ، إمساكه لها يشفى من الفقر .

١٩–مُقَلَّدُ طَاغِي الشَّفْرَتَيْنِ مُحَكَّمُ عَلَى الْهَامِ إِلاَّ أَنَّهُ جَائِرُ الحُكْمِ

يقول : إنه تقلّد سيفاً ، طغَى جانباه ، وقد جعل الحكم على رُءوس الأعداء ، غير أنه جائر الحكم من كثرة القتل .

٢٠–تَحَرَّجَ عَنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ
يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرْكَ رَأْسٍ عَلَى جِسْمِ

يقول : إن سيفه يتأثّم عن حقْن الدماء ، فكأنه يرى القتل فى الاحتساب والالتذاذ كترك الرءوس على الأماكن[١] ، وتحرجه عن حقن الدماء . إمّا لأن سيفه لا يقتل إلا الكفرَة ، الذين[٢] يكون الإثم فى[٥٧ – ب] الكفَّ عنهم ، أو يريد بيان كونه جائر الحكم : لعدم التمييز منه ، أو لأنه جماد لا يلزمه إثم فى القتل ، ثم نزّه نفس الممدوح فقال[٣] :

٢١–وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحسَيْنِ كَحَدِّهِ
عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى بَرِيًّا مِنَ الإِثْمِ

وروى : كجدّه بالجيم[٤] .

يقول: وجدنا هذا الرجل كحدّ السيف مضاء فى براءته من الإثم كبراءة السَّيْف من الإثم ، مع كثرة القتلى منه ، لأنه لا يقتل إلا المستحق[٥]

---

(١) ق : « على الأكن » تحريف . ا : « على أماكنها »

(٢) ق ، ب ، ا : « الذى » مكان : « الذين » .

(٣) ا ، ع عبارتها : « ثم نزه نفس الممدوح فى البيت الذى يليه » وأهملا : « فقال » .

(٤) ع فقط : « وروى كجده بالجيم » رواية . وعلى أساسها فسر الواحدى وصاحب التبيان

(٥) المثبت عن ا ، خ وفى سائر النسخ : « إلا المستحق به القتل » .

٢٢–مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَهُ
لأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ

يقول : إنه مع الحزْم[١] فى جميع الأمور ، حتى لو تعمّد ترك الحزْم لألْحقه ذلك بالحزم ! يعنى : إذا أحْزمه فى بعض الأمور ، كان ذلك الحزم : وهو الجود وتبذير المال ، فى طلب المجد ؛ فكأن تركه الحزم حزماً منه لما فيه من اقتناء[٢] الحمد والمجد .

٢٣–وَفى الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأَخُّرًا
لأَخَّرَهُ الطَّبْعُ الكَرِيمُ إِلَى الْقُدْمِ

يقول : إنه مع الحزم فى اقتناء[٢] المعالى ، لو أراد أن يتأخر عن الحرب لأخره طبعه إلى التّقدّم . يعنى : إنه إذا نوى أن يتأخر عن المحاربة قدمه إليها[٣] طبعه الكريم .

٢٤–لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِى الْعِظَامَ وَغَضْبَةٌ
بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ

يقول : له رحمة واسعة بحيث تحيى العظام البالية ، وله مع هذه الرحمة غضب متجاوز عن الحدّ ، بحيث أنه يفْضُلُ غضبُه على جرم المجرم فيهْلكه ويفْنيه ، وقيل أراد أنّه واسع الرحمة له مع ثورة[٤] الغضب فضلة تمسكه[٥] لغضبه فهو مالِكٌ أمرَه .

---

(١) المراد بالحزم قوة الرأى والتدبير

(٢) ا ، ع : « من إفشاء » .

(٣) المثبت عن ع وفى سائر النسخ « قدمه إليه » .

(٤) المثبت عن ع وفى سائر النسخ : « له مع صورة » .

(٥) المثبت عن ع وفى سائر النسخ : « فضلة يمسكه لغضبه » .

٢٥–وَرِقَّةُ وَجْهٍ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انمَحَى أَثَرُ الْخَتْمِ

يصفه بالحسن ويقول : له رقّةُ بِوَجهِهِ حتى لو ختمت عليه بنظرة أو لو نظرْتَ إليه لبقيَتْ على وجهه حمرة ؛ لفرط حيائه ، ولأثّر الختم فيه أثراً لا ينمحى أبداً[1] .

٢٦–أَذَاقَ الْغَوَانِي حُسْنُهُ مَا أَذَقْنَنِي
وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّى عَلَى الصَّرْمِ

يقول : حسنه أذاق الغوانى من ألم العشق ما أذاقنْنى الغوانى منه ، وصار عفيفاً فجاز الغوانى عنى بتنزّهه عنهن على مافعلْن بى من الهجران .

٢٧–فِدًى مَنْ عَلَى الْغَبْراءِ أَوَّلُهُمْ أَنَا
لِهَذَا الأَبِىِّ الماجدِ الْجَائِدِ القرْمِ

يقول : يفدى هذا الشريف الجواد السيد ، كلُّ من على الأرض ، أوّلهم أنا البادئ بالفداء له قبلهم . والغبراء : اسم الأرض .

٢٨–لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الجنّ وَالإِنْس سَيْفُهُ
فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعُرْبِ وَالْعُجْمِ

يقول : حجز سيفُه بين الجنّ والإنس ؛ فمنع الجنّ عن قصدهم الشرَّ للإنس ، فإذا كان تأثيره فى الجنّ ! فما الظن بالإنس ؛ فى دفع بعضهم عن بعض . وروى « بين الجنّ والأمْن سيفه » . يعنى أن سيفَه أخاف الجنّ وأزال عنهم الأمْن والسكون[٥٨–ا] .

٢٩–وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِنَارٍ وَلاَ فَحْمِ

---

(١) المثبت عن ع وفى سائر النسخ : « ولأثر الختم فيه أبدا ولا ينمحى أبدا » .

يقول : قد أخاف كلَّ شيء حتى الجمادات ! فلو أنه أحَدَّ النظر إلى دِرعِهِ لذابَتْ ؛ خوفاً منه ، من غير نارٍ وفحم ، وإن لَمْ يكن لها تمييز وعقل .

٣٠-وَجَادَ فَلَوْلاَ جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ
لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ

يقول : لولا علمنا بأنّه صاحٍ مع كثرة جودٍ منه ، لقلنا إنه لفرط جوده سكران ، وإن الذى حمله على جوده هو سُكْره الذى حصل له من الخمر .

٣١-أَطَعْنَاكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا ابْنَ ابْنَ يُوسُفٍ
بِشَهْوَتِنَا وَالْحَاسِدُو لَكَ بِالرَّغْمِ

الحاسدو لك : أراد بهم الحاسدون لك ، غير أنه حذف النون . وروى : « الحاسدون على الرغم » : وهو عطف على الضمير فى أطعناك الذى هو النون والألف ، وحسن العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد المنفصل[١] لطول الكلام .

يقول : أطعناك طاعة الدهر لك ، وأطعناك أبد الدهر ، بشهوةٍ ومحبّة ، والذين حسدوك أطاعوك على رغمٍ منهم وذل[٢] .

٣٢-وَثِقْنَا بِأَنْ تُعْطِى فَلَوْ لَمْ تَجُدْ لَنَا
لَخِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ

كان حقه[٣] أن ينصب الياء من « تُعْطِى » « بأنْ » ، غير أنّه سكّنه ضرورةً .

يقول : لقوّة ظنوننا وثقتنا بأنّك تعطينا ، حتى لو لم تعْطنا لظننّا أنك قد أعطيتنا من قوة الوهم ولمَا شاهدنا من دوام جودك وكثرة عطاياك .

---

(١) عبارة ع : « من غير التأكيد بالمنفصل » .

(٢) عبارة ع : « على رغم منهم أى كراهة وذلاً » .

(٣) ق : « كان حقه » مكانها بياض . ع : « كان الواجب أن ينصب » . والمثبت من ا ، ب ، خ .

٣٣- دُعِيتُ بتقريظِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ
وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي

روى : دعيتُ ، أىْ سمِّيت بمدحى لك ، يعنى صار اسْمى : مدحى لك فقيل : هذا الذى مدح الأمير ، وعلى الأوّل : صار اسْمك مَدْحى إياك . وقيل : هذا الذى قيل فيه كذا . وظن الذى يدعونى ويسمينى أن اسمى : الثناء عليك ، فيدعونى به ، فيقول : يا من أثنى على الأمير ويا مادح الأمير .

٣٤- وَأَطْمَعْتَنِي فِي نَيْلِ مَالَا أَنَالُهُ بِمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أَطْمَعُ فِي النَّجْمِ

روى : أعلق بالنجم .

يقول : أطمعتنى فى نيل ما لا أكاد أصل إليه[١] ، حتى صرت أطمع فى نيل النّجم الذى يعجز عن نيله كلُّ حىّ .

٣٥- إِذَا مَا ضَرَبْتُ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي
فَكِلْ ذَهَبًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْمِ

يقول : أنت تضرب الطَّعْنة الْواسعة فإذا ضربت القِرْن ثم أردتَ أن تعطينى الجائزة فَكِلْ لى ملء الجراحة[٢] ذهباً ، والهاء فى «منه» راجعة إلى القرن[٢] .

٣٦- أَبَتْ لَكَ ذَمِّي نَخْوَةٌ يَمَنِيَّةٌ وَنَفْسٌ بِهَا فِي مَأْزِقٍ أَبَدًا تَرْمِي

النخوة : الكبرياء[٣] .

يقول : ابت ذَمِّى لك نخوتُك اليمنيّة ، وأراد به وجهين : أحدهما أن المْدوح كان يمنيًّا والمتنبى أيضاً ينسب إلى كِنْدة ، وهم من اليمن . فيقول : كونك من اليمن تأبى نَفْسى أن تَذُمّك [٥٨ - ب] مع ما كان بيْنَنا من الرّحم ، أو يريد : أن نَخْوَتَك

(١) ع ا : زادتنا بعد ذلك . « بالمنزلة التى هى عليه » .

(٢) ق ، ب « الخزحة » وقد أغفلتا « والهاء راجعة إلى القرن » .

(٣) عن ع : « النحوة الكبرياء » وقد وردت فى سائر النسخ فى آخر شرح البيت .

فى نفسك وهمّتك العالية يمنعانى عَنْ ذَمِّى لك وعنْ هَجْوِك[١] ، وكذلك يأبى ذمى لك ، نَفْسُكَ التى ترمى بها فى كل معركة . وقيل : إنما ذكر ذلك لأنّه كان مُتّهمًا[٢] بهجو ذلك الممدوح ، فأراد إزالة هذه التّهمة عن نفسه بهذا القول .

٣٧- فَكَمْ قَائِلٍ : لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصِ نَفْسَهُ
لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنُ الْعَسْكَرِ الدَّهْمِ

الْقَرى : الظهر . والدَّهم : الكثير[٣] .

يقول : كم من قائِل يقول : لوكان نفس هذا الممدوح جسم ! لكان ظهره مستقرًّا للعسكر الكثير[٤] . يصف سعة نفسه وعظمها ، وأن بعضها يسع الكثير من العسكر .

٣٨- وَقَائِلَةٍ وَالأَرْضَ أَعْنِى تَعَجُّبًا
عَلَىَّ امْرُؤٌ يَمْشِى بِوَقْرِى مِنَ الْحِلْمِ

يقول : ورُبَّ قائلةٍ ، وأعنى بها الأرض على وجه التعجب : عَلَىَّ رجلٌ يمشى ، عليْهِ مِثْلِىَ من الحِلْم !

٣٩- عَظُمْتُ فَلَمَّا لَمْ تُكَلَّمْ مَهَابَةً
تَوَاضَعْتَ وهو الْعِظْمُ عُظْمًا عَنِ الْعُظْمِ[٥]

يقول : عظم قدْرك ، فمنعتْ هيبتُك أن تُكَلَّم ، فلَمَّا علمتَ أن الناس هابوك تواضعتَ فتعظَّمتَ بذلك التواضع عظمًا عن العظم ، وذلك التّواضع هو عيْن العظَم . يعنى : التواضع رفع النّفْس عن التكبّر .

---

(١) عبارة عن : « وهمتك العالية تأبى ذمى لك وتمنعانى عن هجوك » .

(٢) ع : « مهمّا » مكان : « متّهما » . (٣) ع ، ا : « الدهم : العسكر الكثير » .

(٤) ع : « مكمنا : أى مستقرا للعسكر الكثير » .

(٥) ع : « وهو العظم عظمًا على العظم » وهذه توافق رواية الديوان .

(٥٤)

ودخل عَلَى علىٌّ بن إبراهيم التنوخىّ فعرض عليه كأسًا بيده ، فيها شراب أسود فقال ارتجالا[١] :

١ - إِذَا مَا الْكَأْسُ أَرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ   صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِى وَبَيْنِى

لم تحل : أى لم تمنع ، وهو فعل الكأس .

يقول : إذَا شرب غيرى الكأس ، وهى الخمر ، فأرعشت يديه من السكر ، صحوت أنا ، فلم تحجز الخمر بينى وبين عقلى . فأجرى العقل مجرى النفس[٢] ؛ لأن قيام النفس بالعقل . وقيل : أراد لم تحل بينى وبين جِدِّى[٣] ؛ لأن جدِّى لا يفارقنى أبداً .

٢ - هَجَرْتُ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى   فَخَمْرِى مَاءُ مُزْنٍ كَالُّلجَيْنِ

يقول : تركت الخمرَ التى تشبه الذهب المصفى[٤] فى لونها ، وعدلتُ إلى الماء الصافى ، الذى يشبه لونُه الفضةَ لصفائِه .

٣ - أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِىَ تَجْرِى   عَلَى شَفَةِ الأَمِيرِ أَبِى الْحُسَيْنِ

روى : أغار من المدامة .

يقول : أحْسد أقْداح الخمر إذا جرت على شفته حيث تتشرف به فأتمّنى ذلك

---

(١) ع : « وقال ارتجالا وقد عرض عليه كأسا كان فيه شراب أسود كان بيده » . ا : « ودخل على إبراهيم التنوخى » إلخ المذكور . سائر النسخ : « ودخل على بن إبراهيم إلخ » والتصويب من الواحدى ١٣٥ والديوان ٧٥ والتبيان ١٩٣/٤ والعرف الطيب ٧٩ . وكان المتنبى قد نزل فى جوار على بن إبراهيم التنوخى سنة ٣٢٦ وما بعدها . انظر المتنبى ١/ ١٢٦ .

(٢) ع ، ا : « مجرى نفسه » .

(٣) المراد بالجد هنا : ضد الهزل .

(٤) « المصفى » عن ا .

الشّرف لِى دونها[١] .

وقيل : إنما أغار عليها لكون الشراب كان أسودا[٢] ، فَنَزَّه شفته[٣] عنها والقصة تدل على ذلك .

٤ – كَأَنَّ بَيَاضَهَا والرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدِقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ

شبّه بياض الزّجاجة ببياض العيْن ، والشراب الأسود بسواد العيْن ، وحقَّق التشبيه بإحداق البياض بسواد العين ، كإحْداق الزجاجة بسواد الشراب .

٥ – أَتَيْنَاهُ نُطَالِبُهُ بِرِفْدٍ فَطَالَبَ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ

يقول : أتيْنا الممدوح نطْلب منه العطاء ، فطالب نفسه بدين لازم . يعنى : إنه أوجب على[٥٩–١] نفسه العطاء ؛ لجوده وسخائه .

(٥٥)

وشربها فقال[٤] :

١ – مَرَتْكَ ابْنَ إبْرَاهِيمَ صَافِيَةُ الْخَمْرِ
وَهُنِّئْتَهَا مِنْ شَارِبٍ مُسْكِرِ السُّكْرِ

« مَرَتْكَ » أصلها : مَرَأَتْك ، فحذْف الهمزة ضرورة . والثانى أنّه كان ينبغى أن يقول : أَمْرَأَتْك ؛ لأن هذه اللفظة على الانفراد[٥] لا تستعمل إلا بالألف ، فإذا

(١) قال الواحدى : أساء أبو الطيب لأن الأمراء لا يغار على شفاههم .

(٢) ع : « إنما أغار عليها لكونها شرابا أسود » .

(٣) ق ، ب : « فترشفته » تحريف . ا : « فترشفتيه » تحريف .

(٤) ع : « فقال له » . واحدى ١٣٦ : « فشربها فقال فيه » . التبيان ١٣٧/٢ : « وقال فى أبى الحسين بن إبراهيم ودخل عليه وهو يشرب » العرف الطيب ٧٩ : « وشرب تلك الكأس فقال ارتجالا » الديوان ٧٦ .

(٥) قوله « على الانفراد » أى من غير أن تجعل تبعا لهنأك فلا تستعمل إلا بالألف ، فلا يقال إلا : « امرأك » بخلاف ما إذا قلت : هنأك ومرأك ، فيجوز بسبب حذف الألف فى حالة الاتباع .

أتبعت هَنَأَكَ جاز استعمالها من غير الألف . فهو شاذ من وجهين[١] .

يقول : جعل الله لك هذه الخمرة هنيئة مريئة لك ، يا من يُسْكِر السُّكْر .

يعنى : لا يغلبه السكر بشرب الخمر بل يَغْلِب هو السكر .

٢ - رَأَيْتُ الْحُمَيَّا فِى الزُّجَاجِ بِكَفِّهِ
فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِى الْبَدْرِ فِى الْبَحْرِ

الحميّا : اسم من أسماء الخمر .

يقول : رأيت الخمرَ فى الزجاج على يده ، فشبّهتُ الخمر ؛ لصفائِها ورقّتها وضيائِها بالشمس ، وشبهت الزجاج[٢] بالبدر ؛ لبياضه ونقائِه ، وشبهت كفه بالبحر ؛ لكثرة سخائِه وعطاياه[٣] .

٣ - إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِرًا
نَأَى أَوْ دَنَى يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الْخِضْرِ

اسم كان : ضمير الجود .

يقول : إن جوده فى سرعته ووصوله إلى الناس كأنه يسعى على قدم الخِضْر[٤] ، لأنه يقال : إنه لا يذكر فى موضع إلا وكان حاضرًا فى ذلك الموضع .

يقول : سواء كان الممدوح نائِيًا أو دانياً فإن جوده يصل إلينا فى أسرع ما نريد .

---

(١) الأول : حذف الهمزة من « مرأتك » للضرورة

الثانى : حذف الألف منه من غير اتباع « لهنأتك »

ملاحظة : الهامش السابق وهذا الهامش وجدا مسطورين فى هامش ع وهو تعليق لأحد العلماء الذين قرءوا هذا الشرح وفى نهاية التعليق قال : « كذا سمع » .

(٢) ب ، ق : « الزجاج » ساقطة . (٣) ب ، ق : « وعطاياه » مهملة .

(٤) هو الخضر بن إلياس صاحب موسى عليه السلام نقيب الأولياء عند المتصوفة ، يقولون : إنه معمّر وخالد يؤدى الفرائض والواجبات ، وقال المحدثون لا يصح ذلك . انظر الموسوعة العربية الميسرة والتبيان .

(٥٦)

وقال أيضاً يمدحه[١] :

١ - أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ؟ لُيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ

أراد الاستفهام كأنه قال : أأُحَاد ، فحذف الهمزة لدلالة قوله : أم سداسٌ . وهذا البناء للتكرار[٢] ، فإذا قال : جاءنى القومُ أُحَاد ، أراد به واحداً واحداً ، وكذلك مازاد عليه ، ولا يراد به حقيقة العدد ، وإنما خصّ السداس دون ما فوقها من سباع وغيره ؛ لأن العرب لا تستعمل هذا المثال فيما فوق سداس[٢] ، هذا قول بعضهم ، وليس بواضح . فقد ذكر أبو حاتم[٣] : فى كتاب « الإبل » هذا المثال فيما زاد على سداس إلى عشار . فالأوْلى أن يقال : إنما خصّ هذه لأنها ليالى[٤] الأسبوع ، ومدار أيّام الدّنيا على هذا العدد .

يقول : إن هذه[٥] الليالى جاءت واحدة واحدة أم ستة ستة جمعت فى واحدة . وقيل : إنه أراد هاهنا واحدة هذه الليلة أم ستة ليال مجموعة فى واحدة ؟ فكأنه يقول هذه الليلة[٥] ليلة واحدة أو ليالى الأسبوع[٤] كلها ، وهى فى طولها كأنها متصلة بيوم القيامة . وقوله : « لُيَيْلَتُنَا » تصغير ليلة ؛ وإنما صغرها مع وصفه لها بالطول ؛ إشارة إلى أنها فى نفسها قصيرة وإن كانت هى عنده طويلة ؛ لطول سهره

---

(١) ع : « وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى » . والواحدى ١٣٧ والتبيان ١/ ٣٥٣ مثل ع . والديوان ٧٦ « قال يمدحه » . والعرف الطيب ٧٩ : « وقال أيضا يمدحه »

(٢) المشهور أن هذا البناء لا يكون إلا إلى أربعة نحو أحاد وثناء وثلاث ورباع وجاء فى الشاذ إلى عشار . الواحدى والتبيان .

(٣) هو سهل بن محمد أبو حاتم السجستانى الجشمى : نزيل البصرة وعالمها ، عالم باللغة والشعر حسن العلم بالعروض وإخراج المعمى مات سنة ٢٥٥ هـ بالبصرة ، وكتاب : « الإبل » أحد كتبه المعروفة . انظر انباه الرواة : ٢/ ٥٨ - ٦٤ والمراجع المبينة به .

(٤) ب من : « ليالى الأسبوع ... ليالى الأسبوع » ساقط انتقال نظر .

(٥) من : « هذه الليالى جاءت .. فكأنه يقول هذه الليلة » ساقط من ق ، ب » .

فيها . أو يقال : إنما صغرها على سبيل التعظيم كقول بعضهم[١] :

دويهية تصفر منها الأنامل[٢]

وقيل : أراد « بيوم التّنادى » : يوم الرحيل إلى الأعداء للمحاربة ، وتَنادى بعضُهم بعضاً ، ويدل على هذا قوله :

« أفكّر فى معاقرة المنايا »[٣]

فكأنه طالت عليه هذه الليلة لسهره تفكّراً فى قتل الأعداء فإذا وصل إلى مراده قصرت عليه وزال عنه السهر .

٢ - كَأَنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ[٤] فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافِرَاتٌ فِي حِدَادِ

[٥٩ - ب] سافرات : يجوز فيها الرفع صفة لخرائِد ، ويجوز نصبها على الحال ، فتكون مكسورة . والحداد : هى الثياب السود .

يقول : كأن هذه الكواكب فى ظلمات هذه الليلة الطويلة نساء بيض الوجوه قد كشفن وجوهَهُنّ ، ولبسن ثياباً سودًا . فشبّه الكواكب بوجوه الجوارى السافرات ، وشبّه الليل فى سواده بالثياب السود التى تلبسها الجوارى .

٣ - أُفَكِّرُ فِي مُعَاقَرَةِ الْمَنَايَا وَقَوْدِ الْخَيْلِ مُشْرِفَةَ الْهَوَادِي

معاقرة المنايا : أى ملازمتها . وقيل : معاقرتها : محاربتها ، من العَقْر . والهوادِى : جمع الهادية ، وهى العنق . ومشرفة : نصب على الحال .

---

(١) هو لبيد بن ربيعة العامرى وقد سبقت ترجمته .

(٢) وهذا عجز بيت له صدره :

وكل أناس سوف ندخل بينهم دويهية ....

ديوانه ١٣٢ الوساطة ٤٥٨ ، الواحدى ، التبيان والمعانى الكبير ١٢٠٦ .

(٣) وهذا صدر للبيت رقم ٣ من هذه القصيدة وعجزه :

وقود الخيل مشرقة الهوادى

(٤) هى سبع كواكب معروفة فى اصطلاح الجغرافيين حديثا بالدب الاكبر وهى من نجوم الشمال يهتدى بها الملاحون

يقول : طال علىّ هذا الليل مما أفكّر فى ملازمة المنايا وممارستها فى الحروب والإقدام على القتال ، ولذلك أفكرّ فى قودى الخيل إلى الحرب مشرفة الأعناق . وقيل : معناه لا أفكّر فى معاقرة المنايا .

٤ - زَعِيمًا لِلْقَنَا الْخَطِّىِّ عَزْمِى بِسَفْكِ دَم الْحَوَاضِرِ والْبَوَادِى

زعيمًا : نصب على الحال من أفكّر ، وذو الْحالِ : عزمى ، والعزم : هو الكفيل[١] . والقنا : المكفول له . وسفك دماء الحواضر والبوادى : المكفول به . والمكفول عنه : هو أبو الطيب .

يقول : أفكر فى حال كونى زعيمًا للرماح بأن تسفك دماء النّاس كلّهم ، أهل الحضر وأهل البدو . وعلى إضمار «لا» فى قوله : «أفكر» معناه لا أفكر فى معاقرة المنايا مع تكفل عزمى بسفك دم الأعداء .

٥ - إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلّفِ وَالتَّوَانِى ؟ وَكَمْ هَذَا التَّمَادِى فِى التَّمَادِى ؟

التمادى : هو الإفراط فى الأمور ، وهو من المدّ ، أو أراد هاهنا الإفراط فى تأخيرها[٢] .

يقول لنفسه : إلى كم هذا التخلّف والتقصير فى طلب العز ، واقتناء المكارم ، وإلى كم تستعمل التمادى فى التقصير وتمادى تمادياً بعد تمادٍ[٣] .

٦ - وَشَغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِى بِبَيْعِ الشِّعْرِ فِى سُوقِ الْكَسَادِ

الشَّغل : بالفتح المصدر ، وبالضم ، الاسم . وهاهنا بالفتح .

يقول : معاتباً لنفسه إلى كم تشغل نفسك عن طلب المعالى ، بأن تبيعَ الشّعر فى

(١) جاء فى هامش ع ص ٧٥ : «لأن العزم هو صاحب الكفالة من حيث المعنى ، وإن كان من حيث الإعراب حالا ، لأنه فاعل «أفكر» سمع .

(٢) ا ، ع : «فى تأخير الأمور» .

(٣) التصويب من ع : وفى سائر النسخ : «وتمادى تماديًا بعد تمادى» .

سوق الكساد وتقتصر عليه[١] دون ما هو أجل منه ، فأنت تجيد الشعر ولا تصيب الصلة التى تستحقها بشعرك[٢] .

٧ – وَمَا مَاضِى الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَلاَ يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ

يقول حاثًّا لنفسه علَى لزوم الكائن قبل فوْته : إن الشباب إذا مضى ، وهو الزمان الّذى – لا يمكن تحمل المشاق فى طلب المعالى – لا يمكن ردّه ، فكذلك اليوم الذى يمر لا يمكن إعادته ! سواءٌ[٣] كان من أيام الشباب أو غيرها . وروى « بمستفاد » بالفاء أيضاً .

٨ – مَتَى لَحَظَتْ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِى فَقَدْ وَجَدَتْهُ مِنْهَا فِى السَّوَادِ

[٦٠–ا] عينى : رفع لأنه فاعل لحظت[٤] والهاء فى « وجدته » : لبياض الشيب ، وفى « منها » : للعين .

يقول : إذا رأت عيْنَىّ بياض شعرى ، فكأنّما وجدت ذلك البياض – فى كراهته – عليها كأنه فى سوادها ؛ لأن البياض فى سواد العين يكون عمًى ، وهو من أثقل الأشياء ، فكذلك الشيب .

٩ – مَتَى ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِى فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِى فِى ازْدِيادِ

يقول : متى ازْدَدْتُ فى السن ، بعد تناهى الأشُدّ – وذلك أربعون سنة – كانت تلك الزيادة نقصاناً ، لأنه كلما ازداد السنّ بعد انتهاء الغاية ، ازداد الجسم نقصاً ، فتكون زيادتى حاصلة فى نقصان سنى .

١٠ –أَأَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلاَ أُكَافِى عَلَى مَا لِلأَمِيرِ مِنَ الأَيَادِى؟ !

---

(١) ق ، ب : « على دون » . (٢) « بشعرك » مهملة فى ق ، ب .

(٣) عبارة ق ، ب : « فكذلك اليوم يمر ولا يمكن إعادته » .

(٤) ق ، ب : « عينى : رفع لأنه فاعل لحظت » ومهملة فى سائر النسخ .

يقول : هل أرضى بملازمتى هذا التّقصير والتخلّف ، ولا أجازى هذا الأمير على ما أسْدى إلىّ من النّعم بمدحى إياه؟!

١١- جَزَى اللهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ المطَايَا كَالْمَزَادِ

المزاد : جمع المزادة . يصف المشقّة التى مرّت عليه وعلى إبله فى المسير إلى هذا الممدوح ، ودلّ بالدعاء للمسير : على أنه لم يذكره على سبيل الشكاية ، وإنما ذكره على سبيل الشّكر ، حيث أوصله إليه فاكتسب بسببه فخرا ومالاً وذخراً ، وشبّه الإبل[1] . وهزَالها بالمزَاد : وهى القِرْب[2] البالية ، وهذا التشبيه جيّد . وقيل : إنه أراد أن المسير ترك المطايا خالية من القوت واللّحم ، لطول سفرنا كمزادنا الْخالية من الزّاد ، فتكون الألف واللام فى المزاد داله على الإضافة .

١٢- فَلَمْ تَلْقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْسِى وَفِيهَا قُوتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ

عنسى[3] : رفع لأنها فاعلة «تَلْقَ» .

يقول : إن ناقتى لم تلق ابْنَ إبراهيم ، إلا بعد أن صارت من الهزال بحال لم يبق فيها من اللّحم قدر ما يقتاتُهُ القرادُ يومًا واحدًا !

١٣- أَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرْضَ النِّجَادِ؟!

يقول : كان بيْنِى وبين هذا الممدوح بلدٌ[4] بعيدٌ ، فصيّر هذا المسيرُ طولَه الطويل ، كَعرْضِ النِّجاد[5] فى القصر ، وقرّبَه غاية القرب . وفيه التطبيق للمبالغة فى الجودة .

---

(١) ق : «وشبه الإبل» مكانها بياض . (٢) فى النسخ «القربة» .

(٣) العنس : الناقة الصلبة . ويقال هى التى اعنونس ذنبها . أى وفر .

(٤) المراد بالبلد هنا . المفازة : الواحدى والتبيان .

(٥) النجاد قال المعرى : هو ما يقع على الكتف من حمائل السيف والعرب تقدر فى القرب بقاب القوس وحمائل السيف . الواحدى والتبيان وتفسير أبيات المعانى .

١٤–وَأَبْعَدَ بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ

«بُعْدنا» ، و«قُرْبنا» : مفعول بهما . و«بعدَ التدانى» ، و«قربَ البعاد» : منصوبان على المصدر .

يقول : إن المسيرَ أبْعد بُعدنا ، فجعله كبعد التّدانى الذى كان بيننا ، وكذلك قرّب المسيرُ قربَنا ، مثل قرْب البعد الذى كان بيننا من قبل . يعنى أبعد البُعد وقرب القُرب .

١٥–فَلَمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحَلِّي وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ

[٦٠–ب] يقول : لما قصدْته بَعْدَ هذا التعب ، رفع منزلتى وأحسن جائزتى حتى إنه رفعنى إلى السموات السبع وأجلسنى فوقها[1] .

١٦–تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الْوِسَادِ

يقول : لقينى بطلاقة وجْهه ، وتبسّمه ، قبل أن أُسلّم عليه ، وألقى إلىّ ماله قبل إلقاء الوسادة التى يجلسنى فوقها[1] .

١٧–نَلُومُكَ يَا عَلِيُّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ لأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ

يقول : يا علىُّ ، نلومك ولا ذنب لك ، غير أنك قصرت وعِبْتَ على الناس بأفعالك وخصالك ، فليس ذلك بذنب[2] ، وإنما هو فضْلٌ منك وكرم .

١٨–وَأَنَّكَ لاَ تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هِبَاتُكَ أَنْ يُلَقَّبَ بِالْجَوَادِ

«هباتك» : رفع لأنها فاعلة «تجود» . وتقديره : لا تجود هباتُك على جَوَاد أن يلقب كذلك بالجواد .

---

(١) ع ، ا : «عليها» مكان «فوقها» .

(٢) ب ، ق : «فليس ذلك بذنب» . وفى سائر النسخ : «فليس لك ذنب»

يقول : إن هباتك أبت أن يقلب أحدٌ بالجواد غيرك ؛ لأنها فاقت هبات غيرك ، حتّى أخرجت جودَ الناس عن كونه جوداً[١] ، وهذا مِثْل قول بعض الشعراء :

ردّ مَعْرُوفُكَ الكَثِير قَلِيلاً وأرى جُودُكَ الْجوادَ بخيلاً

١٩–كَأَنَّ سَخَاءَكَ الإِسْلاَمُ ؛ تَخْشَى – مَتَى مَا حُلْتَ – عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ

يقول : إنك من شدّة مواظبتك على السخاء صار سخاؤك كالإسلام ، لا تحول عنه ، كما لا تحول عن الإسلام ؛ خوفاً من عاقبة الارتداد ؛ لأن عاقبته مذمومة ، يجب على كل أحد التجنب منه ؛ لأنه يلزمه فى الدنيا : القتل[٢] ، وفى الآخرة : العذاب الدائم . ومثله لأبى تمام[٣] :

مَضَوْا وَكَأَنَّ المكْرُمَاتِ لَدَيْهِمُ لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ[٤]

٢٠–كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُيُونٌ وَقَدْ طُبِعتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ

يقول : كأن هام أعدائِك عيونٌ ، وسيوفك مضروبة من النوم ، فلا يكون مسكنها إلا فى الهامات ، كسكون النّوم فى العين .

٢١–وَقَدْ صُغْتَ الأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يخْطُرْن إلاَّ فِي فُؤَادِ

روى صِغْتَ وصُغْتَ[٥] . وروى : « يخطِرن[٦] بالكسر أى الرماح وبالضم الهموم ، يقال : خطر الرمح . ويَخْطِرُ ، وخطر الشىء بالقلب يخطُرُ ، كأنك قد

(١) أ ، ع : « حتّى أخرجت جواد الناس عن كونه جواد » .

(٢) عبارة ع هنا مضطربة : « يجب على أحد التجنب فيلزم فى الدنيا القتل »

(٣) ب من : « وأرى جودك . . . ومثله لأبى تمام » ساقط .

(٤) ديوانه ٤/ ٥٨٦ والوساطة ٢٦٢ ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٩٥ الواحدى ١٤٠ والتبيان ١/ ٣٥٩

(٥) ب ، ق : « روى : صِغت وصُغت » مهملة . والمعنى : صاغه صوغا وصياغة : صنعه على مثال مستقيم . اللسان .

(٦) « من باب حسِب يحسب » تعليق على هامش ع بخط مخالف .

ضربْت أسنّة رماحك من الهموم[١] ؛ لأن محلها القلوب ، كما أن محل الهموم[١] القلوب .

والمعنى : أن قلوب الأعداء لا تخلو من أسنّة رماحك ، كما لا تخلو من الأحزان والهموم[١] .

٢٢–وَيَوْمَ جَلَبْتَهَا شُعْثَ النَّوَاصِي مُعَقَّـدَةَ السَّبَـائِبِ لِلطِّـرَادِ

الكنايةَ فى «جلبتها» : للخيل ولم يجر لها ذكر ، لدلالة الكلام عليه . ومعقدة السبائب : أى مضفورة الشعر للذنب .

يقول : فى اليوم الذى حشرتَ الخيل وأتيتَ بها مشعَّثةً نواصِيهَا [٦١–ا] معقّدة أذنابها ، لأنها كانت مهيأة للحرب[٢] .

٢٣–وَحَامَ بِهَا الْهَلاكُ عَلَى أُنَاسٍ لَهُمْ بِاللاَّذِقِيَّةِ بَغْيُ عَادِ

الهاء فى «بها» : للخيل ، أى بسبب الخيل .

يقول : وطاف الهلاك بهذه الخيل على قوم كان لهم بغْىُ عاد[٣] باللاذقية[٤] .

٢٤–فَكَانَ الْغَرْبُ بَحْرًا مِنَ مِيَاهٍ وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ جِيَادِ

يقول : كان الأعداء[٥] بين البحرين ، غربيها بحر الشّام ، وشرقيّها بحر من جِيَاد : وهو جيش الممدوح شبهه بالبحر لكثرته ، ولبياض الحديد وبريقه فيهم[٦]

---

(١) فى ا ، ع : «الغموم» مكان : «الهموم» .

(٢) ع : «كانت معقدة للحرب بالخيل» .

(٣) عاد : شعب سكن الأحقاف واضطهد النبى هود فسحقتهم العاصمة كما جاء فى القرآن .

(٤) اللاذقية : مدينة فى سواحل بحر الشام من أعمال حلب آنذاك وهى مدينة رومية عتيقه . وتعد الآن من تركيا . معجم البلدان .

(٥) «الأعداء» ساقطة من ا ، ع .

(٦) فى النسخ : «ولبياض الحديد فيهم وبريقه» .

وقيل : أراد بالبحر من المياه ، دماء القتلى . فبيّن أنها لكثرتها كبحر الماء ، والجانب الشرق من عتاق الخيل .

٢٥- وَقَدْ خَفقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبِيضِ الْحِدَادِ

الضمير فى «فيه» : يرجع إلى البحر من جياد .

يقول : تَحركت أعلامُك فى البحر من الجياد فكان يموج بالسّيوف البيض المحدَّدَة[١] شبّه بياض السُّيوف بماء البحر .

٢٦- لَقُوكَ بِأَكْبُدِ الإِبِلِ الأَبَايَا فَسُقْتَهُمُ وَحَدُّ السَّيْفِ حَادِ

الأبايا : جمع الأبيَّة ، وهى التى لا تنقاد ، وتمْنع أنفسَها من الخطام .

يقول : إن أعداءك رأوك بأكباد غلاظ كأكباد الإبل الأبيّة[٢] ، التى لا تنقاد لصعوبتها . فسقْتهم مع غلظ أكبادهم ونخوتهم[٣] وحدّ سيفك حادٍ بهم[٤] وسائقهم[٥] .

٢٧- وَقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ الْغَيِّ عَنْهُمْ وَقَدْ أَلْبَسْتَهم ثَوْبَ الرَّشَادِ

يقول : قاتلتهم حتى انقادوا ، وكشفت عنهم ثوب الضلالة ، وألبستهم ثوب الرشاد والحقّ ، فصاروا راشدين بعد أن كانوا غاوين[٦] .

٢٨- فَمَا تَرَكُوا الإِمَارَةَ لاخْتِيَارٍ
وَلا انْتَحَلُوا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادِ

---

(١) ق : «المجددة» تحريف . ا ، ب : «المحدودة» .

(٢) ا ، ع : «الأبايا» مكان «الأبية» .

(٣) ا ، ب : «وتخوتهم» تحريف . ع : «ونخوتهم» ق : «ونجوتهم» . والمراد : أبعدتهم

(٤) ا : «جاذبهم» مكان : «حاد بهم» ع : «جاديهم» .

(٥) المذكور من ع وفى سائر النسخ : «وسابقهم» .

(٦) ا ، ع : «غاوين» ق : «غادين» ب : «عادين» .

يقول : ماتركوا الإمارة اختيارًا ، بل غصبتَهم عليها ، وما ادعوا ودّك من اعتقادِ قلوبهم ، بل نفاقًا فى حبك .

٢٩–وَلا اسْتَفَلوا لِزُهْدٍ فى التَّعَالِى وَلا انْقَادُوا سُرُورًا بانْقِيادِ

يقول : ماانخفضوا لك لزهدهم فى العلوّ ، ولا انقادوا لك سرورا بالانقياد ، لكنّهم انقادوا خوفًا[1]

٣٠–وَلكنْ هَبَّ خَوْفُكَ فى حِشَاهُمْ
هُبُوبَ الرِّيحِ فى رِجْلِ الْجَرَادِ

يقول : هبَّ خوفُك فى قلوبهم فطيَّرها ، كما تهبّ الريح فى قطعة من الجراد فتبددها[2] .

٣١–وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمُ فَلمَّا مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ

يقول : وإنهم ماتوا خوفًا منك ، ولمّا صاروا كالموتى ، فكأنهم ماتوا قبل الموتة ، حتى إذا مَننْت عليهم أعدْتهم قبل يوم القيامة بعفوك عنهم[3] .

٣٢–غَمَدْتَ صَوَارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبُوا
مَحَوْتَهُمْ بِهَا مَحْوَ الْمِدَادِ

[٦١–ب] يقول : كانوا قد ماتوا فأعدتهم قبل المعاد ! بأن غمدت سيوفك عن قتلهم بها ولو لم يرجعوا عن معصيتك لمحوتهم[4] كما ينمحى المداد من الألواح .

٣٣–وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإنْ تَقَوَّى
بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الكَرَمِ التِّلادِ

---

(١) ا ، ع : « وكذلك ما انقادوا لك سرورا بالانقياد ولكنهم انقادوا لك خوفا » .

(٢) ا ، ع : « فتطيرها وتبددها » .

(٣) ا ، ع : « بأن عفوت عنهم » .

(٤) ق ، ب : « ولم يرجعوا عن معصيتك فحوتهم » .

يقول : إن غضبك المستحدث وإن كان قويًّا فلا يؤثر[١] فى كرمك الأصلى القديم ، فلا يمكنه أن يغلب كرمك المتين[٢] .

٣٤- فَلا تَغْرُرْكَ أَلْسِنَةٌ مَوالٍ تُقَلِّبُهُنَّ أَفْئِدَةٌ أَعَادِى

الموالى : هم الأصدقاء ، وقد راعى فيه المطابقة[٣] ، وجمع التأنيث فى « تقلبهنّ » للألسنة .

يقول : لا تغترّ بإظهارهم لك المولاة بألسنتهم[٤] فإن ألسنتهم وأفئدتهم مضمِرةٌ للعدواة ، فتغلب[٥] ألسنتَهم قلوبٌ مضمرة على العداوة . فلا تغترّ بظاهر أحوالهم .

٣٥- وَكُنْ كَالْمَوْتِ لا يَرْثِى لِبَاكٍ بَكَى مِنْهُ وَيَرْوَى وَهْوَ صَادِى

فاعل بكى : ضمير باكٍ .

يقول : كن كالموت لا يرحم ، ولا يرقّ لباكٍ ، يبكى من يده وفعله ، ويَرْوى الموتَ وهو عطشان بعد الرىّ ، فيزداد عطشًا[٦] .

٣٦- فَإنَّ الْجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إذَا كَانَ البِنَاءُ عَلَى فَسَادِ

نفر الجرح : إذا تورّم وظهر من أسفله فساد .

---

(١) ق : « وإن كانوا فلا يؤثر » تحريف . ب : « وإن كانوا قوما » تحريف والتصويب من ا ، ع .

(٢) « المتين » مهملة فى ا ، ع .

(٣) المطابقة بين موال . وأعادى . ورواية ق ، ب : « وقد أعنى » .

(٤) « بألسنتهم : » مهملة فى ق ، ب .

(٥) ما ذكر عن سائر النسخ « فتغلب » . وفى ع : « فقلب »

(٦) لحرصه على الإهلاك وفى معناه :

كالموت ليس له رى ولا شبع

انظر الواحدى والتبيان .

يقول حاثًّا له على قتل الباقين منهم : أضمَرُوا العداوة ، ويتربصون بك الدوائر فلا تغتر بإظهارهم المودة ، فإنهم كالجرح إذا كان اندماله على فساد ، وغَوْر فيه ، فإنه يظهر غوره بعد حين ، فكذلك حالهم معك .

٣٧- وَإِنَّ الماء يجْرِى مِنْ جَمَادٍ
وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ

أراد بالجماد : الحجر .

يقول : لا تأمن إظهار أحوالهم ، فقد يجرى الماء من الحجر الصَّلْد ، وكذلك النار التى تحرق كل شىء تخرج من الزِّناد الحديد[١] .

٣٨- وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ فَرَشْتَ لِجَنْبِه شَوْكَ الْقَتَادِ ؟

يقول : كيف ينام عدوّك وهو جبان ، مضطجعًا على فراش من قتاد : يعنى أن خوفك قد أثر تأثيرا بهِ ، حتى كأنه نائم على شوك القتاد[٢] ، هيبةً منك ، وقد يحصل من الجبان بعض أحوالٍ لا تحصل من الشجاع - ضرورة - خوفًا ، ويجوز أن يكون توحيد الجبان لأنه أراد : أميرَهم .

٣٩- يَرَى فى النَّومِ رُمْحُكَ فى كُلاهُ
وَيَخْشَى أنْ يَرَاهُ فى السُّهَادِ

يقول : يرى هذا الجبان رمحَك أصابتْ كُلاه فى نومه ، فخاف أن يرى فى اليقظة ما يراه فى النوم ، فلا يلذ له نوم أبدا ، لذلك[٣] .

٤٠- أَشَرْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ
نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ

(١) «الحديد» زيادة من ب ، ق

(٢) القتاد : شجر له شوك صلب كالإبر ينبت بنجد وتهامة . انظر معجم أسماء النبات ١٢١ .

(٣) عبارة ع ، ا : «فلا يطيب نومه لذلك أبدا» .

يقول : أَشَرْت إليّ أَنْ أمدح قومًا(١) نزلتُ بهم فما أكرمونى وخرجت من عندهم بغير زاد ، فهل ترى أنْ أمدحَ مَنْ هذا فِعْله ؟ ! .

٤١- وظَنُّونِى مَدَحْتُهُمُ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمُ مُرَادِى

كأنه قد كان قَصَدَهم قبل قَصْدِه الممدوح ، ومدحهم فلم يثيبوه شيئًا [٦٢-ا] .

يقول : إنهم ظنوا أنّى مدحتُهم ، وما علموا أنك كنتَ أنت المقصود بذلك المدح .

وقيل : إنّه مدحهم بعدما أمره بِهِ هذا الممدوح ، فلم يعطوه ، فقال للممدوح : أنت أمرتنى بمدحهم فيجب عليك أن تُخْرِج ثواب مدحى لهم ، وكَنتَ ضامنًا وقد أخذ هذا المعنى من قول الحَكَمى :

وَإِنْ جَرَتِ الأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحِهِ
لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِى نَعْنِى(٢)

٤٢- وَإِنِّى عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادٍ
وَقَلْبِى عَنْ فِنَائِكَ غَيْرِ غَادِ

يقول : إنى غادٍ عنك بعد غدٍ ، وقلبى غير مرتحل عن فنائك . ومثله لأبى تمام :

مُـقِـيـمُ الـظـنِّ عِـنْـدَكَ وَالأَمَـانِى
وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِى فى الْبِلادِ(٣)

(١) ق ، ب ، ا : « قوم » .

(٢) ديوانه ٤١٥ والتبيان ١/ ٣٦٥ ومختارات البارودى١/ ١١٤ وزهر الآداب ٤/ ٦٤ والإبانة ٢٣٠ والواحدى ١٤٣ والرواية فيه : « وإن جرت الألفاظ منا بمدحه » وهو كذلك فى الوساطة ٥٦ والديوان أيضا .

(٣) ديوانه ١/ ٣٧٤ والوساطة ٦٧ ومختارات البارودى ٧/ ١٥٣ ، والإبانة ١٠١ والتبيان ١/ ٣٦٥ وزهر الآداب ٢/ ٤٦ ومعاهد التنصيص ٤/ ٥٣ .

٤٣- مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ رِكَابِى
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلادِ

يقول : حيثما سرتُ ونزلتُ ، فإنى محبّك ، وحيث كنتُ من البلاد فإنى ضيفك ، لأن عطاياك عظيمة وأياديك غير منقطعة ولا فانية . ومثله لأبى تمام قوله :

ومَــا طَوَّفْتُ فى الآفـاقِ إلاَّ
وَمِنْ جَــدْوَاكَ رَاحِلَتِى وَزَادِى[1]

إلا أن بيت المتنبى أجود منه ؛ لأنّه دلّ على هذا المعنى فى المصراع الأوّل بمعنًى آخر ، وأنه لم يقتصر على الرّاحلة والزاد ، لأن لفظ الضيف يتضمن سائر وجوه النعم والتعظيم ، لأن من حكْم الضيف أن يكون معظّما مكرّما ، فبيَّن أنه كذلك حيثما سار من البلاد .

(٥٧)

وقَالَ أيْضًا يَمْدَحهُ[2] . [أى يمدح عليا بن إبراهيم التنوخى] :

١ - مُلِثَّ القَطْرِ! أَعْطِشْهَا رُبُوعَا وَإلاَّ فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا

المُلِثّ : الدائم القَطر ، والكناية فى أعطشها : للربوع ، وقدّمها للدلالة ، ونصب «ربوعا» على التمييز ، كأنّه قال : من ربوع .. و«النّقيع» : المنقوع .

---

(١) ديوانه ١/ ٣٧٤ والوساطة ١٠٢ والإبانة ٦٧ و ٢٤٩ وتأهيل الغريب ٢٦٥ ومعاهد التنصيص ٥٣/٤ والواحدى ١٤٣ وزهر الآداب ٢/ ٤٦ ومختارات البارودى ١/ ١٥٣ . والرواية فيه : « وما سافرت فى الآفاق » .

(٢) المثبت هو ما فى جميع النسخ . وفى الواحدى ١٤٣ : « وقال أيضا يمدح على بن إبراهيم التنوخى » . وفى التبيان ٢/ ٢٤٩ : « وقال يمدح على بن إبراهيم التنوحى » وفى الديوان ٨١ : « وقال أيضًا يمدحه » وفى العرف الطيب ٨٣ : « وقال يمدحه أيضا »

يخاطب المطر فيقول[١] : يا دائم القطر ، أعطش هذه الربوعَ من ربوعٍ ، ولا تسقها ، وإن كنت لابد ساقيها ، فاسقها السُّمَّ النقيع ! فإنى شاكٍ منها ؛ وقد بيّن العلّة فى ذلك فى قوله[٢] .

٢ - أُسائِلُهَا عَنِ الْمتَدَيِّرِيهَا فَلاتَدْرِى وَلا تُذْرِى دُمُوعَا

قوله : المتديِّريها : أى المقيمين بها والمتخيرين[٣] لها دَارًا ، وكان الأصل المتدوِّريها ، لأن الدّار : أصلها دَوَرَ ، فهو من الواوىّ[٤] يقول أسائِل هذه الربوع عن المقيمين فيها[٥] ، فلا تَدْرِى سؤالى ولا تجيبنى عنه ولا تبكى الدُّموعَ[٦] مساعدة عن بكاء الذين كانوا فيها ، حزنًا على خلوِّها منْهم .

٣ - لَحَاهَا اللهُ إلَا مَا مَاضِيَيْهَا زَمَانَ اللَّهْوِ والْخَوْدَ الشَّمُوعَا

لحاها : أى لعنها ، وأصله قَشَرها الله . والخَوْد : الجارية الناعمة السهلة الخُلُق . والشَّموع : هى اللَّعوب المُزاحة اللينة الكلام . وقيل : هى الصَّافية البياض .

يقول : لعن الله هذه الرّبوع إلا ماضيها ، وهو استثناء [٦٢ - ب] منقطع ، لكن شيئين[٧] منهما قد مضيا ، فإنى لا أدعو عليهما : أحدهما زمان اللهو ، والثانى الخود الشموع وهى المحبوبة[٨] .

٤ - مُنَعَّمةٌ ، ممنَّعَةٌ ، رَدَاحٌ يكلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الوُقُوعَا

(١) « يخاطب المطر » مهملة ق ، ب .

(٢) ا ، ع : « فى البيت الذى يليه » مكان « فى قوله » .

(٣) ق : « المتحفرين » ، ع : « المتحيرين » . روايات

(٤) المثبت عن ع وفى سائر النسخ : « فهو من الدار » .

(٥) ع . « عن المتديريها أى المقيمين فيها » . ا . « المتديرين أى المقيمين فيها » .

(٦) مكان : « الدموع » بياض فى ق . ب . وفى ع : « فنصب الربوع » ، وفى ا : « الربوع » .

(٧) ق . ب : « لكن شيئان » .

(٨) ق ، ب : « والثانى المحبوبة » .

الرَّدَاح : السمينة الكبيرة العجز . والوُقُوع : جلوس الطير .

يقول : إنها منعّمة ممنوعة الوصول إليها ، سمينة حسنة الصوت والمنطق ، فلو سمع الطير لفظها فى الهواء لسقط على الأرض [١] . فكأن لفْظَها كلّف الطَّير الوُقُوع على الأرض .

٥ - تُرَفِّعُ ثَوْبَهَا الأَرْدَافُ عَنْهَا فَيَبْقَى مِنْ وِشَاحَيْهَا شَسُوعًا

رفع الأرداف : لأنها فاعلةٌ لترفِّع ومفعوله الثوب [٢] . والوشاح : شيء تقلّد به العروس كتقليد السيف . ويكون طرفاه مرسلين من جَانِبِى [٣] البدن . والشَّسُوع : مبالغة فى الشاسع [٤] وشَسُوعا : نصب على الحال .

يقول : إن أردَافها ترفع الثوب عن جسمها ؛ لعظم أرْدافها . فيصير الثوب بعيدًا عن وشاحيْها وجسمها . وقد دلّ بذلك على دقة الخصْر . لأنه لو لم يدقّ لم يبْعد الثوبُ عنه . وروى : شُسُوعا بالضم : وهو مصدر واقع مَوْقع شاسع . كقولهم : صوْم وعدْل . وصفة الشيئين أولى ؛ لأنه صفة صريحة وحقيقة . وهذا محمول عليها [٥] .

٦ - إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجًا
لَهُ ، لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعَا

ماست : أى تبختَرت . والارتجاج : الاضطراب . والهاء فى «لها» :

---

(١) ا . « لسقط حواليها على الأرض » ع « يسقط حواليها » .

(٢) ع . ا . « ومفعوله الثوب ، ويبقى فعل الثوب » .

(٣) ذكر الواحدى وصاحب التبيان . الوشاحان : قلادتان تتوشح بهما المرأة . ترسل إحداهما على الجانب الأيمن والأخرى على الأيسر .

(٤) الشاسع : البعيد .

(٥) ع . يلى هذا : « ومثله قول الآخر :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا

ولعلها زيادة من أحد المعلقين ، لأن هذه النسخة هى التى انفردت به

للأرداف ، وفى « له » : للثوب . والنَّزوع : بمعنى النازع . وهو فاعل ، من نزعتُ الشىء إذا جذبته عنه .

يقول : إذا تبخترت هذه المرأة فى مشيها رأيت لأردافها - من ثقلها - اضطرابًا . لولا سواعد هذه المرأة . لكان ذلك الارتجاج نازعًا لِثَوْبها عنها . فلكون سواعدها فى الكُم ، وإمساكها لثوبها ، لم ينفصل الثوب عن البدن ! !

٧ - تَأَلَّـمَ دَرْزَهُ والـدَّرْزُ لَـينٌ كَمَا تَتَأَلَّمُ الْعَضْبَ الصَّنِيعَا

تألّم : أصله تتألم . فحذف إحدى التّاءين . وهو فعل المرأة . ولَيْنٌ : أصله لَيِّنٌ . فخفف . والعضب : السيف القاطع . والصنيع : الذى جرِّد . وقيل : الذى فيه جودة الصنع .

يقول : تتألم هذه المرأة لنعومتها من دَرْز[1] هذا الثوب مع كون دَرْزه ليِّنا . كما أنتَ تتألم أيها المخاطب من ضرب السّيف . يعنى : أن هذا القدر[2] من الخشونة يؤثر فيها ويقع موقع[3] ضرْبها بالسيف .

٨ - ذِرَاعَـاهَا عَـدُوَّا دُمْلُجَـيْهَا يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيعَا

يقول : ذراعاها ، أى[4] ذراعا هذه المرأة - لامتلائهما . كأنهما عدوَّا دمْلجيْها[5] . لأنهما يكادان أن يكسراهما ، لامتلائهما . أو لأنه لا يمكِنُهما أن يدورَا على ذراعيْها . فيكون ذراعاها قد أمسكاهما . والدُّملجان : قدْ غاصا بذراعيْها . فيعادى كلٌّ منهما صاحبَه . من هذا الوجه . وقيل : أراد أنَّ دُمْلجيْها لا ينحطّان عن عضديها ، إلى ذراعيها[6] . لامتلاء ذراعيها بهما [٦٣-١] ومنعها

(١) الدرز : موضع الخياطة فى الثوب . الواحدى والتبيان . (٢) « القدر » ساقطة من ق .
(٣) فى جميع النسخ : « ويوقع موقع » . (٤) « ذراعاها أى » ساقطة من ا ، ع .
(٥) الدملجان : المراد بهما معصميها وهما موضع السوار من اليد .
(٦) العضد : ما بين المرفق إلى الكتف ، والذراع : اليد من كل حيوان ، لكنها من الإنسان من طرف المرفق . إلى طرف الإصبع الوسطى .

من أن يخرجا من ذراعيها ، فهما والذراعان لا يلتقيان أبدا ، كالعدوّين .

يقول : يظن مُضَاجِعها أن زَنْدَها[١] شخص واحد ، قد ضاجعه لعظمه وامتلائه .

وقيل : أراد أنها لدقة خصرها يظن المضاجع أنها زَنْد : وهو الزَّند الذى يورى منه النار ، والزَّنْد ينحف الخصر لكثرة القدْح ووصول الحجر إليه من الجانبين ، فكأنه شبهها فى رِقّة خصرها بالزَّند[٢] .

٩ – كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ يُضِىءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطُّلُوعَا

يقول : إن [نقابها يشْرق لإضاءة وجهها من] تحته كما يشرق الغيم الرقيق من فوق القمر[٣] : الذى هو البدر . شبه نقابها بغيم رقيق ، ووجها بالبدر ثم قال يضىء الغيم بسبب منعه البدر من الطلوع ، ولو قال بدله (الشمس) لكان أبلغ .

١٠ – أَقُولُ لَهَا : اكْشِفِى ضُرِّى . وَقَوْلِى بِأَكْثَرَ مِنْ تَدَلُّلِهَا خُضُوعَا

قوله : « وَقَوْلِى بأكثر » ، يعنى بخضوع أكثر من تدللها ، خضوعًا ، فتكون الباء متعلقة بمحذوف ، وتكون هذه الجملة خبرًا « لقولى » ، و« خضوعًا » نصب على الحال[٤] ، تفسيرٌ للخَضْوع المقدَّر .

يقول : أقول لها فى حال تضرّعى وتواضعى لها : اكشفى ضرى ، وخضوعى فى قولى هذا أكثر من تدلّلها علىّ عَلَى كثْرته ؛ وذلك أن الدّلال يكون مع الخضوع ، فكأنه يقول : إنها تتمنع وتتدلل وأنا أخضع لها وأتذلل حتى يزيد

---

(١) الزَّند : المراد به هنا موصل الذراع فى الكف عن علم التشريح ووظائف الأعضاء للدكتور شفيق عبد الملك ص ٦ .

(٢) الزَّند : المراد به هنا العودالأعلى الذى يقتدح به النار .

(٣) عبارة النسخ : يقول إن تحته كما يشرق الغيم الرقيق من تحت القمر . والتصويب من الواحدى

(٤) ع « نصب على الحال » مهملة .

خضوعي على مالَها من التدلل والتمنع ، وإن كان تدلُّلها غير متناهٍ كثيرًا[1] فخضوعي أكثر منه .

١١- أَخَفْتِ اللهَ في إحْيَاءِ نَفْسٍ متَى عُصِيَ الإلَه بِأَنْ أُطِيعَا ؟

يقول لها : أخفْتِ لله تعالى في إحياء نَفْسٍ على الوصال ، فتكوني قد أحيَيْته بعد الإماتة ، أو يريد : إنك قد هممتِ بإماتتي فكأنك خِفْتِ الله تعالى في تَبْقِيَتِي على هذه الحال . وليس ذلك مما يخاف الله تعالى ، بل إحياء نفس مما يتقرب به إلى الله تعالى ، فكيف يعصي الإله بطاعته تعالى .

١٢- غَدا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتُورٍ خَلِيعَا

وروى : كل خَلْقٍ . والمستهام : من بلغ النهاية في الهوى . والخليع : هو المتظاهر بالهوى .

يقول : أصبح كل خلي[2] من الهم وَالِهًا بك متحيرًا في هواك ، وأصبح كلّ عفيف في حبّك ، خالعًا عذاره . ومثله[3] :

وَلَوْ أَنَّ لُقْمَانَ الحكِيمَ تعرَّضَتْ
لِعَيْنَيْهِ مَيٌّ سَافِرًا كَانَ يَبْرَقُ[4]

١٣- أُحِبُّكِ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ
ثَبِيرًا وابْنَ إبْرَاهِيمَ رِيعَا

« أو » هاهنا بمعنى : « أن » أو « إلى أن » أو « إلاَّ أن » .

يقول لها : إني أحبّك إلى أن يقولوا : جرّ نملٌ ثبيرًا وهو الجبل . وهذا لا يكون

---

(١) ق ؛ ب : « وإن كان تدللها غير متناهيا كثيرًا » خطأ .

(٢) ق : « خلو » . ع ١ : « خلق » .

(٣) ق ؛ ب : بعد ومثله زادتا : « قول بعضهم وهو » .

(٤) هذا البيت لذي الرمة في ديوانه ١/ ٤٦١ وشرح البرقوقي ٢/ ١٩٢ .

أبدا ، أو إلى أن يقال : إن ابن إبرهيم[١] ، خُوِّف وأفزع . وهذا أيضًا غير جائز ، فلا يزول حبُّك أبدًا عنِّى ، لأن هذين أبدًا لا يكونان .

١٤- بَعِيدُ الصِّيتِ مُنْبَثُّ السَّرَايَا يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطِّفْلَ الرَّضِيعَا

يقول : إنه رفيع الشأن ، متفرّق العساكر فى البلدان ؛ لكون البلاد كلها من ممالكه ، أو للإغارة على أعدائِه ، ويُشَيِّب ذكرٌ شجاعته الطِّفلَ الرضيعَ ؛ لخوفه [٦٣ - ب] منْه ، وخص الطفل ؛ لبعده عن الشَّيْب ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)[٢] .

١٥- يَغُضُّ الطَّرْفَ عنْ مكْرٍ ودَهْيٍ كَأَنَّ بِهِ - وَلَيْسَ بِه - خُشُوعَا

الدَّهْى : هو الدهاء . وخشوعًا : نصب لأنه اسم كأَنَّ . تقديره : كأنَّ به خشوعًا ، وليس أنه يغُضّ طرْفه عن مكرٍ ودهاءٍ[٣] ، حتى كأنه لا يبصر شيئًا وهو مبصر ، ولكن يتغافل بمكره ، وهو يظن أنه خاشع البصر ، وليس به خشوع لكنه يفعل مثل ذلك لدهائِه .

١٦- إذَا اسْتَعطَيْتَهُ مَافِى يَدَيْهِ فَقَدْكَ ، سَأَلْتَ عَنْ سِرٍّ مُذِيعَا

فَقَدْكَ : أى فحسبك ، والمذيع : مِنْ عادته إفشاء السر ، لأنه لا يكتمه . شَبَّهَهُ بمذيع السّر ، إذا سألوه[٤] المال . يعنى : أن المذيع كما لا يكون له سرٌّ ، كذلك هذا لا يثبت فى يده غنى[٥] .

---

(١) المراد به الممدوح وهو على بن إبراهيم التنوخى .

(٢) سورة المزمل ٧٣/ ١٧ .

(٣) ب : « يغضى طرفه عن مكروه » . ا ، ع : « يغض طرفه من مكره ودهائه » .

(٤) الضمير يعود على الممدوح .

(٥) ق ، ب : « هذا يثبت فى يد غنى » تحريف . ع : « كذلك لا يثبت فى يده شىء » .

١٧- قَبُولُكَ مَنَّهُ مَنٌّ عَلَيْهِ وَإلاَّ يَبْتَـدِئْ يَرَهُ فَظِـيعَا

منّه : نصب لأنه مفعول « قبولُك » ، و« منٌّ عليه » ، خبر الابتداء و« قبولك » مبتدأ ، و« فظيع » : أى أمر شديد منكَر .

يقول : إذا قبلتَ برَّه وعطاءه فكأنّك قد منَنْت عليه بقبولك ذلك ، وإن لم يبتدئ بالنّوال قبل السؤال ، رأى ذلك قبيحًا منكرًا . يعنى : يسابقك إلى العطاء[1] قبل الاستغناء .

١٨- لِهُونِ الْمَالِ أَفْرَشَهُ أَدِيمًا وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيعَا

يقول : لهون المال عليه فرش تحته النَّطع من الأَدِيم وصبّه فوقه ، لا لكرامته عليه ، لأن النّطع إنما يبسط لمن يُضْرب عنقه[2] ، ولو أراد إعزازه لجعله فى الكيس ، وإنّما يكره أن يضيعَ المال ، مخافة ألا يبلغ وقت تفريقه إياه ، فيكره أن يضيع لأجل صرفه فى مصارفه .

١٩- إذا ضَرَبَ[3] الأَمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ
فَمَا لِكَرَامَةٍ مَدَّ النُّطُوعَا

يقول : إنّ فرشه النّطوع تحت المال ، كما أنه إذا أراد أنْ يضرب رقاب قوم يلْقِى من تحتهم النطوعَ[4] إهانةً لهم ، لا إكرامًا .

٢٠- فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إلا كَثِيرًا وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إلا قَرِيعَا

القريع : السيد الشريف .

يقول : إن الممدوح لا يهب إلا كثيرًا ، وإذا قَتَل ، لا يقتل إلا سيّدًا شجاعًا كريمًا مقارعًا .

---

(١) ق . ب : « يسابقك العطاء » .
(٢) ا ، ع : « رقبته » . (٣) ا ، ع : « مدّ » مكان : « ضرب » .
(٤) أى مد الأنطاع ليس لكرامتهم ، ولكن ليصان المجلس من الدم.

٢١–وَلَيْس مُؤَدِّبًا إلاَّ بِنَصْلٍ كَفَى الصِّمْصَامَةُ التَّعَبَ الْقطِيعَا

كَفَى : يتعدى إلى مفعولَيْن : أحدهما التعب ، والثانى القطيع ، وهو السوط[١] . تقديره : كفى الصمصامةُ القطيعَ التعبَ .

يقول : إنه لا يؤدب إلا بسيف فيقيمه فى التأديب مقام السوط ، فيكفى السَّوطَ التَّعَب والعناء[٢] .

٢٢–عَلِيٌّ لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ مَجِيءٍ مُبَارِزَهُ وَيَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا

يقول : إنه لا يمنع مقاتلَهُ من المجىء إلى قتاله ونزاله ، ولكنّه إذا أراد أن ينصرف ، منعه من الانصراف بقتله ، فينتفى الرجوع[٣] [٦٤–ا] .

٢٣–علىٌّ قَاتِلُ الْبَطَلِ المُفَدَّى وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرَدِ النَّجِيعَا

المفدّى : الذى يفديه كل واحد من الناس ، لشجاعته . والزَّرَد : الدرع . والنجيع : الدّم الطرىّ . وقيل : دم الجوْف .

يقول : إنه يقتل البطل الذى يفدّيه الناسُ لشجاعته ، ويسلبه درعَهُ ويلبسه بدل الدِّرع الدّم الطرى ، الذى يخرج منه بالضرب والطعن .

٢٤–إِذَا اعْوَجَّ الْقَنَا فى حَامِلِيهِ وَجَازَ إِلَى ضُلُوعِهِمُ الضُّلُوعَا

فى حامليه : يجوز أن يريد به ، المطعونين . ومعناه : إذا صارت الرماح معوجّة فى المطعونين ، ونفذ ذلك الرّمح من ضِلْع إلى ضلع آخر ، أى[٤] يخرج من جانب إلى جانب آخر ، من هذا المطعون إلى مطعون آخر ، وجواب هذا الكلام ، بعد

---

(١) القطيع : السوط المقطوع من جلود الإبل . الواحدى والتبيان .

(٢) ا ، ب : « فيكفى سيفه » وهو المثبت . ق : « فيكفى صوته الصوت » تحريف ع : « فيكفى سيفه » « بدل صوته التعب » ، « العناء » زيادة ق . ب .

(٣) ق : « بقتله إياه فينبغى الرجوع منه » . ع : « منعه من الانصراف عنه سلما بقتله فينتفى الرجوع » .

(٤) ع ، ا : « وهو أن » مكان : « أى » .

البيت الذى يليه . ويجوز أن يريد بحامليه : أعداء الحاملين للرمح[١] . وإنما خصّ الرمح ؛ لأن طعن الرمح أدلّ على الفروسية والشجاعة ، لأنه يقابل مثل سلاحك .

٢٥–وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الأكْبَادُ مِنْهُ فَأَوْلَتْهُ انْدِقَاقًا أَوْ صُدُوعَا

الهاء : فى « منه » ترجع إلى لفظ « القنا » وكذلك « أولته » . وفى « ثأرَها » للأكباد .

يقول : إذا اعوجّ القنا ، وانصدع واندقّ فى الأكْباد ، فكأنَّ الأكباد نالت ثأرها من الرماح بهذا الاندقاق فأعْطت الأكبادُ القنا اندقاقًا أو صدوعًا .

٢٦–فَحِدْ فى مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ
وَإن كُنْتَ الغَضَنْفَرةَ[٢] الشَّجِيعا

٢٧–إن اسْتجْرأْتَ تَرْمُقه بَعيدًا
فَأَنْتَ اسْطَعْتَ شَيْئًا مَا اسْتُطِيعَا

وروى : « الخبعثنة »[٣] فَحِدْ : أمر حادَ يحِيدُ ، إذا تأخّر عن المحاربة . والهاء فى « عنه » : للممدوح ، والْغَضَنْفَرَةَ : من صفات الأسد[٤] .

يقول : إذَا اشتدّت الحروب ، واعوجّ القنا ، ونالت الأكباد ثأرها من الرماح ، فَحِدْ[٥] عنه ، يا من يريد مبارزتَه عند التقاء الجيشين ، وإن كنتَ أسدًا[٦] شديدًا شجاعا ، فإنه يقتلك لا محالة فتهلك[٧] .

---

(١) ق : « أعداء الرامحين للرمح » . ب : « أعداء الطاعنين للرمح » .

(٢) ق ، ب : « الخبعثنة » . ورد هذا البيت فى الديوان بعد : « غمام ربما » رقم ٢٩ من هذه القصيدة .

(٣) فى ا : « وروى الخبعثنة » وع : « والخبعثنة مرويان » .

(٤) زادت ا : « وهما من صفات الأسد » إشارة إلى الخبعثنة والغضنفرة .

(٥) ا ، ع : « فزل » مكان : « فحد » .

(٦) عباره ع : « عند التقاء الخيلين عن مبارزته إن كنت أسدا »

(٧) « فتهلك » مهملة فى ا ، ع .

٢٨– وَإِن مَارَيْتَنِي فَارْكَب حِصَانًا وَمَثِّلْهُ تَخِرّ لَهُ صَرِيعًا[١]

أى : إن خاصمتنى ، أوْ شككتَ فى قولى روى : حصانًا وجوادًا[٢] وصريعًا نصب على الحال .

يقول : إن خاصمتنى أوشككت فى إخبارى من حال[٣] هذا الممدوح ، فاركب فرسًا جوادًا ومثّله فى قلبك نصب عينيك[٤] ، وإن كان غائبًا عنك فإنك تسقط من هيبته هالكا .

٢٩– غَمَامٌ رُبَّمَا مَطَرَ انتِقَامًا فَأَقْحَطَ وَدْقُهُ الْبَلَدَ الْمَرِيعَا

البلد الْمَرِيع ، والْمُمْرِع : هو الخصيب والمُخْصِب وزنًا ومعنى .

يقول : إنه غمام يمطر خيرًا ونعمة[٥] إلا أنه ربما يمطر انتقامًا فيقحط قطرُه البلد الخصيب[٦] .

٣٠– رَآنِي بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطَايَا تَيَمُّمُهُ وَقَطَّعْتِ الْقُطُوعَا

رأى : فعل الممدوح ، وتيمُّمُه : فاعل « قطع » . و« المطايا » : مفعوله . وقطّعت : فعل المطايا . والقُطُوع : [٦٤ – ب] مفعوله . وهو جمع القِطْع ، وهو الطِّنفسه على ظهر البعير[٧] .

يقول : رآنى الممدوح ، بعد ما قطع المطايا ، وأتْبعها سيرى إلى الممدوح

---

(١) ذكر فى ق بدل هذا البيت : « غمام ربما » وهو البيت الذى يليه ٢٩ وأشير فى هامش النسخة إلى أنه مؤخرا بخط الناسخ . والترتيب المذكور هو ما فى كل النسخ .

(٢) « روى حصانا وجوادا » فى ع فقط . (٣) ع : « فيما أخبرتك به من حال » .

(٤) ق ، ب : « نصب عينيك » مهملة . (٥) ق : « نقمة » مكان : « نعمة » .

(٦) تزيد ق ، ب بعد ذلك : « من الرجال » ولعله يريد فيقحط قطره البلد من الرجال

(٧) الطنفسة : تكون على ظهر البعير وتحت الرحل . انظر الواحدى والتبيان .

وقصدى إياه ، وقطّعت المطايا الطنافس التى عليها ؛ لطول ملازمتى لها ؛ وكل ذلك لطول الطريق وبعد المسافة[١] ومقاساة الشدائد . يذكر ذلك توصلا إلى فضل عطاياه .

٣١- فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِى غَدِيرًا وَصَيَّرَ خَيْرُهُ سَنَتِى رَبِيعَا

يقول : لمّا رآنى أعطانى إعطاءً واسعًا ، حتى جعل سيله بلدى غديرا[٢] : وهو مقر الماء . وصير خيره سنتى كلها ربيعًا ؛ لأنه أفضل فصول السّنة .

٣٢- وَجَاوَدَنِى بِأَنْ يُعْطِى وَأَحْوِى فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخْذِى سَرِيعَا

جاوَدَ : فاعَلَ من الجود .

يقول : جادَ علىّ بالعطاء وجدْتُ عليه بالاحتواء والأخذ[٣] فجعل أخْذَه منه جودًا ، لأنه كان يعد أخذه نعمة من جملة النعم عليه ، فأغرق نيْله وإعطاؤه أخْذِى بسرعة : أى لم يبلغ أخذى عطاؤه ، فكأنه غرّق[٤] أخذى[٥] .

٣٣- أَمُنْسِىَّ السَّكُونَ[٦] وَحَضْرَمَوْتًا وَوَالِدَتِى وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيعَا

يقول : يا من أنسانى هذه الأماكن لجوده ، وإن كانت منشأى ومألفى ، ويا من أنسانى والدتى فلا أشتاقها ؛ لأن عطاءك شغلنى عن جميع ذلك[٧] .

٣٤- قَدِ اسْتَقْصَيْتَ فى سَلْبِ الأَعَادِى فَرُدَّ لَهم مِنَ السَّلَبِ الْهُجُوعَا

(١) ع : « المشقة » مكان : « المسافة » .

(٢) ق ، ب « غدائرًا » بدل « غديرًا » .

(٣) ق ، ب : « والأخذ » مهملة .

(٤) ع ، ا : « أغرق » مكان : « غرق » .

(٥) أى كان هو فى الأعطاء أسرع منى فى الأخذ .

(٦) فى التبيان : « الكناس » بدل : « السكون » .

(٧) ب ، ق : « عن جميع ما ذكر » . وهى أسماء أماكن بالكوفة

السَّلَب : يجوز أن يكون الشيء المسلوب ، ويجوز أن يريد به : المصدر ، فيجوز فيه فتح اللام وإسكانها .

يقول : قد سلبت أعداءك كلّ شيء حتى النوم ، فَردّ عليهم من جملة هذا السّلب النومَ . يعني : أنهم من خوفهم منك أن تسلبهم نفوسَهم ، لا ينامون ، فأَمّنْهمليناموا .

٣٥- إِذَا مالَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسَرْتَ إِلَى قُلُوبِهُمُ الْهُلُوعَا

تُسِر : مضارع أَسارَ يسير إسارة ، وسار وهو يسير سيْرًا والهلوع : أسوأ الجزع[1] .

يقول : إذ لم تسيّر جيشك إليهم ، وتركت قتالهم فقدسيرت إلى قلوبهم الجزع والخوف ، فكأنك قد سيّرت إليهم الجيش ؛ لأن خوفهم منك يقوم فى حقهم مقام الجيش .

٣٦- رَضَوْا بِكَ كَالرِّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا وَقَدْ وَخَطَ النَّواصِيَ وَالْفُرُوعَا

وخط : إذا ظهر واختلَطَ البياض بالسواد[2] ، وأراد بالنواصى : شَعْرها[3] . والفروع : الذوائب .

يقول : إنهم رضوا بك كارهين كرضاهم بالشَّيب إذا خالط شعرَ النواصى وسائر الفروع ، فكما أن الشيب غير محبوب إلى كل أحد ، فكذلك حالهم فى رضاهم بك .

٣٧- فَلا عَزَلٌ وأَنْتَ بِلا سِلاحٍ لِحَاظُكَ مَا تكُونُ بِهِ مَنِيعَا

---

(١) ق ، ب : « الهلوع : الجزع » .

(٢) ق ، ب : « البياض والسواد » .

(٣) النواصى : جمع ناصية وهى مقدم الرأس . والفروع : جمع فرع وهو الشعر . وهذا ما ذكره صاحب التبيان .

الْعَزَل : هو فقد السلاح . من قولهم : رجل أعْزل . و « ما » ؛ بمعنى الذى . كأنه قال : لحاظك الشيء الذى يكونِ به منيعًا . والهاء فى « به » عائد إلى « ما » ، والمنيع : الممنوع الجانبِ .

يقول : ليس فقدك السلاح[1] بعزل ؛ لأن لحاظك إذا نظرت إلى عدوّك تغنى عن السلاح ، فصرتَ بالملاحظة منيعًا ذا سلاح .

٣٨–لَوِ اسْتَبْدَلْتَ ذِهْنَكَ مِن حُسَامٍ قَدَدْتَ بِهِ الْمغَافِرَ والدُّرُوعَا

الهاء فى به : للذهن .

يقول : لو جعلتَ ذهنَك بدلا من سيْفك ، لقطَّعت « به » المغافر والدُّروع . يصفه بحدة الذّهن وجودة الخاطر .

٣٩–لَوِ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فى قِتَالٍ أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعَا

يقول : لو بذلت جهْدَك وقدْرتك فى القتال ، لأتيت على جميع أهل الدّنيا ولأفْنيْتهم ، حتى لا تبقى الدنيا ولا أهلها .

٤٠–سَمَوْتَ بِهِمَّةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو فَمَا تُلفَى بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعَا

التاء فى « تسمو » الأوّل : للخطاب ، والثانى : للهمّة . أى تسمو أنت وتسمو همتُك بسموّك . ويجوز أن يكون : الأوّل للهمة ، والثانى : للخطاب . أى تسمو همتك فتسمو أنتَ بسمو همّتك . ويجوز أن يكونا للهمة أى تسمو همتك إلى درجة فما ترضى بها ، فتسمو إلى ما فوقها . فما تُلْفَى أنت أوْ همّتك بمرتبة قنوعا ، أى لا يرضى بمرتبة نالها بل يطلب فوقها .

٤١–وَهَبْكَ سَمَحْتَ حَتَّى لا جَوَادٌ فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لا رَفِيعا ؟!

---

(١) « السلاح » ساقطة ق . ب .

الألف فى رفيعا : ألف الإطلاق ؛ لأن النكرة المنفية بـ(لا)تنصب بلاتنوين.

يقول : أحسب أنّك بجودك علوْتَ أقرانَك حتى لا نظير لك فيه ، فكيف قدرتَ على السمو والارتفاع حتى لا يبقى رفيع[1] غيرك ؟ !

وقال البخارى : يجوز أن يكون بَلا من التنوين ، لأن « لا » إذا تكرّرت يجوز فيها هذا الوجه نحو قولك : لا حوْلَ ولا قوّة .

(٥٨)

وقال أيضا يمدحه[2] [أى عليًّا بن إبراهيم التنوخى ، ويصف بحيرة طبرية] :

١ - أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ   أَحْدَثُ شَىء عَهْدًا بِهَا الْقِدَمُ

العافى : الدّارس . والهمم : مبتدأ . وأحقُّ : خبره .

يقول : إنّ أحق دارس بالبكاء عليه ، همم النّاس الدارسة ، فهى أوْلى[3] بالبكاء لدروسها ، من الأطلال الدارسة . وقوله : « أحدث شىء عهدًا بها القدم » : أى أنها قد تقادمت ، فأحدث شىء بها القِدَم : أى صار أقربها عهدًا قديمًا . وقيل : أراد بالعافى : الطالب . والمعنى : أن الهمم أحق طالب بأن يبكى عليه . فكأنه يقول[4] : أعرض عن البكاء على الأطلال ، وابْكِ على الهمم .

وهو مأخوذ من قول أبى نواس :

صِفَةُ الطُّلُولِ بَلاغَةُ الْقِدَمِ   فَاجْعَل صِفَاتِكَ لابْنَةِ الكَرْمِ[5]

---

(١) « رفيع » عن ع .

(٢) ا : « وقال يمدحه » . الواحدى ١٤٨ : « وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى » . التبيان ٥٨/٤ : « وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى » . الديوان ٨٤ : « وقال يمدحه » . العرف الطيب ٨٧ : « وقال يمدحه أيضا »

(٣) ق ، ب : « أولا » مكان « أولى » . لعله خطأ إملائى (٤) ق ، ب : « يقول » مهملة .

(٥) ديوانه ٥٧ وروايته : « بلاغة الفدم » بالفاء الموحدة وشرحها المحقق فقال : الفدم : العى فى الكلام فى رخاوة وقلة فهم ! !

٢- وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ

يقول : إنّما عِزّ الناس ، وهممهم بالملوك ، فما تفلح العَربُ إذا كانت ملوكها عجم ؛ لأنهم لا هم لهم ، وهم إذا رضوْا بذلك فقد دنَوْا ، فلا يرجى لهم فلاح[1] .

٣- لا أدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلا حَسَبٌ وَلا عُهُودٌ لَهُمْ وَلا ذِمَمُ

٤ - بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُهَا أُمَمٌ تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمُ[2]

الذِّمم : جمع الذمة ، وهى الحُرْمة . يعنى : أن العجم ليس لهم حرمة[3] .

يقول : وجدتُ فى كل بَلدٍ [٦٥ – ب] دخلتها أمما أى جماعات[4] ، يَلِى عليهم عبْد ! فهم لا يأنفون عن الانقياد له ، كأنهم غنم ! وأراد بالعبد : العجم ؛ لأنهم مَوالى العرب ، وعبيدهم ، وهم ينزلون من العرب منزلة العبيد ، وفيه تعيير للعرب حيث رضوْا بأن يلى عليهم العجم وانقادوا لهم[5] .

٥ - يَسْتَخْشِنُ الْخَزَّ حِينَ يَلْمُسُه وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِه القَلَمُ

ويرْوَى : حين يلبسه ويلمسه[6] يصف بهذا العبد الذى صار واليًا . ويقول : صار بحيث يستخشن الخز[7] الذى هو فى غاية اللّين ، حين يلمُسهُ ، بعد أن كان عبْدًا قد غلظت يداه من الكدّ ، حتى لو أراد أن يَبْرِى بِظُفره القلم لبراه ؛ لطول ظفره .

---

(١) أصل الفلاح : البقاء ثم كثر استعماله فى كل خير ، حتى جعلوا سعة الرزق فلاحا ، وقضاء الحاجة فلاحا . التبيان

(٢) فى التبيان : « فى كل أرض ... كأنهم أمم » .

(٣) ع : « ليس لهم خصلة حميدة جميلة » ب : « ليس لهم ذلك » .

(٤) ب ؛ ق : « فى كل أرض دخلتها جماعات » (٥) ق ، ب : « وانقادوا لهم » مهملة .

(٦) ق ؛ ب : « يلمسه » ساقطة وقد ذكر صاحب التبيان : « يلبسه » بدل : « يلمسه » .

(٧) الخز : ثياب تعمل من الإبريسم لا يخالطها قطن ولا كتان ولا تعمل إلا بالكوفة وكانت تعمل بالرى قديما . هذا ما ذكره صاحب التبيان . وانظر المعرب ١٨٤ والألفاظ الفارسية ٥٤

٦ - إِنِّى وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِىَّ فَمَا أُنْكِرُ أَنِّى عُقُوبَةٌ لَهُمُ

يقول : إن كنتُ ألوم حسَّادى[١] على حسدهم إيّاى ، وعَدَاوتهم لى ، فإنى أعلم أنهم معذورون على حسدهم لى ، لأنى عقوبة لهم ، لمَا لِى من الفضْل والعلو ، فأقْتلهم غيظًا وحسدًا . وقريب منه قول الآخر :

وَلا خَلَوتُ الدَّهْرَ مِنْ حَاسِدٍ وَإِنَّمَا الفَاضِل مَنْ يُحْسَدُ

٧ - وكَيْفَ لا يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلَمٌ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ ؟!

العلم : الجبل

يقول : كيف لا يُحْسد رجل مشهور بالفضل والكمال ، عالىَ المحل ، وله على كل هامة قدم ، فهو أفضل من كل أحد[٢] .

٨ - يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ وَتَتَّقِى حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهَمُ

أبسأ الرجال : آنسهم . يقال : أبسأتُ به وأبهأت به إبساءً وإبهاء : إذا أنست بهِ[٣] .

يقول : يخاف هذا الرجل آنس الرّجال به ، وأقربهم إليه . وتتقى : أى تحذر ، من حد سيفه الشجعان .

تقديره : كيف لا يُحْسَد امرؤ وهذه صفته ؟ !

٩ - كَفَانِى الذَّمَّ أَنَّنِى رَجُلٌ أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكْتُهُ الْكَرَمُ

فاعل كفانى : أنّنى ، وما يتّصل به . والمفعول الأوّل : الياء التى هى ضمير المتكلم . والمفعول الثانى : الذّمّ .

(١) ا ، ع : « حسادى » ق ، ع ، ب : « حسادهم » .

(٢) عبارة ع : « فهو له فضل على كل أحد » .

(٣) ق ، ب : « يقال : أبسأت به إبساء إذا أنست به » ، ا ، ع : « يقال أبسأت به إبساء وأبهأت به إبهاء » .

يقول : منعنى من أن أُذَمّ نفسى ، فأكرم[١] ما أملك وأدخره لنفسى ، إنما هو الكرم فلا سبيل لأحد أن يذمنى مع هذا الكرم[٢] .

١٠- يَجْنِى الْغِنى لِلّئامِ لَوْ عَقَلُوا   مَاليْسَ يَجْنِى عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ

يقول : يجلب الغِنَى على اللّئيم ، ما لا يَجْلب عليه الفقر ؛ لأن اللئيم إذا صار غنيًّا يَبْخَل فيذمّ ، وإذا كان فقيرًا لم يذمّه أحد .

١١- هُمْ لأَمْوَالِهِمْ وليس لَهُمْ[٣]   وَالْعَارُ يَبْقَى والْجُرْحُ يَلْتَئِمُ

يقول : إن اللئام خدمُ أموالهم ، وعبيدهم ، حتى أوقعوا أنفسهم[٤] فى الهلاك بسببها ، وليست الأموال لهم ، لأنهم لا ينتفعون بها ، ولا يكتسبون بها حمْدًا ولا أجرًا . ثم قال : « والعار يبقى والجرح يلتئم » : يعنى أن غناءهم عارٌ عليهم ، يبقى بعدهم . والجرح يلتئم : أى أن الجرح أهون من العار ؛ لأن الجرح يندمل ويذهب أثره والعار يبقى على وجه الدهر[٥] .

١٢- مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَليَكُنْ كَعلِيْ   ى ٍ يَهَبُ الأَلْفَ وَهُو يَبْتَسِمُ

١٣- وَيَطْعَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ   لَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَائِها أَلَمُ

[٦٦ - ا] أى : كلّ طعنةٍ نافذةٍ ، فحذفها[٦] والكناية فى « لها » ، و « وحائها » : للطّعنة والوحاء : السرعة ، يمد ويقصر .

يقول : من طلب الشّرف فليكن مثل هذا الممدوح ، الذى يهب الألف لسائله

---

(١) ق ب : « يقول : منعنى من أن أكون أكرم نفسى فأكرم » . ا : العبارة السابقة فى ق ساقطة والمذكور عن ع .

(٢) ق ، ب : « الكرم والحمد » .

(٣) ع ، الديوان : « ولسن لهم » . وفى سائر النسخ : « وليس لهم »

(٤) ق ، ب : « خدم أموالهم وعبيدها حتى إذا أوقعوا أنفسهم » .

(٥) ق ، ب : « يبقى إلى الدهر » .

(٦) المثبت كما فى ع وفى سائر النسخ « فحذف » .

وهو ضاحك ، ويطعن أعداءه كل طعنة نافذةٍ من إحدى الجانبين إلى الجانب الآخر ، ليس بهذه الطعنة ألم ؛ لسرعتها وخفة يده بها . وقيل : أراد أنه يموت فى الحال[١] ، فلا يحسّ بالألم بعد الموت[٢] .

١٤–وَيَعْرِفُ الأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ

الهاء فى « فعله » : للممدوح ، أوْ للأمْر[٣] . وروى : « بعد فِعْلَةٍ » . وهى المرّة الواحدة من الفعل .

يقول : إنه يعلم عواقب الأمور قبل فعلها ووقوعها ، فإذا فعل أمرًا لم يندم على فعله ؛ لأنه لم يفعله إلا وهو عالم بعاقبته .

يمدحه بجوْدة الرّأى وحدّة الفطنة وشدّة الذكاء .

١٥–وَالأَمْرُ والنَّهْىُ والسَّلاهِبُ والْـ ـبِيضُ لَهُ والْعَبِيدُ وَالْحَشَمُ

السلاهب : جمع السلهب وهى الفرس الطويل . وقيل : هو الرمح الطويل .
والحشم : حاشية الرّجُل ، الذين يغضبون له ، ويغضب لهم .

يقول : إن الممدوح له هذه الأشياء : من الأمر والنّهى والخيْل والسّيف والعبيد والحواشى . وروى بدل الحشم : الخدم .

١٦–وَالسَّطَوَاتُ الَّتِى سَمِعْتَ بِهَا تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْقَصِمُ[٤]

يقول : للممدوح الحملات المشهورة ، التى سمعتَ بها أيّها المخاطب ، كما سمع بها كل أحد ، وهى التى تَقْرب الجبالُ من أن تتصدّع وتتقطع ، من شدّتها وسَطَوَاتِها .

١٧–يُرْعِيكَ سَمْعًا فِيهِ اسْتِمَاعٌ إِلَى الدَّا عِى وَفِيهِ عَنِ الْخَنَا صَمَمُ

(١) ق ، ب : « لسرعتها وخفة يده وقيل إنه أراد أنه يموت فى الحال » .
(٢) ع ، ا : « فلا يتصور الألم بعد الموت » .
(٣) ع ، ا : « ترجع إلى الممدوح أو إلى الأمر » .
(٤) فى التبيان : « تفصم » .

يُرْعيك سَمْعًا[1] أي يصغي إليك . يقال : أرْعِنى سمعك أى استمع منى[2] واجعل سمعك راعيًا ، أو مراعيًا لقوْلى . وقيل معناه : اجْعل سمعك مرعًى لكلامى ومكانًا له « والداعى » : أراد به الداعى حقيقة[3] .

يقول : إنه يصغى إلى المستغيث سمْعا وعادته[4] الإصغاء إلى كل من يدعوه ، ولكنه عن الفحش والقبيح أصَمّ : أى يعرض عنْه ، ولا يصغى إليه ، فكأنه أصمّ لا يسمع ذلك[5] .

١٨- يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبَهُ فى مَجْدِه كَيْفَ يُخْلَقُ النَّسَمُ ؟!

يُرِيكَ : تعدّى إلى ثلاثة مفاعيل ، أحدها . الكاف ، والثانى غرائبه ، والثالث كيف ، وهو فى موضع النّصب ، وهو فى معنى يُعْلمك . والنّسم : جمع نَسمة ، وهى النفس .

يقول : يريك هذا الممدوح إذا نظرت إليه وهو يخلق غرائب كرمه ، ويبتدع محاسن شيمه ، التى لم يُسْبق إليها ، كيف يخلق الله الخلق على غير احتذاء ولا مثال . يعنى : أنه يصطنع مَنْ أهلكه البؤس ، حتى صار كالمعْدوم فيُحْسِن إليه وينعم عليه ، حتى يَحْسُن حاله ؛ فكأنه أوجده بعد عدمه ، فإذا رأيت ذلك[6] ، [٦٦ - ب] استدَلَلْت به على قدرة الله تعالى ، على إيجاد الشىء بعد أن لم يكن .

١٩- مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ

يخاطب صاحبه[7] ويقول : عدلْت إلى زيارة من لوجئتما يا صاحِبىَّ تسألانه

---

(١) ب ، ق : « سمعا » مهملة. (٢) ا ، ع : « أى اسمع » .

(٣) ع ، ا : « والداع أرادبه الداعى فخفف » . أى حذف الياء تخفيفا وهذا ماذهب إليه ابن جنى وقد رواه غير أبى الفتح بإثبات الياء. انظر التبيان .

(٤) ع : « سمعا عادته » .

(٥) ا : « لا يسمع » . ع « لايسمعه » .

(٦) ا ،ع : « رأيته » بدل : « رأيت ذلك » .

(٧) فى النسخ : « صاحبه » وهى جائزة إذ أنه من عادة الشعراء أن يخاطب الواحد مخاطبة الاثنين .

نفسه[١] يقسّمها بينكما ، فيكون نصفه مع أحدكما ، ونصفه مع الآخر ؛ ليبلّغ كلٌّ واحد إلى أمله . وأصله قول أبى تمام :

وَلَوْ لَمْ يكنْ فى كَفِّهِ غَيْر رُوحِهِ   لَجَادَ بِهَا فَلْيَتّقِ الله سائِلُه[٢]

٢٠-مِنْ بَعْدِ مَا صِيغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ   لِمَنْ أُحِبُّ الشُّنُوفُ وَالْخَدَمُ

الشّنف : ما يجعل فى أعْلى الأذن ، والقُرْط : مايجعل فى أسفله . والْخَدَمُ : جمع خَدَمَة : وهى الخَلخال .

يقول : لم أقصده إلا بعد أن سبقتْ إلىّ مواهبه ، وأغْنانى بها ، وصيغ لى منها لمن أحبّه من امرأتى وجاريتى ومحبوبتى ومن يتصل[٣] إلى الشنوف والخلاخيل ، وفى هذا إشارة إلى أنه قد أغناه بمواهبه قبل وصوله إليه ؛ لأن الإنسان لا يصوغ أنواع الحلىّ إلا بعد الغنى والكفاف .

٢١-مَابَذَلَتْ مَابِهِ يَجُود يَدٌ[٤]   وَلاَ تَهَدَّى لِمَا يَقُولُ فَمُ

تقديره : ما بذلَتْ يد ما بِهِ يجود[٥] ، ولا يَهْتِدى فمٌ لما يقول .

« ما » الأولى نافية ، والثانية ، والثالثة ، بمعنى : الذى .

يقول منبِّها على فضْله وعطاياه ، وفصاحته : لم يبذل إنْسِىٌّ الذى يجود به هذا

---

(١) ق ، ب : « نفسه » مهملة .

(٢) ديوانه ٢٩/٣ وقد جاء فى الوساطة ٢١٦ ، قال أبو تمام ثم يقول الجرجانى : وقد روى هذا البيت لبكر بن النطاح ودخل فى شعر أبى تمام البيت :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه ... ، وهو بهذا النص فى الإبانة ٧٤ وتأهيل الغريب ٣٥٤ ، وجاء منسوبا إلى زهير بن أبى سلمى فى هامش شرح ديوانه ١٤٢ ونسب إلى أبى تمام فى ديوان المعانى ٢٥/١ ، والمستطرف ١٩٢/١ ، والمخلاه ٢٠٤ ، ومحاضرات الأدباء ٥٨٥/١ نسب لبكر بن النطاح والتبيان ٢٣٢/١ غير منسوب .

(٣) ق ، ب : « ومحبوبتى ويتصل » . ا : « ومحبوبتى ومن أحبه ويتصل » .

(٤) ق : « مابه يجود يدٍ » .

(٥) ق : « مابذلت يده ما به يجو » تحريف .

الممدوح ، ولم يهتد فم أحد للقول الذى يقول هو ، لمَا يختص به من زيادة الجُود والفصاحة[١] .

٢٢- بَنُو الْعَفَرْنى مَحَطَّةَ الأُسْـ ـدِ وَلكِنْ رِمَاحُهَا[٢] الأَجَمُ

العفرنى : اسم من أسماء الأسد ، والأنثى : عفرناة[٣] . ومحَطَّة[٤] : جد الممدوح . وبنو : رفع بالابتداء ، والعفرنى : جرّ بالإضافة . ومحَطَّة : بدل من العفرنى ، وهو فى موضع الجر . والأسد : جر لأنهُ نعت لمحطة ، وجميع ذلك كاسم واحد مبتدأ ، والأسْد خبر الابتداء ، كما تقول : بنو أبى عبد الله حمزة الظريف ، منطلقون .

يقول : إن محطّة جدهم ، هو الأسَد ، وبنوه الأسود ، إذْ أولاد الأسود تكون أسودًا ، ثم فصل بينهم وبين الأسد الحقيق ، الذى هو من البهائم ، وبيّن أن رماحهم قائمه لهم مقام الأَجَم للأسود .

٢٣- قَوْمٌ بُلُوغُ الغلامِ عِنْدَهُمُ طَعْنُ نُحُورِ الْكمَاةِ لا الْحُلُمُ

يقول : هم قوم لا يعدّون فيهم بالغًا ، إلا إذا طعن من نحور الشجعان[٥] ، فأما مجرد الاحتلام ، فى ملابسة الحروب فلا يعدونه بلوغًا . ومثله لبعض العرب :

لَعمركَ ماالفِتيانُ أَنْ تَنْبتَ اللِّحَى ولكن فتى الفِتْيان كلّ فَتَى بدَا

---

(١) أ : « فخص بمدحه بزيادة الجود والفصاحة » . ق ، ب : « إنما يختص » إلخ .

(٢) ق ، ب : « رماحهم » .

(٣) العفرنى : أصله من العفر ، لأن الأسد يعفر صيده لقوته . الواحدى والتبيان .

(٤) روى الخوارزمى « محطة » بكسر التاء وجعله من الحط بمعنى الوضع يقول : هو يحط الأسد عن منزلته بشجاعته والأولى هى الصحيحة . الواحدى .

(٥) ب ، ق : « نحر من نحور الشجعان » . وفى سائر النسخ : « إلا إذا طعن من نحور الشجعان »

٢٤- كأنَّمَا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ لا صِغَرٌ عاذِرٌ[١] وَلا هَرَمُ[٢]

يقول : إنهم عرِفوا بالجود ، فكأنهم ولدوا على تركة أحدهم منه ، سواء كان طفلا ، أو شيخًا ، فلا يعذرهم صغرهم ولا كبرهم .

٢٥- إذَا تَولَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوا وَإنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا

[٦٧ - ا] يقول : إنهم عَادوا أظْهَروا الْعَداوةَ لقوَّتهم وجرأتهم ، وإن أعْطو أحدًا ،أخفْوا ذلك ؛ ليكون أدَلّ على الكرم وأبعد من الامتنان .

٢٦- تَظُنّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتَدَادَهُمُ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلموا

يقول : تظن أيها المخاطب من قلّة اعتدادهم بالنّعم وامتنانهم[٣] بها ، أنهم أنعموا غافلين ، وما علموا بما أنعموا ، ومثله لابن الرومى :

أيها السيد الذى لا تنفكْ ـكُ أياديه عِنْدنا موْصولة
فَهى معروفة لدينا وإن كا نت لديه مجحودة مجهولة[٤]

٢٧- إنْ بَرَقُوا فَالْحتُوفُ حاضِرَةٌ أَوْ نَطَقُوا فالصَّوابُ وَالْحِكَمُ

برقوا : أى أوعدوا ، أو برق[٥] : إذا لمع .

يقول : إن أوعدوا أعداءهم فهلاكهم حاضر مقرون بهِ ، وإن نطقوا فجميع

---

(١) فى الواحدى والتبيان والديوان والعرف الطيب : « عاذر » وهو ما أثبتناه ، وفى سائر النسخ : « غادر » ومعنى فلا يغدرهم : أى لايخونهم .

(٢) فى ب جاء بعد هذا البيت قوله :

إن برقوا فالحتوف حاضرة أو نطقوا فالصواب والحكم

ولم يذكر هذا البيت فى مكانه من القصيدة .

(٣) ق ، ب : « وامتثالهم » تحريف .

(٤) ديوانه ٥/٢٠٤ .

(٥) ب ، ق : « برقوا : أى وعدوا برق إذا لمع » تحريف . جاء فى اللسان : برق فلان : تهدد وأوعد .

كلامهم صواب وحكم[١] وقيل : أراد بقوله : برقوا ، أنهم إن لمعوا فى الدّروع والبيض عند الحرب ، قتلوا أعداءهم فيكون كقوله :

ويحمل الموت فى الهيجاء إن حلو[٢]

٢٨–أَوْ حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ وَاجْتَهَدُوا فَقَوْلُهُمْ: «خَابَ سَائِلى» الْقَسَمُ

اليمين الغموس : التى تغمس صاحبها فى الإثم . وفى الحديث « اليمين الغموس تدع الدِّيار بَلاقع[٣] ومثله للطائى :

وَبَــلاقِعًا حَتَّى كَأَنَّ قَطِينَها حلَفُوا يمينًا بِالْهلاكِ غَمُوسَا[٤]

يعنى : كأن سكّان الأطلال حلفوا يمنًا غموسًا ، فعوقبوا ، بكون ديارهم بلاقع .

و « قولهم »[٥] مبتدأ ، و « خاب سائِلى » فى موضع النصب لأنهم مفعول وقع عليهم قولهم و « القسم »[٦] خبر الابتداء .

يقول : إنهم إذا حلفوا واجتهدوا فى اليمين ، فأعظم يمينهم أن يقول : خاب سائلى إن فعلت كذا . ومثله قول الآخر :

بَقَّيْتُ وَفْرِى وانْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلا وَلَقِيتُ أَضْيَافى بَوجْه عبوسِ[٧]

---

(١) ب ، ق : « وحلم » تحريف .

(٢) ق ب : « وإن حلوان » .

(٣) النهاية : غمس وفيه : « تذر الديار بلاقع » .

(٤) ديوانه ٢٦٣/٢ وروايته : « حلفوا يمينًا أخلقتك غموسا » .

(٥) ب ، ق : « وقوله قولهم » .

(٦) ب ، ق ، ع : « وأنفسهم » تحريف مكان : « والقسم » .

(٧) منسوب إلى الأشتر النخعى فى شرح المشكل لابن سيده ١٢٩ ، والأمالى ٨٥/١ ، والتبيان ٩٥/٢ ، ٦٦/٤ ، وصبح الأعشى ٢٠٤/١٢ ، وشرح البرقوقى ٢٣٩/٩ ، والمثل السائر ٣٤/٢ . تحرير التحبير ٣٢٧ . شرح الحماسة ٢٥ .

والمعنى العام للبيت : ادخرت مالى ولم أفرقه فما يكسب لى الحمد .

٢٩-أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ فَإِنَّ أَفْخاذَهُمْ لَهَا حُزُمُ

يقول : إذا ركبُوا الخيل غير مسْرجةٍ ، شدّوا أفخاذهم عليْها فتجرى أفخاذُهم مجْرى الحزُم ؛ لثباتهم فى الفروسية واعتيادهم ركوبَ الخيل .

٣٠-أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لاقِحًا أَخَذُوا مِنْ مُهَجِ الدَّارِعِينَ مَا احتكَمُوا

اللاقحَ : الشديد .

يقول : إذا حَضَروا الحرْبَ فى حال شدّتها ، أخذوا من نفوس المعلمين[1] ما احتكموا ، أوْ أرادُوا .

٣١-تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ كَأَنَّهَا فى نُفُوسِهِمْ شِيَمُ

الأعراض : الأجْسَام[2] وما يذْكَرُ به الرّجُل من مدح أو ذمّ .

يقول : أجسامهم ووجوههم مضيئة كَشِيَمِ نفوسهم ، فكأنها أخلاق أنفسهم فى الإضاءة والخلوص من الشوائب . ومنه قول الآخر :

أضاءتْ لَهُمْ أجْسامُهُم[3] ووجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْل حتّى نظَّمَ الْجَزْعَ ثاقبُه[4]

٣٢-لَوْلاكَ لَمْ أترِكِ البحَيْرة والْـ ـغَوْرُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَبِمُ

البحيرة : تصغير البحر فى الأصل ، وإنما أنث لأنه أراد به : بحيرة الشام

---

(١) ع : « من نفوس المسلمين » تحريف . ب : « المصلحين » تحريف . ق : « المعلجين » . والعلج : كل شديد غليظ من الرجال . اللسان

(٢) ع : « الأعراض : ضد الأجسام » ولفظ ضد حشر بخط مغاير لخط الناسخ الأصلى .

(٣) فى سائر المراجع ونسختى ق . ب « أحسابهم » مكان « أجسامهم »

(٤) نسب هذا البيت لأبى الطمحان القينى فى معاهد التنصيص ١٠٠/١ والحماسة ٦٩٤ ومواسم الأدب ١٣٥ وطبقات النحويين ١١٥ والتبيان ٦٦/٤ ، ٢٩٧/٢ وزهر الآداب ١٩٧/٢ وديوان المعانى ٢٢/١ ، والمستطرف ١٥٧/١ وتأهيل الغريب ٢٥٣ وديوان الحطيئة ١٨٠ والأغانى ١٢٧/١١ ، وقد نسبه الجاحظ فى الحيوان ٩٣/٣ للقيط بن زرارة وهوكذلك فى عيون الأخبار ٢٤/٤ وقال ابن قتيبه : الصحيح أنه للقيط بن زرارة . ولم ينسب فى لباب الآداب ٣٦٧ وفيها : « أجسامهم » بدل « أحسابهم » .

وطبرية[١] ، والهاء فيه[٢] لازمة [٦٧ - ب] له ؛ لأنه اسم هذا الموضع وصار علما كحمزة وطلحة . والغور موضع بالشام[٣] . وقيل معناه : لولاك لم أترك البحيرة ولم أترك ماءها البارد ، وكذلك لم أفارق الغَوْر ؛ مع أنه مكان طيب دفىء ، وإنما فارقت هذه المواضع ؛ مع أنها طيِّبة لأجلك . وقيل : الغور موطن الممدوح فيقول : لولا قصْدك لم أترك البحيرة ، وهى طيبة ، وماؤها عذب ، ولم أقصد الغور ، مع أنّه دفىء خالٍ من[٤] الطَّيّب ، لكن فضلك وكرمك وحبى لك ، حملنى على ذلك .

٣٣- والْمَوْجُ مِثْلُ الفُحُولِ مُزْبِدَةً   تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطَمُ[٥]

الموج : قد يكون واحدًا ، اسم للجنس ، وقد يكون جمع موجة ، ولهذا شبَّهَهُ بالفحول ، والمزبِدة : التى حصل لها زبد ، وهوالفقّاعة[٦] التى تكون فيه ، إذا ضربَتْه الريح ، وتهْدِر : أى تصوِّت ، والهاء فى « ما بِها » : للموج . أنثها لتأنيث الجماعة ، والقطم : شهوة الضراب . شبّه موج البحيرة فى اضطرابه ، بالفحول إذا هاجت .

يقول : إن موجها مثل الفحول ، مزبدة مصوِّتة ، فكأنها فحول هائجة للضراب ، غير أنها ليس لها شهوة الضراب .

٣٤- وَالطَّيْر فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسِبُها   فُرْسَانَ بُلْقٍ تَخُونُهَا اللُّجُمُ

---

(١) بحيرة الشام : هى بحيرة طبرية . والعطف هنا لايقتضى المغايرة .

(٢) فى كل النسخ : « والهاء فى لازمة » .

(٣) الغور : موضع منخفض بالشام . وكل منخفض من أرض غور . الواحدى .

(٤) ع : « حار عن الطيب » .

(٥) فى ب فقط هذا البيت : « والموج مثل » وشرحه ، مؤخر عن البيت الذى يليه ٣٤ « والطير فوق » وشرحه .

(٦) ق مكان : « القناعة » بياض ، ب : « القضاعة » المذكور عن ا ، ع .

حَبَاب : الماء طرائقه . وفرسانَ بلْق : أراد به الخيل البلق[١] . شبّه بياضَها ببياض الماء ، وسوادَها بالسواد الذى يحصل من ظلمة اضطراب الموج ، وشبّه تصرف الموجة على غير مراد الطائر[٢] ، بالخيل عند انقطاع لجمها .

يقول : إن الطير فوق حباب هذا الموج ، فى أنه يمضى بها يمينًا وشمالا على غير فقد منها ، كأنها فرسان خيل بلق ، قد خانتها اللّجم بالانقطاع . شبّه الزبد بالخيل البلْق ؛ لأنه أبيض يابس يضرب إلى الخضرة .

٣٥- كَأَنَّهَا وَالرِّيَاحُ تَضْرِبُهَا جَيشَا وَغًى : هَازمٌ ومنهزِمُ

الهاء فى «كأنها» : للبحيرة ، أو للموج الذى هو جمع موجة ، أو للطّير . شبّه أحد هذه الأشياء ، إذا ضربتها الريح بجيْشَيْن : أحدهما هازم ، والآخر منهزم .

٣٦- كَأَنَّهَا فى نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفَّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظُلَمُ

شبه البحيرة وصفاء سمائها ، بالقمر . وشبه الجِنان[٣] ، بشدة خضرتها . والمناسبة للسواد بظلم الليل . وقوله : فى نهارها قمر : تشبيه بديع ، وهو أن يجتمع الليل والقمر فى النهار ، والغرض وصف مائها[٤] بالصفاء ، وبساتينها بالخضرة .

٣٧- نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لاعِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمُ

يقول : هذه البحيرة ناعمة الجسم ؛ لأنها ماء ، ولا شىء ألين من الماء . وقوله : لها بنات . أراد به : السمك الذى[٥] فيها ، وليس لها رَحِمُ ، وقيل : أراد به السُّفن . والأوّل أَلْيَق .

٣٨- يُبْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبدًا وَمَاتشَكَّى ولا يَسيلُ دَمُ

(١) ع : «أراد به فرسان خيل بلق» . والبلق : جمع الأبلق : وهو ما كان فيه سواد وبياض .

(٢) فى جميع النسخ : «على غير الطائر» والمذكور عن الواحدى والتبيان .

(٣) الجنان : جمع جنة وهى البستان .

(٤) ق ، ب : «سمائها» بدل : «مائها» .

(٥) ا : «الذى» وفى سائر النسخ : «التى» .

يُبْقر : أى يشق . وعنهن : أى عن البنات . وتشكَّى : أصله تَتشكَّى فخذف إحدى التاءين .

يقول : يشق بطن هذه البحيرة عن بناتها التى هى[1] السمك ، أى يصطاد منها السمك ، ولا تشتكى من ذلك [٦٨ - ا] ولا تتألم ولا يسيل منها دم ، وإن حملناها[2] على السفن ، فمعناه أى يشق بطنها عن هذه السفن ، وعلى الأول قول ابن الرومى :

بنات دجلة فى فنائكم مأسورة فى كل معترك[3]

٣٩- تَغَنَّت الطَّيْرُ فى جَوَانِبِهَا وَجَادَتِ الرَّوْضَ حَوْلَهَا الدِّيَمُ

جادت : مطرت عليها مطر الجود[4] .

يقول : الطير تتغنّى فى جوانب هذه البحيرة ، والرِّياض التى حولها مهتزة ، و « الديم »[5] فاعل « جادت » مفعولها « الروض »[6] .

٤٠- فَهْىَ كَمَاوِيَّةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرِّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الأَدَمُ

الماويّة : المرآة . وغشاؤها : رفع لأنه اسم مالم يسم فاعله . والأَدَم : بدل من الغشاء . شبَّه هذه البحيرة بالمرآة . ورياضها حولها بالطَّوق الذى يكون حول المرآة . وقيل شبّهَهَا فى استدارتها بالمرآة المطوّقة . وقوله : « جُرِّد عنها غشاؤها الأدم » . قيل : حشو لإتمام البيت ، لا فائدة فيه . وقيل : أراد توكيد صفائِها . فكأنه قال : كأنها مرآة مطوّقة ساعة ما تجرد من غشائها . كما يقال : هذا ثوب حُلٍّ من

(١) ب ، ق : « التى هى » مهملة .
(٢) ا : « حملناه » .
(٣) ديوانه ١٨١٠/٥ ، وفى ثمار القلوب : « فى بيوتكم » .
(٤) ق : « مطرت عليها مطرت الجود » ع : « مطرت عليها ، المطر الجود » وماذكر عن ب ، أ ، خ .
(٥) الديم : جمع ديمة وهى المطر الدائم فى سكون . التبيان .
(٦) المذكور عن ع وفى سائر النسخ : « الديم وجادت مفعولها الروض » .

الورقة[١] . وقوله « الأَدَم » : قيل مع هذا ، إنه لا فائدة[٢] له . والأَوْلَى : أنه بدَل .

٤١-يَشِينُهَا جَرْيُهَا عَلَى بَلَدٍ يَشِينُهُ الأَدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ

الكناية فى يشينها : للبحيرة . وفى يشينه : للبلد . والقَزَمُ : سقاط الناس ، ورُذُلهم[٣] .

يقول : ليس لهذه البحيرة عيب ، غير أنها تجرى فى بلدٍ أهله سقاط .

فقد اشتمل البيت على مدح البحيرة ومدح البلد الذى تجرى عليه ، وذم أهله .

٤٢-أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِعْ فَمَدْحُكُم فى الْفِعْلِ قَبْلَ الكَلامِ مُنْتَظِمُ

يقول : إن أفعالكم تمدحكم وتثنى عليكم ، فمدحكم منتظم فى أفعالكم ، قبل مدح المادحين إياكم بالكلام والشعر . أى شيمكم تمدحكم[٤] .

٤٣-وَقَدْ تَوَالَى العِهادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَادَتِ الْمَطْرَةُ التِى تَسِمُ

العهاد : مَطر . جمع عهدة ، والوسمى : هى المطْرَة فى أول السنة[٥] . والهاء فى منه : قيل للممدوح . وقيل للممدوح الذى جرى[٦] فى البيت الذى قبله .

يقول : على الأوّل مخاطبًا لقبيلة الممدوح ، قد توالى من هذا الممدوح لكم الإحسان ، وكساكم الثّناء ، فأحسن إليكم ، وحسّنَ حالُكم به كما تحسن الأرض - حين يَسمُها المطر - بالنبات . وعلى الثانى يقول : قد توالى مدحكم كتوالى العِهَاد

(١) ق ، ب : « الذرقة » بدل : « الورقة » وع : « الرزمة » .

(٢) ع : « قيل مع هذا لأنه لا فائدة » .

(٣) ا : « أرذالهم » ع : « ورذالهم » .

(٤) ع : « أى شيمكم تمد حكم » مهملة .

(٥) فى جميع النسخ : « العهاد : جمع عهدة وهى المطرة فى أول السنة » وما ذكر عن الواحدى والتبيان والديوان

(٦) ق ، ب : « وقيل للذى جرى » إلخ .

بعضها فى إثر بعض ، وجادت بمدحكم المطْرة التى تسم الأرض بالنبات . شبّه . مدحَه لهم بالأمطار المتواترة .

٤٤- أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ فَإِنَّهُ فى الْكِرَامِ مُتَّهَمُ

يقول : أعيذكم بالله من صروف الدهر ، فإنكم[1] كرام ، وهو متّهم بالإساءة إلى الكرام ، ولا يؤمن على قصده إياكم بالمكاره[2] .

(٥٩)

وقال يمدح المغيث بن علىّ بن بشر العجلى[3] :

١- دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فى الرَّبْعِ مَا وَجَبَا
لأَهْلِهِ وشَفَى أَنَّى ؟ ولا كَرَبَا

أَنَّى : بمعنى كيف ؟ أَوْ مِنْ أَيْنَ ؟ وكَرَبَ : أى قارب . [٦٨ - ب]

يقول : دمعى جرى فى رَبْع المحبوبة ، فقضى لأهله ما وجب لهم من الحق ، وشفانى من وجْدى ، ثم رجع عما أعطى فقال : أَنَّى ولا كربا ؟ أى كيف أنه قضى الواجب وشفى الوجد ، وهو لم يفعل ذلك ؟! لأنه قارب أن يفعل ما هو شفائى وقضاء بحقهم[4] ومثله قول الآخر :

---

(١) ا ، ع : « فأنتم » مكان : « فإنكم » . (٢) ب ، ق : « بالمكاره والأسواء » .

(٣) ق ، ب : « وقال يمدح المغيث بن على بن بشر العجلى » ، خ ، ا : « وقال أيضا يمدح المغيث ابن على بن بشر » ، ع : « وقال يمدح أبا الحسين المغيث بن على بن بشر العجلى » الواحدى ١٥٥ والتبيان ١٠٩/١ « وقال يمدح المغيث بن على العجلى » ، الديوان ٨٨ : « وله يمدح أبا الحسين المغيث بن على بن بشر العمى من أهل عم » وفى الفسر لابن جنى ٢٥٠ : «وقال... العجلى الغمرى » تحريف ، وقد ذكر الأستاذ محمود شاكر أنه قالها فى سنة ٣٢٧ . المتنبى ١٣٠/١ ويرى الأستاذ الدكتور طه حسين أنها من خير القصائد التى قالها وهو فى أنطاكية . مع المتنبى ١٠٩ . العرف الطيب ٩٢ :

(٤) لكثرة بكائه وغلبة الوجد عليه ظن أنه بلغ بذلك قضاء حقهم ثم رجع إلى نفسه فعاد عن ذلك ونفى أن يكون قضى حقهم أو قاربه . الواحدى والتبيان .

قِفْ بالدِّيارِ التى لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ
بَلَى وغَيَّرهَا الأرْواحُ والـدِّيَم[١]

٢- عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا
مِنَ العُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِى ذَهَبَا

يقول : عطفنا على هذا الرّبع ، وقد كان الفراق قد أبقى بعض عقولنا ، طمعا فى أن يرده علينا فأذهب الربع[٢] هذه البقية ، ومارَدّ الذى أذهبه الفراق !

٣- سَقَيْتُهُ عَبَرَاتٍ ظَنَّهَا مَطَرًا سَوائِلاً مِنْ جُفُونٍ ظَنَّهَا سُحُبَا

فاعل « ظنها » فى الموضعين : ضمير الرّبع . والهاء فى الأولى : للعبرات . وفى الثانية : للجفون .

يقول : سقيت هذا الربع دموعًا سائلاتٍ من جفونى ، حتى ظن الربع أن هذه العبرات مطرًا ، وأن جفونى سُحُبٌ ماطرة : وهى جمع سحاب .

٤ - دَارُ المُلِمّ بَها[٣] طَيْفٌ تَهَدَّدَنِى
لَيْلاً فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِى وَلا كَذَبَا

الإلمام : زيارة الطّيف . والألف واللام فى « الملم » بمعنى : التى .

يقول : هذا الربع . دار المرأة التى ألمّ بها طيف خيالها[٤] ، ألم بها ليلا ، ويهددنى الطيف بالهجران ، على ماجرت بهِ عادة المرأة تعذب بالدلال ، وتهدد

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى . شرح ديوانه ١٤٥ والتبيان ١/١١٠ . والشاهد فيه الرجوع فى آخر البيت « بلى وغيرها الأرواح والديم » عماوجبه فى أوله : « قف بالديار التى لم يعفها القدم » .

(٢) ق ، ب : « الربع » مهملة .

(٣) فى الواحدى والتبيان والديوان « دار الملم لها » .

(٤) ع : « ألم لها طيف خيالها ليلا » ق : « ألم بها طيفا خيالها » .

بالهجران . فما صدقت عينى فى الرؤيا ؛ لأنها أرتنى مالا حقيقة له ! ولا كذب الطيف بالتهدد ؛ فإنه قال : لأهجرنّك . فأصبحت والهجران واقع !

٥ - نَاءيْتُهُ فَدَنَا ، أَدْنَيْتُهُ فَنَأَى جَمَّشْتُهُ فَنَبَا قَبَّلْتُهُ فَأَبَى

روى : نَأَّيته ، وأنأيْتة . أى أبعدته[١] ، وروى : نَاءيْته : أى نأيت عنه فحذف الجر « عنه » والتجميش : المغازلة ، فَنَبَا : أى ارتفع وجفا[٢] .

يقول : كلما أردْتُ من الطيف أمرًا قابلنى بضدة . فلما بعدتُ عنه . قَرُب منّى . ولما قربته بعد . ولما غازلته ومازحته . قابلنى بالجفاء ، ولما قبّلته . قابلنى بالإباء ؛ لأن خُلُقَها لمّا كان لا يستمر على حال واحدة . كذلك الخيال يجرى على هذا المثال . وهو كقول الشاعر :

صَدَّتْ وَعَلَّمَتِ الصُّدُودَ خَيَالَهَا[٣]

والأصل فيه قول الآخر :

فشكْوَاى تُؤذيها وصَبْرى يَسُوءُها وَتَجزعُ مِنْ بُعْدِى وَتَنْفُر من قربى[٤]

٦ - هَامَ الْفُؤادُ بِأَعْرابِيَّةٍ سَكَنَتْ بَيْتًا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبًا

الطُّنُب : الحبل الذى يشد بهِ الخيمة . قوله : « هام » أى تحيّر وأصابه الجنون من العشق .

يقول : هام قلبى بأعرابية سكنت من القلب بيتًا[٥] ليس له أطناب وأوتاد ،

(١) ق : « نايته ونائيته وهى الابعديه » تحريفات . ع : « روى بأيته وأنانيته أى ألا بعديه » .

(٢) ق ، ب : « فأبى أى ارتفع وجفا » ، وفى الواحدى : نبا : ارتفع وجفا ، وأبى : استصعب وامتنع .

(٣) شطر شعر فى الفسر ٢٥٣/١ غير منسوب.

(٤) غير منسوب فى ديوان المعانى ٢٦٦/١ ومحاضرات الأدباء ٧٥/٢ .

(٥) ق ، ب : « بمحل » مكان : « بيتا » .

بخلاف بيوت أهل البادية . وقيل : إن معناه أنها ملكت فؤادى بلا مشقة ، فكانت كمن سكن بيتًا لم يتعب فى شد أطنابه .

٧ - مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فى تَشْبِيهِه غُصُنًا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فى تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا

الضَّرَب : العسل الثخين ، وقيل : هو الشهد . [٦٩ - ١]

يقول : من شبّه قدّها بالغصن ، فقد ظلمها ؛ لأن قدها أحسن وأقوم ، ومن شبه ريقها بالعسل[1] ، فقد ظلمها ؛ لأنه أطيب وأحلى منه . وإنما قال ذلك : لأنه وضع التشبيه فى غير موضعه[2] .

٨ - بَيْضاءُ تُطْمِعُ فيمَا تَحْتَ حُلَّتِها
وعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إذا طُلِبَا

ما تحت حلّتها : يعنى جسمها . وقوله : « بيضاء » إشارة إلى أنها مخدّرة منعمة ، لا تبرز للشّمس ، ولا تكدّ فى العمل ، وإشارة إلى نقائها من الدّنس والرِّيب ، بل هى عفيفة تردّ يَدَ طالبها عنها .

يقول : هى تُطْمِعُكَ فى نفسها بلين كلامها ، فإذا طلبتها وجدتها أعزّ مطلوب . ومثله قول الآخر :

يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ الْحَدِيث زَوَانِيَا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الإِسْلام[3]

(١) ب : « من شبه ريقها بالضرب » ، ا ، ع : « بالعسل والشهد » .

(٢) ع زادت بعد : « موضعه » « وهو ظلم » .

(٣) نسب إلى عبيد الله بن الحسن العلوى الفسر ١/٢٥٥ وفى الواحدى والتبيان والرواية فيهما .

يحسبْنَ من لين الحديث زوانيا وبهن عن رفث الرجال نفور

ووفقا لرواية الشارح فى الوساطة ٣١٨ وزهر الآداب ١/٧٤ والمستطرف ٢/٩٦ . وفى مصارع العشاق ٢/١٧٧ قال : البيت لجارية مجهولة رواه عبدالله بن الحسين العلوى ، وقال : صاحب الوساطة ٣١٨ « وهو متداول » .

٩ - كَأَنَّهَا الشَّمْس، يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ
شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا[١]

يقول : كأنها من قربها وبعد منالها الشمس[٢] ، فإنك ترى شعاعها قريبًا منك ، فإن أردتَ أن تقبض عليه ، لم يمْكنك ! فكذلك هذه المرأة . ومثله قول أبو عينية[٣] :

فَقُلْتُ لأَصْحَابِى هَى الشَّمْسُ ضَوْءُهَا قَرِيب وَلَكِنْ فى تَنَاوُلِهَا بُعْدُ[٤]

ومثله للآخر :

فأصبحتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبيْنَهَا سِوى ذِكْرِهَا كالقابِضِ الماء بالْيدِ[٥]

١٠-مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تِرْبَيْهَا فَقُلْتُ لَهَا:
مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ العَرَبَا ؟

الشادن[٦] : الغَزَال إذا كبر .

يقول : مرّت بنا هذه الجارية بين جاريتين متساويَتَيْن فى السنّ حياءً مِنْ أن تمر بِنَا وحدها ، فاستَخْفَتْ بهما ، فعرفْتُهَا لِفَضْل حسنها فقلت لها : أنتِ غزال فكيف شابه الغزال العرب ؟! أوكيف اجتمع الغزال مع العرب ؟ ؛ لأنها غزال والتربان من العرب[٧]

---

(١) ع « وتراه العين » مكان « ويراه الطرف » .

(٢) ق ، ب : «كأنها من قربها منالها الشمس» .

(٣) فى جميع النسخ والواحدى : « ابن عيينة » وفى التبيان والوساطة ٢٦١ : « أبو عيينة » وفى خاص الخاص ١١٦ أبوعيينة محمد بن أبى عيينة المهلبى شاعر مطبوع غزل هجاء من شعراء الدولة العباسية . مختار الأغانى ٤٣٤/١ - ٤٤٠ .

(٤) نسب إليه الوساطة ٢٦١ والتبيان ١١١/١ ، ١٦٢/١ والإبانه ٧٦ وخاص الخاص ١١٦ وفى محاضرات الأدباء ١١٨/٢ غير منسوب كذا فى زهر الآداب ١٦٨/٤ وفيه « أقول لأصحابى » البيت .

(٥) غير منسوب فى الفسر ٢٥٤/١ .

(٦) قال صاحب التبيان : الشادن من الظباء وغيرها : الذى شدن قرنه ، وقوى وترعرع .

(٧) « لأنها غزال والتربان من العرب » مهملة فى ق ، ب .

١١–فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: كَالْمُغِيثِ يُرَى
لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عِجلٍ إِذَا انْتَسَبَا

فاستضحكت : أى ضحكت . والشرى : موضع ينسب إليه الأسود.
يقول : لمّا قلت لها ، من أين جانس هذا الشادن العرب ؟! ضحكت من قولى . وقالت : هذا ليس ببعيد ؛ كما أن المغيث[1] يرى كأنه ليث الشّرى وهو مع ذلك من بنى عجْلٍ ، فكذلك أنا .

١٢–جَاءَتْ بِأَشْجَعِ مَنْ يُسْمَى وَأَسْمَحَ مَنْ
أعطَى وَأَبْلَغَ مَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا

التأنيث فى جاءت : يرجع إلى عجْل ؛ لأنه قبيلة . والأوْلى أنه فِعْل الأعرابية .
يقول : جاءت هذه المرأة أو هذه القبيلة بأشجع من يُدْعى ويسمّى من الناس وأسخاهم وأبلغهم فى الإملاء والكتابة . يصفه بالشجاعة ، والسخاء ، والبلاغة ، يدًا ولسانًا .

١٣–لَوْ حَلَّ خَاطِرُه فى مُقْعَدٍ لَمَشَى
أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا

يقول : إن خاطره لو حلَّ فى زَمِنٍ أزال عنه زمانته حتى يمشى ، ولو حل فى جاهل لصحا من جهله ، ولو حل فى أخرس لصار خطيبًا بليغًا [٦٩ – ب] .

١٤–إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا احْتَجَبَا

يقول : إنه إذا ظهر للناس من الحجاب ، حجبت عينيْكَ هيبتُه فلا تقدر أن تنظر إليه لجلالته ، فكأنه محتجب ، وهو كما قال الفرزدق[2] :

(١) ا ، ع : « الغيث » بدل : « المغيث » .

(٢) هو : همام بن غالب بن صعصعة . والفرزدق لقب غلب عليه وكان الفرزدق وجرير =

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُم
خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصارِ[(١)]

وقوله : ليس يحجبه سِتْرٌ إذا احتجبا . فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه إذا احتجب يطلع على ما غاب من أحوال الناس فلا يخفى عنه شىء[(٢)] فكأنه غير محتجب .

والثانى : أنه إذا احتجب لا يمكنه ذلك ، لأن نور وجهه ينمّ عليه ويخرق الحجاب إليه . وهى كقوله :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لِخَلْوَةٍ هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرِ[(٣)]

والثالث : أراد أنه ليس بشديد الاحتجاب ، فمن أراد الدخول عليه لا يصعب عليه رؤيته ، وإن كان محتجبًا ؛ لتواضعه .

١٥- بَيَاضُ وَجْهٍ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً
وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا

المَخْشلب[(٤)] الردىء من الدّر ، وقيل هو الخَرَز الأبيض الذى يشبه اللؤلؤ . ليس بعربى ؛ لكنَّهُ . استعمله على ماجرت به عادة العامة فى الاستعمال واسمه فى اللغة الخضض[(٥)] .

= والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين ولهم التقدم فى الطبقة الأولى منهم ، وتوفى الفرزدق سنة ١١٠ هـ فى أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصرى وابن سيرين فى ستة أشهر . انظر فى ذلك مختار الأغانى ٩٩/٨ .

(١) ديوان ٣٧٦ والفسر ٢٥٥/١ وروايته : « نواكص الأبصار » . الواحدى والتبيان . شرح البرقوقى ١٢٩/١ .

(٢) ق : « أنه احتجب يطلب على ما عاب من ، وقوله الناس عنه فلا يخفى عنه شىء » اضطراب فى العبارة بسبب انتقال النظر فى النقل .

(٣) ديوان المتنبى ١٤١ والفسر ٢٥٦/١ والواحدى والتبيان .

(٤) ا ، ع : « المشخلب » بدل « المخشلب » وهما لغتان وليستا عربيتين وإنما هما لغتان للنبط وهو خرز من حجارة البحر وليس بدر . الواحدى والتبيان واللسان « شخلب » والمعرب ٣٦٣ .

(٥) الخضض : الخرز الأبيض الصغير . انظر الفسر ٢٥٧/١ والواحدى واللسان : « خضض » . ق : « الخضض » ساقطة . ب : « واسمه فى اللغة الخضض قال » ساقط والمذكور عن ا ، ع والمراجع .

يقول : لو قستَ الشمس إلى بياض وجهه ، لرأيتَها سوداء حالكة ! ولو قست لفظه بالدّر كان بالنسبة إليه كالرّدىء الذى لا قيمة له ! ووصفه بغاية الحسن والفصاحة .

١٦-وَسَيْفُ عَزْمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هَبَّتُهُ
رَطْبَ الْغِزارِ مِنَ التَّامُورِ مُخْتَضِبَا

هَبَّةُ السيف : حركته[١] . وغرار السيف : ما بين حده إلى وسطه . والتامور : دم القلب .

قيل فى معناه وجهان : **أحدهما** يقول : إن له سيف عزم متى تحرك كان أمضى من السيف ، الذى هو رطب الغرار من دم القلب . **والثانى** : أراد أنه متى تحرك عزمُه خضب سيفَه من دم قلب عدوّه ، فكأن سيفه لا يقتل إلا عند إمضاء عزمه فيهم .

١٧-عُمْرُ الْعَدُوِّ إذَا لاَقَاهُ فى رَهَجٍ
أَقَلُّ مِنْ عُمْرِ مَايحوِى إذَا وَهَبَا

قوله : « إذا وهب » قال ابن جنى[٢] : يعنى أنه إذا أراد أنْ يهب ؛ لأنه إذا وهب الشيء فليس يملكه كقوله جل وعلا : (فإذا قَرَأْتَ الْقُرآنَ فاسْتَعِذْ بِاللهِ)[٣] . أى أردت قراءته .

يقول : إن عمر عدوّه إذا لاقاه فى الحرب ، أقل من عمر مايحويه من المال ، إذا أراد هبته ، فيكون عمره أقصر بقاءً من المال فى يده . وقيل أراد بقوله : « إذا وهب » إزَالَة الهبة ، لأن عمر مايحويه لاينقطع إلا بالهبة دون الإرادة .

١٨-تَوَقَّهُ ، فإذا مَاشِئْتَ[٤] تَبْلُوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْكُنْ لَهُ نَشَبَا

(١) فى جميع النسخ : « هيبة السيف : حركته » والتصويب من الفسر ٢٥٧/١ الواحدى والتبيان .
(٢) فى الفسر ٢٥٨/١ . (٣) سورة النحل ٩٨/١٦ .
(٤) هكذا فى جميع النسخ وفى الواحدى والتبيان : « فتى ما شئت » .

نصب «تبلوه» بإضمار (أن) وتقديره : أن تبلوه . فحذف (أن) وأبقى عملها .

يقول لصاحبه : احذر هذا الرجل ، فإن لَّمْ تثق بقولى وأردت اختبارَه فكن عدوّه ، أو مالَه ، لترى ما يفعل بك من الإبادة والإفناء[1] ؛ لأن عادته إهلاك أعدائه وتفريق ماله . [٧٠ – ا] .

١٩– تَحلُو مَذَاقَتُهُ حَتَّى إذَا غَضِبَا
حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِى المَاءِ ما شُرِبَا[2]

المذاقة : الذوق ، ويجوز أن يكون طعم الشىء المذوق . وحالت : التأنيث للمذاقة[3] وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا ، أى لو كانت مما يقطر فقطرت فى الماء لم يُشْرَبَ .

يقول : هو فى حال الرّضى ، حلو الأخلاق ، فإذا تغيّرت لغضبٍ عادت حلاوته مرارة ، بحيث لو كانت ممَّا يقطر فقطرت فى الماء[4] لم يشربه أحد لمرارته .

وقد عيب هذا البيت من جهة التصريع[5] لأنه لا يستعمل إلا فى أوّل القصيدة لا فى حشوها إلاَّ عند الخروج من قِصَّةٍ إلى قصة أخرى[6] . وأجيب بأن هذا هو الأكثر وقد جاء مثل ذلك كما قال الآخر فى أثناء التشبيب :

أَلاَ نَادٍ فِى آثَارِهِنَّ الْغَوَانِيَا سُقِينَ سِهَامًا مَا لَهُنَّ ومَالِيا؟[7]

---

(١) فى جميع النسخ : « من الإرادة والإفناء » والتصويب الفسر ١ / ٢٦١ والواحدى والتبيان .

(٢) فى التبيان : « فى البحر ما شربا » . (٣) ق : « والتاء نعت للمذاقة » .

(٤) ق : « لو كان حرمة الماء » . ع : « لو كان جب الماء » .

(٥) التصريع : مشبه بمصراعى الباب . وهو جعل آخر شطرى البيت متفقين فى الوزن والتقفية . انظر العروض والقوافى للتبرزى ٢٠ – ٢١ والشاهد إلحاق الألف فى « غضبا » وقل ما يستعمل العرب هذا فى حشو القصيدة إلا لترك قصة إلى قصة أخرى .. الفسر ٢٦١/١

(٦) ق ، ب ، ع : « لأنه لا يستعمل إلا فى أول القصيدة أى فى حشوها عند الخروج من قصة أخرى » والتصويب من الفسر ٢٦١/١ .

(٧) لم ينسب فى الفسر ٢٦٢/١ وروايته : ألاناد فى آثارهن الغواديا .. البيت

٢٠- وَتَغْبِطُ الْأَرْضُ مِنها حَيْثُ حَلَّ بِهِ
وتَحْسُدُ الْخَيلُ مِنْهَا أيُّها رَكِبَا

أيّها : منصوب « بتحسد » لا « بركب » لأنه صلة ، والصلة لاتعمل إلا فى الموصول .

يقول : إذا حلَّ فى مكان من الأرض غَبَطَها سائر المواضع لكونه فيها ؛ لما نالها من الشرف والفخر ، فتمنّى سائر البقاع حصول هذا الشرف بحلوله فيها[1] ، وكذلك إذا ركب فرسًا حسدته جميع الخيل لما يحصل لمركوبه من الشرف ، فتمنى أن يتحوّل هذا الفخر إليها بركوبه إياها . ومثله لأبى تمام :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ[2] غَدَاةَ ثَوَى إلاَّ اشْتَهَتْ أنها قَبْرُ

٢١- وَلاَيَرُدّ بِفِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ عَنْ نَفسِه وَيَرُدُّ الْجحْفَل اللَّجِبَا

الجحفل : الجيش العظيم . واللَّجب : الشديد الصوت .

يقول : إذا جاءه السائل لايرده بقوله ولاينهره ، وهو مع ذلك يردّ الجيش العظيم بكلمة تهديد تخرج من فيه . وإنما قال : « لايردّ بفية » إشارة إلى أنه لايرده خائبًا بقوله : « لا » ولكن يردّه بالعطاء . ومنه قول الآخر :

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَميثٌ إذَا رَامَهُ الأعْداءُ مُمتَنِعٌ صَعْبُ

٢٢- وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينار صاحِبَهُ فى مِلْكِه افْتَرقَا منْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا

---

(١) الغبطة : أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوال نعمته . والغبطة غير الحسد ، لأنه تمنى مالغيرك من غير أن يكون له . وقد جاء فى هامش ع : « الحسد : من جنس الغيرة والخيل تغار . فالحسد بها أشبه من الأرض . فلذلك جعل الغبطة للأرض والحسد للخيل . وهذه التهميشة منقولة عن الفسر والواحدى .

(٢) ديوانه ٨٤/٤ وروايته : « لم يبق روضة » هذا والشطر الثانى محذوف أو مضطرب فى كل النسخ والتكملة من الديوان والمراجع المبينة غير الديوان . محاضرات الأدباء ٥٢٨/٢ شرح البرقوقى ١٣٤/٣ والتبيان والواحدى والفسر ٢٦٢/١ .

أراد : مِنْ قبل أن يصطحبا . فحذف (أن) وأعملها والهاء فى « صاحبه » للدينار .

يقول : كلما لقى الدِّينارُ فى ملكه دينارا آخر مثلة – وهو المراد بقوله صاحبه – افترق الدينارُ من قبل إتمام صاحبه للصحبه بينهما [١] : بأن يَهب أحدَهما لِوَاحدٍ والآخرَ لآخر .

وقد عيب البيت من جهة المناقضة لأنه قال : لقِىَ [٢] الدينارُ صاحبه – فأثبت بينهما المصاحبة ، ثم نفاها . بقوله : قبل أن يصطحبا . والجواب : أنه أراد بالاصطحاب : أى يفترقان قبل استدامة الصحبة بينهما [٣] . فلا مناقضة فيه . ومثله قول الآخر :

لاَيألَفُ الدرهَمُ الْمَضُروبَ خِرْقَتِنا لكنْ يَمُرّ عليها وَهَو مُنْطَلِقُ [٤]

٢٣–مَالٌ كَأنَّ غُـرَابَ الْبَيْن يَرْقُبُهُ فكُـلَّمَا قِيلَ : هَذَا مُجْتَدٍ ، نَعَبَا

نَعَب الغراب : إذا صاح ومد عنقه ، فإن قدّها قيل : نَعَق [٥] .

يقول : له مال كأن غراب البين ينتظره ! فإذا رأى طالب المعروف نعب فى ماله ، فيفرّق شملَه ، كما يفرق شمل الأحباب عند صياحه . وقيل : أراد أن الغراب لايفتر من الصياح ، فكذلك هو فى العطاء .

٢٤–بَحْرٌ عَجَائِبُهُ لَمْ تُبْقِ فى سَمَرٍ وَلاَ عَجائِبَ بَحْرٍ بَعدَهَا عَجَبَا

(١) ا : « من قبل إتمام الصحبة بينهما » .

(٢) فى جميع النسخ : « يلق » مكان « لقِىَ » والتصويت من نص البيت .

(٣) يقول ابن جنى : « وذلك أنه قد يمكن أن يقع التقاء من غير اصطحاب ومواصلة لأن الصحبة مقرونه بالمواصلة وإنما يلتقيان مجتازين لا مصطحبين » الفسر ١/٢٦٣ .

(٤) البيت بهذه الرواية غير منسوب فى الفسر ١ / ٢٦٣ والواحدى . ويروى : « صرَّتنا » بدل : « خرقتنا » فى التبيان ١ / ١١٦ وشرح البرقوقى ١ / ١٣٤ . وقد نسبه إلى النضر بن جؤية بن النضر بن جؤية ابن النضير . ومعاهد التبصيص ١ / ٢٠٧ . ويقول : ونسبه صاحب المعرّب للملك افريقيه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدى – وقد ذكر فى سائر النسخ : « وهو ينطلق » بدل : « وهو منطلق » .

(٥) ذكر ابن جنى : « نغق » بالمعجمه وقال : « وقد قيل بالعين غير معجمة » الفسر ١/٢٦٤ .

الهاء فى « بعدها » : راجعة إلى العجائب الأولى .

يقول : هو بحر ذو عجائب ، تزيد على عجائب البحر ، وسائر العجائب التى تحكى فى الأسمار ، فلم تبق عجائبه فى حديث الأسمار ولا عجائب البحار بعدها عجبا .

يعنى : العجائب التى تذكر فى الأسمار وعجائب البحار بالإضافة إليه كلاشىء[١] .

٢٥- لاَيُقْنِعُ لبْنَ عَلِيٍّ نَيْلُ مَنْزِلَةٍ يَشكُو مَحاوِلُهَا التَقْصِيرَ والتَّعبَا

لا يقنع : أى لا يرضى ، وابنَ علىٍّ مفعوله ، والفاعل : نيلُ منزلة ، والهاء فى مُحَاولها : للمنزلة .

يقول : إنه إذا وصل إلى منزلة صعبة يقصِّر عنها من يطلبها ، فإنه لا يرضى بها وطلب منزلة أعلَى منها ، وإن كانت بحيث يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فيها .

٢٦- هَزَّ اللِّوَاءَ بَنو عِجْلٍ به فَغَدَا رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلٌّ لَهُ[٢] ذَنَبَا

هزّ : أى حرّك .

يقول : إن بنى عجل حركوا لواءهم بسببه ومكانه ، فجعلوه أميرًا لهم ، فرفعوا لواءهم فوقه ، فأصبح هو سيّدهم ، وصاروا أذْنابًا له وأتباعًا[٣] . وقيل : إنه أراد أنه صار الناس أذناب بنى عجل بقوته ، فهم سادة الناس وهو سيدهم[٤] .

٢٧- التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَها والرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَاصَعُبَا

نصب « التاركين » ، و « الراكبين » : على المدح كأنه قال : أمدح التاركين .

---

(١) ب ، ق : « كعجائب » بدل : « كلا شىء » .

(٢) فى الواحدى والتبيان والديوان : « لهم » بدل : « له » . وهى فى أصول الفسر : « له » وشرح البيت الذى معنا والفسر يوضحا ذلك .

(٣) ا بعد وأتباعا : « أراد بنى عجل » .

(٤) ب : « صار الناس وصاروا بنو عجل بقوتك لهم سادة الناس وهو سيدهم » اضطراب .

المعنى : أنهم يتركون [١] من الأمور ماهو سهل ، ويفعلون ماهو أصعب على غيرهم ؛ لفضل قوتهم وشجاعتهم . وهذا من قول الآخر :

[وَلا يرعَوْنَ أكنَافَ الْهُوَينَى إذا حَلُّوا ولاَ رَوضَ الْهُدونِ[٢]]

٢٨- مُبرْقِعِى خَيْلِهِمْ بِالْبِيضِ مُتَّخِذِى هَامِ الكُماةِ عَلَى أرْمَاحِهِمْ عَذَبَا

هذا أيضا نصب على الحال ، وحذف [٣] النون للإضافة . والعذبا : جمع عَذَبة ، وهى الخرقة التى تشد على رأس الرمح .

يقول : إنهم قد برقعوا خيلهم بالسيوف ؛ أى حفظوها بسيوفهم من الأعداء ، فكأنهم غطّوها بالسيوف ، وجعلوها مكان البراقع .[٤] وقيل : أراد أنهم جعلوا بُرْقعها سيوف الضرب بوجوهها فيقع موقع البراقع منها ، وكذلك جعلوا رءوس أعدائهم الشجعان ، على رماحهم ، بدل الخرق التى تشد عليها . وقيل : أرادَ شَعْرَ الهام . ومثله قول مسلم [٥] :

تكْسُو السُّيوفُ نُفُوسَ النّاكِثِين به وتجْعَلُ الْهَام تِيجَانَ الْقنَا الذُّبُلِ[٦]

٢٩- إنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ لاَقَتْهمُ وَقَفَتْ خَرْقَاء تَتَّهِمُ الإقْدامَ وَالْهرَبَا

---

(١) ب ، ق : « تركو » بدل : « يتركون » .

(٢) البيت ساقط من النسخ والمذكور عن الواحدى والتبيان .

(٣) فى النسخ : « وانحذف » بدل : « وحذف » . ويريد حذف النون من « مبرقعى »

(٤) ا : « براقعها » بدل : « البراقع » .

(٥) هو : صريع الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى من أهل الكوفة نزل بغداد ومدح الرشيد والبرامكة وأول من وسع البديع ، لأن بشار أول من جاء به ثم جاء مسلم فحشا به شعره ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه وتجاوز . أخباره فى الشعر والشعراء ٣٣٩ وطبقات ابن المعتز ٢٣٥ و٧٩٦ والنجوم الزاهرة ١٨٦/٢ .

(٦) ديوانه ٤٩ والوساطة ٢٢٩ وديوان المعانى ١١٦/١ ومحاضرات الأدباء ١٦٠/٢ وحماسة ابن الشجرى ١١٣ وطبقات ابن المعتز ٢٣٦ والتبيان ١١٩/١ والواحدى والبرقوقى ١٣٦/١ وزهر الآداب ٣٣/٤ نسب إلى يزيد بن مريد .

خرقاء : أى متحيِّرة فزعة [١] ولاقتهم : أى حاربتهم .

يقول : إن الموت لوْ لقيهم فى الحرب لبقى متحيِّرا [٧١ - ١] لا يدرى القوم فلا يأمن [٢] فى نفسه أحد الأمرين [٣] ومثله لأبى تمام :

شُوسٌ إذَا خَفَقَتْ عُقَابُ لِوَائِهِمْ ظَلَّتْ قُلُوبُ الْمَوت مِنْهُمُ تَخْفِق [٤]

٣٠- مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتْبَعُها فَجازَ وَهوَ عَلَى آثارِهَا الشُّهُبا

الشُّهُب : الكواكب المضيئة . قوله : « فَجَازَ » أى الممدوح . قيل أراد جاز هذا الممدوح على آثار هذه المراتب ولم يبلغها ، وقيل الفكر على آثارها ولم يبلغها .

يقول : إن الممدوح له مراتب تصعد ، والفِكْر من الناس يتبعها . ولم يلحقها بعد .

وقيل : أراد أن لهم مراتب تبعها الفكر ليَبْلغ إلى محلّها ، فجاز الفكر الشهبَ ، وهو بعد فى آثار تلك المراتب ولم يصل إليها !

٣١- مَحَامِدٌ نَزَفَتْ شِعْرِى لِيَمْلَأَهَا فَآلَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضَبَا [٥]

نزفت : أى أنزفتْ [٦] . ونضب : أى فنى من قولهم : نضب الماء . إذا جف [٧] . وقوله : « ليملأها » أى ليملأ شعرى تلك المحامد .

المعنى : لهذا الممدوح ، أو لقومه محامدٌ ومفاخر ، قد استفرغت شعرى

---

(١) ا : « متحيرة فزعة » وقد أهملت « فزعة » فى سائر النسخ .

(٢) مكان : « فلا يأمن » بياض ق ، ا ، ب .

(٣) الإقدام : مخافة الهلاك . والهرب : مخافة العار . هذا ما قاله ابن جنى . الفسر والواحدى والتبيان .

(٤) ديوانه ٣٩٨/٤ والواحدى والتبيان .

(٥) الديوان : « وما نضبا » .

(٦) فى جميع النسخ : « اندفت » . وأنزف البئر : استخرج ماءها كله . اللسان .

(٧) « جف » عن ا ، خ ومهملة فى سائر النسخ .

فى وصفها ليملأها شعرى ، فآل [١] عن أجزاء ما امتلأت المحامد منه [٢] ، ولا فنى شعرى أيضًا فأنا أبدًا أمدحهم ، فلا شعرى ينفد ، ولا هو يبلغ كُنْه وصفهم .

٣٢- مكَارِمٌ لَكَ فُتَّ الْعَالَمِينَ بِهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرٍ فَائِتٍ طَلَبَا

فُتَّ : أى سبقْتَ .

يقول : لك مكارم سبقْتَ جميع الخلق بها فلم يدركوا فيها شأوك [٣] ، ولا يقدر أحد على ردّه ولا طلبه .

٣٣- لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطاكِيَّةَ اخْتَلَفَتْ إِلَيَّ بِالْخَبَرِ الرُّكْبَانُ فى حَلَبا

أنطاكيةُ على مسيرة يومين من حلب .

يقول : لما أقمت بأنطاكيّة تزوَّدَتِ [٤] الركبان بالخبر من عندك ، وأنا بحلب ، فذكروا وصولهم إلى النعم الجزيلة والأيادى الجميلة .

٣٤- فَسِرْتُ نَحْوَكَ لاَ أَلْوِى عَلَى أَحَدٍ أَحُثُّ رَاحِلَتَىَّ : الْفَقْرَ وَالْأَدَبَا

نصَبَ الفقرَ والأدبَ ؛ لأنهما بدل منْ راحِلَتَىَّ .

يقول : لما عرفت الحال سرت نحوك غير ملتفت إلى أحد من الناس دونك ، وحثَثْتُ نحوك راحلتين [٥] : وهما الفقر والأدب ، لتزيل عنى الفقر وتشرفنى بالإكرام [٦] لأجْل الأدب .

٣٥- أَذَاقَنِى زَمَنِى بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وانْتَحَبَا

الانتحاب ، والنحيب : تردّد البكاء فى الصّدر ، والهاء فى « بها »

---

(١) آل : رجع . الفسر ١ / ٢٦٩ .

(٢) عن ا : « منه » ومهملة فى سائر النسخ .

(٣) ب . ق : « تناوك » مكان « شأوك » .

(٤) ب . ق . ع : « ترددت » والتصويب عن أ . خ .

(٥) ا : « راحلتى » بدل « راحلتين » .

(٦) « بالإكرام » ساقطة من ا . ب .

و « ذاقها » : للبلوى . وبكى ، وعاش ، وانتحب : فعل الزّمن .

يقول شاكيا من زمانه : إنه أذاقنى من بلاه [١] ومحنه مانَشب فى حلقى فشرّقنى [٢] ، ولو ذاق الزّمان ما أذاقنى ، لبكى وانتحب ماعاش !

٣٦- وَإِنْ عَمِرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِىَّ أَخًا وَالْمَشْرَفِىَّ أَبَا

يقول : إن طال عمرى [٣] جعلتُ الحرب والدتى ، فأعْتَنَى بأمرها كما يعتنى الرّجل بأمر والدته [٤] ، والرمحَ أخًا والسَّيفَ أبا : يعنى لازمت الحرب ، والرمح والسيف ، كما يقال : فلان ابن بجدة [٥] [٧١ - ب] هذا الأمر ، وفلان أخو فلوات [٦] ، وأراد : فى إدراك ثأرى من الزمان وأهله .

٣٧- بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمَا حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فى قَتْلِهِ أَرَبَا

الأَرَبُ : الحاجة . وبكلّ رجل أشعث : أى أغبر معاودٍ للحرب ، يلقى الموت وهو ضاحك ، حتى يُظَنّ أن له حاجةً فى أن يُقْتَل . والمراد بالموت : علاماته .

ومثله لأبى تمام :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهمُ لايَيْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيا إِذا قُتِلُوا [٧]

٣٨- قُحٌّ يَكَادُ صَهِيلُ الْجُرْدِ [٨] يَقْذِفُهُ عَنْ سَرْجِهِ [٩] مَرحًا بِالْعِزِّ أَوْ طَرَبَا

(١) ب ، ا : « بلاياه » بدل « بلاه » .

(٢) ا ، ب : « فشرقنى » مهملة .

(٣) ا ، ع : « إن عمرت » مكان « إن طال عمرى » .

(٤) ا ، ب : « والديه » مكان « والدته » تحريف يدل عليه نص البيت .

(٥) ب : « نجدة » ، ق : « بجرة » تحريفات .

(٦) فى كل النسخ : « أخد فلوات » تحريف .

(٧) ديوانه ١٧/٣ والفسر ٢٧١/١ والواحدى والتبيان ١٢١/١ و ٣٤/٣ و٢١/٤ و ١٨١ .

(٨) مكان : « الجرد » بياض فى أ ، ب ، خ والمثبت عن ع والواحدى والتبيان : « الخيل » وروى ابن جنى : « الجرد » مكان : « الخيل » .

(٩) فى الواحدى والتبيان : « من سرجه » .

القحّ : الخالص من كل شيء ، والجرْد : جمع أجرد ، وجرداء : وهو القصير الشعر ، وقيل : هو الذى يتجرّد من الخيل ويسبقها .

يقول : بكل أشعث خالص فى نسبه عربى (١) يكاد يرميه صهيل الخيل عن سرجه مرَحًا وشوْقًا إلى الحرب ، سرورًا بالموت .

٣٩ - الْمَوْتُ (٢) أَعْذَرُلِى ، وَالصَّبْرُأَجْمَلُ بِى وَالْبَرّ أَوْسَعُ ، والدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

يقول : إن الموت يعذرنى إذا قُتِلْتُ شوقًا إليه ، والصبر أجمل بالحُرّ من احتمال الضّيم ، والْبَرّ أوسع بمن يريد العز إن لم يكن فى هذا الموضع يطلبه فى موضع آخر ، والدّنيا لمن غلب . وجميع البيت مَثَل ضَرَبَه .

(٦٠)

وقال أيضًا يمدحُه (٣) [ويذم الزمان] :

١ - فُؤَادٌ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ وَعُمْرٌ مِثْلُ مَايَهَبُ اللِئَامُ

فؤاد : خبر ابتداء محذوف ، وتقديره : فؤادِى فؤادٌ ، وهذا فؤادٌ ، وكذلك فى قوله : وعُمْرٌ . و « ما » الأولى للنفى ، والثانية : بمعنى الذى . واللئام : جمع لئيم ، وهو من يجمع ثلاثة أحوال : البخل ، ومهانة النفس ، والدناءة فى الأصل (٤) .

يصف بُعْد همته وعلوّ قدْره وعزّة مطلبه فيقول : إن فؤادى لايغلبه (٥) شرب

(١) « عربى » مهملة فى ق ، ع .

(٢) الواحدى والتبيان « فالموت » .

(٣) المذكور عن ق ، ا ، خ ،ع والديوان ٩٢ . ب : « وقال أيضا » . الواحدى ١٦٠ : « وقال يمدح المغيث بن على بن بشر العجلى » التبيان ٦٩/٤ : « وقال يمدح المغيث بن على بن شر العجلى » . العرف الطيب ٩٦ : « وقال يمدحه أيضا »

هذه هى القصيدة الثانية فى مدح المغيث بن بشر ، وكان ذلك حوالى سنة ٣٢٧ هـ المتنبى ١٣٦/١ .

(٤) ا : « والدناءة » . ب : « و ناءة الأصل » .

(٥) ا : « لايسلبه » . ب : « لا يطله » بدل « يغلبه » .

الخمر ، ولايسليه [١] السكر عما يطلبه من الشّرف والعلوّ ، وَلِيَ عُمُرٌ منكّدٌ منّغص مثْل هبة اللئِيم التى تكون منغصة حقيرة ؛ فلقصر عمرى أخاف ألاَّ أدرِك مطلوبى [٢] وقيل غرضه فى ذلك شكاية حاله ، وضيق صدره ، وقصر عمره ، وتنغيص حياته ، وإنه صار إلى حدٍّ لايسلِّيه الشرابُ . هذا مثل قصار الهمم ، وإن كانوا طِوال العمر .

٢ - وَدَهْـرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ

الجثث : جمع الجثة ، وهى شخصُ الإنسان مادام حيًّا [٣] جالسًا أوْ نائمًا ، فإذا كان قائمًا فهو قامة .

يذم أهل الدهر فيقول : إن الدّهرَ دهرٌ ، أو هذا دهرٌ ، أهله صغار ، ليس لهم همة [٤] مع عظم أجسامهم ، التى هى مثْل : جسم البغال [٥] وأحلام العصافير وهذا مَثَل [٦] .

٣ - وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِالْعَيشِ فِيهِمْ وَلكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ

الرَّغام والرُّغام : التراب .

يقول : لست من هؤلاء النّاس ، وإن كنت أعيش فما بينهم ، بل جوهرىَ [٧٢ - ا] يخالف جوهرَهم وطباعى تنافى طباعهم ، كما أن الذهب يتولد من التراب ، ومع ذلك جوهره يخالف جوهر التراب . شبّه نفسه بالذهب وسائِر الناس بالتراب . ومثْله قوله : فَإِنّ المْسكَ بَعضُ دَمِ الْغزَال

---

(١) ا : « يلهيه » . بدل : « يسليه » ع ، ق : « يسلبه » .

(٢) ب ، ا : « مأمولى » بدل : « مطلوبى » .

(٣) ق : « ما دام حياء » تحريف وساقطة من ا ، ب .

(٤) ا ، ب : « صغار معنى وهمة » .

(٥) المثبت عن ا ، خ وفى سائر النسخ : « جسم البغال وهذا مثل »

(٦) أمثال المتنبى ٤٨ .

ومثله : فَإنّ فى الخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فى الْعِنَبِ

ومثله : فَإنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إنْ ذَهَبَ الْوَرْد (١)

٤ - أَرَانبُ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلُوكٌ مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ

يقول : هؤلاء أرانب فى الحقيقة ، غير أنهم ملوك ! فجعلهم أرانب ، واستعار لهم اسم الملوك وهو عكس مايقال : هم ملوكٌ فى صورة الأرانب ، وهم قد فتحوا عيونهم وهم مع ذلك كأنهم نيام لجهلهم . ومثْل هذا قول الشاعر :

وخَبَّرنى البَوَّابُ أَنَّك نَائِمُ وأَنَّكَ إذَا اسْتَيقَظْتَ أيضًا فقائِم (٢)

وإنّما شبّههم بالأرانب ؛ لأنها إذا نامت لاتطبق أجفانها (٣) فشبّههم بها لهذه العلّة ، ومالها من الضعف والخسة ودناءة الأصل والقدر (٤) ، وقوله : « غير أنهم ملوك » أى رفع زمنُهم قدرَهم (٥) ودانت لهم الدنيا ، والمراد به (٦) ذم الزمان وأهله (٧) .

٥ - بِأَجْسَامٍ يَحَرُّ الْقَتْلُ فيها ! وَمَا أَقْرَانُهَا إلاَّ الطَّعَامُ

يَحَرّ : من الحرارة ، أى يسرع ويشتد ؛ لخسة شجاعتهم .

يقول : إن هذا الدهر ، أهله لشرهِهِم بالطعام لايموت أكثرهم إلا عن التخمة ، فكأن الذين يقاتلونهم بالفراغ من الطعام لأنهم لايموتون - أكثرهم - إلا بأكلها ، فهى أقرانهم دون الرجال . وهذا مثَل .

٦ - وَخَيْلٍ مَايَخِرُّ لَهَا طَعِينٌ كَأَنَّ قَنَا فَوَارِسهَا ثُمَامُ

---

(١) انظر أمثال المتنبى ٤٩ .

(٢) غير منسوب فى الوساطة ٣٨٩ والواحدى ١٦١ والتبيان ٤٣/١ ، ٧٠/٤ وشرح البرقوقى ٤٤/١ .

(٣) انظر فى ذلك حياة الحيوان للدميرى .

(٤) المذكور عن ب وفى سائر النسخ : « ودناءة القدر » .

(٥) ب : « أى رفع جهلهم وضعهم » . ا : « أى رفع حكمهم وضعهم » .

(٦) « به » مهملة فى ق ، ع .

(٧) بعد ذلك فى ا : « وهذا مثَل » .

الثُّمَام[١] : نبتٌ ضعيف ورقه مثل خوص النخل .

يقول : إنهم لضعفهم إذا طعنوا فارسًا ، لايسقط عن ظهر فرسه ، فكأن رماحهم من شجر الثّام . شبّهها به لضعفه وكون ورقة على شكل أسنّة الرِّماح ، فهو إشارة إلى ضعفهم وقلة شجاعتهم . وهذا مثَل .

٧ – خَلِيلُكَ أَنْتَ لا مَنْ قُلْتَ خِلِّى وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلاَمُ

الخَلِيل والخلّ : هو الصديق . وسمى بذلك لمداخلة صديقه فى جميع أموره وأحواله[٢] ، ولأن حبّ كل واحد منهما يدخل فى خلل صاحب قلبه ، والتجمّل : إظهار الجميل من القول وغيره .

يقول : ليس لك صديق فى الحقيقة إلا نفسك ، فأنت صديق نفسك ، لامن تسمِّيه خليلا ، وإن كثرت مجاملته [٣] ، وأظهر لك الود بالكلام . ومثْله للآخر .

كُلّ النِّداءِ إِذَا نَادَيْتُ يَخْذُلِنى إلاّ نِدائى إِذَا نَادَيْتُ يَامَالِى[٤]

وهذا مثَل[٥] .

٨ – وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ الْحُسَامُ

حيز : جُمِع . والحفاظ : مراعاة الحقوق والذمم . والحسام : رُفِع لأنه فاعل تجنّب .

يقول : هؤلاء لاعقول لهم ؛ فلذلك ليس لهم حفاظ بالعقل ، فلو أمكن تحصيل الحفاظ من دون العقل ، لتجنّب السيف عنق الصيقل ، الذى أرْهَفَ

(١) الثمام : واحدته ثمامة . انظر معجم أسماء النبات ٣٢ .

(٢) المثبت عن ب وفى سائر النسخ : « فى جميع أحواله » .

(٣) ا ، ب : « وإن كثر منه المجاملة » .

(٤) روايته فى كل النسخ .

كل النداء إذا ناديت يخلفنى إلا النداء إذا ناديت يا مالى

وهذا البيت رابع أبيات أربعة لأحيحة بن الجلاح فى عيون الأخبار ٢٤٠/١ والتصويب عنه .

(٥) يشير إلى بيت المتنبى . انظر أمثال المتنبى ٥٠ .

حدَّه ، وأظهر رونقه ، وأبرز حسنه [٧٢ - ب] فكأنه إذا ضُرِبَ به لا يؤثر ؛ لمحامات حرمته ، ومراعات حقه [١] .

٩ - وَشِبْهُ الشَّىءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ

الطغام والطغامة[٢] : الذى ليس له معرفة .

المعنى : أن الدنيا تميل إلى الأرْذال ؛ لخساسة قدرها كما يميل الشّبه إلى شبهه ، فكما أنها رذلة خسيسة ، فهى أيضًا تنجذب إلى الخساس والأراذل ؛ للتجانس بينهما . وهذا أيضًا مثل[٣] .

١٠-وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إلاَّ ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ

القَتَامُ : الغبار .

يقول : لو لم يعْل ولم يرتفع ، إلا من له محلّ وقدر ، لكان يجب ألاَّ يَعْلو الْغُبار - مع أنه من جنس التراب - على الجيش ؛ لفضلهم وما لهم من التمييز والعقل ومثله :

قَالَتْ : عَلاَ النَّاسُ إلاَّ أَنْتَ ! قُلْتُ لَهَا : كَذَاكَ يَسْفُلُ عِنْدَ الْوَزْنِ مَنْ رَجَحَا

وهذا مثل[٤] .

١١-وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إلاَّ مُسْتَحِقٌّ لِرُتْبَتِهِ أَسَامَهُمُ الْمُسَامُ[٥]

---

(١) أى لو كان مالا عقل له بإمكانه المحافظة على المودة والوفاء ، لكان السيف لا يقطع عنق صانعه . وهذا مثل . أمثال المتنبى ٥١ .

(٢) جاء فى اللسان : الطغام : أراذل الناس وأوغادهم . والطغامة واحده . والطغام يستوى فيه المذكر والمؤنث .

(٣) أمثال المتنبى ٥٢ .

(٤) أمثال المتنبى ٥٣ .

(٥) هذا البيت قدّم على البيت رقم ٦ « وخيل ما يخر » فى ب .

الرعى هنا : السياسة . والأسامة : رعى المال ، يقال أسام ماله فهو مسيم والمال [١] مُسَام .

يقول : لو لم يقم برعاية النّاس إلا من هو مستحق له ، لوجب أن تكون الرعيّة هى الراعى ، والأمير هو المرعىّ ؛ لأنّ فى الرعية من هو أشرف من هؤلاء الرّعاة وهذا مثَل [٢] .

١٢–وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِى فَالْغَوَانِى ضِيَاءٌ فى بَوَاطِنِهِ ظَلَامُ

خبر واختبر : بمعنى جرَّب . والهاء فى « بواطنه » للضياء .

يقول : من جرّب النِّساء وعرفهنّ ، وعرف ظاهرهنّ فإنه وإن كان ضياءً فباطنه ظلام وضلال [٣] .

١٣–إذَا كَانَ الشَّبَابُ السُّكْرَ ، والشَّيْـ ـبُ هَمًّا ، فالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ

يقول : إذا كان الإنسان شابًّا فهو كالسّكْران ، لكونه جاهلاً غافلا . وفى حال المشيب فى الحزن والهم والأسقام ! فالحياة هى الموت فى الحقيقة ، إذ ليس له فيها راحة ، فلا فرق بين حياته وموته ، كأنه تنبيه وحث على ترك الغفلة ، والنهوض لمعالى الأمور [٤] ، فى حال الشباب [٥] وهذا مثَل أيضا [٦] .

١٤–وَمَا كُلٌّ بِمَعْذُورٍ بِبُخْلٍ وَمَا كُلٌّ [٧] عَلَى بُخْلٍ يُلَامُ

يعنى : أن الكريم لايعذر على بخله ؛ لكرمه ولاتصال الآمال بهِ . وإن بخَلَ

(١) « والمال » ساقطة فى ق ، ع .

(٢) أمثال المتنبى ٥٤ .

(٣) ا ، خ : « فباطنهن فتابهن ضلال » تحريف . ب : « فإن كان ضياء فباطنهن ظلام فتعا بعهن ضلال » انظر أمثال المتنبى ٥٥ .

(٤) ا : « ونهوض المعانى » ب : « والنهوض للمعانى بمعالى الأمور » .

(٥) ب : « الشبيبة » بدل « الشباب » .

(٦) لم يذكره ابن عباد فى أمثال المتنبى .

(٧) ا ، ب ، خ : « ولا كل » .

[المعسر][1] لايلام ، لأن فضله ومنزلته إنما هو بالمال . وهذا أيضا مثَل ضربه [2] .

١٥- وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِى وَمِثْلِى لِمِثْلِى عِنْدَ مِثْلِهِمُ مُقَامُ

المقام : الإقامة .

يقول : لم أر مَنْ هو مثلى فى الفضل ، يقيم بين قوم لايشاكلونه ، لأنهم سِفْلة أخساء [3] فمقامى فيما بينهم عجيب .

١٦- بِأَرْضٍ مَااشْتَهَيْتُ رَأَيْتُ فِيهَا فَلَيْسَ يَفُوتُهَا إلاَّ الْكِرَامُ

يقول : مُقَامى بأرضٍ مخصبة ، فيها كل ماالشتهيت [٧٣ - ا] من أنواع النِّعم ، وليس يفوت إلا الكرام تلك الأرض فإنى لاأراهم فيها [4] وإن كنت أشتهى ذلك .

١٧- فَهَلاَّ كَانَ نَقْصُ الأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ !

يقول : هلاّ كان هذا النَّقص الذى فى أهل هذه الأرض فى نفس الأرض ، وكان التّمام الذى فيها لأهلها ، فيكون منها كرما وفضلا .

١٨- بِهَا الْجَبَلاَنِ مِنْ فَخْرٍ وَصَخْرٍ [5] أَنَافَا [6] : ذَاالْمُغِيثُ ، وَذَااللُّكَامُ

يقول : هذه الأرض ، فيها جبلان عاليان :

أحدهما من فخر ، وهو المغيث .

---

(١) « المعسر » إضافة يقتضيها النص ولم تذكر فى النسخ .

(٢) أمثال المتنبى ٥٦ .

(٣) ا ، ب ، ح : « أخسة » .

(٤) « فيها » ساقطة ع ، ق .

(٥) فى الواحدى والتبيان والديوان « من صخر وفخر » .

(٦) أنافا : أشرفا وطالا . الواحدى والتبيان .

والثانى من صخر، وهو اللّكام [١] جعل الممدوح كالجبل قدرًا [٢].

١٩– وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلكِنْ ... يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ

يقول: هذه الأرض ليست من مواطن المغيث؛ لخستها ودناءتها، مع شرفه وكرمه، ولكنه يمر بها ليحميها وينعم على أهلها، كما يمرّ الغمام بالأرض الجدْبة فيحييها بالنبات. وقد استدرك هاهنا ماقال فى قوله: «فليس يفوتها إلا الكرام». ثم قال: و«بها الجبلان». فقال: وإن كان هذا الكريم فيها فليس هو من أهلها لأن أهلها لئام، وإنما يجتاز فيها كاجتياز [٣] السحاب.

٢٠– سَقَى اللهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِى ... بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامُ

أنجبت المرأة: إذا ولدت نجيبًا، فهى منجبة وابن منجبة هو الممدوح [٤]. والنجيب: الكريم السليم من العيوب.

يقول: سقى الله ابنَ منجبةٍ وهو الذى سقانى بِدَرٍّ [٥] وخير كثير، ما لراضِعِهِ فطام: أى لأن نعمته دائمة لاتنقطع، بل تتصل وتدوم.

٢١– وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا ... وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ

روى: «مَنْ» وهى للممدوح وهو بدَل من قوله: «ابن منجبة». فتكون فى موضع نصب. وروى: «مِنْ» فتكون للتبعيض.

(١) اللكام: جبل معروف يقال له جبل الأبدال، لأنهم كانوا يسكنونه. وهو الجبل المشرف على أنطكية والمصيصة وطرسوس وهو المعروف بجبل لبنان الآن. انظر معجم البلدان (لبنان واللكام) والواحدى والتبيان.

(٢) ا، ب، ح: «جعل الممدوح فى عظم قدره كالجبل».

(٣) ا، ب، ح: «اجتياز» بدل: «كاجتياز».

(٤) ابن منجبة هو الممدوح: «ساقطة ق، ع.

(٥) الدَّر: اللبن أو الكثير منه، ويقال فى التعجب «لله دره» ويقال: درَّدرُّه: كثر خيره. ولادرَّ درُّه: لا زكا عمله، والمراد أن الممدوح لم يقطع عن المتنبى بره. اللسان والواحدى والتبيان.

يقول : له فائدة من فوائدِ العلا والجاه ، فإذا أَعْطَى عطيّة جعلها دائمة ، والدّوام بعض عطاياه المشكورة .

٢٢- فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا   كَسِلْكِ الدُّرِّ يُخْفِيهِ النِّظَامُ

روى : « به » فيكون للممدوح . وروى : « بها »[١] فيكون راجعًا إلى العطايا . وله معنيان :

أحدهما : أنّ الزمان والشدائِد صارت مغمورة مستورة بهذا الرجل وبعطاياه ، لاشتمال هذا الرجل وعطاياه على الزمان وشدائده ، فلا يظهر للزمان تأثير بالإضافة إليه وإلى عطاياه ، كما أن الدّرّ إذا نظم فى السّلك فإنه يخفى السلك ويستره لاشتماله عليه ولنفاسته .

والمعنى الثانى : أن قبح الزمان وخسة أهله صارت خافية بحسن كرمه وعطاياه . يعنى : أن كرمه صار جابرًا لِمعَايِبِ الدهر ومعايِره . وهذا مثَل[٢] .

٢٣- تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِى   وَمَنْ يَعْشِقْ يَلَذُّ لَهُ الْغَرَامُ

المروءة : مصدر مَرُؤ[٣] ، كالإنسانية . والغرام : قيل هو العذاب وأصله من المشقة[٤] .

يقول : إن المروءة لذيذة له مع أنها تؤذى صاحبها ؛ [٧٣ – ب] لما فيها من تفريق المال وتحمّل المشاقّ ، فهو يلتذّ بها لعشقه لها ، كما أن العاشق يتلذّذ بالغرام ، ومايجد من ألم الشوق وحرقَ الهوى . وهذا أيضا مثَل[٥] .

٢٤- تَعَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى   وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سِقَامُ

(١) قال الخطيب : قرأت على أبى العلاء : « خفى الزمان بها » وكذلك النسخ التى يعتمد عليها وذكر أن الضمير راجع إلى « عطاياه » وقال : قد أودعنى أنها قد انتظمت الزمان فغطته كما يغطى الدر ما نظم فيه من السلك . وقال أبو الفتح الضمير راجع إلى الممدوح . التبيان .

(٢) لم يذكره ابن عباد .

(٣) ب : « المروة مصدر المروة » . ق : « المروة مصدر المرء » .

(٤) من : « والغرام ... المشقة » ساقط من ق ، ع .

(٥) أمثال المتنبى ٥٧ .

يقول : عشق هذا الممدوح المروءة ، كما عشق قيس بن الملوح ، الملقب بالمجنون لليلى العامرية ، ولكنه واصل المروءة المعشوقة ، فليس لها سقام العشق . مثْل ماكان لقيْس فى عشق ليلى ؛ لأن السقام إنما يكون من الهجر وعدم الوصال ، فهو لما واصلها لم يجد السقام . وهذا أيضا مثَل[١] .

٢٥–يَرُوعُ رَكَانَةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا يُدْرَى : أَشَيْخٌ أَمْ غُلَامُ !

ركَانةً وظرفًا : نصب على التمييز . وقوله : « أشيخ » مبتدأ وخبره محذوف . وتقديره : أشيخ هو[٢] أم غلام ؟ والجملة فى موضع نصب بقوله : فما تدرى ، و « الركانة » : الوقار والثبات .

يقول : إذا نظرت إليه راعك[٣] وقارًا وهيبة ، وإذا راعيته راعك بظَرْفٍ وحسن خلق ، فله ركانة الشيوخ وظرافة الأحداث[٤] .

٢٦–وَتَمِلِكُهُ الْمَسَائِلُ فى نَدَاهُ[٥] فَأَمَّا فى الْجِدَالِ فَمَا يُرَامُ

المسألة تستعمل فى سؤال العطاء ، وسؤال العلم ، فلما أراد هَاهُنَا سؤال العطاء ، بيَّن مايُزِيل الشّبهة فقال : تمْلِكه مسائل السائلين ، وإذا سألوه المالَ فلا يمكنه ردّهم ، فأما إذا سألوه مسائِل العلم والجدال ، فلا يرومه أحد . يمدحه بالسخاء والعلم .

٢٧–وقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامُ

(١) لم يذكره ابن عباد .

(٢) فى جميع النسخ : « أهو شيخ » .

(٣) راعك : أعجبك يقال : راعنى جماله وراعنى كلامه فهو رائع . اللسان .

(٤) بعد ذلك فى ا ،ب :

ومثله مرٌّ على أعدائه وعلى الأدنين حلو كالعسل

تملكه مسائل الراغبين ويملك جدال المناظرين » .

(٥) فى التبيان : « فى العطايا » بدل : « فى نداه » « وأما فى الجدال » .

ويروى : وفَيْض نواله . وهو الأولى . والذّام : العيب . يقول : أخذ نواله شرف لنا وعزّ ، لكرمه وفضله وأخذ عطايا بعض القوم وهم (١) سقاط : عيْبٌ . ومثْله :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لامْرِئٍ إن حَبَوْتَهُ بِخَيْرٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ(٢)

٢٨–أَقَامَتْ فِى الرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِىَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ

الْحَمَام : فى أصل اللغة ، عبارة عن كل طائِر ذى طوْق (٣) .

يقول : نِعمَه لازمة للناس ، مثْل الأطواق للحَمَام . فنعمه كالأطواق ، والنّاس كالحَمام (٤) وأخذ هذا بعض المتأخرين فقال :

تَرَكَ النَّاسَ حَمَامًا هتفًا بِنَدَاهُ تَحْتَ أَطْوَاقِ المِنَنْ

٢٩–إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عِجْلٌ (٥) كَمَا الْأَنْواء حِينَ تُعَد عَامُ

الأنواء : جمع نوء [وهو سقوط نجم من منازل القمر فى المغرب وطلوع رقيبه من المشرق يقابله (٦)] وذلك فى كل ثلاثة عشر يومًا ، وبانقضائها تنقضى السنة (٧) .

---

(١) « وهم » ساقطة ق ،ع .

(٢) نسب البيت لأمية بن أبى الصلت فى الواحدى ، والتبيان وشعراء النصرانية ٢٢١ والإبانه ١٢٠ وديوان المعانى ٤٦/١ والمثل السائر ٣٨١/٢ ودلائل الإعجاز ٣٢٠ وفى الوساطة ٣١٤ ويروى لغيره . ولم ينسب فى الطراز ١٩٥/٣ .

(٣) المراد بالطوق : الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها ، وقد نقل عن الأصمعى والجوهرى أن كل ذات طوق نحو الفواخت والقمارى والقطا وأشباه ذلك : حمام . حياة الحيوان .

(٤) عدّ ابن عباد هذا البيت من أمثال المتنبى ٥٩ .

(٥) ا ، ب « فأنت عجل » .

(٦) من : « وهو سقوط ... يقابله » بياض ق ، ع ، ح و ا ، ب : « وهو سقوط منزل ... رقيبه فى المشرق » والمذكور عن التبيان .

(٧) منازل القمر ثمانية وعشرون منزلا تضرب فى ثلاثة عشر يوما وهى مدة كل نوء ، فيكون الحاصل ٢٨×١٣=٣٦٤ أربع وستون وثلاثمائة يوم وهى أيام السنة . انظر التبيان ٧٦/٤ .

يقول : إذا عُدّ الكرامُ فهم بنو عجلٍ دون غيرهم ، فكأنّ الكرام اسم لهم خاص ، كما أن الأنواء تكون عاما ، فلا عام إلا ذو أنواءٍ وما الأ نواء إلا نفس العام ، فكما أن الأنواء لاتنفصل عن العام ، كذلك الكرم لايزايلهم[٧٤-ا] .

٣٠-تَقِى جَبَهَاتُهمْ مَا فى ذَرَاهُمْ   إِذَا بِشِفَارِهَا حَمِىَ اللِّطَامُ

تق : أى تحفظ ، وتمنع . وذراهم : ناحيتهم . والشّفار : جمع الشّفرة ، وهى حدّ [١] السيف والهاء فى « فيها » : ضمير السيوف وإن لم يجر لها ذكر ، وقيل : هو ضمير عجل . واللِّطَام : كناية عن الضّراب . وحمى : أى اشتد .

يقول : إن جباههم[٢] تصون وتدفع عن أموالهم وحريمهم ، والحرم : المستجيرون فى شدة المحاربة ، وهو حين اشْتداد حدّ السيوف للضّراب .

٣١-وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فى الْحَشْرِ تَجْدُو   لَأَعْطَوْكَ الَّذِى صَلُّوا وَصَامُوا

يقول : لو قصدتهم يوم القيامة مجتديًا معروفَهم ، لأعطوك صَلاَتِهم وصيامهم : أى ثوابها – مع شدة الحاجة إلى الطاعة فى ذلك اليوم – واختاروا لأنفسهم النّار ، كراهة رد المستميح ، إذ ليس هناك أموال . وهذا مأخوذ من قول الآخر .

وَلَوْ بَذَلَتْ[٣] أَمْوالَهُ جُودُ كَفِّهِ   لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطْرَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فى الْعُمْرِ قِسْمًا لزائِر   لَجَادَ لَهُ بِالشَّطْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ[٤]

٣٢-فَإِنْ حَلُمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ   خِفَافٌ وَالرِّمَاحُ بِهَا عُرَامُ

---

(١) « حد » ساقطة ق ، ع .

(٢) ا ، ب « إن جباتهم » .

(٣) فى الأمالى وعيون الأخبار : « خذلت » مكان : « بذلت » .

(٤) نسبا إلى أبى بكر بن النطاح فى الواحدى وسمط اللآلى ٥٦٠ والأمالى ١ / ٤٧ ، وعيون الأخبار ٣٤٢/١ والبيت الأول فى الوساطة ٢١٧ .

العرام : الجهل والطيش .

يقول : إن كانوا حَلُمُوا حلمِ ذو رَزَانةٍ وسكون ، فخيلهم تخف ولاتحلم ، وتسرع فى العدْو[١] ، وفى رماحهم خفّة ونزق ، أى هم جهّال فى الحروب[٢] . ومثله للفرزدق :

أَحْلاَمُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رزانةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجُهَّالِ[٣]

٣٣-وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلاَتٌ وَشَذْرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ التُّؤَامُ

المكللات : التى أديرت عليها[٤] اللحم مثْل الإكليل . وشزر الطعن[٥] : إذاكان عن يمين وشمال ، وأراد بالتُّوام هنا : متابعة الضرب ، مكان الواحد اثنان .

يقول : إنهم يَقْرُونَ الضيف بالجفان المكلّلات باللحوم ، ويطعنون أعداءهم شزرًا فى الحروب ، ويضربونهم ضربًا متتابعًا ، وهذا من قول حسان[٦] :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرّ يَلْمَعْنَ فى الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يقْطرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَا[٧]

٣٤-نُصَرِّعُهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَاءً وَتَنْبُوا عَنْ وجُوهِهِمُ السِّهَامُ

يقول : إذا سألناهم استحيوا من نظرنا إليهم ، فكأنَّا صرعناهم فنأخذ منهم

---

(١) فى كل النسخ « فحيلتهم تخف ولاتحلم وتسرع فى الأعدا » والتصويب من الواحدى والتبيان .

(٢) « فى الحروب » ساقطة ق ،ع .

(٣) ورد هذا البيت بروايته المذكورة فى الحماسة رقم ٧٣٩ منسوبًا إلى حسان بن حنظلة من أبيات ستة . وجاء بالرواية نفسها أيضا منسوبًا إلى الفرزدق فى مختار الأغانى ١٠٧/٨ . وهما شطران من قصيدتين مختلفتين فى ديوان الفرزدق ٧١٧ و٧٣٠ .

أولها : أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنًّا إذا ما نجهل

والثانى : إنا لتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال

(٤) فى النسخ « عليهم » مكان « عليها » .

(٥) ب : « والطعن الشزر » .

(٦) هو : حسان بن منذر الخزرجي ، يكنى أبا الوليد وهو من فحول الشعراء ، كان شاعر الأنصار فى الجاهلية وشاعر النبى ﷺ فى النبوة وشاعر اليمن كلها فى الإسلام وكان أحد المعمرين ، فقد مات عن مائة وعشرين سنة : ستون فى الجاهلية وستون فى الإسلام .

(٧) ديوانه ١٣١ ، شرح التلخيص للبرقوقى ٣٧٠ ، والمثل السائر ٣٢٦/٢ .

مانسأله ، وهم فى الحروب لايؤثر السلاح فى وجوههم . يصفهم بالحياء عند المسألة والوقاحة عند الحرب . وحياءً : نصب على التمييز . وقول ليلى الأخيلية (١) أبلغ من هذا وهو :

فَتىً كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِخفَّانِ خادِرِ (٢)

٣٥- قَبيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمعَالِى كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ الْعِظَامُ

يقول : هم جماعة يتعاونون على القيام بالمعالى ، ويحملونها كما تعاونت العظام على حمل الجسد ، فقوام المعالى ونظامها بهم ، كما أن قوام الجسد وثباته بعظامه وهذا مَثَل (٣) .

٣٦- قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرٌ الْمَلِكُ الْهُمَامُ

[٧٤- ب] تقديره : قبيل أنت منهم ، وأنت منهم ، وأنت أنت .

يقول : إن بنى عجْل قبيلة أنت منهم ، وأنت أنت : أى أنت المشهور ، ولك المحلّ العظيم . وهذا تفخيم لشأنه ، وجدك المسمى : بِشْرٌ ، منهم ، وهو الملك الهمام . أى كفاهم شرف كونك وجدك منهم .

٣٧- لِمَنْ مالٌ تُمَزِّقُهُ الْعَطَايَا وَيُشْرَكُ فى رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ ؟

الرغيبة : وهى المال النفيس . والرغائب : جمع الذى يرغب فيه .

يقول : ليس مال تَفرقة العطايا ويشرَك جميع الخلق فى رغائبه غير مَالِكَ . وهذا مفهوم من الكلام ؛ لأنّ « مَنْ » يدل عليه : فَعَلَى هذا يكون البيت مستقلا بنفسه ، ويجوز أن يكون معنى البيت الذى يليه متصلا به ، فيكون فيه معنى التّضمين.

---

(١) هى : شاعرة فصيحة جميلة اشتهرت بأخبارها مع توبة الحميرى ، وطبقتها فى الشعراء تلى طبقة الخنساء وكان بينها وبين النابغة الجعدى مهاجاة . أخبارها فى فوات الوفيات ١٤١/٢ والنجوم الزاهرة ١٩٣/١ ، أغانى الدار ٢٠٤/١١ ورغبة الأمل ٢١٩/٥ - ٢٢١ .

(٢) ديوانها ٧٢ التبيان ٢٠١/٢ ولباب الآداب ٢٨٥ وحماسة ابن الشجرى ٨٤ وزهر الآداب ٣/٤ .

(٣) لم يذكره ابن عباد .

٣٨- وَلاَ نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لأَنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ

يقول : أنت لاترضى بأن تدعى صاحب المال الذى وصفتُه ، لأن الصحبة مما توجب مراعاة حقه ، وذلك يمنع من تفريقه . والمعنى الثانى : لمن المال الذى تفرّقه العطايا ، ويشرك فيه الناس ، لايدعوك صاحبه فترضى أنت به ؛ لأنك إذا أقررت بأنك صاحبه فيلزمك حفظه [١] .

٣٩- تُحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِىٌّ تُصَافِحُهُ يدٌ فيهَا جُذَامُ

تحايده : أى تتجنّبه وتميل عنه إلى جانب آخر . والهاء ضمير المال . وفى « تصافحه » : يجوز أن تكون للمال ، ويجوز أن يكون للسامرىّ . والسامرّى يجوز أن يكون اسم السامرىّ المذكور فى القرآن [٢] ، ويجوز أن يكون منسوبًا إليه . وكل اسم فى آخره ياء مشددة ، إذا نسب إليه حذفت الياء منه ، وألحقت به ياء النسبة ، كما لو نسبت إلى كرسىّ ، قلت : رجل كرسىّ . والجذام : الأكَلَة التى تقع فى اليد .

يقول : إنك تتجنّبُ من مالك ، فكأنك السامرىّ ، الذى اتخذ العجل والمال بمنزلة اليد الجذماء ، والسامرىّ لاتمسه يد فكيف الجذماء ! لأن الله تعالى قال فى حقه (لاَمِسَاسَ [٣]) والأولى أن المراد به المنتسبون إليه بالشام [٤] . وهم قوم من ولده يستقذرون الناس ولايخالطونهم [٥] تعزّزًا منهم ، ويغسلون ثيابهم إذا أصابهم النّاس فيقول : إنك تتجنب أن تمسّ مالَك فكأنك منتسب إلى هؤلاء القوم لأن

---

(١) ب : « فيلزمك حفظه » ساقطة .

(٢) سورة طه ٢٠/الآيات ٨٥ و٨٧ و٩٥ . نقل القرطبى عن ابن عباس قال : كان السامرى من قوم يعبدون البقر فى أرض مصر فدخل فى دين بنى إسرائيل وفى قلبه ما فيه من عبادة البقر . وقيل كان رجلا من القبط وكان جار لموسى آمن به وخرج معه . وقيل : كان عظيما من عظماء بنى إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة وهم معرفون بالشام . وهذا ماعول عليه شارحنا .

(٣) سورة طه ٢٠/٩٧ .

(٤) سكان السامرة أو نابلس . وهم يخالفون اليهود فى نقاط دينية جوهرية منها ما ذكره الشارح ومنها أنهم لايقرون من كتب الوحى إلا أسفار موسى الخمسة المعروفة بالتوراة .

(٥) ق ، ع : « وهم قوم يستقذرون ولا يخالطونه » .

السامريّ إذا كان يتجنّب أنْ تمسّه اليد السليمة ، كان من اليد الجذماء أشدّ اجتنَابًا .

والغرض : أنه يفرّق مالَه .

٤٠-إذَا مَا الْعَالِمُونَ عَرَوْكَ(١) قَالُوا أَفِدْنَا أَيُّهَا الْحَبْرُ الْإِمَامُ

عروك : أى قصدوك ، وأتوكَ . والحبر : العالِم .

يقول:العلماء إذا سألوك عن العلْم واستفادوا منك قالوا : أفدنا أيها الإمام فى العلم .

٤١-إذَا مَا الْمُعْلِمُونَ رَأَوْكَ(٢) قَالُوا بِهَذَا يُعْلَمُ الْجَيْشُ اللُّهَامُ

المعلم (٣) : من جعل لنفسه علامة ليعرف بها ، وتلك علامة الشجعان .

واللهام : هو [٧٥ - ١] الجيش العظيم (٤) .

يقول : إن الشجعان إذا رأوْك قالوا : بهذا يُعْلم الجيش (٥) . أى أنه ليس فيهم أشهر منه فكأنه قال : هو علامة الجيش وزعيم الجيش وفارسه المشهور .

٤٢-لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فى فَمِ الدُّنْيَا(٦) ابْتِسَامُ

وروى : فى فم الزمن . يعنى أن أوقات الزمان حسنت لكونك فيها ، كما يحسن وجه الإنسان بالابتسام فى الفم .

٤٣-وَأُعْطِيتَ الَّذِى لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

يقول : إنك أُعطيتَ مالم يُعْط أحد من المخلوقين ، فعليك صلاة الله تعالى ، وهى الرحمة منه ، وعليك سلامه ، أى تحيته .

(١) ق ، ع : « عدوك » ب : « عزوك » . وفى النسخ : « الهام » بدل : « الإمام » .

(٢) فى جميع النسخ : « العالمون » تحريف والتصويب عن الواحدى والتبيان والديوان

(٣) ع ، ق : « المعلمون » مكان : « المعلم » .

(٤) ب : « الكثير الذى يلتهم كل شىء أى يبتلعه » مكان قوله « العظم »

(٥) ق ، ع : « هذا العلم الجيش » .

(٦) المذكور عن ع وفى سائر النسخ فى « فم الزمن » .

رقم الإيداع	١٩٩٢/٨٠٣١
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-3815-5

١/٩١/٣١٩
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

